

عبد السلام محمد هارون

قُطُوفُ الدِّينِيَّةِ

دِرَاسَاتٌ نَفْدِيَّةٌ فِي الزَّائِرَاتِ الْعَرَبِيَّ

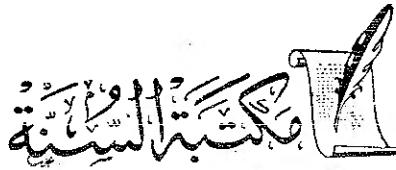
حَوْلَ تَحْقِيقِ الزَّائِرَاتِ

[وهو الكتاب الحادى والعشرون بعد المائة ١٢١ من اعمال
العلامة عبد السلام محمد هارون ، وهو الاخير من مصنفاته
رحمه الله وجزاه خيرا عن العلم واهله - آمين]

مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم

الطبعة الاولى
ربيع الخير ١٤٠٩ = نوفمبر ١٩٨٨

جميع الحقوق محفوظة للناسخ
مكتبة السنة لصاحبها شرف الدين محمد بن الفلاح تجازي



دار ترايد للنشر والتوزيع والطباعة والبحث العلمي وتصدير واستيراد الكتب

القاهرة ٨١ شارع النسيان ناصية شارع الجمهورية - عابدين - تليفون ٣٩٠٠٣٨ القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

كان عصرًا ذهبيًا ذلك الذي عشناه في مجالات تنسم بالأصالة والدقة والأمانة ، والحفاظ على الخلق العلمي الجليل ، والنوق الأدبي الرفيع .

وكانت أوعية الثقافة من المجالات ودور العلم تزخر بالأعلام وشيوخ الفكر وشبابه ، حيث كانت الصلة عميقة بين الشيخ وتلميذه ، يلتقيان حيث المودة الصادقة والتشجيع الصادق أيضاً .

عشنا في عصر سعى نحو التراث العربي في مكان يستثير الدرة إثر الدرة واللؤلؤة النادرة في عقب أختها النادرة ، وأضواء النقد ساطعة عالية ، تنادى النقاد في رحابة صدر ونقاوة منبج تتعاون جميعاً على صقل الدرة وجلاء اللؤلؤة .

وكان مُخرج الكتاب يسعى كذلك إلى جبهة القراء والأدباء والنقاد ، ليعينوه على ما هو بسبيله من الإسهام في إخراج كنوز التراث في أروع صورها وأوضح معالمها .

والجالات المصرية الأصيلة التي مضت إلى غير رجعة تتجاذب أقلام الأدباء والنقاد لتصوير معالم التراث العربي وتضعها في القالب اللائق بها ، وفي الصورة التي تمكن الباحث من حسن الانتفاع بها .

كانت هناك مجلة الرسالة يتولى قمتها أحمد حسن الزيات ، ومجلة الثقافة بمسك بزمامها أحمد أمين ، ومجلة الكتاب لدار المعارف ينفخ فيها من روحه المهنبة عادل الغضبان ، ومجلة العصور يديرها في ذوق رفيع إسماعيل مظهر . وأما والدة المجالات جميعاً ، وهي مجلة المقتطف فكان يدفعها إلى الأمام

يعقوب صروف ثم فؤاد صروف ، وكان في طليعة الصحف التي تتولى ذلك صحيفة البلاغ اليومية والأسبوعية ، والمصرى ، والدستور ، والسياسة الأسبوعية .

عشنا نقرأ هذه المجالات جميعاً والصحف الأدبية في تلك الصحف ، وقد لا يفوتنا منها عدد واحد ، لأن الجو العلى كان متماسكاً مترابطاً ، هادفاً نحو نهضة واحدة ، تقبل الثقافة من عقارها الذى كانت تشكوه إلى أبنائها الأبناء ، فبدأت نهضة مباركة يتوازى فيها بعث الأدب والنقد الأصيل مع المسيرة المباركة في إحياء التراث العربى والإسلامى .

ولا نستطيع أن نغفل فضل صاحب الجهد الأول في توجيه ذلك الإحياء هذه الوجهة الجديدة التي عاصرناها وكانت نواة لأعمالنا . وهو العلامة الجليل أحمد زكى باشا (١٨٦٧ - ١٩٣٤) الذى قدم لنا باكورة المنهج الحديث في تحقيق النصوص كما كان أول نافخ في بوق إحياء التراث على النهج الحديث . وقد قام بتحقيق كتاب أنساب الخليل لابن الكاوى ، والأصنام له أيضاً . وقد طبعا في المطبعة الأميرية سنة ١٩١٤ باسم لجنة إحياء الآداب العربية التي عرفت فيما بعد باسم « القسم الأدبى » . ولعل هذين الكتابين مع كتاب التاج في أخلاق الملوك للملك الجاحظ الذى حققه أيضاً بالمطبعة الأميرية في سنة ١٩١٤ من أوائل الكتب في هذا الشرق العربى التي كتب في صدرها كلمة « بتحقيق » . كما أن تلك الكتب قد حظيت بإخراجها على أحدث المناهج العلمية للتحقيق ، مع استعمال المكملات الحديثة من تقديم النص إلى القراء ، ومن إلحاق الفهارس التحليلية المتنوعة . ويضاف إلى ذلك أنه أول من أشاع إدخال علامات الترقيم في المطبوعات العربية ، وألف في ذلك دستوراً في كتاب سماه « الترقيم في اللغة العربية » طبع في بولاق في زمن مبكر جداً هو سنة ١٩١٣ وإن كان يؤخذ عليه أنه كان يبالغ في استعمال تلك العلامات ، ولا سيما في الشعر الذى كان يختم كل بيت مستقل فيه بنقطة يضعها في نهايته .

ومن أوائل مطبوعات هذا القسم بدار الكتب كتاب صبح الأعشى في
١٤ مجلداً سنة ١٩٢٠ بالمطبعة الأميرية باسم دار الكتب وتعد هذه الطبعة
هى الطبعة الثانية ، إذ كانت الأولى في مطبعة بولاق سنة ١٩٠٥

وكانت الصيحة المدوية لدار الكتب المصرية تبنيها لطبع كتاب الأغاني
لأبى الفرج بإشراف القسم الأدبي الذى كان يرأسه أحمد زكى العدوى بناء
على اقتراح السيد على راتب الذى تكفل بنفقات طبعة ، وصدر الجزء الأول
منه فى سنة ١٩٢٧ وحظى بعناية كاملة فى إعداد الأصول وصنع الفهارس
التحليلية فى نهاية كل جزء من أجزائه .

واستمرت دار الكتب فى أداء مهمتها تنشر موسوعات التراث ، ومنها
النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، وتفسير القرطبي . ثم ضعفت العناية
بهذا القسم إلى أن تولى أمين مرسى قنديل إدارة دار الكتب فقام بمجهود
ضخم جداً لمسته بنفسى إذ حاول أن ينقل هذا القسم من الفناء فدبت الحركة
فيه ، وحاول أن ينقل كتاب الأغاني من ورطته التاريخية فعهد إلى جمع من
العلماء بإتمام ما بقى من أجزائه ، وكاد القسم الأدبي فى عهده يرتقى القمة
فى نشر موسوعات التراث ، ولكن أطاحت بذلك فكرة خاطئة مغرصة
ترغم أن ليس من وظائف دور الكتب فى أوروبا أن تضطلع بنشر التراث ،
وكأننا فى جميع خطواتنا إنما نترسم أوروبا فى حقها وباطلها .

وفى أسف بالغ ودع المثقفون هذا القسم الأدبي الذى قضى على نشاطه
بعد عهد أمين مرسى قنديل ، ولكن ما نراه هذه الأيام من نشاط فى دار
الكتب يبشر بالخير ونأمل من ورائه نهضة مباركة ومحاولة لاستعادة المجد
القديم .

إن ما أخرج به القسم الأدبي الذى ضم طائفة مختارة من المحققين كان من
المعهم أحمد زكى العدوى الذى تولى رئاسة هذا القسم دهرأ طويلاً وكذلك
حافظ إبراهيم وأحمد نسيم وأحمد رامى الشعراء المعروفون، ومنهم كذلك

العلامة الخطير عبد الرحيم محمود وأحمد الزين وعبد الجواد الأصمعي وغيرهم وغيرهم - إن تلك الآثار كانت بمثابة مدرسة حذت حذوها جماهير من علماء القاهرة ودمشق وبغداد والسعودية والعراق والمغرب العربي واتسع بذلك نطاق إحياء التراث اتساعاً ظاهراً .

والناظر إلى تلك الجهود جميعاً يرى فيما يرى أن مشاركة تلك المجالات الأصيلة التي أشرت إليها في حركة ذلك الإحياء ، كانت مشاركة مثمرة مجدية ، وكان لها أثر كبير في توسيع دائرة النشر وحملها على الإجادة والدقة والأمانة ، فلا يكاد كتاب من كتب التراث يخرج إلى الوجود حتى تتناوله أقلام النقد في ترحيب ومبادرة لكى تشارك في تقويمه .

وأنت ترى في ثنايا هذه المقالات والبحوث مبادرة من بعض محققى التراث . وهو الأستاذ الجليل أحمد أمين قد طلب إلى ، وأنا لا أزل في ميعة الشباب ، أن أنقد كتاباً له اشترك في إخراجه ، وهو « الهوامل والشوامل » لكى أكتب عنه بعض نظراتى إليه .

وكذلك كان موقفى من الأب أنستاس مارى الكرملى الذى طلبت إليه فى إلحاح أن يكتب عما أخرجت من كتاب الحيوان للجاحظ ، وموقف الأستاذ أحمد شاكر من الأستاذ السيد أحمد صقر فى إخراج كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وهو الذى أبى إلا أن يسجل هذا النقد فى الطبعة التالية لسابقتها من الشعر والشعراء مع مقال طويل وكذلك كان موقف العلامة حسن كامل الصيرفى منى عندما نشرت له نقداً « حول ديوان البحرى » فى خمس مقالات لقيت منه كل ترحيب وعلق عليها بما أثبتته فى الباب الثانى .

وكان النقد نقداً حياً لا يستثير حفيظة ولا يوغر قلباً ، وكان هناك من أئمة النقد الأدبى العقاد ، وطه حسين ، وأحمد الزيات ، ومحمد مندور . وصالح جودت والشاب المختصر محمد غنيمى هلال .

كان هذا العصر الذهبى الذى عشناه فى غبطة بين الثقافة العربية المتحررة

من الإصرار ، يطرز جنباتها الأدب الأصيل والشعر الأصيل والإنتاج القصصى الأصيل ، وكان ما فيه من ذلك أقوى عناصر الربط بيننا وبين أشقائنا الأخيار في هذا الوطن العربي .

أما اليوم فقد زالت تلك المعالم أو ضعف شأنها بارتقاء أجيالنا الجديدة في أحضان الثقافة الأوروبية والأمريكية ، وأوشكت دعائم النقد العربي الأصيل أن تنقوض كذلك ، وكاد أن يطغى ما يلقبونه زوراً بالشعر الحديث المهلهل النسج ، الأعجمي اللغة ، المتمزق المعنى ، الباعث حيناً على التفرز ، وآخر على الحزن والاكتئاب ، وما هو بقادر أن يمحو من ذوق الأديب العربي الحر ما يفيض به وجدانه من متعة تذوق القصيدة العربية الفارغة ، ونحن على يقين أن صبح التحرر من تلك العبودية الآتمة للأفكار المستعارة ، والناذج المشحوذة من فئات الاتجاه الغربي الهزيل سوف يسطع في نهاية المطاف .

لهذا كله أحببت أن أستثير صورة رائعة من صور نهضتنا هي قل من كثر ، وقطرات من غيث لما كان يخص رجلاً واحداً من أدباء جيله في مجال النقد الأصيل ، بين هجوم مهذب باسم ودفاع نظيف . وأقول رجلاً واحداً لأن كثيراً غيرى كان يتولى مثل ما توليت ، أو أروع مما توليت ، ولست أخص أحدهم بالتنويه ، لأن التاريخ يعرفهم تمام المعرفة ، ويسجلهم أصدق التسجيل وأعدل له وأنصحه .

والناظر في كتابي هذا الذي أعدته بناء على اقتراح الناشر الفاضل « شرف حجازى » الذى خشى أن يضيع هذا الجهد الأدبى أو أن يندثر ، وفى ظنه وفى يقينه أيضاً أنه تاريخ عزيز ، إن الناظر فى كتابي هذا يجده متعدد النشاط ، متشابك الجذور ، ممتداً من سنة ١٩٣٥ الميلادية إلى سنة ١٩٦٥ أى نحو ثلاثين سنة ، ومع هذا لم أستطع لم جميع أطرافه ، وتجميع كل ما قمت به من إسهام خارج نطاق الكتب التى قمت بتأليفها أو بتحقيقها على مدى تلك الحقبة أو قبلها أو بعدها ، والتى أربت على العشرين بعد المائة بحمد الله وبعونه .

وعسى أن يكون في نشر هذه المقالات والبحوث ما يسد فراغاً نجم من خمول وسائل النشر والإعلام من الصحف والمجلات وتوقفها عن تشجيع النقد في محيط التراث ، وهو ما أرجو أن يكون خمولا مؤقتاً وتوقفاً مؤقتاً كذلك :

هذا وقد اشتمل هذا المجلد على ضروب أربعة من خطوط البحث الأدبي
١ - الأول : بحوث ومقالات في بعض ما عاجلته من قضايا تخص تحقيق التراث . أو تمسه من قريب أو من بعيد .

٢ - الثاني : ما يخص نقدي الخاص لما عاجله أدباء عصرى من كتب ، وردهم على ذلك وسميته : ما بينى وبين الأدباء والعلماء .

٣ - الثالث : فيما يخص نقد الأدباء والعلماء لكتبى التى عاجلتها ثم ردى عليها وسميته : ما بين الأدباء والعلماء وبينى .

٤ - الرابع : فيما يخص نظرة بعض الأدباء والأصدقاء إلى إنتاجى فى شىء من التقدير ، وفيه لا ريب كثير من المبالغة .

وقد اتبعت هذا كله بفهرس تحليلى يتناول رءوس البحوث أولاً ، ثم يتناول الأعلام ومفردات النقد اللغوية والنحوية وقوافى الأشعار والأرجاز ثم المراجع ؛ أثبتت كما كانت فى العهد الذى كتبت فيه البحوث ولا جرم أنه قد تغيرت طبعات بعضها فى تلك الفترة الطويلة ، وليس بمستطاع أن تترجم بالطبعات الحديثة .

[وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين]

البَابُ الْأَوَّلُ
بُحُوثٌ وَمَقَالَاتٌ

حول تجربتي في احياء التراث(*)

ما أحوجنا ونحن نتحدث في تحقيق التراث أن نحقق كلمة (التراث) ،
فلسنا نجد في مواد لغتنا العربية مادة (تراث) ، كما أنه ليس في معاجمنا
العربية من المواد المبدوءة بالتاء والمختومة بالتاء المثلثة إلا ثلاث مواد ، لا تزيد
ولا تنقص .

١ - الأولى : مادة (تفت) ، ومما ورد فيها من النصوص ما جاء في
القرآن الكريم : « ثم ليقتضوا تفتنهم » . وقضاء التفت يعني به إذهاب الشعث
والدرن ، وهو ما يتحالف به المحرم في الحج من قص الشعر ، وتقليم الأظافر
ونحو ذلك . وقالوا كذلك : رجل تَفَتَّ أى متغير شعث لم يدَّهن ولم
يستحدّ . وجاء في الحديث أيضاً : « فَنَفَّتِ الدماء مكانه » أى لطخته .

٢ - والثانية مادة : (تلت) وفيها لفظ واحد : التَّلَيْث : ضرب من
نجيل السباح .

٣ - والثالثة : مادة (توث) . ولم يرد فيها إلا لفظ واحد كذلك ،
وهو التوث ، وهى لغة ضعيفة فى التوث ، تلك الثمرة الطيبة المعروفة ،
وهنا يتدخل التراث الصرفى ، الذى يقضى بأن بعض الكلمات المبدوءة
بالتاء قد تكون تأوها مبدلة من الواو ، كالتخمة ، وهى الأزمة الناشئة من
ثقل الطعام . قالوا : أصلها « وُخمة » فلذا نلقاها فى مادة (وخم) لا (تخم) ،
وكذلك (التهمة) نجدها فى (وهم) ، ومدلولها أن المرء يتوهم أن أخاه قد أساء
أو تجاوز حداً من الحدود . ونحوها التُّكْلان ، أصلها الوُكْلان ، أى
الاعتماد على وكيل . وكذا (تَتَرَّى) أصلها وَتَرَّى من التواتر ،
و « التَّقَى » ، و « التقية » و « التَّقوى » كلها مأخوذة من الوقاية .

(*) مؤتمر الدورة ٤٨ ونشرت فى مجلة المجمع بالجزء ٤٩ سنة ١٩٨٤ م .

ولا يسكت الصرفيون بعد عرض هذه النماذج ، بل يذكرون العلة في هذا : أن العرب لحظوا أن الواو ، وهي الحرف الضعيف الذي تلعب به الريح حين يقع في مهبها فلا يستقر على حال ، جديرة بأن يوضع بدلها في أوائل تلك الكلمات حرف هو أجلد منها . أي أقوى ، وهو التاء التي اختيرت بديلاً .

وعلى هذا استطاعوا في حذق أن يضعوا كلمة « التراث » في مادة (ورث) . ولعل أقدم النصوص التي ظفروا بها في مجال هذه الكلمة هو النص القرآني الكريم : « وتأكلون التراث أكلاً لما » في سورة الفجر . إذ نعى على أهل الجاهلية منعههم توريث النساء وصغار الولدان ، وأكلهم لأنصباهم الموروثة . وكانوا يقولون في جاهليتهم : « لا يأكل الميراث إلا من يقاتل ويحمي حوزة القوم » . كما كانوا يلمون لما جميع ما تركه الميت من حلال أو حرام ، ويسرفون في إنفاقه .

ومما ورد في الشعر القديم قول سعد بن ناشب ، وهو شاعر إسلامي كان بلال بن أبي بردة قد هدم داره لأنه أصاب دماً في قوم :

فإن تهدموا بالغدر دارى فإنها

تراث كريم لا يبالي العواقبا

وظلت كلمة التراث محدودة المعنى والاستعمال ، تنوب عنها أختها الميراث في كثير من الأمر إلى أن دخلنا في هذا العصر الحديث ، فألفينا هذه الكلمة تشيع بشيوع البحث والتنبيش عن الماضي : ماضى التاريخ وماضى الحضارة والفنون والآداب . والعلم . والقصص . وكل ما يمت إلى القديم بصلة .

ويقصد بعبارة إحياء التراث في عرف الأدباء والمثقفين : إبراز نصوص المخطوطات محققة موثقة بقدر الإمكان . مع الوثوق بعنوان الكتاب أو النص . والثقة باسم مؤلفه ونسبة الكتاب إليه .

ولهذا كله معايير وضوابط ومناهج ، يستطيع بمتابعتها ومراعاتها أن نخرج كتاباً أو نصاً موثقاً بنسبته إلى صاحبه على الصورة الأصلية له أو المقاربة للأصلية .

وهذا يدفع بنا أن نوضح معنى تحقيق متن الكتاب أو المخطوط .

والذي اتفق عليه المحققون من ذلك أن يؤدي متن الكتاب أداء صادقاً كما وضعه مؤلفه ، كما وكيفاً بقدر الإمكان .

وقد يظن بعضهم أن معنى تحقيق المتن أن نلتمس للأسلوب النازل أسلوباً هو أعلى منه ، أو أن نحل كلمة صحيحة محل أخرى صحيحة بدعوى أن أولاهما أولى بمكانها أو أجمل أو أوفق : أو ينسب المؤلف نصاً من النصوص إلى قائل ، وهو في الواقع مخطئ في هذه النسبة ، فيبدل المحقق ذلك الخطأ ويضع مكانه الصواب الظاهر . أو أن يكون قد أخطأ في عبارة خطأ نحويّاً دقيقاً فيصحح المحقق خطأه في ذلك . أو يجد المؤلف قد أوجز عبارته بإيجازاً مخللاً فيلجأ هو إلى بسط عبارة المؤلف والزيادة فيها بما يدفع ذلك الإخلال .

هذه كلها أساليب لا يرتضيها التحقيق . وبعد انتهاكها خرقاً لفن التحقيق ، وانتهاكاً لحرمته . وتضييعاً للأمانة الصارمة التي يجب الأخذ بها في هذا الحال الدقيق .

وليس تحقيق المتن تحسناً أو تصحيحاً ، وإنما هو أمانة الأداء التي تقتضيها أمانة التاريخ : فإن متن الكتاب حكم على المؤلف وتاريخ لنفكيره . وهو كذلك حكم على عصره وبيئته . وهي اعتبارات تاريخية صادقة لها حرمتها . كما أن ذلك الضرب من التصرف ، عدوان على المؤلف الذي نه وحده حق التبديل والتغيير أو التنقيح . ويسجل التاريخ المعاصر محاولة من ذلك وقعت في إخراج كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس ؛ إذ ظهرت طبعة بولاق منه أقرب ما تكون إلى الصحة . على حين نشرت

نسخته الموثقة فيما بعد سيئة الأسلوب كثيرة الأخطاء . لأنها حكّت أسلوب المؤلف أصدق حكاية لم تبدل منه شيئاً أو ترفع خطأ . وأسلوب ابن عباس معروف بأنه أسلوب نازل ، فرفع هذا الأسلوب إلى درجة فوقه يعد تدخلاً خاطئاً وعدواناً خاطئاً .

وقد ضربت لذلك مثلاً بما ورد في السيرة من النص الذي تلقب فيه أسماء بنت أبي بكر بذات النطاق . والمعروف المشهور أنها ذات النطاقين^(١) . وبالنص الذي وجدته في تهذيب اللغة^(٢) يسمى أبا عمرو الشيباني بإسحاق ابن مراد ، بالدال . على حين تعد تسميته الصحيحة إسحاق بن مزارع براءين . وذكرت أن تصحيح النص الأول بالنص المشهور فيه : « ذات النطاقين » وكذلك تصحيح الاسم الثاني بإسحاق بن مزارع الذي هو الصواب الصحيح قطعاً - يعد تصحيحاً خاطئاً . لأن صاحبي هذين النصين أرادا النص الأول ولم يعدلا عنه ، وثبت بالبينة أيضاً أن المؤلف الثاني أثبت ذلك النص الخاطئ يقيناً بخطه ، فلا مجال للعدول عما أثبتاه . وإن كان هناك مجال للتصحيح أو التعليق فليكن ذلك في حواشي الكتاب لا في صلبه . لأن أمانة الأداء فوق جمال الأداء .

وتحقيق متن الكتاب أمر جليل يحتاج من الجهد والعناية إلى أكثر مما يحتاج إليه التأليف . وقديماً قال الجاحظ في كتابه (الحيوان) : « ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيحاً أو كلمة ساقطة . فيكون إنشاء عشر ورقات من حرّ اللفظ وشرّيف المعاني . أيسر عليه من إتمام ذلك النقص حتى يردّه إلى موضعه من اتصال الكلام » .

ويثور سؤال آخر : ما هي الأوهام التي تعين على إقامة النص ، ونجنب المحقق مزالت سوء الأداء ؟

(١) السيرة ٣٢٩ جوتنجن .

(٢) مقدمة تهذيب اللغة للأزهري ص ١٣ .

فأول تلك الأمور :

التمرس بقراءة المخطوط ، فإن القراءة الحاطئة ، لا تنتج إلا خطأ .
وبعض كتابات الأقدمين يحتاج إلى مراس طويل وخبرة خاصة ،
ولا سيما تلك المخطوط العتيقة التي لا يطرّد فيها النقط والإعجام ، وكذلك
تلك المخطوطات التي كتبت بقلم كوفي قديم ، أو بقلم أندلسي أو مغربي ،
وللأندلسي والمغربي صورهما الخاصة ونقطهما الخاص ، ولكل كاتب بأحد
القلمين لازمة لا تكون لأخيه ، وتصوير يخالف تصوير أخيه .

وإذا تركنا ذلك وقرأنا في المخطوط المعتادة ، وجدنا لكل كاتب من
الكتاب طريقة خاصة تستدعي خبرة خاصة كذلك .

فنحن نجد من يقارب بين رسمي الدال واللام ، فلا نشعر بالفرق بينهما
في النظر ، أو في رسمي الغين المعجمة والفاء كذلك ، مع أن لكل منهما
ضابطاً خاصاً ، ولكن الخبير بالخط يستطيع بدربته أن يفصل بينهما .

ونجد كذلك كثيراً من الكتاب الأقدمين يكتبون على طريقة خاصة بهم
في الرسم الإملائي . وهذا يحتاج أيضاً إلى خبرة خاصة تكتسب بالمرآة
وبالرجوع إلى كتب الرسم القديمة ، أعني الإملاء .

ومما هو جدير بالذكر أن النقط تختلف طرائقه في الكتابة الشرقية
والكتابة المغربية إلى وقتنا هذا ، ولا سيما في الريف المغربي ، إذ نجد الفاء
عندهم إلى الآن تميز بنقطة واحدة من أسفلها وليس من أعلاها ، على حين
نجد القاف عندهم تميز بنقطة واحدة لكن في الأعلى لا في الأسفل . فهذا أمر
يحتاج إلى يقظة ودراية .

وفي الكتابات القديمة أيضاً توضع بعض العلامات لتأكيد إهمال الحروف
المهملة كالسين . نجد بعضهم يميز لإهمالها بوضع ثلاث نقط من أسفلها في
مقابل تمييز إعجام الشين بوضع ثلاث من فوقها . وبعضهم يدل على إهمال

السين بتركها كما هي على حين يميز أختها الشين بوضع نقطة واحدة في أعلاها، وبعضهم يكتب تحت السين المهملة سيناً صغيرة .

ومن الكتاب القدماء من يميز الحرف المهمل بوضع همزة في أعلاه أو تحته إشارة إلى «إهمال» أو «أهمل» . ومنهم من يضع فوق المهمل خطأً أفقياً لحظر وضع النقط ، أو يضع رسماً كالهلال الصغير من فوقه . ومنهم من يضع للاهمال علامة شبيهة بالرقم ٧

وبعض الكلمات التي تقرأ بالإهمال وبالإعجام معاً قد ينقط الحرف من أعلى ومن أسفل كذلك بنقطة ، أو يضع فوق السين نقطاً ثلاثاً ومن أسفلها كذلك إشارة منه إلى جواز القراءتين كالتشميم والتسميت : « التبيميم » ، وهو الدعاء بالسلامة من شر العتاس . ونحو ذلك : المضمضة والممصصة : « المضمضة » .

وفي (الإعجام) بمعنى الشكل والضبط يحتاج المحقق إلى خبرة خاصة . وذلك في الكتب العتيقة . وكان أبو الأسود يسميه « النقط » . يقول أبو الأسود الدؤلي لكاتبه القيسي :

رأيتني قد فتحت في بالحرف فانقط على أعلاه . وإن ضمنت في فانقط نقطة بين يدي الحرف ، أي أمامه . وإن كسرت في فاجعل النقطة تحت الحرف . فإن اتبعت ذلك شيئاً من غنة — يعني التنوين — فاجعل مكان النقطة نقطتين . وقد وجدنا تطبيق ذلك عملياً في الخطوط الداهية في القدم من المصاحف وغيرها .

وفي الكتابة القديمة كثيراً ما تهمل كتابة الهمزة الواقعة في نهاية الكلمات الممدودة وغيرها ، مثل ماء وسماء وورداء ، ومثل شيء وفي وضوء ، تكتب : ما ، وسما ، وردا ، وشي ، وفي ، وضو .

ونجد كذلك أن الهمزة المكسورة التي التزمنا اليوم بكتابتها تحت الألف يكتبها بعض الأقدمين تحت الحرف أو فوقه أيضاً .

والشدة ، وهي رأس الشين . نجدها في الكتابة القديمة حيناً فوق الحرف ، وحيناً آخر تحته إذا كانت مقرونة بالكسرة .

والفتحة مع الشدة التي ألفنا كتابتها فوق الشدة نجد كثيراً من الأقدمين لا يبالى بذلك ، فما دامت الفتحة فوق الحرف فهي فتحة ، سواء أكانت الشدة تحتها أم كانت فوقها ، على حين نعدّ نحن الآن أن الفتحة الموضوعة تحت الشدة هي تعبير عن الكسرة لا غير .

ووضع الكسرة تحت الشدة فوق الحرف أمر لا يكاد يوجد في المخطوطات العتيقة .

ونجد في المخطوطات المغربية من يضع الضمة تحت الشدة فوق الحرف . وفي كثير من الكتابات القديمة توضع الشدة على الحرف الأول من الكلمة اللاحقة إذا كان مدغماً في آخر من نهاية الكلمة السابقة مثل : « بل رآن » توضع شدة على الراء مع أنها في أول كلمة . وكذلك نحو : « أهلكتم مالا » لَوْ قَمَنْتَ بِهِ « بوضع شدة على لام « لو » .

ومع هذا نجد أن شكل الشدة في الكتابة المغربية تكتب كالعدد (٧) . شديدة التقويس .

وقد عثرت على مخطوط أندلسي عتيق ، هو كتاب العققة والبردة لأبي عبيدة ، وقد التزم فيه كاتبه نمطاً غريباً ، هو وضع الحركات العلوية

وكذلك السكون تحت نقط الإعجام . فكلمة « مضغة » كتب تحت نقطة الضاد سكوناً ، كما وضع فتحة الغين تحت نقطة الغين لا فوقها .

وفى النسخة المغربية من كتاب المحتسب لابن جنى بدار الكتب المصرية وجدت الشدة مع الفتحة يعبر عنها بعلامة فوق الحرف شبيهة بالعدد (٧) أما الشدة مع الضمة فلها يعبر عنها بعلامة فوق الحرف شبيهة بالعدد (٨) . وأما الشدة مع الكسرة فيعبر عنها بعلامة (٨) أيضاً ، ولكن بوضعها تحت الحرف .

ومما يجب أن يعرفه المحقق ما يسمى بعلامة التمرىض . وهى الحرف (ض) يوضع فوق العبارة التى هى صحيحة سليمة فى نقلها مطابقة للأصل ، ولكنها خطأ فى ذاتها ، وذلك لكى يخلى الكاتب الأمين عهده من خلل النص الذى نقله كما هو .

وهناك علامة تسمى علامة التثليث . وهى الحرف (ث) يوضع فوق الكلمة اقتباساً من كلمة التثليث ، أى ضبط الحرف من الكلمة بثلاثة ضبوط : الفتح والضم والكسر . نحو وجد وجد وجد ، توضع النقط الثلاث فوق الواو إشارة إلى اللغات الثلاث . وقد وجدت هذه العلامة فى مخطوطة الاشتقاق لابن دريد .

وعلاوة أخرى تدل على وجود البياض بالنسخة ، أى فراغ لم تثبت فيه كلمة ، وهى الحرف (ض) يكتب فى موضع البياض إشارة إليه ، وهذه العلامة مقتبسة من كلمة « بياض » . وقد وجدت هذا فى نسخة مخطوطة من جمهرة أنساب العرب لابن حزم .

وكان للكتاب القدماء ذوق خاص في التحرز من تشويه الكتابة ، فإذا أخطأ بزيادة بعض الكلمات ، أشار إلى ذلك بوضع خط معقف الطرفين فوق الكلمة أو الكلمات الزائدة ، أو أشار إلى ذلك بوضع دائرتين صغيرتين (٥٥) إحداهما في بدء الزيادة والأخرى في نهايتها ، أو أشار إلى ذلك بوضع نصفي دائرة (« ») إحداهما في بدء الزيادة والآخر في نهايتها .

وإذا أخطأ بالتقديم والتأخير وضع فوق الكلمتين المضطربتين أو الكلمات ألفين صغيرتين . وجدت في إحدى المخطوطات : (سنة ومائة إحدى) وقد وضعت ألف صغيرة فوق « ومائة » ، وألف أخرى كذلك فوق كلمة « إحدى » أى اقرأ : سنة إحدى ومائة . وقد يوضع في هذا المجال أيضاً أى الإشارة إلى التقديم والتأخير الحرفان (خ) و (ق) أو (خ) ، و (م) أى تأخير وتقديم . أو الحرفان (م) و (م) إشارة إلى مقدم ومؤخر .

وهناك رموز واختصارات لبعض الكلمات أو العبارات نجدها في المخطوطات ولا سيما كتب الحديث ، وهو سبق "سبق" به أسلافنا العرب ، وقلدهم في ذلك الفرنجة وأسرفوا فيه إسرافاً ، وذلك نحو :

س - سيويه .	ثنا - حدثنا .
لا يخ - لا يخفى .	ثنى - حدثنى .
سم - ابن أم قاسم .	أنا - أنبأنا أو أخبرنا .
عم - عليه السلام .	قلنا - قال حدثنا .
صلعم - صلى الله عليه وسلم .	ش - الشرح .
رض - رضى الله عنه .	الش - الشارح .

ع - موضع : وقد استعمله	المص - المصنّف ، أى المؤلف .
صاحب القاموس ومن بعده .	ص - المصنّف ، أى المتن .
ج - جمع .	م - معتمد أو معروف .
جج - جمع الجمع .	وقد استعمله صاحب القاموس
ججج - جمع جمع الجمع .	ومن بعده بمعنى معروف .
ح - حيثئذ . وهكذا .	إلخ - إلى آخره .
	اه - انتهى .

هذا هو بعض ما ينبغي معرفته مما يكتسب من التمرس بقراءة المخطوطات .
وبنقص هذه الخبرة يقع المحقق في مزالق جمة تبعده عن الصواب وتجنح به إلى
تشويه النصوص البريئة . وتمهد له سبيل العدوان عليها وهذا هو الأمر
الأول الذى جعلت قضيته هي التمرس بقراءة المخطوطات .

أما (الأمر الثانى) فهو التمرس بأسلوب المؤلف . ومعرفة لوازم
ذلك الأسلوب ، والوقوف على ما يؤثره من العبارات والألفاظ ، وتعرف
الأعلام التى يديرها فى كتابه ، والمعارف والحوادث التى يتكرر إيرادها ،
وهذا كله بعد تصور العصر الذى عاشه والبيئة التى اشتملت عليه اشتمالاً ،
وبدا أثرها عليه فى تفكيره وأسلوبه تفكيره ، فالإنسان وليد بيئته .

وأدنى صور التمرس بأسلوب المؤلف أن يرجع المحقق إلى أكبر قدر
يستطيع الحصول عليه من كتب المؤلف . وذلك ليزداد خبرة بأسلوبه
وظروفه ، وليقدر على أن يوجد ترابطاً بين عباراته فى هذا الكتاب وذاك ،
فإن معرفة ذلك مما يعين فى تحقيق المتن . والتهدى بصدق إلى الصواب فيه .

و (الأمر الثالث) من مقدمات تحقيق المتن هو الإلمام بالموضوع
والقضايا التى يعالجها المخطوط : حتى يمكن المحقق أن يفهم النص فهماً سليماً

يجنبه الوقوع في الخطأ حين يظن الصواب خطأً فيحاول إصلاحه ، أى يحاول إفساد الصواب .

وهذا الإلمام إنما يتحقق بدراسة بعض الكتب التى تعالج الموضوع نفسه . أو موضوعاً يقاربه أو يتصل به ، ليستطيع المحقق أن يعيش فى الأجواء المطابقة أو المقاربة أو المماثلة ، وكى يكون على بصيرة نافذة .

و (الأمر الرابع) من وسائل تحقيق المتن هو المراجع العلمية ذات العلاقة المباشرة بالخطوط ؛ ومعنى هذا أن المحقق إذا اجتمع لديه أقصى ما يمكن جمعه من مخطوطات الكتاب واستطاع قراءتها قراءة سليمة ، وعرف أسلوب المؤلف ، وألم إلماماً كافياً بموضوع الكتاب استطاع أن يمضى فى التحقيق مستعيناً بالمراجع العلمية المباشرة التى يمكن تصنيفها على الوجه التالى :

١ - كتب المؤلف نفسه مخطوطها . مطبوعها .

٢ - الكتب التى لها علاقة نسب بالكتاب كالشروح واختصرات والتهذيبات . فنسخة الشرح هى من جهة شرح وضبط وتقييد ، ومن جهة أخرى نسخة ثانية من الكتاب تتكفل بتوضيح الغوامض وتجلية النص ، وهو أمر له قيمته فى مكملات التحقيق .

وبلى نسخة الشرح نسخة المختصر أو التهذيب ؛ فإن كلا منهما تلقى ضوءاً لا يستهان به فى تحقيق النص .

ومن البديهي أن يرجع المحقق فى ذلك إلى المخطوطات ما أمكنه ذلك ، وألا يعتمد على المطبوعات الحالية من الروح العلمية المحققة .

٣ - وهناك ضرب آخر من المراجع التى لها علاقة حميمة بالكتاب ، وهى الكتب التى اعتمدت فى تأليفها اعتماداً كبيراً على الكتاب ، وهذه كثيراً ما تحتفظ بالنص الأصيل للكتاب الأول .

ولنضرب لذلك مثلاً بكتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ؛ إذ نجد أنه من الكتب التي اعتمدت على كتب الجاحظ . ولا سيما كتاب الحيوان ، في زاوية معينة عند كلام ابن قتيبة على الحيوان ، إذ نجده يقتبس نصوصاً كثيرة بأعيانها وألفاظها منه . وقد أعانني هذا كثيراً عند تحقيقى لكتاب الحيوان .

والكتاب نفسه - أعنى عيون الأخبار - من الكتب التي اعتمدت على كتاب البيان والتبيين للجاحظ أيضاً ، فنجد كتاب الزهد فيه ، ونجد نصوص الخطب والوصايا التي تحتل مساحة كبيرة من عيون الأخبار ، جلّها ومعظمها مقتبس من كتاب البيان والتبيين . وحاولت أن أعرف السر في ذلك ، فوجدت أن ابن قتيبة قد أعطاه الجاحظ إجازة برواية بعض كتبه ، كما صرح بذلك ابن قتيبة في عيون الأخبار في عدة مواضع ^(١) أثبتتها في كتابه . فاستخدم هذا الضرب من الكتب ، هو من الضرورة بمكان ، كما هو من النفع وعظيم الفائدة بمكان أيضاً .

٤ - ومن المراجع المعينة على إقامة النص وتجنّب المحقق مزائق سوء الأداء عكس المراجع السابقة ، وهي المراجع التي استقى منها المؤلف . فإذا تهّدّى المحقق إلى منابع والموارد التي استمدّ منها المؤلف تأليفه كان ذلك معواناً له على إقامة النص . وكان بعض المؤلفين القدماء ينصّون في كتبهم في صدورهم أو في أواخرها ، على المراجع التي استقوا منها كما نفعل نحن الآن في مناهج تأليفنا للكتب الحديثة ، ويظنه البعض منّا مجارة للأوربيين ، مع أنها منهج قديم عند المؤلفين العرب .

فنحن نجد ابن فارس (٣٩٥ -) في مقدمته لكتابه « مقاييس اللغة » ينص على مراجعته التي اعتمد عليها في كتابه ، وهي : العين للخليل ، وغريب الحديث ومصنف الغريب ، وكلاهما لأبى عبيد القاسم بن سلام ،

(١) عيون الأخبار ٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ .

والمنطق لابن السكيت ، والجمهرة لابن دريد . ويقول ابن فارس بعد أن سردها : « فهذه الكتب الخمسة معتمدنا فيما استنبطناه من مقاييس اللغة . وما بعد هذه الكتب فمحمول عليها وراجع إليها ، حتى إذا وقع الشيء النادر نصصناه إلى قائله إن شاء الله »

وابن منظور (٧١١ -) في مقدمة لسان العرب فعل ذلك أيضاً . وسرد لنا من تلك المراجع خمساً رئيسية أيضاً هي : التهذيب للأزهري ، والمحكم لابن سيده ، والصحاح للجوهري ، وأمالى ابن برى على الصحاح . والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير .

وابن حجر (٨٥٢ -) في مقدمته لكتابه « تهذيب التهذيب » نصّ على كتاب الكمال للمقدسي ، وتهذيبه للمزى ، والكاشف للذهبي ، وتهذيب التهذيب له أيضاً . وما جمعه مغلطاي على تهذيب الكمال .

وكذلك السبوطي (٩١١) في « بغية الوعاة » ذكر في مقدمته طائفة كبيرة من المراجع التي اعتمد عليها والتي أربى عدد مجلداتها على ثلثمائة مجلد . وفاقهم جميعاً في ذلك عبد القادر ابغدادى (١٠٣٠ - ١٠٩١) صاحب خزانة الأدب الذي سرد في مقدمتها أسماء مئات من المراجع التي اعتمد عليها وساقها مرتبة ترتيباً علمياً على حسب الفنون وفروعها .

وقد يكشف المحقق النقاب عن كتاب يعتمد اعتماداً كلياً أو جزئياً على مؤلف آخر يقتبس منه دون النص منه على ذلك ، كما حدث ويحدث في عصرنا هذا . وأذكر هنا ما عثرت عليه عند تحقيقي لشرح المرزوقي للحماسة أبي تمام . إذ وجدت كثيراً جداً من نصوصه بالنص واللفظ ، أو بالاتجاه الواحد ، وجدتها في شرح التبريزي للحماسة نفسها . والذي يوازن بين الشرحين يجد أن التبريزي المتأخر عن المرزوقي بنحو ثمانين عاماً ، وفاة المرزوقي سنة ٤٢١ . ووفاته التبريزي ٥٠٢ ، يجد أنه في معظم شروحه كان كلاً وعالة على المرزوقي .

وكما صنع التبريزى غفر الله له هذا فى شرحه للحماسة أدار وجهه مرة أخرى إلى شرح ابن الأنبارى للقصائد السبع الطوال ، وظل يرتشف من معينه ، ويقتبس من كنوزه فى شرحه هو للقصائد العشر . ورب ضارة نافعة ، إذ كان انتفاعى بهذا الشرح المقتبس بعامل السطو ، معيناً لى ونافعاً لى فى كثير من مشاكل تحقيق شرح ابن الأنبارى .

والتاريخ لا يغفل عن أمثال هذه السطوات العلمية .

ومن الذين اتهمهم التاريخ بالإغارة على كتب غيرهم وإن كنت أجل قدره عن ذلك : الإمام عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى ، عثرت على نص نادر فى بغية اوعاة للسيوطى^(١) عند ترجمته لأحمد بن محمد بن أحمد المرسى المتوفى سنة ٤٦٠ يقول فيه : « ونسب إليه ابن خلسة شرح أدب الكاتب المسمى بالاختصاب . وذكر أن ابن السيد البطليوسى أغار عليه - أى على الكتاب - وانتحلّه » . وأقول : لكن لا تزال هذه التهمة فى ذمة التاريخ حتى نرى الكتابين معاً .

و (الأمر الخامس) مما يعين على صحة الأداء هو الرجوع إلى الكتب المعاصرة للمؤلف التى تعالج نفس موضوعه أو تعالج موضوعاً قريباً منه ، فما لا ريب فيه أن الأجواء العلمية المتعاصرة تلقى أصدق الأضواء وأعلاها على تحقيق النص ، إذ أن للمعاصرة أثراً واضحاً فى الأفكار وفى الألفاظ والأساليب ، كما تعين على تصحيح الأعلام والوقائع التى تعاصر المؤلفين .

و (الأمر السادس) من الأمور التى تعين على صحة الأداء ولا يستطيع المحقق فراقه أو مجانبته هو المراجع اللغوية ، إذ هى المقياس الأول الذى تسبر به صحة النص ، والدليل الأول كذلك الذى يقودنا إلى حسن فهم النص وتصوره . فأحياناً يحكم المحقق العجلان الذى فارقت الأناة والدقة . على نص

(١) بغية الوعاة ١٥٧

من النصوص أنه محرف ، أو أنه ذاهب في الغموض ، على حين تنطق نصوص المراجع اللغوية أنه صحيح غاية الصحة ، أو أن من اليسر بمكان أن نزيح ما بدا للوهلة الأولى عسر فهمه أو صعوبة إدراكه . ولا يكفي في هذه المهمة ضرب واحد من المراجع اللغوية .

ويمكننا أن نصنف المراجع اللغوية التي يستطيع المحقق أن يطرق بابها إلى خمسة أصناف :

الأول : معاجم الألفاظ . وأعلاها وأوثقها وأيسرها جميعاً ، هو لسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي ، الذي تضمن جميع نصوص القاموس انخبط وتكملاته .

ومن معاجم الألفاظ : معاجم المفردات الطبية القديمة ، كالمفردات لابن البيطار ، والمعتمد لابن رسول ، وتذكرة داود الأنطاكي . ومن المعاجم الحديثة في المفردات الحيوانية معجم الحيوان للفريق المعلوف ، وفي المفردات النباتية معجم أحمد عيسى ، ومعجم الألفاظ الزراعية للأمير الشهابي .

ومنها معاجم المصطلحات العلمية . ككتايب العلوم للخوازمي ، وكليات أبي البقاء . وأوسعها وأشملها جميعاً كتاب « كشف اصطلاحات الفنون للتهانوي .

كما أن هناك معاجم وضعها بعض فضلاء المستشرقين ، استدرکوا بها على المعاجم العربية القديمة ، ومنها معجم دوزي اللغوي ، ومعجمه الخاص بأسماء الملابس .

وهذه المعاجم الأخيرة تفيدنا في تحقيق النصوص الواردة في الكتب التي كان تأليفها في عصور متأخرة .

ثانياً : معاجم المعاني ، وأعلاها كما هو معروف كتاب المخصص لابن سيده ، وفقه اللغة للثعالبي .

ثالثاً : معاجم الأسلوب ، وأعلاها كتاب جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر ، والألفاظ الكتابية للهمداني .

رابعاً : كتب المعربات ، وفي فقتها قديماً كتاب المعُرب أو المعرَّب للجواليقي ، وشفاء الغليل للشهاب الخفاجي . وفي فقتها حديثاً : كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير .

خامساً : معاجم اللغات التي تمت بصلة وثيقة إلى العربية ، كالفارسية والعبرية والسريانية ، واللاتينية والأسبانية .

وهذه المعاجم تعد مجالاً صحِّياً لتحقيق الكلمات المعربة التي يصيبها التحريف في لفظها أو في معناها ، فتكون هي حَكَمًا في تصحيح جسم الكلمة ، أو تصحيح دلالتها ومعناها .

ولست أنسى تجربتي في تحقيق كلمة وردت محرفة في جميع مخطوطات كتاب الحيوان ، وهي كلمة « كنعان » التي وردت في الجزء السادس في ص ٤٥٢ ضمن خبر ساقه الجاحظ ، ونصه :

« وخلا معاوية بجارية له خراسانية ، فلما همَّ بها نظر إلى وصيفة في الدار . فترك الخراسانية وخلا بالوصيفة ثم خرج . فقال للخراسانية : ما اسم الأسد ؟ - قلت : وكأنه كان يريد أن يلقَّب نفسه بذلك - قالت : كنعان . فخرج وهو يقول : ما الكنعان ؟ فتبيل له : الكنعان : الضبيع . فقال : ما لها قاتلها الله . أدركت بثأرها » .

وقد عقب الجاحظ على ذلك بقوله : « والفرس إذا استقبح وجه الإنسان قلت : ، روي كنعان » .

فلجأت حينئذ إلى المعجم الفارسي الإنجليزى لاستينجاس في باب الكاف جميعه . انظر اللفظ الفارسي المقارب لـ كنعان : والذي يؤدي في الوقت نفسه

معنى الضبع . وبعد لأى شديد وتقليب كثير وترقب طويل لكلمة الضبع الإنجليزية ، وهى : Hyena وجدت أن اللفظ الفارسي الذى ينطبق عليه تفسير الضبع ويقارب « كنعان » هو لفظ : « كفتار » .

وكثيراً ما كنت ألبأ إلى هذا المعجم الوثيق في تحقيق الألفاظ الفارسية المعربة ، أو المشتركة ، أو في تحقيق مدلولاتها ومعانيها .

سادساً : ومن المراجع التى لا يستغنى المحقق عنها في تحقيق العبارات والأساليب : المراجع النحوية . وأعلى المتداول منها وأجمعها هو كتاب « معجم المراجع شرح جمع الجوامع ، كلاهما للسيوطي . وكذلك شرح ابن يعيش على مفصل الزمخشري . وحاشية الصبان على شرح الأشموني للألفية .

سابعاً : وليس يستغنى المحقق عن الرجوع إلى المراجع العلمية الخاصة بمادة الكتاب أو موادّه . وهذه تخرج عن نطاق الحصر ، إذ أن لكل كتاب أو مخطوط يكون موضع التحقيق . ضرورياً شئ من المراجع التى يتطلبها .

فكتاب الأدب يحتاج إلى مراجع الأدب والتاريخ والبلدان على اختلاف ضروبها . وإلى المراجع الدينية بمختلف أنواعها . وكذلك مراجع الشعر بأنواعها من الدواوين الجاهلية والإسلامية ، وكتب النقد القديم والبلاغة والعروض والقافية .

كما أن كتاب التاريخ يفتقر إلى المراجع من كتب الأدب والبلدان ، وسائر ما أسلفت من أنواع المراجع ؛ فإن من المعروف أن نتائج الثقافة الإسلامية متواشج الأسباب . متداخل الأسباب . وحقق المحقق وسعة اطلاعه يهديانه بلا ريب . إلى الوقوع على المراجع التى يتطلبها الكتاب ، وأذكر

أننى عند تحقيقى لكتاب الحيوان للجاحظ هالنى تنوع المعارف التى يتضمنها هذا الكتاب الموسوعى ، ووجدت أنى لو خبطت على غير هدى لم أتمكن من إقامة نصه على الوجه الذى ينبغى أن يكون عليه . فرسمت لنفسى منهجاً بعد قرائتى للكتاب سبع مرّات ، منها ست مرات اقتضاها معارضتى لكل مخطوط من مخطوطاته على حدة ، ومرة سابعة كنت فيها أقرؤه لتنسيق فقره وتبويب فصوله ، فكنت بذلك واعياً حافظاً لكثير مما ورد فيه .

وبعدئذ لجأت إلى مكتبى أتصفح تصفّحاً ما أحسب أن له علاقة بالكتاب وأقيد فى أوراق ما أتوقعه معيناً للتصحيح أو التخريج . حتى استوى لى من ذلك قدر صالح من مواد التحقيق أو التعليق .

ولكن هذا كله لم يكن ليغنينى عن الرجوع إلى مراجع أخرى غير التى حسبت أو توقعت ، فكانت عدة المراجع التى اقتبست منها نصوصاً للتحقيق والتعليق فحسب نحو ٢٩٠ كتاباً غير المراجع التى لم أقتبس منها نصوصاً وهى تساوى العدد السابق أو تفوقه .

والذى أريد أن أقوله : أن تحقيق نصوص التراث محتاج إلى مصابرة ومثابرة ، وإلى يقظة وانتباه عظيمين ، وإلى سخاء فى الجهد الذى لا يضمن على الكلمة الواحدة بيوم واحد ، أو أيام معدودات .

احياء التراث وما تم فيه(*)

التراث هو تلك الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة فوصلت إلينا . وليس هناك حدود معينة لتاريخ أى تراث كان . فكل ما خلفه المؤلف بعد حياته من إنتاج يعد تراثاً فكرياً . ولقد أصبح شعر شوقي وحافظ ، وحديث عيسى بن هشام ، وآثار العقاد والمازني تراثاً له حرمة التاريخية ، وله مقداره الأثرى .

تقوم التراث العربى :

ولعل من نافلة القول أن نسهب فى بيان قيمة التراث العربى . فلقد سبقنا العلماء الأوربيون إلى الاعتراف بهذا الفضل . واستولت عليهم الدهشة لإزاء ظهورهم على ما صنع أسلافنا فى مختلف زوايا العلم والمعرفة . فالتراث العربى غنى فى الكيفية وغنى فى الكمية ، ولا تزال آثار هؤلاء الأسلاف فى التشريع والعلوم الفلسفية والرياضية والفنية وغيرها ، معدودة فى قبة الإنتاج الفكرى العالمى . ولا تزال النظريات الفلسفية والاجتماعية لعلماء العرب وفلاسفتهم أصلاً وجذراً من جذور علم الاجتماع والفلسفة المعاصرة .

وكنت قريباً فى مجلس ضم بعض المشتغلين بالفلسفة فذكر بعض الأساتذة أن أحدث البحوث الفلسفية الآن أصبح يستخدم الرموز الحرفية فى حل مشاكل الفلسفة . وأن مسائل الفلسفة أمست شبيهة بمسائل الجبر والمعادلات الرياضية . فقلت له : إن أسلافنا العرب قد سبقوا فلاسفتنا المعاصرين فى هذا الاتجاه . وذكرت له أنى قت بنشر رسالة للرئيس ابن سينا ، عنوانها

(*) نشرت فى مجلة (المجلة) عدد يونية سنة ١٩٦٦ م .

« الرسالة النوروزية » يتكلم فيها ابن سينا عن فلسفة الوجود مستخدماً في ذلك الرموز الحرفية (أ ، ب ، ج ، د ، هـ ، ز ، ح ، ط ، ي ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ص ... إلخ) . وهذه الرسالة في ضمن سلسلة نواذر المخطوطات التي قمت بنشرها سنة ١٩٥٤ . فأخذت الدهشة صاحبي من ذلك السبق الفني العجيب لأسلافنا العرب .

وفي التراث العربي كثير من المعجزات الفريدة التي لم تتكرر في عالم التأليف إلى الآن . فكتاب « مقاييس اللغة » لابن فارس ، يعد فريداً في بابهِ ، إذ أن ابن فارس استطاع أن يبتدع نظرية لغوية دقيقة ، تتمثل في إرجاع مفردات كل مادة لغوية إلى أصل أو أصليين أو أصول معنوية ، ترجع كل المفردات إليها ، وقام بتطبيق تلك الفكرة على جمهور المواد اللغوية العربية فاستقام له ذلك . ولم نسمع إلى الآن بمن قام بمثل هذا المجهود التألفي في أي لغة من لغات العالم كانت ، في قديمها والحديث .

ويكفي أن ترجع إلى « كشف الظنون » لتقرأ أسماء نحو مائتي علم أو فن ، كعلم الأكتاف ، والأكر ، والآلات الحربية ، والآلات الرصدية ، وآلات الساعة ، والآلات الظلمية . وعلم إنباط المياه ، وعلم الأوزان والمقادير ، والباه . والبُرد ومسافاتها ، والبيزرة والبيطرة ، وتحسين الحروف ، وتدبير المدينة . وتدبير المنزل . وترتيب العسكر ، وتركيب المداد ، والتصوف ، وتعبير الرؤيا ، والجبر والمقابلة ، والجراحة ، وجبر الأثقال ، والجغرافيا ، والجفر ، والجهاد ، والحروف والأسماء ، والحكمة ، والرصد ، والرقص ، والرمل ، والرعى ، والرياضة ، والريافة ، والزيج والزايرة ، والسياسة ، والسيما ، والشروط والسجلات ، والصيدلة ، والطبخ ، والطلسمات ، والظيرة . والعدد ، والعرافة . وعقود الأبنية ، والغنج ، والفتاوى والفراسة . والفلاحة . والفلقطيرات . والقرانات ، والقرعة ، وقلع الآثار ، وقوانين الكتابة ، وقود العساكر ، والجيوش ، والكحالة ، وكشف الدك . والكهانة . والكيمياء . ومراكز الأثقال ،

والمرايا المحرقة ، والمساحة ، والمعادن ، والمعنى ، والملاحة ، والملاحم ،
والموسيقى ، والميقات ، والنبات ، ونزول الغيث ، والنيرانجات ، والوصايا ،
والوضع ، والهندسة . والهيئة ... إلى كثير جداً مما أغفلت ذكره .

هذه بعض أسماء علومهم ، وفي المكتبات العامة في العالم - وهي تناهز
ألفاً وخمسمائة^(١) على ما أحصاه الفيكونت فيليب دي طرازي في كتابه
المسمى : «خزائن الكتب العربية في الخافقين» - آثار خالدة خلود الأهرام .
وهي جديرة بأن يتعاقب المحققون على تمهيد السبيل للانتفاع بها والاستمداد
منها .

ومن البديهي أنه يقصد بالتراث العربي ما تركه الأسلاف المتكلمون
أو المؤلفون باللغة العربية ، فإن الأفق العربي أوسع مجالاً وأرحب نطاقاً من
أن يتقيد بالعنصرية العربية الأصيلة .

إحياء التراث :

وليس إحياء التراث أمراً حديثاً ، بل هو عمل طبيعي قامت به الأجيال
التقدمة على امتداد الدهر وعلى صور شتى . من نشر ، أو تفسير ، أو
تلخيص . أو نقد أو تعليق .

فكم قد رأينا من الكتب القديمة التي خلفها أصحابها . فقام النساخ
والوارقون بإحيائها وإذاعتها على نطاق واسع .

فالمقرئ (الخطط ٢ : ٢٥٣ - ٢٥٥) يذكر أنه كان في خزانة

(١) مبدئ مصر ١٦ مكه وفي حرائر ٨ وفي فلسطين ٦ ولسد ٣ وسوريا والعراق
وعجلا وجميع ١٥ والعرب الأفي ١٠ وتونس ٧ والولايات المتحدة ٢٨٥ وأندريا والنس
١٤٥ والانجديسوي ١٢٠ وبريطانيا ٧٦ وفرنسا ٦٧ وإيطاليا ٢٨ وسويسرا ٢١ وهولنده
١٥ وناجيك ١٣ والانداد ٩ والاندرك ٦ والبرت ٢ وهند ٣ وإيران ٢ ، وفي هذه المكتبات
حيماً نحو ٢٦٢ ميو - مجلد .

العزیز بالله ٣٠ نسخة من كتاب العين و ١٠٠ نسخة من جمهرة ابن دريد .
كما يذكر أنه كانت في خزانة الفاطميين ١٢٠٠ نسخة من تاريخ الطبري .

ويروي ابن النديم (الفهرست ٣٦٩) في ترجمته ليحيى بن عدي المنطقي
النصراني ، أنه كان ينسخ كتب التفسير والكلام ، مع أنه كان من النصاري
اليقوبية . وهذا أمر عجب . ويذكر أنه لقيه وعاتبه على كثرة نسخه ، فقال
له : من أي شيء تعجب في هذا الوقت : من صبري ؟ قد نسخت بخطي
نسختين من التفسير للطبري ، وحملتهما إلى ملوك الأطراف ، وقد كتبت
من كتب المتكلمين ما لا يحصى ، ولعهدى بنفسى وأنا أكتب في اليوم
والليلة مائة ورقة وأقل !!

ومن طريف ما يروي عن أحد النحاة ، وهو يحيى بن محمد الأرزني ،
ما ذكره ياقوت في شأنه ، إذ يقول : « إمام في العربية مليح الخط ، سريع
الكتابة ، كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد ، فلا يقوم من
مجلسه حتى يكتب الفصيح لثعلب ، ويبيعه بنصف دينار ، ويشتري نبذاً
ولحماً وفاكهة ، ولا يبيت حتى ينفق ما معه منه » .

ومن الناشرين القدماء ، الذين عملوا في حقل إحياء التراث أبو علي محمد
ابن الحسن بن الهيثم - المهندس البصري نزيل مصر ، المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .
ذكر أنه كان ينسخ في مدة سنة ثلاثة كتب في ضمن أشغاله ، وهي :
إقليدس ، والمتوسطات ، وانجسطي ، ويستكملها في مدة السنة ، فإذا شرع
في نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين ديناراً مصرية ، فيجعلها مؤونة
لنفسه .

وكانت صناعة الوراقة في الأمصار العظيمة والبلدان الكبيرة من هذا
الوطن العربي بمثابة المطابع الحديثة التي تملأ أمصار بلادنا في الوقت الحاضر .
وكانت مهمة الوراقين موزعة بين الانتساخ والتصحيح والتجليد والتذهيب
وكل ما يمت إلى صناعة الكتب بصفة (مقدمة ابن خلدون ٣٦٧ - ٣٦٨) .

هذا جانب من جوانب إحياء التراث قديماً . أما الآخر فيتمثل في شرح ذلك التراث ، فنحن نجد أن حماسة أبي تمام المتوفى سنة ٢٣١ تناولها بالشرح أكثر من أديب ، فشرحها أبو بكر الصولي . والمرزوقي ، وابن جني . والآمدي ، والتبريزي . وأبو هلال العسكري ، وابن سيده ، والشنتمري ، وغيرهم ممن أحصى عددهم صاحب كشف الظنون واحداً وعشرين شارحاً . وذكروا أن أول شارح لها هو أبو رياش أحمد بن إبراهيم الشيباني المتوفى سنة ٥٣٣٩ .

وكتاب سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ شرحه أو قام بخدمته أكثر من ٥٥ عالماً ، منهم : السيرافي ، والرّماني . والزمخشري ، وابن الحاجب ، والشلوبين ، وابن الباذش ^(١) .

ومقاهات الحريري أبي محمد القاسم بن علي (٤٤٦ - ٥١٦) شرحها معاصر له وقرأها عليه ، وهو محمد بن علي العراقي المتوفى سنة ٥٦١ : ثم تولى شرحها كثيرون ، منهم صدر الأفاضل قاسم بن حسين الخوارزمي (٦١٧) ، وناصر بن عبد السيد المطرزي (٦١٠) ، وأبو البقاء العكبري (٦١٦) . وأحمد بن عبد المؤمن الشريشي (٦١٩) له شروح ثلاثة على المقامات : كبير ، وأوسط ، وصغير .

وكتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي (٥٠٥) شرحه الزبيدي صاحب تاج العروس (١٢٠٥) وطبع هذا الشرح بفاس سنة ١٣٠٢ في ١٣ جزءاً ثم في الميمنية سنة ١٣١١ في ١٠ أجزاء . وقام أخوه أحمد بن محمد الغزالي (٥٢٠) باختصاره ، واختصره بذلك أبو العباس الموصلي (٦٢٢) اختصارين ، كما اختصره السيوطي (٩١١) . وآخر اختصار له إلى الآن ما نشره عبد السلام هارون باسم « تهذيب إحياء علوم الدين » في مجلدين .

(١) انظر مقدمة سيبويه ص ٣٦ - ٤١ تحقيق عبد السلام هارون .

تلك بعض النماذج للمحاولات القديمة التي كانت تعمل على إحياء التراث أو استحيائه على تطاول العصور ، لم يخل دهر من طائفة صالحة كانت تعمل في هذا المضمار .

إحياء التراث في العصور الحديثة :

أما إحياء التراث في هذه العهود الحديثة فقد لبس ثوباً جديداً يمتاز بالنشاط السريع الذي يتمثل في إنتاج المطبعة الحديثة ، فهي كانت عاملاً فعالاً في نشر التراث الفكري على نطاق أوسع وعلى صور شتى ، ودرجات مختلفة من الصحة والتوثيق ، ومراحل متدرجة من الدقة والعناية حتى وصلت إلى ما يشبه القمة في عصرنا الحاضر .

وإذا تحدثنا عن المطبعة رجع بنا التاريخ إلى سنة ١٤٥٠ التي طبعت فيها التوراة بعد أن ابتدع جوتنبرج الألماني ، « المطبعة » .

أما الطباعة العربية فكان مهدداً الأول في إيطاليا في أوائل القرن السادس عشر ، إذ ظهرت أول مطبعة عربية في مدينة فانو بأمر البابا يوليوس الثاني وافتتحها ليون العاشر سنة (١٥١٤) . ومن أوائل ما طبع فيها سفر الزبور (١٥١٦) . ثم مطبعة البندقية وفيها طبع القرآن الكريم للمرة الأولى ، وبعد أن تم طبعه صودرت نسخته وقضى عليها بدافع تعصب ، ثم طبعت أول ترجمة إيطالية للقرآن سنة ١٥٤٧ :

وفي مطبعة روما (١٥٩٣) طبع « قانون ابن سينا » في الطب ، ومعه علم المنطق ، وعلم الطبيعى وكتاب النجاة له أيضاً^(١) . فكان صدور هذا الكتاب بداية عهد جديد في دراسة الطب .

ثم تعددت المطابع العربية في أوروبا وطبع فيها مئات من الكتب العربية

(١) انظر وصف تلك الطبعة وسلسلة الطباعات التي بعدها في معجم سركيس ١٣٠ - ١٣١

والشرقية ، أكثرها في لندن وباريس . ولييزج . ولیدن ، وغوتنجن ، وروما ، وفيينا ، وبرلين ، وبطرسبرج .

ثم تعددت المطابع العربية في أوربا وطبع فيها في أوائل القرن (١٦) إذ طبعت فيها التوراة العربية ترجمة سعيد الفيومي بالأحرف العبرانية ، أي العبرية وذلك في سنة ١٥٥١ .

وفي القرن الثامن عشر ظهرت الطباعة العربية في كل من الآستانة وسورية ولبنان .

ففي سورية طبع الإنجيل وطائفة من الكتب المسيحية ابتداء من سنة ١٧٠٢ .

أما في تركيا فكان القوم في حال تردد في طبع كتب الحكمة واللغة والتاريخ والطب والفلك التي لم يجرؤ أحد على طبعها إلا بعد ظهور فتوى من شيخ الإسلام عبد الله أفندي سنة ١٧١٦ بجواز ذلك ما عدا الكتب الدينية ، التي استصدرت فتوى أخرى بعدها لإجازة طبعها . وتعددت المطابع في الآستانة فكان أشهرها مطبعة الجوائب لأحمد فارس الشدياق ، ونشر فيها إلى جانب جريدة الجوائب طائفة صالحة من الكتب العربية .

وتلتتهما في ذلك لبنان . وكان من أقدم مطابعها مطبعة فرحيا ، بدأت بالحروف السريانية ثم انتقلت إلى العربية وكان اهتمامها بالمطبوعات الدينية . ومطبعة الشوير التي أسسها عبد الله زاهر ، وكانت معظم منشوراتها من الكتب الدينية كذلك . ثم ظهرت مطبعة القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس في بيروت سنة ١٧٥٣ وطبعت كثير آ من كتب الأدب والتاريخ ، ثم المطبعة الأمريكية للمبعوثين الأمريكان . أنشئت في مالطة سنة ١٨٢٢م ثم نقلت إلى بيروت سنة ١٨٣٤م وطبعت كثير آ من الكتب المدرسية وطائفة من كتب الأدب والتاريخ ودواوين الشعر . ثم المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

سنة ١٨٥٤م فكان لها فضل عظيم في نشر كثير من أمهات التراث العربى سنفرده بالذكر . ثم المطبعة السورية لخليل الحورى صاحب حديقة الأخبار أنشأها سنة ١٨٥٧ واعتنت بطبع كتب القانون والأدب والتاريخ . ثم مطبعة المعارف للبستاني (بطرس بن بولس) سنة ١٨٦٧م وهى التى قامت بنشر دائرة المعارف له ثم لولده سليم ، وكذا محيط المحيط ، وقطر المحيط .

أما مصر فإن أقدم مطبعة ظهرت فيها هى مطبعة الحملة الفرنسية التى أحضرها نابليون معه سنة ١٧٩٨م لطبع المنشورات السياسية والأوامر باللغة العربية ، وكانت تعمل وهى على السفينة فى عرض البحر ، وحينما اقتحمت هذه الحملة نجر الاسكندرية قام رجالها بتوزيع المنشورات التى أعدوها فى البحر ، وأطلق على تلك المطبعة اسم « المطبعة الأهلية » ، ثم نقلت إلى القاهرة واستمرت فى عملها إلى سنة ١٨٠١ حيث تم انسحاب الفرنسيين . ومن أظهر إنتاجها كتاب فى الهجاء باللغات العربية والتركية والفارسية .

ومرت فترة من الزمن زهاء عشرين سنة بقيت مصر فيها بلا مطبعة حتى استقر الأمر لمحمد على فأنشأ مطبعة على أنقاض المطبعة الأهلية الفرنسية . وسميت بالمطبعة الأهلية أيضاً وذلك فى سنة ١٨٢١م ثم نقلت إلى بولاق فعرفت بمطبعة بولاق ، وعهد بإدارتها إلى نقولا مسابكى السورى . وكان هذا قد بدأ دربته الفنية على الطباعة فى روما زهاء أربع سنوات لصنع أمهات الحروف وسبكها . وكان محررو مطبعة بولاق من الطلبة الأزهرين الذين دربوا لذلك تدريباً خاصاً استغرق نحو ست سنوات . ومن ألمع نظار مطبعة بولاق حسين حسنى (باشا) الذى بدأ أمره مصححاً وكاتباً بالتركية فى الوقائع المصرية سنة ١٨٥١م ثم عمل فى المطبعة إلى أن ولى نظارتها سنة ١٨٨٠م وهو أول من أنشأ مصنعاً للورق فى مصر ، إذ كان معظمه قبل ذلك يستورد من إيطاليا .

وقد استمرت مطبعة بولاق فى عملها أكثر من ٩٠ سنة لم تركد فى أنشائها

إلا بضع سنوات في الفترة التي انقضت بين عهد محمد علي وإسماعيل ، وكان نشاطها ظاهراً في طبع مئات من الكتب العربية في الطب والرياضة والطبيعة والفنون الحربية والتاريخ والأدب والشعر والتفسير والحديث وغيرها . وهذه المطبعة هي نواة المطبعة التي عرفت منذ عهد قديم باسم المطبعة الأميرية . وظهرت إلى جانبها مطبعتان حكوميتان أخريان إحداهما في طرة ، والأخرى في أبي زعبل .

أما المطابع غير الأميرية فلم تظهر إلا بعد مضي نحو أربعين سنة من إنشاء مطبعة بولاق . وأولها المطبعة الأهلية القبطية التي عرفت فيما بعد بمطبعة الوطن ، أنشئت سنة ١٨٦٠م بعد أن تدرّب عمالها في مطبعة بولاق بإذن من سعيد باشا . ومن أقدم المطابع الأهلية كذلك مطبعة وادي النيل ١٨٦٦م طبعت فيها صحيفة وادي النيل التي أنشأها صاحبها أبو السعود أفندي . ومطبعة جمعية المعارف . ثم تعددت المطابع في عهد عباس الثاني في القاهرة وفي سائر العواصم المصرية كالإسكندرية وبورسعيد وطنطا وأسيوط والمنصورة .

وظهرت كذلك مطابع عربية أخرى في بلاد غير عربية ، ومنها مطابع كلكتا وبمباي . ودھلي . ولاهور ، ولكناو ، وحيدرآباد في الهند . وكان لهذه الأخيرة فضل كبير في نشر موسوعات من التراث العربي .

هذه نظرة خاطفة إلى تاريخ الطباعة العربية في عصورها الأولى . أما في الحديث فإن الحصر لا يحيط بعدد المطابع المنتشرة في العالم العربي والغربي ، التي تقوم فيما تقوم به على إحياء التراث العربي . ولعل أبرزها جميعاً مطبعة دار الكتب المصرية ، ومطبعة دار المعارف ، ومصطفى الحلبي . وعيسى الحلبي .

جهود المستشرقين :

إن الجهد العلمي الذي بذله المستشرقون في إحياء التراث العربي جهد

لا استطاع إنكاره ، فهم كانوا أساتذة الجيل الحاضر في الطريقة العلمية التي جروا عليها . وأعود لأقول إن تحقيق النصوص وتوثيقها فن عربى أصيل . يتجلى في معالجة أسلافنا الأقدمين لرواية كتب الحديث واللغة والشعر والأدب والتاريخ في دقة وأمانة ونظام بارع ، ولكن المستشرقين تبنا إحياء هذا الفن في هذه العصور القريبة ، ونبع من بينهم علماء أمناء . قاموا بنشر عيون ثمينة من التراث العربى . على الوجه الأمثل ، ومنهم :

وستنفلد الألمانى : Ferdinand Wustenfled ١٨٠٨ - ١٨٩٩ م
الذى ألف وحقق نحو مائتى كتاب بين صغير وكبير ^(١) .

وبيفان الهولندى : Bevan ١٨٥٩ - ١٩٣٤ م ناشر نقائض جرير والفرزدق . وتحقيقه لها وتفسيره للألفاظ التي لم ترد في المعاجم مما يذكر له بالتقدير .

ولايل الإنجليزى : Gharch Lyall ١٨٤٥ - ١٩٢٠ م محقق
شرح المفضليات لابن الأنبارى مع ترجمة شعرية لها باللغة الإنجليزية !
وجاير الألمانى : Rudolf Geyer ١٨٦١ - ١٩٢٩ م محقق ديوان
الأعشى في عناية فائقة وتخراج مستفيض .

ولا تستطيع هذه العجالة أن تجلو صفحة هؤلاء المستشرقين . ولكن كتاب « المستشرقون لنجيب العتيق » (وهو كتاب ضخيم في ١٤١٤ صفحة) أعيد طبعه في العام الماضى ، هذا الكتاب كميل بان يبين ضخامة الجهود التي قام بها هؤلاء المستشرقون .

ولعل من أروع محاولاتهم في إحياء التراث ونقله إلى داخل لغتهم ما قام به المستشرق العبرى الدكتور ج. يان D. Gustave Jahn من

(١) منهم المطبوعات لسركيس . النهر ١٩١٧ - ١٩١٨ م .

ترجمته نص كتاب سيبويه كاملاً إلى اللغة الألمانية ، مع إضافات وتعليقات بالعربية مقتبسة من شروح السيرافي والشتيمري وغيرها ، وظهرت تلك الترجمة في خمسة مجلدات ضخمة من سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٠ م .

جهود مطبعة بولاق :

أما جهود مطبعة بولاق فتبدو واضحة في نشر أمهات كتب التراث ، أمثال صحيح البخاري ، وخزانة الأدب ، والأغاني ، ولسان العرب ، وصحاح الجوهري ، والقاموس المحيط ، وكتاب سيبويه ، والمختص لابن سيده ، وشرح الحماسة للتبريزي ، وشرح المقامات للشريشي ، وقلائد العقيان للفتح بن خاقان ، وصحيح الأعشى ، وكثير غيرها من أمهات الكتب . ولست أدري ماذا يكون الوضع لو لم تبكر هذه المطبعة بنشر تلك الكتب وإذا عتتها ، إذن لتغير وجه الثقافة العربية المعاصرة التي لا تزال مهتزة إزاء لطومات الاستعمار المتوالية ، وإزاء الدس الثقافي الذي لا يزال طائفة من أبناء أمتنا العربية في دوار من بريقه الكاذب ! !

ويحفظ التاريخ لنا أسماء شيوخ عظام كانوا يقومون - في أمانة - بإخراج تلك الكتب على قدر طاقتهم العلمية ومنهجهم الساذج في الإخراج ، منهم : الشيخ نصر المهورني ، والشيخ قطرة العدوي ، والشيخ محمد الحسيني ، والشيخ طه محمود ، والشيخ محمد عبد الرسول^(١) ، وغيرهم .

دار الكتب المصرية :

وأما دار الكتب المصرية فإليها يرجع الفضل الأخير في القدوة المثالية للمحققين المعاصرين . ولعل أول نافخ في بوق إحياء التراث العربي على النهج الحديث هو المغفور له أحمد زكي باشا الذي قام بتحقيق كتابي أنساب الخليل

(١) كان رحمه الله آية في العلم والفضل ، وكان رئيساً للمصححين بالمطبعة الأميرية ثم مغيراً أول بدار الكتب . وقد رأيته فرأيت فيه رجلاً فاضلاً .

لابن الكلبي ، والأصنام لابن الكلبي أيضاً ، وقد طبعا في المطبعة الأميرية سنة ١٩١٤م باسم لجنة إحياء الآداب العربية التي عرفت فيما بعد باسم القسم الأدبي ، ونعل هذين الكتابين مع كتاب التاج للملاحظ الذي حققه أيضاً من أوائل الكتب التي كتب في صدرها كلمة « بتحقيق » . كما أن تلك الكتب قد حظيت بإخراجها على أحدث المناهج العلمية للتحقيق ، مع استعمال المكملات الحديثة من تقديم النص إلى القراء ، ومن إلحاق الفهارس التحليلية . يضاف إلى ذلك أنه أول من أشاع إدخال علامات الترقيم الحديثة في المطبوعات العربية ، وألف في ذلك كتاباً سماه « الترقيم في اللغة العربية » طبع في بولاق في زمن مبكر جداً هو سنة ١٩١٣ وإن كان يؤخذ عليه أنه كان يبالي في استعمال تلك العلامات ، ولا سيما في الشعر الذي كان يَحْتَم كل بيت مستقل فيه بنقطة يضعها في نهايته .

ومن أوائل مطبوعات دار الكتب صبح الأعشى للقلقشندي في ١٤ مجلداً سنة ١٩٢٠م بالمطبعة الأميرية باسم دار الكتب . وتعد هذه الطبعة هي الطبعة الثانية ، إذ طبع قبل ذلك في مطبعة بولاق سنة ١٩٠٥م . ثم نهاية الأرب الذي بدأ بتبعه محققاً سنة ١٩٢٣ بمطبعته .

وكانت الصيحة الداوية لدار الكتب تبنيها لطبع كتاب الأغاني لأبي الفرج بإشراف القسم الأدبي الذي كان يرأسه المغفور له أحمد زكي العدوي بناء على اقتراح السيد علي راتب الذي تكفل بنفقات طبعه ، وصدر الجزء الأول منه سنة ١٩٢٧م وحظى بعناية كاملة في إعداد الأصول وصنع الفهارس التحليلية في نهاية كل جزء من أجزائه ، واستمرت دار الكتب في مهمتها تنشر موسوعات التراث ، ومنها النجوم الزاهرة ، وتفسير القرطبي . ثم ضعفت العناية بهذا القسم إلى أن تولى الأستاذ أمين مرسى قنديل إدارة دار الكتب فقام بمجهود ضخم جداً لمسته بنفسه إذ حاول أن ينقذ هذا القسم من الفناء فدبت الحركة فيه . وحاول أن يخلص كتاب الأغاني من

ورطته التاريخية فعهد إلى بعض العلماء بإتمام ما بقي من أجزائه ، ولكن الظروف لم تسعفه بتنفيذ فكرته النشيطة ، وكاد القسم الأدبي في عهده أن يرتقى القمة في نشر موسوعات التراث ، ولكن أطاحت بذلك فكرة خاطئة مغرضة تزعم أن ليس من وظائف دور الكتب في أوروبا أن تضطلع بنشر التراث ، وكأننا في جميع خطواتنا إنما نرسم أوروبا في حقها وباطلها .

وفي أسف بالغ ودع المثقفون هذا القسم الأدبي الذي قضى على نشاطه بعد عهد أمين مرسى قنديل — أطال الله في عمره — ولم يبق من أعلامه وعلمائه إلا وشل يقوم بإعادة طبع ما كان قد طبع من قبل .

ويعد إلغاء هذا القسم جريمة لا تغتفر في حق إحياء التراث العربي ، ويجب كل الوجوب أن يبعث ثانياً ليؤدي رسالته التي لا يستطيع أداءها غيره ، نظراً إلى وفرة المراجع المخطوطة والمطبوعة ، وإمكان تجنيد طائفة من العلماء وإعداد جيل يتلقى فن التحقيق بوجه عملي في رحاب دار الكتب ، هذا إلى اليسر الذي يجب أن تقدمه مطبعة دار الكتب لهذه الهيئة .

هيئات ومؤسسات نشر الكتب :

ومن أبرز هذه الهيئات :

المكتبة الميمنية :

أنشأها السيد أحمد البابي الحلبي المتوفى سنة ١٨٩٩م وتاريخ إنشائها سنة ١٨٥٨م أي منذ أكثر من مائة عام . وكان منشيء هذه المكتبة عالماً فاضلاً له تقارير على حاشية الشجاعى على شرح القطر لابن هشام . وهو عم مصطفى وعيسى وبكرى البابي الحلبي . وقد نشر طائفة من كتب التراث .

دار الكتب العربية الكبرى :

وبعد وفاته استمرت المكتبة باسم (دار الكتب العربية الكبرى) وتولى

إدارتها أبناء أخيه مصطفى وبكري وعيسى وقتاً طويلاً . وظلت الدار واحدة حتى تفرعت في سنة ١٩٢٨ إلى فرعين عرف أحدهما باسم (مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده) ، والآخر باسم (دار إحياء الكتب العربية) بإدارة السيد عيسى البابي الحلبي .

مكتبة مصطفى البابي الحلبي :

ولها قسط وافر في إحياء التراث . ومن منشوراتها : رسالة الشافعي بتحقيق الشيخ أحمد شاکر . وسيرة ابن هشام بتحقيق السقا والأبياري وشلبي ، والحيوان للجاحظ في سبعة مجلدات بتحقيق كاتب هذه السطور . وعشرات أخرى من كتب التراث . ولا تزال تعنى بأداء رسالتها في هذه الزاوية الخطيرة .

دار إحياء الكتب العربية :

ولها نشاط ظاهر ملموس في إحياء التراث . بل يكاد يكون هذا هو طابعها الغالب . وفي عهد مديرها السيد محمد عيسى الحلبي نشرت جمهرة عظيمة من التراث ، منها المزهري للسيوطي . وأمالى المرتضى ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ، وزهر الآداب للحصري ، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ، والموشح للمرزباني ، ومقاييس اللغة لابن فارس . ووقعة صفين لنصر بن مزاحم . وعدد آخر من كتب التراث يطول احصاؤه .

جمعية المعارف ١٨٦٨م :

كونها محمد عارف باشا عضو مجلس الأحكام . وقام إبراهيم المويلحي بإنشاء مطبعة سماها باسم هذه الجمعية ، فكانت كتبها يطبع أغلبها في هذه المطبعة ، وبعضها في غيرها من المطابع . ولعل هذه الجمعية أول جمعية مساهمة لنشر الكتب . وكان مقابل السهم فيها ثلاثين قرشاً وعدد أسهمها

٣٠ ألف سهم ، وقد نجحت في أداء مهمتها ؛ إذ نشرت طائفة من أمهات الكتب منها أسد الغابة لابن الأثير في خمسة مجلدات ، وكتاب ألف باء للبلوى في مجلدين ، وتاج العروس شرح القاموس للسيد مرتضى الزبيدي في عشرة مجلدات ، وتاريخ ابن الوردي في مجلدين^(١) .

المطبعة الكاثولوليكية للآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت :

وفي وقت مبكر ظهرت جهود الآباء اليسوعيين في بيروت ، إذ نشر كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ، بتحقيق سعيد الخوري الشرتوني اللبناني سنة ١٨٩٤م . وتهذيب الألفاظ للتبريزي بتحقيق الأب لويس شيخو سنة ١٨٩٥ واستمرت جهودهم في النشر زمناً ليس بالقصير . ولا تزال المطبعة إلى وقتنا هذا تمارس نشاطها وتنشر كثيراً من تحقيقات المستشرقين . شركة طبع الكتب العربية :

تكونت سنة ١٨٩٨م وكان من أبرز أعضائها حسن عاصم . وأحمد تيمور ، وعلى بهجت . ومما نشر فيها « الموجز » في فقه الشافعية ، وسيرة صلاح الدين لابن شداد ، وهي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، وفتوح البلدان للبلاذري .

لجنة نشر المخصص سنة ١٩٠٢ :

وتكونت لجنة لنشر « المخصص » لابن سيده في ١٧ مجلداً . وكان من أبرز أعضائها الشيخ محمد عبده وكان مفتياً في ذلك الوقت ، وحسن عاصم ، وعبد الحالق ثروت الذي أصبح فيما بعد رئيساً للوزراء ، ومحمد التجارى . وقام بتصحيحه والتعليق عليه الإمام الشنقيطي الكبير ، ونظر في أوله كذلك الشيخ محمد عبده ، واستغرق طبعه ست سنوات . وهو كتاب جليل يحتاج الآن إلى إعادة نشره مع إضافة الفهارس الفنية التي يتطلبها .

(١) انظر تاريخ ابن الوردي ٢ ٣٠٠ ٣٦٨ ترى بعض أوجه نشاط هذه الجمعية

جمعية المستشرقين الألمانية بتركيا سنة ١٩١٨ :

ويرجع تاريخها الأول إلى سنة ١٨٤٥ حيث أسست في ألمانيا في مدينة هاله ، ثم أنشأت فروعاً لها في الشرق ، أهمها فرع الآستانة سنة ١٩١٨ م تولى الإشراف عليه وتأسيس مكتبته المستشرق هلموت ريتز ، وقام مع غيره بنشر طائفة من كتب التراث الهامة ، منها مقالات الإسلاميين للأشعري ، والوافي بالوفيات للصفدي بتحقيق ريتز ثم ديلرنج ، والمحتسب لابن جني بتحقيق برجستراسر .

ثم فرع القاهرة الذي سمي بمعهد الآثار ، وكان يديره روبرت الذي حقق الجزء التاسع من كنز الدرر وجامع الغرر للداودي .

ثم معهد الدراسات الشرقية في بيروت سنة ١٩٦٠ م . ومن جهوده إعادة نشر الجزء الأول من الوافي بالوفيات للصفدي . وطبقات المعتزلة بتحقيق السيدة فليتسردى فالد من معهد استانبول ، وكتاب النحاة ، للمرزباني بتحقيق سلام من جامعة فرانكفورت .

مكتبة الخانجي :

ومن لم يد طولى في إذاعة التراث العربي السيد محمد أمين الخانجي ، وفيه يقول أحد أدبائنا : « وقل أن تجدد عالماً أو أديباً في زمنه لم يكن لهذا الرجل النحيف الضئيل فضل عليه . يذكره الذاكر محسناً في ذكره ، وينساه الناسي مسيئاً في نسيانه . ذلك هو أمين الخانجي ، الذي أحب الكتاب العربي كأنه تراث أبيه وأمه » ^(١) .

وقد رايت هذا الرجل في صباى وعرفت فيه الإخلاص للعلم وحده إذ لم يكن المال عنده إلا في المرتبة الثانية . كما لمست فيه التفاني في نشر

(١) الأستاذ محمود شاكر في مقدمة طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٥ .

التراث العربى لا يكاد يعبث به بغيره . وقد قدم إلى قارئ العربية مجموعة ضخمة من كتب التراث ، يكفى أن نذكر منها معجم البلدان لياقوت ، وذيله عليه الذى سماه « منجم العمران » . وكذا حلية الأولياء لأبى نعيم ، وبدائع الصنائع فى ٧ مجلدات ، والإصابة لابن حجر فى ٨ مجلدات ، والعقد الفريد ، واللزوميات لأبى العلاء ، وجواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر ، وتيسير الوصول إلى جامع الوصول لابن الربيع الشيبانى وقد قام بتحقيقه والذى الشيخ محمد هارون رحمه الله .

ومن المعروف عنه أنه رحل إلى العراق وغيرها من البلدان العربية . وعاد من رحلته سنة ١٩٢٥م جامعاً لنوادير المخطوطات التى لا يقدرها الثمن . وكان له ذوق مبكر فى منهج نشر الكتب وترقيمها واختيار الصالح منها للنشر . وهو وإن لم يكن العالم كل العالم فإنه كان ذواقة لما يحتاج إليه المثقف العربى .

وبعد وفاته فى سنة ١٩٢٨ قام مقامه ولده محمد نجيب الخانجي وورث عنه الرغبة الملحة فى إحياء التراث عن صدق لمسته فيه من طول صحبته له . ومن منشوراته مما حققه كاتب هذه السطور البيان والتبيين للجاحظ ، والاشتقاق لابن دريد . ورسائل الجاحظ ، ونوادير المخطوطات فى مجلدين وهى ٢٥ كتاباً ورسالة . ومما حققه غيرى : صون المنطق ، وطبقات الصوفية للسلمى . كما أسهم فى نشر الصلة . وتكملة الصلة ، وصلة الصلة وغيرها .

المكتبة السلفية :

أنشأها الأستاذ محب الدين الخطيب ، وعبد الفتاح قتلان سنة ١٩٢٠م ثم استقل بها محب الدين الخطيب ونشر كثيراً من كتب السلف ، منها أدب الكاتب لابن قتيبة سنة ١٩٢٧م وقد اشتركت معه فى إخراجها وتضمنت عليه فى ذلك الوقت حينما كنت طالباً فى تجهيزية دار العلوم . فهو كان أستاذى الأول فى ذلك — مد الله فى حياته .

ومما نشره لأول مرة كتاب الميسر والقдах لابن قتيبة ، وصنع له
فهارس فنية في ذلك الوقت المبكر ، وكذا كتاب الموشح للمرزباني .

ونشر كذلك كتاب الملاحن لابن دريد ، والثالث الأول من كتاب
خزانة الأدب ، وظهر هذا الثالث في أربعة أجزاء بتحقيق وإضافة تعليقات
لأحمد تيمور باشا وعبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، وكنت لا أزال إذ ذاك
طالباً في دار العلوم .

لجنة التأليف والترجمة والنشر :

وكانت نواتها طائفة من طلبة مدرسة المعلمين العليا ومدرسة الحقوق ،
يقول فيهم الدكتور أحمد أمين^(١) : « طائفة من الشباب تمتلئ نفوسهم غيرة
على العالم الإسلامى ، ويطلبون التفكير فى وسائل لإصلاحه والنهوض به ،
ألف بين أفرادها الشعور بالألم من موقف الشرق وخموله ، والإيمان بوجوب
العمل على تنبيهه والأخذ بيده ورفع مستواه » ، ومنهم أمين مرسى قنديل ،
وعبد الحميد العبادى ، ومحمد بدران ، ومحمد صبرى أبو علم . وكان
كل عضو منهم يسهم بعشرة قروش فى كل شهر ، ثم جعل ثمن السهم
جنيهاً واحداً . وتولى رياستها الأستاذ أحمد أمين فظهر نشاطها فى إحياء
التراث ، ونشرت السلوك للمقرئى بتحقيق الدكتور زيادة سنة ١٩٣٤ ثم
المختار من شعر بشار الخالدين ، وغيره من نفائس التراث كالعقد الفريد ،
ومعجم ما استعجم للبكرى بتحقيق مصطفى السقا ، وشرح الحماسة للمرزوقى
بتحقيق عبد السلام هارون^(٢) .

(١) انظر كتاب لجنة التأليف والترجمة والنشر فى عشرين عاماً إصدار اللجنة سنة ١٩٣٤ م .

(٢) من الخطأ أن ينسب تحقيقه إلى الاشتراك بينى وبين الأستاذ أحمد أمين . وانظر لذلك

كلام الأستاذ أحمد أمين نفسه فى مقدمة ص ٥ وكلامى كذلك فى ص ٢٤

دار المعارف :

ولم تأخذ دورها في إحياء التراث بصيغة الجدية إلا في سنة ١٩٤٢ حين فكرت أنا وأخي المغفور له الشيخ أحمد شاكر في نشر مجموعات من عيون الشعر سميناها « ديوان العرب » ، وبدأنا في نشر المفضليات ثم الأصمعيات . ثم اقترحنا على دار المعارف أن تخصص نشرًا منظماً لعيون التراث العربي ، فسرعان ما استجابت لهذا الاقتراح ، وأذكر إن لم تخفى الذاكرة أن الدار قد أعلنت عن مسابقة لتسمية هذا المشروع ففاز به عنوان « ذخائر العرب » ، يشترك في تحقيقها علماء الشرق والغرب ، وكان باكورة هذه المجموعة كتاب « مجالس ثعلب » في مجلدين بتحقيق عبد السلام هارون ، وإصلاح المنطق لابن السكيت بتحقيقه مع الشيخ أحمد شاكر ، والطبعة الأولى من « جمهرة أنساب العرب » لابن حزم بتحقيق ا. ليفي بروفنسال E. Levi Provençal . وتوالى بعد ذلك نشر طائفة من تلك الذخائر التي بلغت الآن ٣٩ كتاباً منها ما هو في أكثر من عشرة مجلدات .

ولا تزال تلك المجموعة في تزايد ونجاح مطرد وإن كانت قد أبطأت دلاؤها في الفترة الأخيرة .

جهود فرج الله زكي الكردي :

وقد أنشأ مطبعة سماها مطبعة كردستان العلمية بدأت نشاطها نحو سنة ١٩١١م ونشر طائفة من كتب التراث على منهج علمي مقارب . منها كتاب تأويل مختلف الحديث لابن قتبية .

جهود محمد منير الدمشقي :

وكان يميل إلى نشر موسوعات التراث ، وقد نشر عمدة القاري للعينى . وشرح المفصل لابن يعيش . وتفسير الآلوسى . والكامل في التاريخ لابن الأثير . وكثير غير ذلك .

جهود حسام الدين القدمى :

وهو ناشر معاصر لا يزال يوالى نشاطه فى إحياء التراث فى صورة مكافحة ، ويقوم الآن بنشر تاريخ الإسلام للذهبي الذى أخرج منه خمسة أجزاء . ولو قد وجد عوناً من أولى الأمر لأكمل هذه المهمة الجليلة التى بدأها منذ عهد قديم ، ولكن الرجل مغمور مع أنه جدير بأن يلقى من التشجيع ما يمكنه من أداء رسالته . ولقد سمعت أنه ينسخ الكتاب بنفسه ، ثم يجمع حروفه بيده ، ثم يصححه ، ثم يدفع به إلى المطبعة^(١) ، ويكفى أن نذكر من جهوده نشر شذرات الذهب لابن العماد ، والضوء اللامع للسخاوى ، ومجمع الزوائد للهيثمى ، وديوان المعاني للعسكرى ، واللباب فى تحرير الأنساب ، وذيول تذكرة الحفاظ .

جهود جامعة القاهرة :

ومن أقدم منشوراتها « الذخيرة » فى علم الطب لثابت بن قرة تحقيق جورجى صبحى سنة ١٩٢٨م . ومنتخب جامع المفردات للغافقى تحقيق ماكس ماير هوف وجورجى صبحى سنة ١٩٣٢م . ونقد النثر لقدامة تحقيق طه حسين والعبادى سنة ١٩٣٣م . ورسائل فلسفية للرازى تحقيق بول كراوس سنة ١٩٣٨م . وبعض أجزاء من الذخيرة لابن بسام تحقيق عبده عزام ، وعبد العزيز الأهوانى . و خليل عساكر وعبد القادر القط سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٥ وكتاب الأصل للامام محمد بتحقيق شفيق شحاته سنة ١٩٥٤م . والنسب الكبير له تحقيق محمد أبو زهره ومصطفى زيد سنة ١٩٥٨ .

المجمع اللغوى بالقاهرة :

أنشئ سنة ١٩٣٤ ولم تظهر له جهود فى إحياء التراث العربى . اللهم إلا

(١) مما يسجل متابهاً لهذا العمل ما قام به استشرى الأساتى قديره فرنسكو مع زميله اللذين قام باحراج المكتبة الأندلسية نسخاً وتحقيقاً وجمعاً وطبعاً

بعض اقترحات نفذ بعضها في خارج المجمع ، ومنها إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج . وتهذيب اللغة للأزهري وكتاب سيبويه . ومحاولة أخرى فريدة لتشجيع إحياء التراث ، إذ أعلن في سنة ١٩٤٩ عن مسابقة أدبية لتحقيق التراث . ظفر فيها كاتب هذه السطور بالجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمي عن كتابيه : (الحيوان للجاحظ) ، و (مجالس ثعلب) . كما ظفر كتابان آخران بالجائزة الثانية ، هما (رسالة الغفران) ، و (كتاب البخلاء للجاحظ) . ولم تكرر هذه المسابقة مرة أخرى ^(١) .

المجمع العلمي العربي بدمشق :

أنشئ سنة ١٩١٩م ونشر في مجلته بعض كتب التراث ، منها نشوار المحاضرة ، وبحر العوام وديوان الوليد بن يزيد . كما قام بنشر كتب أخرى مستقلة ، منها رسالة الملائكة لأبي العلاء ، وديوان ابن عنين ، والأشربة لابن قتيبة ، وديوان علي بن الجهم ، وديوان الوأواء ، وديوان ابن حيوس . وثلاثة أجزاء من الخريدة في شعر الشام .

مديرية إحياء التراث القديم بوزارة الثقافة والإرشاد القومي بسوريا :

وقد بدأت نشاطها سنة ١٩٦٠ بنشر ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي بتحقيق عزة حسن . وكتاب المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني بتحقيق عزة حسن أيضاً .

المجمع العلمي العراقي :

وظهرت جهوده في تقديم المساعدات المالية لنشر المخطوطات . منها كتاب الديارات للشابستي الذي عني بتحقيقه كوركيس عواد ونشر سنة

(١) كان هذا وقت كتابة هذا المقال ، لكن هذا الباب من مسابقات تحقيق التراث منع في سنة ١٩٧٥ ولا يزال مستمر إلى وقتنا هذا .

١٩٥١ ، ورسوم دار الخلافة لأبي الحسين الصابى بتحقيق ميخائيل عواد
سنة ١٩٦٤ ، وخريدة القصر (قسم العراق) .

مديرية الثقافة العامة بالعراق :

وقد بدأت العام الماضى بنشر (سلسلة كتب التراث) ظهر منها :
للبر النقى فى علم الموسيقى للقادرى الرفاعى الموصلى بتحقيق الشيخ جلال
الحنى ، وديوان عدى بن زيد العبادى تحقيق وجمع محمد جبار المعيد .
مكتبة المثنى ببغداد :

ولها جهد بارز فى إعادة طبع الكتب النادرة من تحقيقات المستشرقين
والحققين القدماء بطريقة التصوير (الأوفست) ، ظهر منها أكثر من خمسين
كتاباً هاماً ، منها : ديوان ذى الرمة ، وفهرست ابن خير ، والبدء والتاريخ
للبلخى ، والآثار الباقية للبيرونى . وأحسن التقاسيم للبشارى ، والمصاحف
لابن أبى داود السجستاني .

وهذا الأسلوب - أعنى أساليب الطباعة بالتصوير - مع فائدته العاجلة ،
يحشى منه إن أسىء استخدامه أن يضع عقبة كداء أمام من يحاولون إعادة
تحقيق هذه الكتب على ضوء مخطوطات أخرى . وبذلك تجمل هذه الكتب
على أوضاعها القديمة التى قد تحتاج إلى تعديل . أو إعادة تحقيق . فالأمر فى
سلامة وضعه موكل إلى حسن استخدامه .

لذلك نوجه الدعوة إلى جميع من يسرون فى هذا التيار الخطير -
ولا سيما أخواننا فى لبنان - أن يكتملوا من غلوائهم . وأن يكون عملهم
فى حدود ضيقة مبنية على دراسة علمية لا على تخطيط تجارى .

وأنا أعلم أن السيد قاسم محمد الرجب صاحب مكتبة المثنى من خير من
يستجيب لمثل هذه الدعوة .

المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة :

قام بنشر كثير من الكتب ، منها جامع ابن وهب ، والجمانة في إزالة الرطانة ، وطبقات الحكماء والأطباء لابن جلجل ، وخطط المقرئ .

المعهد العلمي الفرنسي بدمشق :

قام كذلك بنشر بعض الكتب ، منها كتاب تعبير الرؤيا لحنين بن إسحاق ، وكتاب التوابين لابن قدامة المقدسي ، والمعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين محمد بن علي البصري المعتزلي ، وزبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ، وكثير غيرها .

دائرة المطبوعات والنشر بالكويت :

أصدرت وتصدر سلسلة عنوانها « التراث العربي » . وقد بدأت نشاطها سنة ١٩٥٩ فأصدرت مجموعة من روائع التراث ، منها المصون لأبي أحمد العسكري ، ومجالس العلماء للزجاجي ، وديوان لبند . ولعل أقوى أعمالها نشر تاج العروس للزبيدي محققاً بعناية علماء مختصين تراجع لجنة فنية من وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت . وسيظهر في نحو خمسين جزءاً .

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف :

تسهم لجنة إحياء التراث التابعة له في نشر طائفة من الكتب ، منها تحرير التحبير لابن أبي الأصبع ، والمقتضب للمبرد ، وبصائر ذوي التمييز ، وغيرها .

إدارة إحياء التراث بوزارة التربية والتعليم :

وقد قامت منذ عهد قريب بنشر ديوان أسامة بن منقذ . ورفع الإصر لابن حجر ، ونخفة القادم ، والأيام والليالي والشهور للقراء .

إدارة إحياء التراث بوزارة الثقافة والإرشاد :

فى سنة ١٩٥٨م ضمت الإدارة السالفة إلى الإدارة التى أنشئت بوزارة الثقافة والإرشاد . وقامت بنشر بعض الكتب ، منها الشفاء لابن سينا ، وطيف الخيال للشريف المرتضى ، والفاخر للمفضل بن سلمة ، والمسلسل فى غريب اللغة لأبى الطيب ، والمعارف لابن قتيبة وذلك فى سلسلة (تراثنا) .

إدارة التأليف والترجمة والنشر :

ثم ضمت الإدارة السابقة إلى المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، ثم انتقلت إلى شركة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ، وخصصت إدارة فيها لإحياء التراث ، فقامت بنشر طائفة من الكتب ، منها تهذيب اللغة للأزهري ، والمحكم لابن سيده . وتبصير المتنبي . والمغنى للقاضي عبد الجبار ، كما عملت على إعادة طبع بعض الموسوعات التى نشرتها دار الكتب قديماً كالأغانى ، والنجوم الزاهرة ، ونهاية الأرب ، وصحيح الأعرشى ، وهى الآن بصدد تكملة ما لم يتم من تلك الموسوعات ، وهى الأجزاء الباقية من الأغانى ونهاية الأرب . والنجوم الزاهرة ، كما أنها أعادت طبع نسخة لسان العرب مصورة عن طبعة بولاق ، ومذيلة بفهارس فنية حديثة ، ولكن هذا الجهد النافع وأن يكن معيياً بأنه ينقصه التحقيق العلمى والمراجعة على نسخة ابن منظور المودعة فى دار الكتب ، فإنه يدرأ الآن لخطر الفراغ الثقافى الذى يشعر به الباحثون اللغويون ، ولكنه لا يعنى المسئولين من وجوب إعادة نشر اللسان فيما بعد محققاً تحقيقاً علمياً . ومراجعاً على الأقل على نسخة المؤلف .

المجلس الأعلى للفنون والآداب :

يحاول جاهداً أن يتبنى نشر طائفة من كتب التراث . ولديه ثبت بمشروعات لم ينفذ منها إلا القليل . ومما صنعه إعادة طبع آثار أبى العلاء

المعري ، المتمثلة في شروح سقط الزند (خمسة مجلدات) ، وتعريف القدماء بأبي العلاء ، وهذه الآثار قام بتحقيقها منذ سنة ١٩٤٤ لجنة إحياء آثار أبي العلاء ، المؤلفة من مصطفى السقا ، وعبد الرحيم محمود ، وعبد السلام هارون ، وإبراهيم الإياري ، وحامد عبد المجيد ، بإشراف الأستاذ الدكتور طه حسين ، وانتهت من مهمتها سنة ١٩٤٨م ووقف مجهود تلك اللجنة عند هذا الحد مع أنه قد بقي شيء غير قليل من آثار أبي العلاء . والمأمول من المجلس الأعلى أن يتابع تكملة آثار أبي العلاء بتأليف لجنة أخرى شابة تستطيع أن تستوعب تحقيق ما بقي من ذلك التراث ، وتمنحها التفرغ الذي كان متاحاً لجمعية الأولى ، والفرصة العلمية التي اختارت دار الكتب بين المخطوطات والمراجع مقرأ لها للتمكن من أداء عملها على الوجه الأفضل .

ومن المجهودات التي تسجل لهذا المجلس إعادة طبع ديوان زهير ، وديوان الهذليين . والأصنام لابن الكلبي . ونحن نخشى أن يستمرى المجلس هذه الطريقة الميسورة فيظل يعيد طبع ما نشر من قبل وتقتصر جهوده على هذا العمل الهين اليسير .

دار القلم :

وقد شعر مديرها محمد المعلم بضرورة استكمال صور النشاط العلمي للدار في أعلى مجال لها . وهو مجال تحقيق التراث . فبدأ بطبع كتاب (سيويه) . الذي ظهر منه الجزء الأول من خمسة أجزاء محققاً بعناية كاتب هذه السطور . وكذلك شرع في طبع موسوعة (خزانة الأدب) للبغدادى التي تظهر في ١٢ جزءاً متضمنة للفهارس الفنية . كما أن دار القلم قد أسهمت في تنفيذ إعادة طبع بعض كتب دار الكتب كالآغانى وعيون الأخبار و تفسير القرطبي . وقد علمت أيضاً أنها بصدد نشر طائفة من كتب التراث

اليمنى الذى لم يسبق طبعه من قبل بمشاركة فروعها التى أنشأتها فى الجمهورية اليمنية .

المؤسسة العربية الحديثة :

وقد بدأت منذ عهد قريب فى نشر بعض كتب التراث . ويؤمن صاحبها حمدى سيد مصطفى بضرورة الإسهام فى هذه الناحية . وقد نشر منها أمالى الزجاجى ، ووقعة صفين ، وجمهرة الأمثال للعسكرى . وقد وضع برنامجاً طويلاً لتنفيذ نشر بعض كتب التراث لولا أزمة الورق الساحة التى يئن تحت وطأتها الناشرون .

صحيفة الجمهورية :

وتحاول صحيفة الجمهورية فى أسلوب ميسر . وإن يكن غير علمى سليم - أن تقرب كتب التراث إلى جمهرة الشعب . وهو مجهود يشكر وإن كان لا يساير أصول التحقيق العلمى ، فكيف تنشر كتاب تجريد الأغاني لابن واصل ، ثم تضع عليه عنوان « كتاب الأغاني » ؟ ! ومع ذلك لا ينكر لها فضلها فى نشر (كتاب الشعب) الذى ظهر منه صحیح البخارى ، وصحيح مسلم ، وأساس البلاغة ، وحياة الحيوان للدميرى ، وغير ذلك . لكن هذه المجهودات كلها محتاجة إلى رقابة علمية صارمة .

دار العروبة :

وهى الآن فرع من فروع الدار القومية^(١) . وقد بدأت فى سنة ١٩٥٩م فى مشروع لإحياء التراث العربى سمته « كنوز العرب » قياساً على تسمية « ذخائر العرب » لدار المعارف . وبدأت تلك السلسلة بكتاب (الإيضاح فى علل النحول لزجاجى) بتحقيق مازن المبارك . ومشروع آخر

(١) أما الآن فقد عادت إلى استقلالها ونشاطها

سمته « كنوز الشعر » نشرت فيه (شرح أشعار الهذليين) بتحقيق عبد الستار فراج .

وعسى أن تتابع الدار القومية الاستمرار في هاتين السلسلتين اللتين بدأهما أصحابها الأولون .

دار الثقافة ببيروت :

لها سلسلة المخطوطات العربية . وبين يدي منها (أشعار الحسين بن الصحاك) جمع وتحقيق عبد الستار فراج .

دار المعارف للتأليف والترجمة والنشر بالعراق :

ويبدو أنها قد راققتها فكرة « نوادر المخطوطات » التي قمت بنشرها من سنة ١٩٥١ إلى سنة ١٩٥٥م فشرعت في نشر مجموعة مماثلة لتلك . سميتها « نفائس المخطوطات » ابتدأت في نشرها سنة ١٩٥٣م إلى سنة ١٩٥٥ ونشرت ١٨ كتاباً ورسالة منها كتاب الأضداد في اللغة « لابن الدهان النحوي . وديوان السموال صنعة نفطوية ، وديوان أبي الأسود الدؤلي . والمجموعة كلها بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .

عود إلى دار الكتب وأثرها :

ولقد كان للطابع المتميز الذي ظهرت به منشورات دار الكتب أثر بالغ في اقتداء بعض الأفراد العلماء بذلك النهج السديد . ولقد أدركت عصراً طويلاً بعد وفاة أحمد زكي باشا إلى سنة ١٩٣٨ لم يكن فيه في مصر من العلماء من يصعب اسمه على كتاب محقق إلا (جماعة محدودة لا تكاد تعدلهم أصابع اليدين) . وهم سبعة على وجه التحديد : محب الدين الخطيب ، أحمد شاكر . عبد السلام هارون . محمد مصطفى زيادة . مصطفى السقا ،

إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي . والأخيران من هذه الجماعة كانا ممن تمارس بالقسم الأدبي بدار الكتب . فكان القسم الأدبي مدرسة مباشرة وغير مباشرة لكل من مارس التحقيق العلمي من بعد ذلك .

وعلى ضوء مجهودات هذا القسم ومجهودات هذه الجماعة الأولى للمحققين ، وجدنا ثبت أسماء المحققين يزداد يوماً بعد يوم ، حتى أصبحوا الآن لا يعدون كثرة في مصر وفي أنحاء العالم العربي ، نعرف منهم الأسماء التالية مقرونة بذكر أبرز أعمالهم ، ومنهم من حقق أكثر من عشرين كتاباً ، ومعظمهم ممن نشر أكثر من كتاب :

في مصر :

إبراهيم مصطفى (المنصف ، لابن جني) بالمشاركة .

أحمد أحمد بدوي (ديوان القاضي الفاضل) .

أحمد أمين (رسالة حي بن يقظان) .

أحمد يوسف نجاتي (المنهل الصافي ، لابن تغري بردي) .

ثروت عكاشة (المعارف - لابن قتيبة) .

جمال الدين الشيال (مفرج الكروب ، لابن واصل) .

حامد عبد المجيد (رفع الأصر عن قضاة مصر ، لابن حجر) .

حسن كامل الصيرفي (ديوان البحري) .

حسين نصار (ديوان سراقه البارقي) .

خليل عساكر (تشحيد الأذهان برحلة بلاد العرب والسودان ، لمحمد

ابن عمر التونسي) .

زكي حسن (المغرب لابن سعيد) بالاشتراك مع غيره .

السيد أحمد صقر (إعجاز القرآن ، للباقلاني) .

- سليمان دنيا (تهافت الفلاسفة ، الغزالي) .
- شوقي ضيف (المغرب ، لابن سعيد) .
- طه الحاجري (البخلاء) .
- طه حسين (إشراف ومشاركة في نشر لزوم ما لا يلزم) .
- عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطي (رسالة الغفران لأبي العلاء المعري) .
- عبد الحليم النجار (المحتسب ، لابن جني) بالمشاركة .
- عبد الخالق عضيمة (المقتضب ، للمبرد) .
- عبد الرحمن بدوي (الإشارات الإلهية ، لأبي حيان التوحيدي) .
- عبد الستار فراج (شرح أشعار المهذلين للسكري) .
- عبد العزيز أحمد (التصحيح والتحريف للعسكري) .
- عبد العزيز الأهواني (المتنطف من أزاهير الطرف (لابن سعيد المغربي) .
- عبد العزيز مطر (تثقيف اللسان لأبي حفص الصقلي) .
- عبد العليم الطحاوي (الفاخر ، للمفضل بن سلمة) .
- عبد الفتاح الحلوي (التمثيل والمحاضرة ، للثعالبي) .
- عبد الفتاح شلبي (الإبانة ، لمكي بن أبي طالب) .
- عبد القادر القط (الذخيرة لابن بسام) بالمشاركة .
- عبد الله أمين (المنصف ، لابن جني) بالمشاركة .
- عبد الوهاب عزام (الورقة ، لابن الجراح) بالمشاركة .
- أبو العلا عفيفي (نصوص الحكم ، لابن عربي) .
- علي سامي النشار (ديوان أبي الحسن الششتري) .
- علي عبد العظيم (ديوان ابن زيدون) .
- علي عبد الواحد وافي (مقدمة ابن خلدون) .
- علي محمد البجاوي (زه الآداب ، للخصري) .

- فؤاد سيد (طبقات فقهاء اليمن ، لابن سمرة الجعدي) .
- محمد أبو الفضل إبراهيم (أنباه الرواة ، للقفطي) .
- محمد حنفى شرف (تحرير التحبير ، لابن أبى الأصبع) .
- محمد خلف الله أحمد (ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني) بالاشتراك .
- محمد زغلول سلام (ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن للرماني والخطابي والجرجاني) بالاشتراك .
- محمد عبد الجواد (شجر الدر ، لأبى الطيب اللغوى) .
- محمد عبد الغنى حسن (حلية الفرسان ، لابن هذيل الأندلسي) .
- محمد عبد الله عنان (الإحاطة فى أخبار غرناطة ، للسان الدين بن الخطيب) .
- محمد عبده عزام (ديوان أبى تمام) .
- محمد على النجار (الخصائص ، لابن جنى) .
- محمد محيى الدين عبد الحميد (شرح الحماسة للتبريزي) .
- محمد مصطفى (بدائع الزهور ، لابن إياس) .
- محمد مصطفى هدارة (سرقات أبى نواس ، لمهلل بن يموت) .
- محمود الطناحى (النهاية ، لابن الأثير) .
- محمود محمد شاكر (طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام) .

فى سوريا :

إبراهيم الكيلاني (الصداقة والصدق لأبى حيان) .

أحمد راتب النفاخ (ديوان ابن الدمينه) .
 خليل مردم (ديوان ابن عزين) .
 سامي الدهان (ديوان أبي فراس) .
 سعيد الأفغاني (شرح الأبيات المشككة الإعراب . للمحسن بن أسد
 الفارقي) .

شكري فيصل (الخريده : قسم الشام) .
 صالح الأشتر (أخبار البحري ، للصولي) .
 صلاح الدين المنجد (السير الكبير ، للسرخسي) .
 عبد الكريم الأشتر (ديوان دعل) .
 عز الدين التنوخي (الإتباع والمزاوجة ، لأبي الطيب اللغوي) .
 عزت حسن (ديوان تميم بن مقبل) .
 محمد أسعد طلس (ديوان ابن أبي حصينة) .
 محمد كرد علي (الأشربة : لابن قتيبة) .

في فلسطين :

محمد يوسف نجم (ديوان أوس بن حجر) .
 إحسان عباس (ديوان لبيد) .

في الأردن :

ناصر الدين الأسد (ديوان قيس بن الخطيم) .

في العراق :

أحمد مطلوب (التبيان في إعجاز البيان . لابن الزمكاني) .
 أحمد ناجي القيسي (شرح أشعار هذيل ، لابن جني) .

- خضر الطائي (ديوان العرجي) بالمشاركة .
 خليل إبراهيم العطية (ديوان مزرد بن ضرار) .
 رشيد الصفار (ديوان الشريف المرتضى) .
 رشيد العبيدي (ديوان العرجي) بالمشاركة .
 عاتكة الخزرجية (ديوان العباس بن الأحنف) .
 كوركيس عواد (الديارات للشابستي) .
 محمد بهجة الأثري (الخريدة : قسم العراق) .
 محمد جبار المعبيد (ديوان عدي بن زيد العبادي) .
 محمد حسن آل ياسين (نفائس المخطوطات) . ١٥ كتاباً ورسالة
 مصطفى جواد (تلخيص مجمع الآداب ، لابن الفوطي) .
 ميخائيل عواد (رسوم دار الخلافة) .

في السعودية :

- أحمد عبد الغفور عطار (مخاح الجوهرى) بالمشاركة .
 حمد الجاسر (تعقيبات واستدراكات لطائفة كتب التراث) .

في اليمن :

- القاضي محمد الأكوع (قرة العيون . في تاريخ اليمن الميمون
 لابن الديبع) .

في ليبيا :

- طاهر بن أحمد الراوى (التذكاري فيمن ملك طرابلس وما كان لها من
 الأخبار ، لابن غلبون) .

في تونس :

- حسن حسني عبد الوهاب (رحلة التيجاني) .
- الطاهر بن عاشور (ديوان بشار بن برد) .

في الجزائر :

- محمد بن شنب (الجمل للزجاجي) .

في المغرب :

- عبد الله جنون (أخبار الملوك الشرفا ، للمراكشي) .
- علال الفاسي (الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون) .
- محمد بن تاوويت الطنجي (التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً)

في السودان :

- عبد الله الطيب (شرح أربع قصائد لذي الرمة) .

في إيران :

- محمد غفراني الخراساني (الأدب الوجيز ، للولد الصغير ، لابن المقفع) .

في الهند وباكستان :

- السيد محمد يوسف (حماسة الخالدين) .
- عبد الحق المدراسي (ديوان ابن سينا الملك) .
- عبد العزيز الميمني الراجكوني (سمط اللآلئ ، لأبي عبيد البكري) .
- عبد القدوس الأنصاري (تلخيص مجمع الآداب ، لابن الفوطي) .
- محمد بدر الدين العلوي (المختار من شعر بشار ، لخالدين مع شرحه لأبي الطاهر التجيبي) .

محمد حميد الله (أنساب الأشراف ، للبلاذري) .

يوسف حسين (الاختياران ، للأصمعي) .

في تركيا :

فؤاد سزكين (مجاز القرآن لأبي عبيدة) .

استمرار جهود المستشرقين :

وإلى جانب هذه الجهود العربية والشرقية ، لا تزال نلمس صنيع إخواننا المستشرقين المعاصرين في خدمة التراث العربي ، ونذكر من أفاضلهم - وهم كثيرون :

١ - أ. ليفي . بروفنسال الفرنسي (توفي سنة ١٩٥٦م) . حقق طائفة من الكتب من ألمعها (كتاب نسب قريش لمصعب الزبيري) .

٢ - أمبرتو رتريتانو الإيطالي (ديوان الفنلوبى الصقلى) .

٣ - أنس خالدوف الروسى (المنازل والديار ، لأسامه بن منقذ) .

٤ - أوسكار لوفجرين السويدى (الإكليل للهمداني ج ١ ، ٢) .

٥ - ايفان فاجنر الألماني (ديوان أبى نواس) .

٦ - الآنسة ايلزة ليختن شتير الأمريكية (كتاب المخبر لابن حبيب) .

٧ . شارل بلات الفرنسى . له نشاط ظاهر في نشر كتب المباحظ . منها (البغال) ، و (الربيع والتدوير) ، و (الجوارى والغلمان) .

٨ - شارل كوينس الفرنسى . يقوم الآن بتحقيق (كتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى) .

٩ - كراتشكوفسكى الروسى . المتوفى سنة ١٩٥١ له ما يربو على

أربعمئة وخمسين أثر آ بين مصنفٍ ومترجم ومفسر ومنقود باللغات الروسية والفرنسية والألمانية والعربية ، ومن تحقيقاته (الأخبار الطوال للدينورى) ، و (طبقات الشعراء لابن المعتز) ، و (كتاب البديع لابن المعتز) .

١٠ - الألب هوبنى الهولندى ، له (المجموع المحيط بالتكايف ، للقاضى عبد الجبار) .

أثر النقد فى استقامة منهج تحقيق التراث :

إن متابعة النقد لما يظهر محققاً من كتب التراث كانت ذات أثر فعال فى تقويم منهج النشر . وهنا أنوه بالجهد البارع الذى بذلته الأستاذة الدكتور عائشة عبد الرحمن فى نقل طائفة كبيرة من منشورات التراث نقداً منهجياً وموضوعياً وتوجيهياً ، اضمحل على أثره ذلك العبث الذى كان يمارسه بعض ناشرى التراث .

كما أنوه بجهد الأساتذة : حمد الجاسر ، والسيد صقر ، ومحمد عبد الغنى حسن ، وشوقى ضيف ، وعبد الستار فراج ، وعبد العزيز مطر ، وعبد الفتاح الحلو ، ومصطفى جواد ، ومحمد جبار المعبيد وغيرهم .

ولست أنسى أن أحيى ذكرى كل من الألب أنستاس مارى الكرملى ، والدكتور بشر فارس اللذين كانت لهما مشاركة فعالة فى هذه الناحية .

ولئلا أغمت نفسى حقها أذكر أن كاتب هذه السطور كانت له جولات طويلة فى هذه الحركة النقدية التى لا بد من استمرارها للإسهام فى تقويم الأخطاء والمناهج المنحرفة ، والرقابة الواجبة للحفاظ على هذه الأمانة الغالية .

كلمة أخيرة :

هذه صورة موجزة جداً لتلك الحركة الدائبة التى لا تزال تخدم التراث

العربى ، وتحاول مجتمعة حيناً ومفترقة أحياناً أن تنبش كنوز هذا التراث العربى الإسلامى الخالد ، وتستخرج اللؤلؤ من أصدافه .

ولا يزال محققو التراث ، وهم المجاهدون المكافحون حقاً ، فى حاجة ملححة إلى تيسير مهمتهم الشاقة الناصبة . فإنى أعلم تمام العلم وقد مارست هذا الفن أكثر من أربعين عاماً متتالية^(١) ، تمكنت فيها بالخبرة والمعالجة من تأليف أول كتاب عربى فى هذا الفن ، وهو (تحقيق النصوص ونشرها) ، أقول : إنى أعلم مقدار الصعوبات التى تكتنف هذا الجهاد المضنى من عنت بعض الناشرين ، وعنّت بعض الهيئات الرسمية وشبه الرسمية ، ومن صعوبة الحصول على المخطوطات ، أو مصوراتها التى ترهق تكاليفها هذه الطائفة المستبسلة ، كما ترهقهم إجراءات الحصول عليها من ندرة ورق التصوير وأفلامه ومضاعفة أثمان ذلك إلى أربعة أضعاف ما كان عليه إلى وقت قريب جداً ، هذا إلى العقبات الشديدة التى تعترض سبيل النشر من أزمات المطابع وندرة ورق الطبع وأدواته .

وهذا أمر جدير بأن يجد من أولى الأمر عناية عاجلة ، تزيل شكوى المحققين الذين جندوا أنفسهم فى هذا الميدان طوعاً ، لخدمة العروبة التى هى الرباط الأسمى بين الشعوب العربية . ومحاولة التحرر من إفسار الاستعمار الثقافى الذى لا تزال بقايا منه جاثمة على عقول بعض المفتونين بالأفكار المستوردة من خارج الإطار العربى الأصيل .

وإن هناك أموراً أخرى لا يجد العلماء المحققون مجالاً لبسطها والإفصاح عنها إلا عند كبار المسئولين ، فإن هناك أخطاء وإساءات صارخة تجافى الذوق ، يتعرض لها هؤلاء السادة من أولئك الذين لا يحسنون تقدير العلماء . وإن هناك هضماً ظالماً لحقوق النشر فى كبريات دور النشر . ومنها (دار

(١) هى الآن بحمد الله أكثر من نصف قرن .

المعارف) ، (إدارة التأليف والترجمة والنشر) . وهناك أيضاً مشكلة الضرائب التى يأمل فى حلها المحققون والمؤلفون .

ولانى إذ أهدى هذا البحث التاريخى الذى يصور هذه الناحية الثقافية الخطيرة إلى الأستاذ الجليل وزير الثقافة (الدكتور سليمان حزين) ، وأنا أعلم عنه الكثير من الاهتمام بأمرنا الثقافية — أرجو أن يولى هذا الأمر الخطير ما هو جدير به من عون سريع يتيح لتلك الانطلاقة العارمة أن تجد مجراها مذللاً ميسراً ، محنوقاً بالإعزاز والتقدير ، فقد كاد غيرنا ممن لا يحسن هذا الأمر أن يحتل مكاننا هذا المرموق ، وأن ينتزع منا مجداً نبيناه بالكفاح الصادق ، والجهاد الطويل .

أحياء التراث العربى وأثره فى لغتنا المعاصرة(*)

هذه اللغة المعاصرة التى نقرأها ونكتبها خضعت منذ حين لمؤثرات شتى ، وعوامل مختلفة ، نهضت بها وأقالتها من عثارها بعد الكبوة الفادحة التى منيت بها فى ظلام التيارات السياسية ، والغزوات العارمة ، والمحاولات المغرضة التى أرادت لإحلال العامية محل الفصحى ، وألفت فيها الكتب التى وضعت للعامية قواعد لها ، ومنها كتاب قواعد اللهجة العربية بمصر لشيبتا Spitta الألمانى سنة ١٨٨٠ ، كما ألف زميله الألمانى شتوم Stumm قواعد اللهجة العربية المستعملة فى تونس سنة ١٨٩٤ م . ووضع المستشرق الإنجليزى سترلنج : Sterleng كتاب قواعد العربية العامية فى ٣٧٥ صفحة ونشره فى لندن سنة ١٩٠٤ م ، وألف زميله الإنجليزى دريفر Driver قواعد العربية العامية فى سوريا وفلسطين ونشره سنة ١٩٢٥ م ، ولست أزعج أن هؤلاء العلماء قد وضعوا هذه الكتب فى محاولة منهم لوأد اللغة الفصيحة . ولكنه باب ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب . هو باب من أبواب الدراسات اللغوية العامة التى تحاول أن تقنن هذه الظواهر وتضعها فى أطر معينة . لكن لو كان قدر لهذه الكتب رواج معين فى ذلك بين أنصار العامية ، وأصحاب الوطنية العصبية الضيقة . لكانت النكبة مضاعفة ، والطامة شاملة . ومبلغ الظن أن لغة لم تصب بمثل ما منيت به العربية فى مصر والشام والعراق وسائر البلاد الناطقة بالضاد . من تطفل العناصر الغربية عليها . فنجد اللفظ التركى إلى المصرى . واليونانى إلى الإيطالى والفرنسى والإنجليزى ، والفارسى والأسبانى والفينيقى إلى بعض اللهجات العربية الوضيعة . بل قد بلغ الأمر من سيطرة الغزو الاستعمارى ، أو بالأصح التخريبى ، أن يقضى على لغة التعميم العام قضاء مبرماً فى بعض بلادنا العربية .

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الثامنة من مؤتمر الدورة ٤٣ سنة ١٩٧٨ م .

ويصبغها باللون التركى ، أو الفرنسى ، أو الإنجليزى ، لولا أن ولّى ذلك العهد لغير رجعة ، واسترد العرب كرامتهم وحريتهم ، ومحو هذا الليل الدامس إلا شيئاً من الغبش نأمل أن ينقشع انقشاعاً كاملاً بفضل الأمانة الأوفياء .

ولقد كان داء العجمة مستفحلاً فيما مضى . إذ لم تكن هناك وسائل جدية لمقاومته ، فلم تكن له بد من أن يستطير وينشر ظله الثقيل فى كل مكان يحل به . وأضف إلى ذلك ما طبع العربى عليه من كرم وتسامح ولين جانب ، أطمع فيه صيفه فألقى بأحمال لغته فى تلك الساحة الكريمة ، ثم أبى فى الظلام أن يرحل عنها .

أما اليوم فقد ظهرت وسائل قاهرة . تعاونت جميعها فى مقاومة هذا الغزو اللغوى متمثلة فى المدارس العامة والجامعات المنتشرة فى ربوع بلادنا ، تحاول ما أمكنها الجهد أن تسد الفصحى وتنقيها من وشاب الدخيل الذى لا ضرورة فى وجوده . والأجنبي الذى يمكن اضطراحه والاستغناء عنه . تعاونها فى ذلك الجامعات اللغوية المباركة فى القاهرة ودمشق وبغداد . وسائر الهيئات اللغوية فى العواصم العربية .

وكان للصحف والمجلات مجاذى وسلطانها على المتكلمين بالعربية ، وتوجيههم نحو الفصحى بنشاطها الدائب وقدرتها الصالحة إلى حد ما . وتظهر فيها بين الفينة والأخرى دراسات وتقود لغوية تعاون فى رفع المستوى اللغوى والأسلوبى إلى ما تستطيع رفعه فى حدودها المعنية .

وإلى جانب هذا يتكاتف الإنتاج الأدبى والفنى . ووفرة المؤلفات ووسائل الإعلام . والمجالس العلمية والسياسية أيضاً . فى تغذية اللغة المعاصرة . وإمدادها بالكثير وبالجاديد من صور الألفاظ والأساليب المنتقة .

ولكن نحمد مع ذلك أن هذا التحول السريع من لغة الجمرتى وأضرابه إلى

لغة المنفلوطى والرافعى وطه حسين والعقاد ، إنما يرجع الفضل الأكبر فيه إلى الموجة العاتية والهزة الكبرى التى نجمت عن حركة إحياء التراث العربى ونشر عيون بيانه الأصيل ...

وحركة الإحياء هذه جاءت وليدة الحاجة ، إثر نشاط حركة الترجمة التى بدأها محمد على بعد عودة المبعوثين من البلاد الأوربية . فكانت مهمة الترجمة شاقة غاية المشقة وسوق الكتب مقفرة معتمدة على المخطوطات التى يعز الوصول إليها ، ويصعب استعمالها على نطاق واسع .

وقامت المطبعة الأميرية ببولاق بنشر كثير من أمهات اللغة والأدب والتاريخ والحديث ، كلسان العرب ، وصحاح الجوهري ، والقاموس المحيط ، والأغانى ، وخزانة الأدب . وشرح الحماسة للتبريزى ، وشرح المقامات للشريشى ، وأمالى القالى . رصحيح مسلم سنة ١٢٩٠ ، والبخارى سنة ١٣١٣ . وهى كتب أصيلة لها قدرها وأثرها الفعال . ولا سيما كتب اللغة التى هى المرجع الأول فى الاستفتاء اللغوى . والحارس المتصدى لمن يريد لها فوضى بغير نظام .

ولست أدري ماذا كان يحدث من الأوصاع لو لم تبكر هذه المطبعة بنشر تلك الكتب وإذاعتها فى ذلك الحين ؟ ! إذن لتغير وجه الثقافة العربية التى لا تزال مهتزة إزاء لطومات الاستعمار الثقافى المتوالية ، وإزاء الدس الثقافى الذى لا يزال طائفة من أبناء أمتنا العربية فى دوار مريب من بريقه الكاذب .

ولعل نشاط الجانب الأوربى ، ودأبه على نبش الكنوز العربية والشرقية ، كانا من الحوافز التى زادت من يقظة إخواننا العرب ، وتحمسهم لهذا الإحياء ، إذ كانوا يرون أنهم أحق به وأجدر .

وقد ألفينا هؤلاء المستشرقين ينشرون عيوناً ثمينة من عيون التراث العربى قبل أن تظهر هنا فى الشرق العربى بعشرات السنين ، فى أمانة علمية

دقيقة اقتبسوها من أسلافنا ، مقرونة بعناية خاصة بالفهارس الفنية ، وهذا كان شأن جمهور أسلافنا أيضاً . فكُتِبَ الرجال عندنا تنال ترتيباً فهرسياً ممتازاً مقروناً بالإحالات الذكية . كما أن مقابلة المخطوطات ومقارنتها ميزة عربية سبابة ، عرفها آباؤنا الأولون .

عرفوا منا كل شيء ثم عدنا نحن إليهم لنعرف ونتعلم ما عرفناهم من قبل . والفضل لا ينكر . و « ما نبغى ، هذه بضاعتنا ردت إلينا » .

وإذا أحببت أن أنوّه بالقمة العليا من نوابع هؤلاء المستشرقين فلن أستطيع إغفال كل من : وستنفلد الألمانى (٩١ سنة) Ferdinand wstenfeld ١٨٠٨ - ١٨٩٩ الذى ألف وحقق نحو مائتى كتاب بين صغير وكبير منها كتاب سيرة ابن هشام ومعجم ما استعجم الذى نشره مكتوباً بخط يده مطبوعاً بمطبعة الحجر (ليتوجراف) وبيفان الهولندى (٧٥ سنة) Bevan ١٨٥٩ - ١٩٣٤ ناشر نقائض جرير والفرزدق مذبلة بالفهارس المبتكرة والتعليقات ، ومنها تفسيره وفهرسته للألفاظ التى لم تذكر فى المعاجم المتداولة . وهو مما يذكر له بالتقدير .

وكذلك تشارلس لايل الإنجليزى (٧٥ سنة) Charles Lyall ١٨٤٥ - ١٩٢٠ محقق شرح المفضليات لابن الأنبارى مع ترجمة شعرية لها باللغة الإنجليزية . ومن عجب أنه استطاع أن ينظم هذه الأساليب والمعانى الجاهلية فى ثوب شعرى إنجليزى قشيب .

ولا نستطيع أن نغفل فضل المستشرق الألمانى المقعد رودلف جابر (٦٨ سنة) Rudolf Geyer ١٨٦١ - ١٩٢٩ محقق ديوان الأعشى (٢٢ شاعراً) الذى أسماه : « الصبح المنير فى شعر أبى بصير » .

وتظهر عنايته الفائقة فى تخريج هذه الأشعار من ٥٦٩ مرجعاً مع مقابلات كاملة لرواية النصوص بيتاً بيتاً وكلمة كلمة .

ويتولى وليم رايت الإنجليزى : W. Wright تلميذ دوزى ١٨٣٠ — ١٨٨٩ يتولى نشر كامل المبرد لأول مرة فى حذق وإتقان ، فى أجزاء ثلاثة مع حواش وفهارس وافية تمام الوفاء ، وهو فى سن الرابعة والثلاثين . وذلك قبل أن تظهر الطبعة المصرية بنحو ربع قرن .

وأعجوبة الأعاجيب أن يقوم على إحياء كتاب سيبويه مستشرق فرنسى شاب هو هــرتـويـغ دُرنـبـُـرـغ Hartwig Derenbourg ١٨٤٤ — ١٩٠٨ وقد نشر الكتاب فى سنة ١٨٨١ أى قبل أن تظهر طبعة بولاق بعشرين سنة . ثم يتولى عبقرى آخر هو المستشرق الألمانى جوستاف يان Gustave Jahn ١٨٣٧ — ١٩١٧ م . ترجمة نص الكتاب كاملاً إلى اللغة الألمانية مع إضافات وتعليقات بالعربية مقتبسة من شروح السيرافى والشتنمرى ومن خزانة الأدب وغيرها ...

وظهرت تلك الترجمة فى خمسة مجلدات من سنة ١٨٩٥ إلى سنة ١٩٠٠ م ولقد حاولت أن أختبر صحة هذه الترجمة فناولت النص الألمانى لأحد تلاميذى ممن يتقنون الألمانية ، وهو الآن أستاذ بالجامعة . وتناولت أنا النص العربى . فكان تلميذى يترجم النص الألمانى ويقرؤه علىّ ، فأجد أمام عينى فى النص العربى ما يطابق الترجمة الألمانية تماماً وكأنما يقرأ هو ما أراد أنا أمام ناظرى .

وجوستاف يان هذا هو الذى أخرج شرح المفصل لابن يعيش مقابلاً بمخطوطات لينزج وأكسفورد والآستانة فى سنة ١٨٨٢ وذلك قبل أن تظهر الطبعة المصرية لمحمد منير الدمشقى بنحو ٥٠ سنة أى نصف قرن . هذه صورة مشرفة لإخواننا الأعاجم الذين منحوا لغتنا العزيزة من الوفاء والإعزاز والصون ، ومن الخدمة الصادقة الشريفة ما يجب أن نتجمل له بعض الزعانف العربية الدليلة . التى تحاول فى إصرار مزر أن تهدم أصولاً لا تعرفها وأن تشوه جمالاً عز على الدهر أن يستباح .

كناطح صخرة يوماً ليوهنها

فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

أقولها بسماحة هؤلاء الذين يحاولون هدم الأهرام : حاولوا ما استطعتم ، واجتهدوا ما وسعكم الجهد ، وأعملوا معاً ولكم المتوالية المتتالية فى بنائها المتين الشامخ .. فستظل الأهرام هى الأهرام شامخة ساخرة من تخيلوا ثم خالوا .

وأعود فأقول : إنه قد بلغ مقدار هذه الكتب الحياة وتلك البحوث التى أديرت حولها ما يُربى على ٨٠٠٠ كتاب وبحث . ويظهر ذلك جلياً لمن تتبع كتاب « المستشرقون » للعالم الفاضل نجيب العقيقى . وإذا عدنا إلى الجانب العربى وجدنا جهوداً شعبية تساعد الجهود الرسمية فى كشف الغطاء عن كنوز الأسلاف . ووجدنا هيئات علمية تقوم هنا وهناك ، تجعل همها ووكدها نشر التراث على أوسع نطاق ... وتبدو إلى الوجود جمعية المعارف التى أسسها محمد عارف باشا أحد أعضاء مجلس الأحكام بمصر سنة ١٨٦٨ . وكانت هذه الجمعية مساهماً فيها ، ومكونة من ثلاثين ألف سهم . وقيمة السهم ثلاثون قرشاً - لا خمسة جنيهاً كما ذكر جورجى زيدان - وقد لقيت هذه الجمعية إقبالاً كبيراً واستجابة سريعة من المثقفين وغيرهم وكان لأعضائها ميزة فى أن يحصلوا على الكتب بثمن أقل مما يطلب من غيرهم . وقد نشرت الجمعية طائفة من الكتب القيمة فى اللغة والتاريخ والأدب منها تاج العروس للزبيدى ، وكتاب ألف باء للبلوى ، وهو كتاب فى علوم العربية صنعه مؤلفه ليكون مرجعاً لولده ، يتتقف به . وهو كتاب غزير الفائدة يقول فى مقدمته :

هذا كتاب ألف بـــــــ صنعتــــه يــــا ألبــــا

من أجل نجلي المــــرجى إذا شــــدا أن يلبــــا

ومنها كتاب أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير . والفتح الوهبي

على تاريخ أبي نصر العتبي . وهو من أعجب كتب التاريخ . إذ هو شرح لكتاب تاريخي ألفه أبو نصر العتبي ليسرد فيه وقائع يمين الدولة محمود بن سبكتكين (٣٦٠-٤٢١) بأسلوب أدبي فني . وسماه اليمينى نسبة إلى يمين الدولة هذا . وقد تتابع عليه شراح كثيرون كان أبرزهم وأشهرهم هذا المؤلف ، وهو أحمد بن علي المنيني (١٠٨٩ - ١١٧٢) ، الذي سمي شرحه بالفتح الوهبي .

ومنها تاريخ ابن الوردي مذيلا بالحوادث التي جرت بعد وفاته . أى من سنة ٥٧٠ إلى سنة طبعه وهى سنة ١٢٨٥ . وقد كتب فى آخره ثبتت بأسماء أعضاء هذه الجمعية وعدد أسهمها . وقد وهم جورجى زيدان هنا وهما آخر حين ذكر فى كتابه أن أسماء هؤلاء الأعضاء مذكورة فى ذيل الفتح الوهبي . والحق أنها مذكورة فى تاريخ ابن الوردي . وكما ذل له - كان الله له - من أوهام .

ومن الجمعيات التي قامت على إحياء التراث فى ذلك العهد : شركة طبع الكتب العربية وقد ظهرت بعد تأسيس جمعية المعارف بثلاثين سنة أى سنة ١٨٩٨ م . وقد طبعت طائفة صالحة من كتب الفقه والتاريخ منها : الموجز فى فقه الشافعى . وفتوح البلدان للبلاذرى ، والإحاطة فى أخبار غرناطة . وتاريخ دولة آل سلجوق .

كما ألفت جمعية خيرية من فضلاء المصريين وسرااتهم ذوى الهمم العالية لنشر كتاب المخصص لابن سيده سنة ١٩٠٢ ؛ وكان من أعضاءها الشيخ محمد عبده . وحسن عاصم ، وعبد الحائق ثروت . ومحمد البخارى . ووكلوا تصحيح الكتاب إلى الإمام الشنقيطى بمعاونة الشيخ عبد الغنى محمود أحد علماء الأزهر ... وفى ختام طبعه يقول رئيس التصحيح بالمطبعة الأميرية وهو طه بن محمود : « فوربّ الأرباب ، ومن علم الكتاب . لو لم يكن لابن سيده إلا هذا الكتاب ، لكان فيه كل ما يزين . وتبيض به الوجوه ، وترجع

الموازن ، فستعلم يمين ضمته . ما تضمنته ، من اليسار ، الذى يصغر فى جنبه قدر الدرهم والدينار .

ولقد كانت فكرة إحياء التراث والنشاط فيه فكرة قومية قبل أن تكون فكرة علمية ، فإن طغيان الثقافة الأوروبية والنفوذ التركى وضغطه كاد أن يأخذ بمخنتق العرب فى بلادهم ، فأرادوا أن يخرجوا إلى متنفس يحسون فيه بكيانهم المستمد من كيان أسلافهم . فى الوقت الذى ألفوا فيه الغرباء من الأوربيين يتسابقون وينبشون كنوز الثقافة العربية فانطلقوا ... واهتم كثير من الكتاب والأدباء الذين لمعت أسمائهم بالإسهام فى ذلك الإحياء . فنجد الإمام محمد عبده يرأس جمعية تسمى ، جمعية إحياء العلوم العربية « ويشرف على إحياء « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجاني ، كما يشرف على نشر « أسرار البلاغة » للجرجاني أيضاً مع تلميذه الكاتب الدينى المعروف الشيخ محمد رشيد رضا . ويقوم الشيخ الإمام بتدريس الكتابين فى الأزهر الشريف للطلبة والعلماء أيضاً ببراعته المعروفة ، حتى ليقول بعض من سمع دروسه من الأساتذة بعد حضوره للدرس الأول من أسرار البلاغة : « إنا اكتشفنا فى هذه الليلة معنى علم البيان » .

ووجدنا الإمام يهتم أيضاً بشرح مقامات بدیع الزمان الحمدانى ، ويطبع هذا الشرح بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين فى وقت مبكر هو سنة ١٨٨٩

ونرى الشيخ إبراهيم اليازجى ينشر « رسالة الغفران » لأبى العلاء فى سنة ١٩٠٣ م .

ويهتم طه حسين بإذاعة أدب أبى العلاء وشعره ، ويشرع فى شرح لزوم ما لا يلزم . ويقوم بجهد كبير فى إحياء آثار أبى العلاء بعامة . فيسهم مع لجنة أبى العلاء وكنت أحد أفرادها فى إخراج ستة مجلدات من الآثار المتعلقة بكيانه الأدبى .

ونجد أمثال العقاد في عبقرياته ، ومحمد حسين هيكل في « حياة محمد » .
وفي كتابه « في منزل الوحي » يعالجون نصوص التراث في بحوثهم ومقالاتهم .

ولإني لأعتقد اعتقاداً جازماً . أن ليس إحياء التراث مقصوراً على إشاعته التقليدية بنشر كتبه وتحقيقها . ولكنه يشمل مع ذلك إذاعة نصوصه واستخدامها في غرضون البحوث والتعليقات والدراسات فهذا نشر يأخذ الصفة العامة كما أن ذلك نشر تناله الصفة العامة أيضاً ، كلاهما يرى النور ويراه النور . لقد كان لتيسير الحصول على كتب التراث أثر ظاهر في تطوير الأساليب الراكدة في منافع السجع والصنعة الركيكة . وفي تطور لغة الكتاب وذلك بإلحاح الأساليب الممتازة وقوة دفعها للزئوف . وبالكلمات المنتقاة التي تمتلئ بها كتب التراث . كما كان لاتساع نشر المصحف الشريف وكتب الحديث النبوي ومعاجم اللغة العربية صغيرة وكبيرة ، قديمها وحديثها . فضل كبير في إسباغ القوة والشباب على أساليب الأدباء بعامة . من خطيب أو كاتب أو شاعر أو ناثر . وكان من خطباء العهد القريب رجل تخطى حدود التقليد المذهبي . فكان المصحف حليفه في البيت وفي المكتب يستلهمه الفصاحة والاعتدال على القول . هو الخطيب المفوه ولهم مكرم عبید . . . وسمعت من أحد أقاربي . وهو المرحوم الأستاذ إبراهيم الجزيري أن الزعيم الخالد سعد زغلول كان يضع إلى جانب سريرته معجم أقرب الموارد . وأقول : إن نشر آثار كتاب العرب أصحاب الأقلام أمثال الجاحظ وابن المتفجع وأبي الفرج الأصبهاني وابن جرير الطبري والخربري والهمداني وابن عبد ربه . وكذا نشر الدواوين العربية الأصلية أمثال ديوان حسان بن ثابت . وجرير والفرزدق والأخطل . والحسن بن هاني . وأبي تمام . وأبيحري . والمتنبي . والشريف الرضي . وابن هاني . وابن خفاجة وابن زيدون الأندلسيين . وغيرهم من شعراء الشرق والغرب كان ربحاً عظيماً لمن أراد أن يقوم أسلوبه الكتابي ويحذو حذو الإبانة العربية الأصلية .

ونلمح هذا جلياً فى كتابات المنفلوطى والرافعى والزيات وطه حسين الذين تأثروا تأثراً ظاهراً بأدب الجاحظ ، كما يبدو تأثر طه حسين بأسلوب ابن هشام . فى كتابه « على هامش السيرة » .

ولو ذهبنا نبحث فى تأثر جمهرة كتابنا وشعرائنا الأصلاء بأثر من قبلهم لاستطعنا بعد الدراسة المبصرة أن نعيّن الأصل الأول من مواردهم ومستقياتهم فى كاتب قديم أو عدة كتب ، وفى شاعر قديم أو عدة شعراء . وأنا أعنى هنا التأثير اللغوى . وأدع التأثير الفكرى إلى مزيج الثقافات القديمة والمعاصرة .. إذ تختلف مواردنا فى ذلك بمقدار ما يأخذون وما يذرون .

وأما الآن مثل حى لقوة تأثير التراث بالوساطة ، نلمسه فى تراث المنفلوطى نفسه . من النظرات والعبرات والفضيلة وماجدولين والشاعر . فلا يكاد تجد بيتاً أهله ذوو فضل يخلو من كتاب أو أكثر من كتب هذا الرجل ذات التأثير الفعال . ولا أظن أن أحداً منا ونحن الشيوخ لم يقرأ له أو يفد منه . وهكذا نجد أن المنفلوطى قد أدى إلينا عصارة من التراث عن طريق قلمه . كما نؤديه نحن إلى أبنائنا وهكذا دواليك .

ومثل آخر لتأثير التراث يتمثل فى مقدمة ابن خلدون التى ظلت رديفاً طويلاً من الزمان تتلى فى دار العلوم وتدرس دراسة دقيقة ، وتحقق ألفاظها وأساليبها ومعانيها . فكانت بذلك مورداً ورياً للدارسين ينطلقون من بعد ذلك لتغذية الطلاب بألفاظها وأساليبها . وكان لتلك المقدمة فضيلتها فى رفع مستوى اللغة التى نعصرها .

وغير هذه الأمثلة الفعالة من كتب التراث ، كثير حقاً .

وإنى لأدعو إلى مزيد من الدفع لتيار النشر والإحياء . والأمة العربية

الآن تزخر بهيئات كبيرة كثيرة العدد ، تحتضن نشر هذا التراث وتدعمه .
كما أن أسرة التحقيق العلمي يزداد عدد أعضائها تزايداً مطرداً في ربوع
المعمورة العربية وغير العربية ... وفقنا الله جميعاً لحمل أمانة اللغة ، ووقانا
شر العقوق بها ، والعبث بفروعها ، والتنكر لأصولها وجذورها .

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

مقتطفات من كتاب التراث العربي(*)

التراث :

لا نجد للتراث مادة معينة في معاجم اللغة كبيرها وصغيرها ، فليس في اللغة العربية من المواد المبدوعة بالتاء والمختومة بالتاء إلا ثلاث مواد :

١ - الأولى مادة (تفت) ، ومما ورد فيها ما جاء في القرآن الكريم : « ثم ليقتضوا تفتهم » . وقضاء التفت : إذهاب الشعر والدرن ، وهو ما يفعله المحرم إذا أحل ، كقص الشعر وتقليم الأظفار .

٢ - الثانية مادة (تلت) . وفيها التليث بوزن فاعيل ، وهو ضرب من تجيل السباخ .

٣ - الثالثة مادة (توث) وقد ورد فيها التوث ، وهو لغة ضعيفة في التوث كما ذكر بعض اللغويين .

إذن من أين جاءت كلمة (التراث) ؟

إنها مأخوذة من مادة (ورث) التي تدور معانيها حول حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي ممن سبقه ، من والد ، أو قريب ، أو موصٍ أو نحو ذلك . وفي الكتاب العزيز : « وورث سليمان داود » .

وأجمع اللغويون على أن التراث ما يخلفه الرجل لورثته . وأن تاءه أصلها الواو . أي الوراث . وله نظائر في كلمات أخرى منها :

التَّجَاه - أصلها الوُجَاه ، أي الجهة .

ومنها : التخمة : الأزمة الناشئة عن ثقل الطعام (الوُخْمَة) .

(*) نشر في سلسلة كتابات لمار المعارف ، العدد ٣٥ بتاريخ ١٩٧٨ م .

ومنها : (التَّهْمَة) وهى توهم الإنسان أن أخاه قد أساء أو تجاوز حداً من الحدود ، وأصلها (الوُهْمَة) .

وكذلك التَّكْلَانُ أصلها (الوُكْلَان) أى الاعتماد على وكيل .

وتَتَرَى . أصلها (وَتَرَى) من المواترة .

ومن هذه النظائر أيضاً . التَّقَى . أصلها (الوُقَى) .

وهكذا يدور قلب الواو المتصدرة لهذه الكلمات تاء . لأنها أجلد من الواو وأقوى ولا تتغير بتغير أحوال ما قبلها كما يقولون .

تاريخ الكلمة :

لعل من أقدم النصوص التى وردت فيها هذه الكلمة ما جاء فى القرآن الكريم من سورة الفجر : « وتأكُلون التراث أكلاً لماً » . كانوا فى جاهليتهم يمنعون توريث النساء وصغار الأولاد ، فأكُلون نصيبهم ويقولون : لا يأكل الميراث إلا من يقاتل ويحصى حورة القوم . وكان يُلْمَون جميع ما تركه الميت من حلال أو حرام ويسرفون فى إنفاقه .

ومما ورد فى الشعر القديم قول سعد بن ناشب . وهو شاعر إسلامى كان بلال بن أبى بردة قد هدم داره ، لأنه أصاب دماً فى قوم :

فإن تَهْلُمُوا بالغدر دارى فإنها

تراث كريم لا يبالى العواقبا

وظلت كلمة (التراث) محدودة الاستعمال ، تنوب عنها أختها (الميراث) فى كثير من الأمر إلى أن أطل علينا هذا العصر الحديث فوجدنا هذه الكلمة تشيع شيوع البحث عن الماضى :

ماضى التاريخ ، وماضى الحضارة . والفن والآداب . والعلم . والقصص . وكل ما يمت إلى القديم .

المعنى المعاصر :

والذى يعنيننا فى هذا الذى قصدنا له هو التراث الفكرى . المتمثل فى الآثار المكتوبة الموروثة التى حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة فوصلت إلينا بأشخاصها .

ولست هناك حدود معينة لتاريخ أى تراث كان . فكل ما خلفه مؤلف من إنتاج فكرى بعد حياته — طالت تلك الحياة أو قصرت — يعد تراثاً فكرياً .

ولقد أصبح شعر البارودى . وشوقى . وحافظ . وحديث عيسى بن هشام . وآثار المنفلوطى والمازنى . والعقاد . تراثاً له حرمة التاريخية وله مقداره الأثرى .

الإيمان بالتراث :

كما أن الوطن هو المهد الأول لجسم الإنسان يحن إليه كلما بعد به المطاف فى بلاد الله . ويشعر فى قرارة نفسه بحبه وتفديته . والاستهانة ببذل المال والنفس فى سبيل الحفاظ عليه . ويدن له أبداً بالولاء والإعزاز مهما أغرته المغريات . وباعدت بينه وبين أرضه ضرورات العيش ، كذلك يعد التراث الفكرى هو المهد الأول لتفكيره ولنفسه . وأى انفكاك بين المرء ووطنه ، أو بين المرء وتراثه — يخلق منه امرأ تتجاذبه أطراف الضياع وفقدان النفس . وضياع النفس مدعاة إلى التفكك والتحلخل . والشعور بالبهس والمذلة اللتين لا تطيب معهما الحياة .

وإذا ذهب فى المقابلة بين جيلنا الذى نشأنا فيه وبين هذا الجيل الذى يعيشه أبناؤنا . وجدنا الفرق شاسعاً بين شعورنا بكياننا العزيز الوثيق ، وكيان بعض أبنائنا الذين انفصلوا عن المتعة بالتراث العربى متمثلاً فى صروبه المختلفة .

فهناك التراث الدينى فى كتبه التى كانت ميسرة لنا وكانت موضع اهتمامنا ، والتراث الأدبى والغوى الذى كان لكل منا قدر وافر من الإطلاع عليه وتمثله حفظاً أو قراءة أو رواية . وكذلك التراث التاريخى الذى كنا نملاً به المجالس مذاكرة ومساجلة . والتراث القصصى متمثلاً فى قصص عنتره ابن شداد وألف ليلة وليلة . وإعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس للإتليدى ونحوها . وهذا بالإضافة إلى دواوين فحول الشعراء كأبى تمام والبحترى والمتنبى وأبى العلاء ، والقصائد المتعلقة .

ولم يكن فى جيلنا من لا يحفظ للحريرى أكثر من مقامة ثم ينظر بعد ذلك فى كامل المبرد وأمالى القالى ، وفى العقد الفريد وأغانى أبى الفرج . وكانت الكتب المدرسية حافلة بعيون التراث نستظهر منها جياد النصوص وحسان الخطب ، وكان بعضنا يحفظ ديوان شعر بأكمله . أو يستظهر جمهوره .

كيف نستعيد هذا الإيمان :

وإنى لأعتقد أن هذه النكسة التى يحياها أبناؤنا اليوم هى فى سبيل الانقشاع ، بفضل الجهود المكثفة التى يتضافر عليها العلماء والمحققون الغيـر الذين يتنادون فى مختلف أصقاع العالم العربى ، ويتكاتفون على إحياء تراثنا العربى لتقدمه إلى ناشئة اليوم وشيوخ الأمس . إن لنا لماضياً رائعاً ، حافلاً بألوان جميلة حقاً من فنون الأدب وضروبه ، وهو ماضٍ جدير بأن نفخر به ونعتز ، وأن نجعل النظر فيه فنظفر بالمتع العجيب .

إنه لم يتح للكثير منا اليوم أن يتصلوا بهذا الأدب العربى القديم اتصالاً صالحاً ، يفتح أعينهم على ما فيه من خير وما فيه من عجب . فهذه الاضطرابات السياسية . وهذه الفوضى الفكرية التى ضربت أطنابها فى أرجاء الأمة العربية ، وباعدت بيننا وبين موارد الأدب العربى القديم - جعلت أبناءنا ينظرون إلى هذا اللون الثقافى نظرتهم إلى شىء غريب عنهم .

إننى أعنى بالأدب العربى القديم ، ذلك الإنتاج الحصب الذى بدأ من عهود الجاهلية ثم يترامى إلى آفاق القرن الرابع أو الخامس الهجرى . فإن ذلك العهد الإسلامى يمت بسبب وثيق إلى عهد الجاهلية ، ويحذو حذوه فى كثير من الأمر ، ويستمد أكثر ما يستمد من معينه ، وفيه حافظ الأدباء إلى حد ما على سلامة اللغة وسلامة الذوق العربى الذى ينسجم مع هذه اللغة انسجاماً وبلتئم بها التئاماً .

ولقد نقلت إلينا أمهات الكتب ذلك الأدب فى صدق وأمانة ، وساقط إلينا روائع كثيرة ، ولكننا نغمض أعيننا دونها ، لأننا نجد فيها الصعوبة ، ولا نجد اليسر واللين اللذين يجذباننا إلى قراءة الأدب المعاصر .

إن هذه الصعوبة ترجع إلى أمور شتى :

مهما غرابة هذه اللغة التى تحتاج إلى ترجمان يفتح مغلقها ويحلو وجهها

ومنها ما قد يظهر من إخفاق هذه المؤلفات فى طريقة العرض . وعدم مساهمتها للأساليب الحديثة المؤسسة على جانب كثير من مقتضيات علم النفس ومناهج الترغيب .

ومن أسباب ذلك أيضاً تلك الجناية التاريخية التى يجلبها الناسخون والطابعون ، فيشوهون معالم هذا التراث ويزيدونه عسراً فوق عسر .

ومن علل هذه الصعوبة أيضاً بعد العهد بملايسات تلك الوقائع الأدبية وظروفها وأجوائها . وبدون معرفة هذه الظروف والأجواء قد يخفق القارئ فى فهم تلك النصوص ، ويقع فى لج من الحيرة والارتباب .

وما حمل النشء أيضاً على هذا الرفض — ضعف الدعوة إلى هذا الأدب الرفيع فى الوقت التى ظهرت فيه دعاوة مغرضة متعددة ، تقصد إلى توهين شأنه وتحقيره ورميه بالضعف . كما رميت لغته من جانب آخر بعجزها عن

مطاوعة ما تقتضيه الحياة المعاصرة ، وقام بهذه الدعوة بعض ضعاف النفوس الذين يودون أن لو زالت هذه اللغة ، وضاع أدبها ، وامحت ثقافتها فى لحظة الطرف أو غمضة العين : إذ قالوا : إن الأدب العربى أدب ناقص ينقصه الكثير من مقومات الآداب .

أما صعوبة اللغة فليست ترجع إلى طبيعة اللغة ، وإنما ترجع إلى أمرين رئيسين :

أما أحدهما فهذه اللغات العامية التى تثير الاضطراب فىمن يقبل على تعلم العربية ، فتأخذ به إلى هوة من الشك ما يدرى : أعربى ذلك اللفظ أم دخيل . وما يدرى أيضاً أعربى هذا الأسلوب أم أعجمى ؟ ثم هو يجد نفسه فى عالم غريب من دنيا الألفاظ لأنه لا يتكلم فى بيته أو فى معهده أو فى ناديه إلا لغة عامية شتان ما بينها وبين فصيح اللغات .

وأما الآخر فهو هذا الداء العضال ، هو المدرسة . فهذه الأداة كان يظن بها أن تكون عاملاً على إنهاض اللغة وإقالتها من عثرتها - أصبحت هى حجر العثرة فى طريق نهضة اللغة ، لا بأساتذتها ومعلميها الذين لا يزالون يرتضخون لكثرة عامية فحسب ، بل بقصور مناهجها وارتباك أساليبها فى تعليم هذه اللغة ، لأننا لم نصنع تلك المناهج بأيدينا ، بل ساقها إلينا الدخيل فى لفافة من السياسة الاستعمارية ، ثم كف يده . وظللنا نحن لا نكف عن السير فى ذلك التيار الذى دُفَعنا إليه دفعاً .

وهذا هو السر فى إخفاق كثير من الطلاب الذين اكتفوا بجهد المدرسة فحرموا أنفسهم المتاع الطيب بهذا الأدب . على حين نجد من درسوا بأنفسهم وكان لهم ميل خاص ومجهود شخصى . قد فازوا بهذه المتعة ونجحوا نجاحاً ظاهراً : لأنهم لم يتقيدوا بالقيود المدرسى . فامتعت أمامهم آفاق المعرفة واحداً بعد الآخر . والعلم ولود كما يقولون :

وحين تتخلص اللغة من هذه القيود ، وتختص اللغة العربية بالعناية الواجبة ، حينئذ نمتلك لغتنا امتلاكاً خالصاً ، ونشعر باستقلالنا الروحي الثقافي ، الذي هو أعلى مقاماً وأعز شأناً من سائر مظاهر الاستقلال .

نماذج من كتب الرحلات :

وقد شارك العرب في تأليف كتب الرحلات انطلاقاً وراء كتب الرحلات القديمة كرحلة هيرودونس اليونانى .

ومن بين أقدم كتب الرحلات التى قام أصحابها بتصوير الشعوب ونقد أحوالها وشؤونها الاجتماعية — نجد سابقة عريقة لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى المتوفى سنة ٥٢٨ قبل وفاة ابن جبير سنة ٦١٤ وعبد اللطيف البغدادى ٦٢٩ وابن بطوطة ٧٧٩ يقول فى مقدمة رحلته :

« كنت إبان عصر الشباب موقن ، وغصن الصبا موزق

إذ لمتى مســـــــودة رلماء وجهى روبرق

من سامحه الدهر بغفلاته ، ونجاني له عن غفوة من غفواته . فعاش آمن السرب . سائغ الشرب . لا يفرغ من أدب يرود رياضه ، ويرد حياضه . إلا إلى طرب يغمر ميدانه . ويسحب ذبوله وأردانه . ثم تلون لى فقلب لى ظهر ميجنه . وسقاني دردى دته . فتدارك ما أغفله ، واسترد ما بذله . فاضطرت إلى مفارقة الوطن . والخروج عن العطن ...

فجعلت استقرى البلاد لأنيح أوفقها للمقام وأعونها على مقارعة الأيام . فكانت مصر موقعة عليه اختيارى . وصدقت حسن ظنى قبل اختبارى . » .

ويقص لنا أبو الصلت قصة طبيب يعالج مرضه بالعلاج النفسى . وهو أحدث طرق العلاج وأعلاها فى عصرنا الحاضر فيقول :

« ومن طريف ما سمعته أنه كان بسصر منذ عهد قريب رجل ملازم

للمارستان . يستدعى للمرضى كما يستدعى الأطباء ، فيدخل على المريض فيحكى له حكايات مضحكة ، وخرافات مسلية ، ويخرج له وجوهاً مضحكة وكان مع ذلك لطيفاً في إضحائه ، وبه خبراً ، وعليه قدير .

فإذا انشرح صدر المريض وعادت إليه قوته تركه وانصرف . فإن احتاج إلى معاودة المريض عادته إلى أن يبرأ ، أو يكون منه ما شاء الله .

فليت أطباء عصرنا هذا بأسرهم قدروا على مثل هذا العلاج الذى لا مضرة فيه ولا غائلة له . ويقوى القوى الطبيعية ، ويقوى البدن على دفع الأخطار الردية المؤذية والفضول ، مع الاستظهار بحفظ الأصول .

نجده كذلك يفتن إلى ميل أدل مصر إلى استفتاء المنجمين . والركون إلى من يدعون معرفة الغيب . وهو الأمر الذى لا تزال بقايا منه سائدة إلى وقتنا هذا فيقول :

« والمصريون أكثر الناس استعمالاً لأحكام النجوم وتصديقاً لها . وتعويلاً عايتها ، وشغفاً بها وركوناً إليها . حتى إنه بلغ من زيادة أمرهم في ذلك ألا يتحرك واحد منهم حركة من الحركات الجزئية التى لا تحصر فنونها . ولا تحصل أجزاءها ، ولا تضبط جهاتها . ولا تقيد غاياتها . ولا تعد ضرورها إلا في طوابع يختارونها ونصب يعتمدونها .

ومن الحكايات العجيبة في فرط استعمالهم لأحكام النجوم وعنايتهم بها ما شهدت بالصعيد الأعلى . وذلك أن بعض الولاة حبس رجلاً من بعض أهل تلك الناحية كان ينظر في علوم النجوم . فشفع إليه فيه من يكرم عليه فشفعه له . وأمر بإطلاقه . وكان من الحبس في عذاب واصب . وجهد ناصب . فلما أنجوه وقالوا له : انطلق لشأنك ! أخرج من كمه أسطراً لاياً فنظر فيه . ثم أخذ طالع الوقت فنظر فيه . فوجده مذموماً ، فسألهم أن يتركوه مكانه إلى أن يتفق وقت يصلح للخروج من السجن . فعادوا إلى الوالى فأخبروه بخبره

فضحك منه وتعجب من جهله . وفساد عقله ، وأجابه إلى سؤاله وتركه على حاله ، وأطال مدة اعتقاله ... » .

وفى كتاب « الإفادة والاعتبار . فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر المعروف خطأ برحلة عبد اللطيف البغدادى ، وهو عبارة عن فصلين من ثلاثة عشر فصلاً من تاريخه الكبير المسمى « أخبار مصر » ، وقد انتزع هذين الفصلين بعد اختصارهما وتهذيبهما ليكونا برسم الخليفة العباسى الناصر لدين الله أحمد بن المستضى ، بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله يوسف (٥٢٢ - ٦٢٢)

فى هذا الكتاب المختصر حديث مسهب فى خصائص مصر وآثارها ومقابر قدماء المصريين وتوابيتهم وتمثيلهم المتقنة . وكيف برع المصريون فى نحت جميع أجزائها ، يقول فى ذلك : « وأما حسن أوجهها وتناسبها ، فعلى أكمل ما فى القوى البشرية أن تفعله . وأتم ما المواد الحجرية أن تقبله ، ولم يبق إلا صورة اللحم والدم » .

وأعجب ما فى هذا الكتاب تسجيله لما شاهده بعينه فى الحجارة التى حدثت بمصر سنة ٥٩٧ يقول فى ذلك :

« ودخلت سنة سبع مفرسة أسباب الحياة وقد ينس الناس من زيادة النيل وارتفعت الأسعار وأقحطت البلاد . وأشعر أهلها البلاء . وهرجوا من خوف الجوع . ووقع المرض والموتان . واشتد بالفقراء الجوع حتى أكلوا الميتات والجيف ، والكلاب . والبعر والأوراث . ثم تعدوا ذلك إلى أن أكلوا صغار بنى آدم فكثيراً ما يعثر عليهم ومعهم صغار مشويون أو مطبوخون . فيأمر صاحب الشرطة بإحراق القاعلى لذلك والآكل .

ورأيت صغيراً مشوياً فى قفة ، وقد أحضر إلى دار الوالى ومعه رجل وامرأة زعم الناس أنهما أبواه ، فأمر بإحراقهما .

وهذا الكتاب جدير بإعادة نشره والتعليق عليه والإفادة منه وإن كان المستشرق الفرنسى دى ساسى قد عنى بنشره متناً ، وترجمه سنة ١٨١١ : ومن قبله قام إدوارد بوكوك الإنجليزى (١٦٠٤ - ١٦٩١) بترجمته إلى اللاتينية . ثم نشره توماس هايد متناً وترجمته فى أكسفورد سنة ١٧٠٢ هـ

حضارتنا وأحياء التراث(*)

إعداد وتقديم يوسف نوفل المحرر بمجلة الفيصل السعودية

دخائر التراث وكنوزه ونفائسه ... كلمات وامضة تحتل مكانتها في رصيدنا الثقافي والحضاري في أصداء وجدانية بعيدة الجذور في أعماق كل مسلم وكل عربي . بل كل من اهتم بحضارتنا من مستشرقين وباحثين .
وسر هذا الوميض المتجدد والصدى الوجداني البعيد يكمن في أن هذا التراث محصلة رؤية حضارية لأجيال مضت تمثل لبنة من لبنات الحضارة المعاصرة بشكل مباشر أو غير مباشر .

وقد سهر على هذه الدخائر والكنوز والنفائس علماء أجلاء منذ مطلع عصر النهضة الثقافية في تاريخها المعاصر في بقاع شتى من أنحاء العالم الإسلامي ، بل في عواصم العالم كله .. وتفاوتت قيمة تلك الجهود بقدر ما تنوعت وتباعدت ، في تلك المسيرة المباركة تبرز أسماء عديدة بلا جدال من بقاع شتى ، نلتقي .. من بينها . بعالم فاضل أغنى وجدان أمتنا وأثراه بمتابعاته الجادة ، وحرصه الدؤوب . وسهره المتواصل ، وحذقه لفن تحقيق المخطوطات ونشرها . ووقوفه على أسرارها ...

دلكم هو العلامة الأستاذ « عبد السلام هارون » الذي حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب لعام ١٤٠١ هـ .

فن تحقيق المخطوطات :

« أسأل أستاذنا العلامة عبد السلام هارون عن المسيرة التي قطعها فن تحقيق المخطوطات ونشرها ؟ »

(*) مقابلة وحوار مع الأستاذ يوسف نوفل المحرر بمجلة الفيصل السعودية نشرت في العدد ٣٥ من المجلة بتاريخ ذي الحجة سنة ١٤٠١ هـ ، أكتوبر سنة ١٩٨١ م .

إن ما تم تحقيقه ونشره من المخطوطات لا يعدو أن يكون فرعاً من شجرة باسقة ممتدة الفروع وارفة الظلال . فنذ ظهرت الطباعة العربية في إيطاليا في أوائل القرن السادس عشر الميلادي وقيام عدة مطابع في الشرق العربي تنصدها مطابع بولاق ودار الكتب المصرية في مصر ، والمطبعة الكاثولوليكية للآباء اليسوعيين في بيروت ، منذ ذلك الحين إلى الآن لم يستوعب التحقيق والنشر شيئاً يذكر بالنسبة إلى ما تزخر به مكتبة التراث العربي .

والملاحظ أن الكتب التي ظفرت بالنشر والإحياء معظمها من الكتب الصغيرة . أما الكتب ذوات المجلدات الكبيرة فإن عبء نشرها يحتاج إلى جهد علمي ومادى لا تقوى عليه دور النشر التي تسعى دائماً إلى الحصول على عائد مادي سريع ، والدول العربية مشغولة بقضاياها السياسية والاقتصادية عن الاهتمام بهذه الناحية العلمية . كما أن قلة عدد المحققين الأصلاء . من العوامل التي تقف بعجلة الإنتاج عند هذا الموقف الرتيب .

معوقات التحقيق :

* * وأسأل الأستاذ هارون عن أهم المشكلات التي تعترض مسيرة تحقيق المخطوطات ونشرها ؟ .

* أهم المشاكل التي تواجهها دنيا التراث العربي هو التنظيم الجماعي . ونحن نرى أمام أعيننا معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، ودور الكتب العامة في مصر وغيرها ، لا ترابط بينها ، وليس هناك مصب واحد يستوعب هذه الروافد ، فالباحث عن مخطوط معين لا يستطيع أن يهتدى إلى أماكن وجود نسخته إلا بصعوبة بالغة ، وبطريقة ظنية صرفة . ويجب أن يعالج هذا الأمر بتنظيم جماعي على نحو ما هو متبع في نظام « اليونسكو » .

والمشكلة الثانية : هي صعوبة الحصول على مصورات المخطوطات . فكثير من دور الكتب في الشرق وفي الغرب يتبع الطريقة الاحتكارية التي تمنع خروج صور المخطوطات إلا في حدود ضيقة وبشروط قاسية ،

والمفروض أن يُيسّر للباحثين - ولا سيما الذين ينتمون إلى هيئات علمية معترف بها - سبيل الوصول إلى صور المخطوطات بدون ما قيد ولا شرط .

والمشكلة الثالثة : ندرة المشتغلين بإحياء التراث ممن هم في الطبقة العلمية والخلقية الجديرة بأن يعتمد عليها في نشر التراث ، ولعل مرجع ذلك عدم تناسب المكافأة التي يحصل عليها المحقق مع الجهد الشاق الذي يبذله ، وهو الأمر الذي يشيطن عزائم من يتصدون للتحقيق .

والمشكلة الرابعة : المطبعة : فإن دور النشر المعاصرة تجعل همها الأول والأخير هو الحصون السريع والمضاعف على العائد المادى الذى ينجم عن إخراج الكتاب . ولا نستطيع قسر هذه الدور وإجبارها على نشر كتب التراث إلا بمعونة كبيرة . كثير أ ما يتطرق إليها التلاعب .

أسس العمل :

١ . انطلاقاً من التعرف على المشاكل . . ما الأسس التى ينبغى أن نتحقق للعالم في هذا المجال ؟

أول تلك الأسس هى إيمان من يتصدى لتحقيق التراث ، إيماناً كاملاً به ، مع احترامه له وتقديره : فإننى أعتقد أن التراث الفكرى بالنسبة إلى أى إنسان كان ، يُعدّ بمثابة المهة الأول لتفكيره ولصوغ نفسه . وكما أن الوطن هو المهة الأول لجسم الإنسان . يحنّ إليه كلما بعد به المطاف في بلاد الله ، ويشعر في قرارة نفسه دائماً بحبه وتقديره ، كذلك التراث الفكرى ، هو المهة الأول الذى يصنع تفكيره ويشكل نفسه . وأى انفكاك بين المرء ووطنه ، أو بين المرء وتراثه يخلق منه امرأً تتجاذبه أطراف الضياع وفقدان النفس .

ولقد كان التراث العربى بمختلف فروعه في جيلنا الذى عشنا فيه موضع اهتمام . يتمثل في التراث الذى كانت كتبه ميسرة لنا ، وكذلك التراث

الأدبى واللغوى الذى كان لكل منا قدر كبير من الاطلاع عليه . وتمثله حفظاً أو قراءة أو رواية . وكذلك التراث التاريخى الذى كنا نملاً به المجالس مذاكرة ومساجلة ، والتراث القصصى متمثلاً فى قصص عنترة بن شداد . وسيف ابن ذى يزن ، وألف ليلة وليلة ، وإعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بنى العباس للإتليدى . ونحوها ، هذا مضافاً إليه دواوين فحول الشعراء كأبى تمام ، والبحتري ، والمتنبي . وأبى العلاء ، ولم يكن فى جيلنا من لا يحفظ للحريرى أكثر من مقامة ، وكانت الكتب المدرسية حافلة بعيون التراث الأصيل نستظهر منه جياذ القصص وحسان الخطب .

والأمر الثانى الذى يجب أن يتحقق فى ناشر التراث . هو أن يكون على صلة وثيقة به فى جميع فروعِهِ . فنحن لا نستطيع أن نضع فى يد عالم كيميائى أو طبيب عبقرى مخطوطاً أدبياً ليقوم بتحقيقه . ولكننا نستطيع أن نضع فى يد أديب مرموق هذا المخطوط مهما يكن نوعه . ليعالج إخراجهِ على وجه مرضى . ونستطيع أيضاً أن نقدم إليه مخطوطاً دينياً أو فلسفياً أو لغوياً ، أو تاريخياً ، أو جغرافياً ليقوم بنشره . ذلك لأن التراث العربى الإسلامى متواسج الأطراف متداخل الضروب والأنواع . فالصلة الوثيقة الواسعة بالتراث شرط ضرورى لمن يتصدى للجهاد فى هذا الميدان

والأمر الثالث أمر خلقي يتمثل فى أمرين : الأمانة . والصبر . فكما تشترط الأمانة فيمن تكلفه استثمار مالك والتصرف فيه . تكون الأمانة شرطاً فيمن يعهد إليه أمر مخطوط ما ، كل كلمة منه وكل حرف بمثابة أجزاء الآثار ودقائقها التى يحافظ العلماء والمؤرخون على كل قطعة منها مهما يكن قدرها . وثمره هذه الأمانة تأدية فكر المؤلف وأسلوبه ، وتأدية فكر عصره الذى عاش فيه . والجو الذى لا يَسُ المادّة العلمية أو الأدبية لهذا المخطوط .

أما الصبر فهو من تمام الأمانة أيضاً . فالتعجل فى تحقيق المخطوط ينتهى

بلا ريب إلى الإخلال بالأمانة العلمية التي تقتضى التريث في الحكم على الصورة الصحيحة التي ينبغي أن تمثل النص في أوج سلامته ومطابقته للحقيقة .. هذا هو مجمل الأسس التي ينبغي أن تتحقق للعالم .

الموازنة بين صور التحقيق :

.. تعددت صور التحقيق لكثير من المخطوطات .. هل نستطيع أن نقف - من خلال موازنتنا بين صور التحقيق المختلفة - على أهم عيوب هذا الفن ؟

.. من التحقيق من الفنون الجمالية الأدبية . ونستطيع - لأول وهلة - أن نحكم على الكتاب الذي يقع بين أيدينا بأنه قد أخذ من الجمال نصيباً ، قل ذلك أو كثير . كما نستطيع أن نحكم عليه بأنه فقد الجمال كله ، أو دخل في منطقة أسوء . وذلك على مقدار العيوب الفنية التي تتسرب إليه .

وقد أصبحت قواعد التحقيق معروفة ومتفقاً عليها . ولا سيما بعد كتابي الذي طهرت طبعته الأولى سنة ١٣٧٤ هـ . أي منذ نحو ربع قرن . وهو كتاب (تحقيق النصوص ونشرها) . ومن تلك القواعد : كيف نرجح رواية على أخرى ؟ وكيف نصصح الأخطاء والتحريفات ؟ وكيف نصبغ النصوص ؟ وكيف نعلق عليها ؟ وما مدى أهمية علامات الترقيم ؟ وما المكملات الحديثة التي ينبغي أن يظهر بها الكتاب ؟ وغير ذلك كثير .

ولعل أشنع ما يقع في هذا الفن أن يخرج الكتاب مجرداً من الفهارس الفنية . أو توضع له فهارس غير ذات جدوى . أو يطيل المحقق في تعليقاته وحواشيه . أو ينزله في تقديمه للمخاطبة بصورة تغطي على صورة الكتاب نفسه .

مقترحات في سبيل تحقيق علمي :

من واقع ممارساتكم العلمية .. ما مقترحاتكم في هذا الفن ؟

لا تزيد مقترحاتي في هذا الفن على الأضواء الكاشفة التي سلطتها

عليه في كتابي (تحقيق النصوص) الذي ولد ثمرة لتجاربي الشخصية التي ضمنت إليها تجارب شيوخي وأقراني وزملائي ، وذلك منذ أكثر من نصف قرن .

فالمهم - بصفة عامة - أن تخرج لنا النصوص التراثية في صورة أقرب ما تكون إلى الصحة ، وفي ثوب مناسب من مجاراة العصر ، وعلى وجه تتحقق به أقصى فائدة يحصل عليها القارئ والباحث عند دراسته لهذا المخطوط .

الغالب في مكتبة التراث :

* * هناك وجوه غائبة في مكتبة التراث .. وذخائره ... من هنا أسأل ..
ما الوجه الغائب من مكتبة التراث ؟

* كنت أحب أن تقول : ما هي الوجوه الغائبة من مكتبة التراث ؟
إذ نستطيع أن نقول : إن هناك وجوهاً كثيرة غائبة من مكتبة التراث .
ولقد حاول قدماء المستشرقين من قبل أن ينشروا كل كتاب أو جزء من كتاب يقع بين أيديهم ، ونظرة إلى كتاب (المستشرقون) للأستاذ نجيب العقيلي تظهرنا على مختلف الاهتمامات التي كانت تسرعى نظر هؤلاء العلماء ، فلم يكن عندهم إثارة لضرب من ضروب التراث على آخر ، بل كان همهم ، وهم المكفئيون أمر معاشهم وحياتهم أن ينشروا كل شيء ، وذلك لتستكمل صورة التراث ، ولتبدو ظاهرة من مختلف جوانبها ونواحيها .

ولكن الذي نلاحظ في عصرنا هذا هو العناية بناحيتين اثنتين فقط ، هما
الناحية الدينية . والناحية الأدبية واللغوية ، أما النواحي العلمية أو الاجتماعية أو الفلسفية ، أو الحضارية الصرفة ، أو الفنون القديمة ، من فنون الحرب ، أو الصيد ، أو علم الحيل ، والآلات الحربية ، وآلات الرصد ، والبيرة .
والبيطرة ، وتدبير المدن والمنازل ، والسياسة والصيدلة ، والطبخ ، وعقود الأبنية . والفلاحة ، والمرايا المحرقة . والموسيقى القديمة ، والنبات ،

والهندسة القديمة ، وغيرها ، فالمنشور منها معدوم ، أو لا يكاد يذكر ، ولا ريب أن في نشر هذه الكنوز فائدة حضارية وفكرية .

ولقد كانت الفكرة الخيالية التي عالجها عباس بن فرناس في الأندلس ، وحيثاً وإثارة لابتداع فن الطيران ، الذي حقق اليوم نجاحاً حضارياً عظيم القدر . ومن يدري ؟

إعداد المحقق :

* * .. وكيف نعد المحقق ؟.

* لعل إجابتي عن السؤال الثالث تمتد فوق مساحة كبيرة من هذا السؤال . وهناك محاولة في القاهرة في دار الكتب المصرية ، هي في الواقع إحياء لما كان يسمى في الماضي « القسم الأدبي » وإن لم يبلغ في مستواه الآن ما كان عليه هذا القسم الذي نهض بعبء كبير ناجح موفق كان له أثره العظيم ، والأمل معقود أن يضاعف الجهد في (مركز إحياء التراث) بدار الكتب ، وأن يلقى عناية خاصة من المسؤولين .

رأيتي لأرجو وأدعو برجاء صادق ، أن يكون في كل بلد عربي مركز لإحياء التراث ينتظم في سلكه من درسوا منهج تحقيق النصوص وكانوا على مستوى علمي وخلقي يؤهلهم لهذا العمل ، على أن يغدق عليهم من المكافآت ما يشجعهم على المضي قدماً في هذا الميدان .

وعما يثلج صدرى حقاً أني أرقب عن كثب مدى نجاح فكرة الدراسة لمنهج تحقيق النصوص ، وأثره الفعال في ميل كثير من طلاب الدراسات العليا إلى صنع رسائلهم في الماجستير والدكتوراه على ضوء (تحقيق النصوص) في جميع أقسام اللغة العربية بالجامعات ، وكذلك أقسام الجغرافيا والتاريخ والفلسفة . وهو أمر دعوت إليه قديماً منذ ثلاثين سنة في النشرة الأولى من

(نواذر المخطوطات) فى المجلد الأول (ص ٣) . وكذلك كتابى السابق ذكره .. وكان مما قلت :

« وعسى أن يأتى اليوم الذى يكون فيه هذا الأمر ضريبة علمية لا بد من أدائها » .

التحقيق . . والطباعة :

« كيف يفيد هذا الفن من المنجزات الفنية فى عالم الطباعة ؟

الذى يقارن بين المنجزات الفنية الآن فى عالم الطباعة . وما كانت عليه بالأمس يجد البون شاسعاً حقاً من حيث المظهر العام لإخراج الكتاب ، ونظام إخراجة . ونظرة إلى ما يسمى بالكاتب الصفراء تعطينا الحكم القاطع بالوثبة السريعة ، والنهضة العالية لعالم الطباعة الحديث .

وقد جدت أمور كثيرة وهامة فى الناحية الشكلية للكتاب ، فلم يعد مستساغاً ولا مقبولاً أن يخرج كتاب مؤلف محترم ، أو من دار نشر محترمة خالياً من الفهارس الفنية أو التحليلية ، أو أن يظهر فى ثوب قىء من الورق ، أو مبعثر الأوراق خالياً من التغليف والتجليد المناسب . ونحن نرى بأعيننا كيف يخرج الأوروبيون ونحوهم كتباً توحى باحترام المؤلف كما توحى باحترام دار النشر التى أخرجت الكتاب .

ولعلك تذكر أنى حينما أخرجت كتابى (الميسر والأزلام) - وهو كتيب صغير - لا تتجاوز صفحاته ٩٦ صفحة لم أستطع أن أخرجه مجرداً من الفهارس ، فوضعت له خمسة فهارس فى عشر صفحات ، جرياً على ما ينبغى أن يكون عليه الكتاب المعاصر . من تمكين القارئ والباحث أن ينتفع بالكتاب غاية النفع .

وقد ظهر فى عالم الطباعة أيضاً فن الطباعة بالتصوير . وبذلك يتاح

للمؤلفين التمكن من تكرار طبعات الكتب الناجحة ، ولا ضير في ذلك إذا التزم المؤلف والناشر برعاية الكتاب وتنقيحه طباعياً كلما طرأ تفكير في إعادة نشره . وبذلك تتسع رقعة انتشار الكتاب النافع .

نشاط العالم في التأليف والتحقيق :

« هل نستطيع أن نسجل نبذة تاريخية موجزة عن نشاطكم في عالم التأليف والتحقيق ؟ »

« أمامك ثبت (قائمة) بالإنتاج العلمي من سنة ١٣٥٥ - ١٤٠٠ هـ ، (١٩٣٨ - ١٩٨٠ م) يتمثل في ١١٤ عنواناً من التأليف والتحقيق ، وبعض تلك العناوين يشمل ثمانية مجلدات ، أو ستة مجلدات ، أو أربعة مجلدات . وبلغ عدد صفحاتها ٤٢٧٧١ اثنين وأربعين ألفاً وسبعمائة وإحدى وسبعين صفحة أرجو أن تسمح لي أن أقول بكل اعتزاز وفخر : إن هذا رقم قياسي فريد لم يتح لمؤلف معاصر عربي أو غربي . »

الكتاب الأول :

« هل لنا أن نرجع إلى تاريخ بعيد ... فنعرف عنوان أول كتاب ظهر عليه اسم « عبد السلام هارون » ؟ »

« أول كتاب أخرجه المطبعة مقرّوناً باسم عبد السلام هارون هو كتاب (متن الغاية والتقريب للقاضي أبي شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني) وذلك في سنة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٥ م ، وكتب عليه ما نصه : « ضبط وتصحيح ومراجعة الشيخ عبد السلام محمد هارون » وذلك عندما كنت طالباً صغيراً بالأزهر بالسنة الثالثة الأولية . في سن السادسة عشرة ، وذلك قبل أن أتوجه بدراستي إلى (دار العلوم) . ومن عجب أن هذا الكتاب كان في فقه الشافعية ، وكنت في ذلك الحين أدرس الفقه على مذهب الحنفية . »

ولك أن تتصور مدى فرحة طالب صغير بظهور اسمه على كتاب مقرر رسمياً على الطلاب في ذلك الوقت المبكر .

كتاب يعتز به :

« وإذا سألنا عن الكتاب الذي يحتل مكانته في مسيرتك العلمية .

وتعتز به ؟

« كتي بمثابة أبنائي لا أستطيع أن أوثر أحدهم أو أحدها على أخيه . فالجهد الصادق الذي بذلته في كل كتاب لا يقل عن أخيه ، وقد ذكرت لك من قبل أني بذلت جهداً غير عادي في تأليفي لكتاب (الميسر والأزلام) وعنت به وهو أصغر كتي بالقدر الذي بذلته لكتاب (الحيوان) وهو أكبر كتي . ولعل أشهر الكتب التي ذاعت بين الناس وعرفت بها بين الأدباء هو كتاب الحيوان للمجاهد ، وكتاب البيان والتبيين ، ومجالس ثعلب ، ومقاييس اللغة لابن فارس ، والألف المختارة من صحيح البخاري ، وتهذيب سيرة ابن هشام ، وشرح وتحقيق ديوان الحماسة للمرزوقي ، وكلها أعيد طبعه أكثر من مرة ولا سيما (تهذيب سيرة ابن هشام) الذي طبع أكثر من عشر مرات .

وأحب - بهذه المناسبة - أن أنبه على خطأ تاريخي ، في نسبة تحقيق شرح الحماسة للمرزوقي . والناس يخطئون فيجعلون هذا التحقيق مشتركاً بيني وبين الأستاذ أحمد أمين . وإنما المشترك بيني وبين الأستاذ أحمد أمين هو عملية النشر والإعداد فقط ، كما هو ظاهر بارز ومكتوب على وجه الكتاب . وأما التحقيق فهو خاص بي باعتزاف الأستاذ أحمد أمين فيما كتبه قلمه في الصفحة الخامسة من المقدمة . وقد كان في ذلك أميناً حقاً .

وأن مع ما أسلفت أستطيع أن أعلن اعتزازي الخاص بكتابي (تحقيق النصوص ونشرها) لأنه حقق لي سبقاً تاريخياً ، وهو ابتداع علمي متكامل

لم يكن موجوداً من قبل . فكان هذا الكتاب أول كتاب كامل جامع في هذا الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته . وهو يعد إلى الآن الدستور الوحيد في هذا الفن .

وقد علمت بعد إخراجي لهذا الكتاب أن بعض المستشرقين تناولوا بالكتابة بعض أمور التحقيق ، ولكني لم أعلم أن مستشرقاً أو غير مستشرق صنع كتاباً متكاملًا من قبل . وهذا ما حملني أن أكتب في مقدمة الطبعة الثانية من هذا الكتاب ردّاً على بعض الأدباء :

« هذه هي الطبعة الثانية من (تحقيق النصوص ونشرها) أقدمها مغتبطاً بها وبما كان لسابقتها من صدق متواضع في أرضنا العربية . . بله بلاد المستشرقين . الذين كتبوا إلى مهنتين . وإن كان بعض إخواننا الدمشقيين ممن كنا نتوسّم فيه النجاجة . زعم بضعف نفسه . وبما يشعر به أمثاله من ذلة علمية ، أني لم أطلع على ما كتب المستشرقون فوضع بذلك على هامتي إكليلاً أعتر به . إذ أمكنني - بعون الله وحده - أن أضع علماً متكاملًا لم أسبق إليه ، دون أن أتطفل على مائدة كثر آما وُضع فيها للعرب صحاف مسمومة : وموائد العرب حافلة بالجهود الوثيقة ، والأمانة العلمية المرموقة » .

التبيين . . والتبيين :

« سمعتمكم تقولون - في حفل التكريم المنعقد في فندق الكونستانتال - البيان والتبين » . كما رأيتمكم الآن تكررّون في الإجابة السابقة عبارة « التبين » . . رقد كان المتداول لدى الكثيرين « التبين » ... ما تفسركم لذلك

« هذه ملاحظة وجيهة بلا ريب ... وأنا معك في أن المعروف المتداول في اسم هذا الكتاب هو «البيان والتبين» - بياين - ولكن طبيعة الأمور ترى أن هذه التسمية لا تتماشى مع المنطق ، فإن البيان هو التبيين بعينه . ونحن نربأ بالجاحظ أن يقع في مثل هذا العيب في تسمية أشهر كتبه وأسرها .

والدارس لهذا الكتاب يرى أنه ذو شقين متداخلين : الشق الأول هو ما اختاره الجاحظ من النصوص والأخبار والأحاديث والخطب والوصايا . وكلام الأعراب والزهاد ونحو ذلك ، وهو ما يعينه الجاحظ بكلمة « البيان » . والشق الثاني هو النقد الأدبي في صورته المبكرة ، فللاجاحظ في هذا الكتاب نظرات فاحصة في نقد نصوصه . وفي الكلام بصفة عامة ، تسمى بعد ذلك بفن « النقد » فهذه النظرات وهذه القواعد التي ساقها الجاحظ هو ما عناه بكلمة « التبيين » .

هذا من ناحية ، وهناك ناحية أخرى تاريخية وثائقية فإن النسخ العتيقة من هذا الكتاب - وقد أثبت صورتها في تقديمي للكتاب - تقطع بأن عنوانه هو « البيان والتبيين » وهذا ما يجده القارئ بوضوح في مصورة مخطوطة كوبرلي المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٣٧٠ أدب) ، وتاريخ كتابتها هو سنة ٦٨٤ هـ . وكذلك نقرأ هذا العنوان بوضوح في مصورة مخطوطة مكتبة فيض الله . وهي في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية تحت رقم (٨٨٧) وهناك بحمد الله صورة أخرى منها . وهذه النسخة مكتوبة بخط أبي عمرو محمد بن يوسف بن محمد بن حجاج اللخمي . وقد قرأها وراجعها على الإمام أبي ذر ابن محمد بن مسعود الخشني في سنة ٥٨٧ هـ . وكتب هذا الناسخ أنه وجد في آخر السفر الذي نسخ منه الثلث الثالث من هذا الكتاب ما نصه :

« كتب هذا السفر . وهو مشتمل على جميع كتاب البيان والتبيين نسخة أبي جعفر البغدادي . وهي النسخة الكاملة ، فتم بعون الله وتأييده في غرة ربيع الآخر من سنة سبع وأربعين وثلاثمائة » . أي بعد وفاة الجاحظ بمدة لا تزيد على ٩٢ سنة .

وسأعيد هذه التسمية الصحيحة إلى نصها في الطبعة الخامسة إن شاء الله .

المكونات الأدبية :

« هناك مكونات بعيدة تؤتي ثمارها في المحقق .. ما المكونات البعيدة في حياتكم الأدبية ؟ »

« عن المؤثرات في بدء نشاطي الثقافي والتأليفي أستطيع أن أسجل للتاريخ أن الفضل الأول فيه يرجع إلى عامل الوراثة وإلى شقيقي الأكبر الأستاذ محمد أبو الفضل محمد هارون مد الله في عمره .

فقد ولدت في بيت كل أهله مؤلفون : جدي المغفور له الشيخ هارون عبد الرازق شيخ رواق الصعايدة بالأزهر ، خرجت إلى الدنيا ووجدت اسمه مقروناً بكتاب كان مشهوراً جداً في ذلك الوقت ، ولا زال إلى الآن معروفاً متداولاً ، وهو كتاب (عنوان الظرف في علم الصرف) ، ومقروناً بكتاب آخر هو كتاب (المبادئ النافعة في تصحيح المطالعة) وهو كتاب نحوي موجز أتمنى أن يعاد طبعه لطلاب المدارس ، وبكتاب آخر يدعى (عنوان النجاة في قواعد الكتابة) ، وآخر يدعى (حسن الصياغة في علوم البلاغة) ، ومما هو مسجل معروف أنه قام بالإشراف على التحرير الكامل لكتاب (الخطط التوفيقية) للعالم المؤرخ على باشا مبارك .

ووالدي المغفور له الشيخ محمد هارون انذى كان قاضياً لقضاة السودان . أقرأ من مؤلفاته (تلخيص الدروس الأولية في السيرة المحمدية) في جزأين كانا مقررین علينا في السنتين الأولى والثانية الأوليتين في جميع المعاهد العلمية الدينية ، وكنت أحفظهما عن ظهر قلب ، وله أيضاً كتاب (دروس في آداب اللغة العربية) .

ومما استرعى نظري بعد ما شلوت أني وجدت له تحقيقاً سابقاً لأوان التحقيق ، وهو تحقيق كتاب (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) لابن أبي الدبيع الشيباني .

أما أخى الأكبر محمد أبو الفضل فقد قام بصنع حاشية لكتاب جدّى
(عنوان الظرف) ..

هذا هو الفضل الروحى الذى أوحى إلى أن أقتدى بهؤلاء القوم .
أما الفضل العملى فى انغماسى فى هذا التيار ، فهو فضل أخى (محمد أبو
الفضل) الذى كانت له مكتبة فى المنزل جمع فيها مختارات جيدة من
الكتب الأصلية التى كانت تظهر فى ذلك الوقت ، وكان يشجئنى على
قراءتها ويحملنى على حضور مجلسه للمذاكرة مع إخوانه ، وأذكر أنه كان
قد رصد لى مكافأة (ساعة جيب) أحصل عليها إذا أتممت حفظ المعلقات .
وفى تلك السن المبكرة حفظت المعلقات السبع مع شىء من شروحها فى نحو
ثلاثة أشهر فقط حفظاً جيداً . وهذا فتح أمامى باب الولوع بالأدب واللغة ،
وباب التفكير فى التأليف .

أما المؤثرات فى استمرارى فى عالم التأليف والتحقيق فهو النجاح الذى
لقيته فى إخراج كتابى (الحيوان للجاحظ) و (مجالس ثعلب) حصلت بهما
على الجائزة الأولى للتحقيق العلمى سنة ١٩٥٠ م ، من مجمع اللغة العربية ،
فكان هذا أمراً مشجعاً وحافزاً على أن أستمّر فيما عزمت عليه من قبل .
وهو تحقيق ونشر « مكتبة الجاحظ » التى بلغ عدد مجلداتها ١٨ مجلداً ، وهى
الحيوان فى ثمانية ، والبيان فى أربعة ، والرسائل فى أربعة . والعميان
والبرصان فى مجلدين .

ومن هذه العوامل أيضاً قلة عدد الذين كانوا يشتغلون بالتحقيق اشتغالاً
جاداً ، إذ كانوا فى جيلنا لا يتجاوزون أصابع اليدين ، وفى مقدمتهم المغفور
له الشيخ أحمد محمد شاكر ، والأستاذ محمود محمد شاكر ، والأساتذة
مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى ، ومحمد أبو الفضل
إبراهيم ، والنسيد أحمد صقر ، فكنا جميعاً كالجناد الذين تركوا وحدهم فى

الميدان يدافعون عن الحوزة ، وكنت ممن آثروا الصمود في هذه الجبهة .
ولله الحمد .

خزانة الأدب :

* * عن « خزانة الأدب » .. ماذا تم في إكمال تحقيقه ؛ وقد حققتم الجزء الأول منه سنة ١٩٢٨ م . وماذا في نيتكم غير هذا المصدر ؟

* بين يدي الآن الجزء العاشر من خزانة الأدب للبغدادي أسعى جاهداً في تحقيقه وإعداده للنشر ، وبظهوره إن شاء الله يبقى من الخزانة جزءان ، منهما نصف جزء لبقية النص ، والباقي للفهارس الفنية للخزانة ، كما أن بين يدي مطبوعاً نادراً لم أعثر على مخطوط له ، وهو كتاب (مجموعة المعاني) لمؤلف مجهول ، وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ ، أي منذ قرن كامل ، وهو يُعدّ في كتب الحماسات الجيدة الاختيار النادرة النصوص .

وهذا كله غير الإشراف على إعادة الطبع لبعض كتي التي تحتاج إلى الإعادة .

تحقيق لغوى فى مادة (تلمذ) (*)

لعل كلمة « تلميذ » من أكثر الكلمات دوراناً فى دور العلم ومعاهد الدراسة ، وهى من الكلمات التاريخية التى دخلت فى أطوار مختلفة من الدلالة حتى استقرت الآن فى معنى طالب العلم . بيد أن تأصيل هذه الكلمة وبيان مشتقاتها وجموعها يحتاج إلى توضيح وتوقيف . وقد كنت قديماً على أن أكتب فيها تحقيقاً شاملاً ، ولكى وجدت رسالة البغدادى فى هذا التحقيق من أولى ما كتب فى هذه الناحية ، فأثرت أن أجعلها تحفة للأدباء من قراء « المقتطف » تغنيهم عن التطلع إلى ما وراءها .

والبغدادى هو عبد القادر بن عمر البغدادى ، صاحب خزانة الأدب ، المولود فى بغداد سنة ١٠٣٠ والمتوفى بمصر سنة ١٠٩٣

ورسالته تلك التى ننشرها ، منها نسخة بالخزانة التيمورية ، وثلاث أخرى بخزانة دار الكتب المصرية . إحداها برقم ٦ مجاميع ش ، والثانية برقم ١٨١ مجاميع ، والثالثة برقم ١٢٢ مجاميع . وقد قابلت النسخ الثلاث الأخيرة بعضها ببعض ، ورمزت إليها بالرموز ا ، ب ، ح على ترتيبها . وأصح هذه النسخ وأكملها نسخة ب . وكل ما أثبتته بين علامتى الزيادة فهو منها .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين .

(أما بعد) فهذه كلمات ذكرتها لمعنى التلميذ ، فإني لم أجده هذه الكلمة

(*) نشر بمجلة المقتطف عدد مارس سنة ١٩٤٥ م .

مذكورة في كتب اللغة المتداولة . المدوثة (لبيان) الجليل والحقير ، وذكر
التقير والقيطيمير ، كالجهمرة لابن دريد ، والصّحاح للجوهري ، والمحكم
لابن سيده ، والعياب للصاغاني ، والقاموس لمجد الدين الفيروزابادي ،
وغيرها ، إلا في لسان العرب لابن مكرم ، فإنه أوردته في مادة (تلمذ)
وقال : « التلاميذ الخدم والأتباع ، واحدهم تلميذ » ، مع أنها كلمة متداولة
بين العام والخاص . وكثيرة الاستعمال في تأليف العلماء الأعلام .

وكان الباعث لهذا أنني لما قرأت كتاب مغنى اللبيب ، ووصلت إلى قوله
في الباب الخامس « حكى لي أن بعض مشايخ الإقراء أعرب لتلميذ له بيت
المنفصل »^(١) رأيت شارحه الفاضل إبراهيم بن الملا الحلبي^(٢) قال : « التلميذ
القارئ على الشيخ . ولم أقف عليه في شيء من كتب اللغة المتداولة كالصّحاح
والقاموس وغيرهما » . اهـ .

فحينئذٍ تتبع بطون الدفاتر ، من مصنفات الأوائل والأواخر ، حتى
رأيت في كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري ، فإنه ساق^(٣) فيه شعراً لليد بن
ربيع العامري الصحابي ، وفيه هذا البيت :

فالماء يجلو متونهم كما

يجلو التلاميذ لؤلؤاً قشياً^(٤)

وقال بعد إنشاد الأبيات : « التلاميذ غلمان الصنّاع . والقشيب والقشيب :

الجديد ، والجمع القشيب » .

(١) المنفصل للزمخشري في النحو . انظر شرح ابن يعيش (٢ : ٩٤) . والبيت هو :

لا يبعد الله التلبب والفسا رات إذ قال الخميس : نعم

(٢) هو إبراهيم بن الملا محمد الحلبي المتوفى سنة ٩٧٩ . ذكره في كشف الظنون .

وفي ١٠١ : « حكي » موضع : « الحلبي » تحريف .

(٣) ١ ، ٢ : « سبق » والصواب في ب .

(٤) البيت في ديوانه ص ١٤١ بشرح الطوسي . وفيه : « التلاميذ غلمان الصنّاع . .

التلاميذ فارسي » .

ورأيته أيضاً فى شعر أمية بن أبى الصلت، وهو شاعر أدرك النبى -
صلى الله عليه وسلم- ولم يوفق للإيمان به. وغالب شعره فى الوعظ وتذكير
الآخرة وقصص الأنبياء، وهو مما لا يكاد يقضى العجب منه. قال فى
قصيدة :

والأرض معقلنا وكانت أمنا
فيها مقامتنا وفيها نولدُ
وبها تلاميذ على قدُفاتها
حُبسوا قياماً فالفرائض تُرعدُ^(١)

قال شارح ديوانه : « التلاميذ الخدم ، يعنى الملائكة » .

وقال أيضاً فى قصيدة أخرى :

صاغ السماء فلم يخفض مواضعها
لم ينتقص علمه جهل ولا هرم
لا كُشِّفَ مرة عنا ولا بليت
فيها تلاميذ فى أقفائهم دعمُ

وأما قولهم فى جمعه « تلامذة » فعلى توهم أنه اسم أعجمى^(٢) ، فإن الهاء
فى الجمع تكون فى أحد ثلاثة مواضع : (أحدها) الاسم الأعجمى المعرب ،
سواء كانت للتعويض عن مدَّة^(٣) نحو أستاذ وأساتذة ، أم لا نحو موزج
وموازجة وكيلجة وكيا لجة . (ثانيها) للتعويض عن ياء النسب فى المفرد
نحو أشعئ وأشاعثة ، ومهلي ومهالبة ، وأزرقى وأزارقة . (ثالثها) للتعويض

(١) القذفات : جمع قذفة ، بالضم ، وهى الناحية .

(٢) كأن البغدady يذهب إلى أنه عربى .

(٣) ١ ، ٢ : « مدة » .

[إما] عن ألف خامسة جوازاً نحو حبنطى وجبانطة ، وعفرنى وعفارنة ، وإما عن [عين]^(١) مضاعفة نحو جبار وجبابة . وفي غير هذه المواضع الثلاثة قليل نادر كفحولة وحجارة .

قيل^(٢) : وقد يرخم التلاميذ في الشعر على تلام ، كقول الطرماع :

تتقى الشمس بمدرية كالحماليج بأيدى التلام

والحماليج : منافخ الصاغة الطوال . واحداها حملوج ، شبه قرن البقرة الوحشية بها .

قال الجواليقي في المعربات^(٣) : « التلام أعجمي^(٤) معرب ، قيل هم الصاغة ، وقيل غلمان الصاغة ، وقيل هم التلاميذ » وأنشد هذا البيت .

وأنشد ابن برى في حاشية الصحاح قول غيلان بن سلمة الثقفي^(٥) أيضاً :

وسربال مضاعفة دلاص قد أحرز شكها صنغ التلام

وروى : « التلام » في البيتين بفتح التاء وكسرها . أما الفتح فعلى أنه مرخم التلاميذ ضرورة . وقد اقتصر عليه صاحب الصحاح ، وقال : « التلام التلاميذ سقطت منه الذال » .

(١) كتبت كلمة « عين » في أ ، ح لكن جعل فوقها خط علامة على الخطأ . وإثباتها عين الصواب كما في ب .

(٢) أ ، ح : « قليل » وذلك على أنها متصلة بكلمة « حجارة » والوجه ما أثبت من ب كما يفهم من السياق .

(٣) المعرب للجواليقي طبع دار الكتب ص ٩١

(٤) أ ، ح : « قيل معرب » وكلمة : « قيل » مقحمة .

(٥) شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام . ترجمته في الإصابة ٦٩١٨ والأغاني (١٢ : ٤٣ - ٤٧) .

وصاحب الصحاح تابع في هذا لأبى على ، قال في المسائل العسكرية (١) .
« ومن قبيح الضرورة قول الشاعر :

* مثل الحماليج بأيدى التّلام *

قالوا : يريد التلامذة ، فحذف . وقد أعلمتك أن ذلك لا يكون على
الترخيم فيما تقدم . إلا أنه قد جاء من هذا النحو ما لا يكون في الترخيم
كقوله (٢) :

* دَرَسَ الْمَنَّا بِمَتَالَعِ فَأَبَانَ *

قالوا : يريد : المنازل . ومثل ذلك ما أنشدوه لأبى دُوَادٍ (٣)
الإبَادى :

فكأنما تُذَكِّي سَنَابِكهَا حُبًّا (٤)

قيل يريد الحياحب ، أى نار الحياحب . وفي التنزيل : ﴿ فَاَلْمُورِيَّاتِ
قَدْحًا ﴾ . انتهى كلامه .

وأما الكسر فعلى أنه جمع « تلم » بكسر فسكون ، بمعنى الغلام . قال
ابن مكرم (٥) : فن (٦) رواه : التلامي ، بفتح التاء وإثبات الياء ، أراد
التلاميذ ، يعنى تلاميذ الصاغة . هكذا رواه أبو عمرو ، وقال : حذف الذال

(١) المسائل العسكرية لأبى على الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ . نقل منها البغدادى نصوصاً
قيمة في مواضع شتى من الخزانة . انظر (٩/١ : ١٤-٦٢/٢ ، ٢٧٥ ، ٤٠١ ، ٥٢٢ -
٤٦/٣ - ٦٧/٤ ، ٧٣ ، ٥٨٢) بولاق . ١ ، ٢ : « مسائل العسكرية » تحريف .
(٢) هو لبيد بن ربيعة . والبيت مطلع قصيدة له في ديوانه ص ٦١ طبع في سنة ١٨٨٠
(٣) ١ ، ٢ : « أبو دُوَادٍ » بالهمز .
(٤) روى البيت في اللسان (١ : ٢٨٨) هكذا :

يذرين جندل حائر لجنوبها فكأنها تذكى سَنَابِكهَا الحبا

(٥) في لسان العرب مادة (تلم) .

(٦) في الأصل : « ومن » وصواب النص من اللسان .

من آخرها^(١) ومن رواه : التلام ، بكسر التاء ، فإن أبا سعيد قال : التلم الغلام . قال : وكل غلام تلم ، تلميذاً كان أو غير تلميذ . والجميع^(٢) التلام . وقال ابن الأعرابي : التلام الصاغة ، والتلام الأكرة . انتهى .
وأقول : « الصاغة » تصحيف من الصناع^(٣) لوقوعه في صحبه الحماليج .
ويدفعه البيت الثاني^(٤) .

وقال صاحب القاموس : « التلم ، بالكسر : الغلام ، والأكار ،
والصائغ ، أو منفخه الطويل^(٥) . والجمع تلام . وكسحاب : التلاميذ ،
حذفت ذاله . ولم يذكر الجوهرى غيرها ، وليس من هذه المادة [و] إنما
هو من باب الذال . انتهى .

أقول : أما قوله : « الأكار والصائغ » فقد أخذه من قول ابن الأعرابي ،
على أن الصاغة والأكرة بالتحريك جمع صائغ وأكار .
وأما قوله : « أو منفخه^(٦) » فقد أخذه من قول بعضهم ، وقد غلط
فيه .

(١) أسقط الغدادى هنا قول ابن منظور : « كقول الآخر :

لها أشارير من لحم تتمره من الثعالى ووخر من أرانيها
أراد من الثعالب . ومن أرانيها » وهذا البيت لأنى كاهل البشكرى ، كما فى اللسان
(٥ : ١٦١) .

(٢) فى الأصل : « والجمع » وأثبت ما فى اللسان

(٣) - فقط : « فى الصناع » .

(٤) يشير إلى بيت غيلان بن سلمة . ا ، « فى » مكان : « ويدفعه » بحرف .

(٥) ا ، « : » والصائغ » بالنون و « منفخة للطويل » صوابها ما أثبت من ب .

(٦) ا ، ج : « أو منفخة » بحرف .

نقل الأزهري عن الليث أن بعضهم قال : التلام الحماليج التى ينفخ بها .
قال : وهذا باطل ^(١) .

والعجب من صاحب القاموس ، أنه اعترض على صاحب الصحاح فى ذكره التلام فى باب الميم ، مع أنه أثبتته مثله ، ولم يذكره فى باب الذال .

(١) فى اللسان : « قال أبو منصور - وهو الأزهري - قال الليث : إن بعضهم قال . التلاميذ الحماليج التى ينفخ فيها . قال : وهذا باطل ما قاله أحد » .

الإبل وأثرها في الفكر العربي والبيان العربي(*)

قد يبدو هذا العنوان غريباً في أول الأمر ، ويقول بعض الناس : وما بال هذه الحيوانات العجم ؟ ! وكيف صار لها أثر في لغة يتناقلها الناس . ويزيدون في حياتها ونمائها بما يتحاورون به ويتحدثون ؟ ؟

يقولون ذلك ، وفاتهم أن لغة كائنة ما كانت إنما تخضع لعوامل شتى ، أهمها : البيئة ، بيئة المتكلمين بها . فالبدوى الأول تفتحت عيناه لنور الدنيا على بيت من الشعر أو من أبواب الإبل في صحراء مترامية الأطراف ، وكان طعامه وطعام أبويه من غيث السماء ، فإذا صوح النبت دفعه العيش إلى الرحلة على ظهور الإبل من بقعة إلى بقعة ليتجمع مربعاً جديداً . . وكان صاحب حروب وغارات ، فإذا جد الجد اعتلى الإبل هو ورهطه ودفعوها إلى انتهاب العدو واستلاب أشيائه .

وكان ينظر إلى ما حوله من ضروب الحيوان فلا يعجبه شيء مثل ما تروقه الإبل ، فهي أجدى عليه من كل الحيوان وأعظم فائدة . ففضلاً عما كان يفيد من ألبانها ولحومها وشحومها وجلودها وأوبارها . كان يحمل عليها ما لا يستطيع غيرها من أنقال . . ولها مع ذلك الاحتمال الشديد والصبر البارع . وإنها لتصبر على الظم الطويل لا تسوم صاحبها في ذلك مشقة الرى الرتيب . ومن المعروف عندهم أنها تحتل العطش ثمانية عشر يوماً . كما أن الإبل لا تشارك البدوى فيما يبتغى من ماء صاف نمر ، وإنما يعجبها الماء الكدر الذى يعزف عنه الإنسان . يقول الجاحظ : « الإبل لا تحب من الماء إلا الغليظ » . هذا إلى استطابتهم ألبانها وتفضيلهم لها على ألبان سائر الحيوان . واعتمادهم عليها في الغذاء . فقد كان التمر وألبان الإبل هما الغذاءان الرئيسان لمعظم القبائل العربية إلى يومنا هذا .

وهذه صورة ناطقة تدلنا على مبلغ إلف البدوى للإبل وتفضيله لها على سائر الحيوان . يروون أن ميسون بنت بحدل الكلبية - وكانت بدوية ذات جمال باهر - أعجب بها معاوية . فترّوجها وهيباً لها قصرأ منيفاً مشرفاً على غُوطَة دمشق . وزيّنه بأنواع الزخارف . ووضع فيه من أواني الذهب والفضة ، ونقل إليه من الديباج الرومي الملون والموشى ما هو لائق به . ثم أسكنها مع وصائف لها ، فجلست في رَوشنها يوماً وحولها الوصائف ، فنظرت إلى الغوطة وأشجارها ، وسمعت تجاوب الطير في أوكارها ، وتنسّمت نسيم الأزهار وروائح الثّوّار والرياحين ، فتذكرت نجدأ وأهله ، وحنّت وقالت فيما قالت :

لَبِيتُ تَخَفُّقَ الْأَرْوَاحِ فِيهِ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مَنِيْفٍ
وَلِبْسَ عِبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِبْسِ الشُّفُوفِ
وَأَكْلَ كُسَيْرَةٍ فِي كِسْرِ بَيْتِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكْلِ الرَّغِيفِ
وَأَصْوَاتِ الرِّيحِ بِكُلِّ فَجٍّ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَقْرِ الدَّفُوفِ
وَكَلْبٍ يَنْبَحُ الطَّرَاقَ دُونِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِطْطِ الْوَفِ
وَبَكْرٍ يَتَّبِعُ الْأَطْعَانَ صَعْبٌ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَغْلِ زَفُوفِ

فهى تمجّد البكر من الإبل وتنوّه به ، وترى أنه أثر عندها وألصق.

بنفسها من دواب أهل الحضر . وكان أحدهم إذا ضلّ له بعير بكى عليه وأسرف في النحيب . ومما يروى في هذا الصدد أن الأسود بن عبد يغوث كان له ثلاثة بنين ، كلهم قد قُتِل في وقعة بدر ، فلما ناحت قريش على قتلاها نهض عتلاؤها فيهم وقالوا : « لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم » . وكان الأسود هذا يحب أن يبكي بنيه ، فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة في جوف الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : « انظر هل أحيل النحيب ، وهل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلى أبكى على ولدى ، فإن جوفى قد احترق » . فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأة تبكى على بعير لها قد أضلته ! فقال الأسود عند ذلك من أبيات :

أبكى أن يضلّ لها بعيرٌ

ويمنعها من النوم السهودُ

فلا تبكى على بكرة ولكن

على بدر تقاصرت الجودود

ولحرص العرب على الإبل ومنحها شيئاً من القدسية . جعلوا لها نظاماً دينياً يحرمونها به في بعض أحوالها من أن تنالها سفار الجارز مطلقاً ، أو يسمحون بنحرها أو عقرها بشروط خاصة . أو يحرمون ألبانها أو ركوبها أو استخدامها في العمل ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ . وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ . وليس هنا مقام القول في تفسير هذه الكلمات : البحيرة والسائبة والوصيلة والحام . فقد فسرت هذه الكلمات على اثنين وثلاثين وجهاً ، ذكرها صاحب (بنوغ الأرب ^(١)) . .

(١) بنوغ الأرب ٣ . ٣٦ . ٤٠٠ .

فهذا التفكير الديني ينشأ عن سيطرة الإبل على أذهان العرب في جاهليتهم القديمة .

وفي المعجزات النبوية تنطلق الإبل لتحتل مكاناً مرموقاً . ويقصّر علينا القرآن الكريم أن قبيلة ثمود طلبت من نبيها صانح عليه السلام معجزةً تكون دليلاً على صدق نبوته واجتهدت مخيلتهم أن تبدع أقوى صور التعجيز ، فلم يجدوا فوق الناقة حيواناً أبدع آيةً وأشدّ وأعظم . فطلبوا خروج الناقة من الصخرة ، فأخرج الله لهم من جوف الصخرة الصماء ناقة ، وشرط عليهم شروطاً أرضيتها المؤمنون منهم ، أمّا المستكبرون فعتّوا عن أمر ربهم وعقروا الناقة - أي قطعوا قوائمها - فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جائعين .

وقد ورد ذكر هذه الناقة في القرآن سبع مرات ، وضرب العرب المثل في الشؤم بعاقرة تلك الناقة . واسمه قُدّار ، فقالوا : « أشأم من قدار » .

وأمر آخر يلقي ضوءاً على أثر الإبل في حياة العرب ، فلعظم شأنها عندهم جعلوا دية القتل عدداً خاصاً من الإبل يتراوح بين العشر والمائة والمئات . يُساق إلى أولياء القيل ، إمّا بالتقدم العاجل . وإمّا بنظام التنجيم والتقسيط . وهو ما سجله زهير بن أبي سلمى في قوله :

تعفى الكلامُ بالمشين فأصبحت

ينجمها من ليس فيها بمجرم

ينجمها قوم لقوم غرامة

ولم يهريقوا بينهم مِلَّ محجم

وجاء الإسلام بعد ذلك مؤيداً لقاعدة الديّة من الإبل ، وضم إليها في ذلك الذهب والفضة .

ومن عقائد العرب المتعلقة بالإبل أنهم كانوا يسمون « العَشَى » - أى عدم الإبصار ليلاً - « الهُدَيْد » ، فإذا أصاب أحدهم ذلك قصد إلى سنام البعير فقطع منه قطعة ، ومن الكبد قطعة أخرى وقلاهما وقال عند كل لقمة يأكلها ، بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فيا سناماً وكَيْدُ ألا اذهبَ بنا بالهُدَيْدُ
ليس شفاءً الهُدَيْدُ إلاَّ السَّنامُ والكَيْدُ

وكان العرب إذا كثرت إبل أحدهم فبلغت الألف فقتلوا عين الفحل ، فإن زادت على الألف فقتلوا العين الأخرى ، وسموا الأول المفقأ ، والثانى المعمى .

وفى هذا يقول الفرزدق :

غلبتْكَ بالمفقأ والمعمى وبيت المحتبى والخافقات

والناظر فى الشعر العربى يلمح ظاهرة جذيرة بالتأمل ، هى استعمال الإبل فى القسَم واليمين ، ولا يكادون يُقسِمون بغيرها من الحيوان . قال شاعرهم :

أما والراقصات بذات عِرْقٍ

ومن صلى بنُعمانِ الأراكِ

لقد أضمرت حبَّك فى فؤادى

وما أضمرت حباً من سواكِ

والراقصات هى الإبل التى تسير ضرباً من السير يسمى الرقص . وذات عرق : موضع .

وقال آخر :

حَلَفْتُ بِهَدْيٍ مُشْعَرٍ بِكَرَاتِهِ

نَحْتَ بِصَحْرَاءِ الْغَبِيَّ—ط درادقُهُ

البكرات : جمع بكرة . وهى الفتية من الإبل . وإشعارها : أن يجعل لها شعاراً بأن تطعن فى سنامها تمييزاً لها . لثلاثاً يستولى عليها . لأنها خاصة نالهدى .

ونحو هذا من القسم . كثير . كقول الآخر :

إِنْسَى وَرَبَّ الرَاقِصَاتِ إِلَى مِنَى

نَجْنُوبُ مَكَّةَ هَنْدِيَّهً مَقْلَدُ

وقوله .

أَمَّا وَالَّذِى حَجَّتْ لَهُ الْعَيْسُ تَرْتَمَى

لِمَرْضَاتِهِ شَعَثًا طَوِيلًا ذَمِيلَهُـ

وشىء آخر حمل العرب على القسم بالإبل وتمجيدها . هو أنهم كانوا جميعاً يعظمون البيت الحرام ويحجون إليه . ويسوقون معهم فى ذلك هديهم الذى يتقربون به إلى أوثانهم المنصوبة حول الكعبة . التى بلغ عددها حين فتح مكة ثلاثمائة وستين صنماً ، وكانوا يحتفلون بذلك احتفالاً ، ويرون فى الإبل أنها هى التى تُدْنِيهم إلى آلهتهم وتحملهم إليها . فكانها بذلك تشاركهم فى نُسُكهم وتُعِينهم عليه ، فكانت لذلك جديرةً بالتكريم . حقيقة بأن تعرض فى معرض القسم واليمين .

وهكذا نجد أن الإبل سيطرت زماناً طويلاً على تفكير البدوى . وفرضت نفسها أمام عينه وعقله . وعاطفته النفسية والدينية .

ونجد في القرآن الكريم آية تُشيد بالإبل إشادة عالية . وتستعلن عظم شأنها وعجيب خلقها ، وهي قول الله سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ وإلى السماء كيف رفعت ﴿ ، فقدّم الإبل على السماء وهي ما هي ! لأنّ الإبل من أعجب الخلق في طول أعناقها التي ترفعها فتتال بها أعالى الشجر ، وتخفضها فتجتث أصول العشب في باطن الأرض . وهذا السنام الذي جعل لها ذخيرة حين يعزّ الطعام ويقلّ الغذاء ، وهذه العين الحاملة الحليمة المعبرة ، وذاك الخفّ الذي يتواءم مع رمال الصحراء التي لا تستطيعها الخيل ولا غيرها من الدوابّ في السفر الطويل ، والرحلة المسهّبة ، إلى الطاعة العجيبة والانقياد للصبي الصغير .

وحينما حثّ القرآن الكريم على الحجّ ، رسم الصورة الواضحة للإقبال على الحجّ وتجنّب المشاقّ إليه ، فلمع جانب الإبل التي تخرق فيجاج الأرض العميقة ، أي مسالكها البعيدة الأعماق المترامية الآفاق ، وذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ .

وإذا عرّجنا على البيان العربي في ألفاظه وأساليبه ومعانيه ، وأمثاله وتشبيهاته ونصوصه ، فإنّ مجلدا أو مجلدين لا يكفيان لبسط القول في ذلك . ومما يجدر ذكره أن المستشرق الألماني : « دوهامر » جمع الألفاظ العربية المتعلقة بالإبل حسب طاقته هو ، فوصلت إلى خمسة آلاف وسبعمائة وأربع وأربعين كلمة . والناظر في كتاب المخصص لابن سيده يجد مصداقاً مذهلاً لهذا القول الذي اعتقد أنه مع ذلك لا يبلغ الاستيعاب وإن كان قريباً منه . وهذه ظاهرة فريدة لا نكاد نجدها في لغة أخرى .

من الألفاظ : الترين ، نفهمها بمعنى الصاحب والخليل ، ولا نكاد نفطن إلى أصل اشتقاقها . وأصل الترين الجمل أو الناقة تكون فيهما خشونة ، فيربط أحدهما إلى الآخر حتّى يلين أحدهما . ويسمى الجبل الذي يجمع

بينهما القَرَن . وهذا يطلعنا من زاوية جانبية على سابقة نفسية للعرب في سياسة الحيوان وتربيته . ومنها « الفَحْل » يطلق على الذكر من النخيل وكذا قولهم : استفحل الأمر . أى تفاقم واشتد . وتفحَّل فلان أى تشبه بالفحل وأصل هذا كله من الفحل ، وهو الذكر من الإبل . ومن ذلك قولهم : تجمَّل في المصيبة . أى اشتمل بالصبر وتكَلَّف العزاء . فصار بهذا شبيهاً بالجمال الصبور الذى لا يتزعج إلى شكوى . ومنه قول امرئ القيس :

وقوفاً بها صَحى على مطيئهم

يقولون لا تهالك أسى وتجمَّل

فهى نظير قولهم : تفحَّل . من الفحل . وتتمر . من النمر . وتذأب . من الذئب

ويقولون : « حرب ضرّوس » إذا كانت مُفطّحة مهلكة وخيمة العاقبة ، قال قيس بن الخطيم :

وإنى فى الحرب الضُّروس موكل

بإقْداء نفس ما أريد بقضاءها

وأصله من الناقة الضُّروس التى تعض بأضراسيها من دنا منها : وذلك لسوء خلقها .

ومن ذلك : المُخْضَرَم . وأصله الذى أدرك عصرى الجاهلية والإسلام . ثم أطلق من بعد على من أدرك عهدين متتاليين . واشتقاقه من الخُضْرمة . وهى قطع طرف الأذن . وكان أهل الجاهلية لما دخلوا فى الإسلام خضرموا آذان إبلهم . أى قطعوا أطرافها لتكون علامة لإسلامهم إن أغبر عليها أو حوربوا ، فكانت هذه العلامة حماية لإبلهم أن تصبح غنيمة فى الحرب .

ولا نزال نقول للرجل : ما حدا بك إلى كذا . أو نقول : يخذوه إلى

ذلك غرض شريف . وأصله من حذاء الإبل ، وهو سَوَّقُهَا بالتَّغْيِمِ والتَّطْرِيْبِ ونقرأ في كثير من القصص العربية قولهم : « ساق إليها صداقها » أى قدّم إليها مهرها ، وهذه العبارة تمت إلى الإبل بصلة وثيقة ، وأصل معناه أن يجعل مهر المرأة من الإبل ثم يسوق ذلك الصّدَاقَ إليها . ثم استعملت من بعد في تقديم أى ضرب من ضروب الصّدَاقِ كائناً ما كان .

حتى أسماؤهم كان للإبل نصيب فيها ، فمنها الأَعلَمُ : اسم عالم أندلسي جليل ، وأصله من البعير ، سمي بذلك للشقّ الذي في مشفره الأعلى ، قال الجاحظ ، « وكل بعير فهو أعلم » . هكذا خلقة البعير .

ومنها الرِّفْيَانُ : اسم شاعر وأصل الرِّفْيَانُ الناقة السريعة .

ومنها جِرَانُ العَوْدِ : اسم شاعر أيضاً . والعود : المسن من الإبل . وجِرَانُهُ : مقدم عنقه ، ومنها « بَكَرٌ » و « أبو بكر » في الكنية . وأصل البكر الفتي من الإبل .

ومنها « جَرِير » شاعر معروف . وأصل الجرير الحبل يكون في عنق الدابة أو البعير .

و « دِعْبِل » الشاعر الرقيق . أصل تسميته من الدعبل . وهي الناقة القويّة ، وكذلك « مُصْعَب » هو الفحل من الإبل . ومنه مصعب بن الزبير القائد القرشي المعروف ، الذي أجهدَ عبد الملك بن مروان زماناً طويلاً في العراق .

ومن أعلام نسائهم « هند » ونحن نعبر بهذا الاسم دون أن ننظر في اشتقاقه أو ننظر فنظنته يمت بصلة إلى أمة الهند ، وإنما الهند والهنيدة اسم للمائة من الإبل خاصة . قال جرير :

أعطوا هنيئدة يحلّوها تمانية

ما في عطائهم من ولا سـرُف

فالعربيّ يسمى بنته هنداً ينظر إلى أنّها له بمثابة مائة من الإبل .
حتى شوال ، اسم هذا الشهر للعربي ، سمي بذلك لأن الإبل كانت
تشول ألبانها فيه ، أي ترتفع وتقل .

* * *

وهنا ننتقل إلى ينبوع فياض من ينابيع الثروة أهدتها الإبل إلى اللغة
العربية ، ذلك الينبوع الذي يفيض بالتشبيهات والأمثال .
فقد شبه العرب الشابّ القويّ الجسم بالفتيق ، وهو الفحل القويّ من
الإبل قال :

فيا ضَيْعَةَ الْفَتِيانِ إِذْ يَعْتَلُونَهُ

بِبَطْنِ الشَّرَرَى مِثْلَ الْفَتِيقِ الْمُسَدِّمِ

عتله يعتله : جرّه جرا عنيفاً فحمله ، ومنه العتّال . والمسدّم من الإبل :
المسلود فيه خوفاً من عضاضه .

ورأى عنتره أن انبثاق الدم من فرائص غريمه ، له صوتٌ شبيه بصوت
شِدْقِ البعير . فقال :

وَحَكِيلُ غَانِيَةِ تَرَكْتَ مَجْدَلًا

تَمَكُّو فَرِيصَتَهُ كَشِدْقِ الْأَعْلَمِ

وحين أرادوا أن يشبّهوا رجلاً متعباً وجدوا له مثلاً في البعير المحسّر
المجهّد :

يَعِينُ نِسَاءَ الْحَيِّ مَا يَسْتَعِينُهُ

وَيَمْسِي طَلِيحاً كَالْبُعِيرِ الْمَحْسَرِ

* * *

وضربوا مثلاً لمن عظم جسمه وضعف عقله فقالوا :

لقد عَظُمَ البعيرُ بغير لَبٍ

فلم يستغن بالعظم البعير

وقد مثل الله عز وجل للشر الذي يتطاير من نار الجحيم بالجمال الصففر
الألوان فقال : (إنها ترمى بشرر كالقصر * كآنة جيمالة صفر) .
شبه الشر بالجمال الصففر في ألوانها ، وفي متابعتها واختلاطها حيناً آخر .
حين تنفرد وتشرّد .

وإذا أراد العرب التسوية بين شخصين في الشرف والفضل قالوا :
« هما كركبتَي البعير » فإنّ إحدى ركبتيه لا تقع على الأرض قبل الأخرى .

وجعلوا من نبذه الناس وأولوه سُخْطَهُمْ وجَمَوْتَهُمْ شبيهاً بالجمال
الأجرب الذي يُعَالَجُ بالقار ، ومن ذلك قول النابغة الذبياني للنعمان :

فلا تتركنتي بالوعيد كأنني

إلى الناس مطلى به القار أجرب

وقالوا في أمثالهم : « أحقد من جمل » و « أصول من جمل » . وهذا
يفسر لنا تلك الدهشة العصبية التي لحقت أبا جهل عندما حمل الحجر الثقيل
يريد أن يضرب به رسول الله وهو ساجد ، حتّى إذا دنا منه نكص على
عقبه منهزماً ، مذعوراً منتفع اللون ، قد يبست يداه على حجره حتّى
قذف الحجر من يده . وقامت إليه رجال قريش فقالوا : مالك يا أبا الحكم ؟
قال : « قُمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة » ، فلمّا دنوت منه عرض
لى دونه فحل من الإبل ، لا والله ما رأيت مثل هامته وقصرتة ولا أنيابه
لفحل قط ، فهمّ بي أن يأكلني ! « فأبو جهل لم يعرض له جنّي » ،
ولا تعرضت له غول تخيفه وتُرهبه . وإنّما غلب على مخيلته شيء أقوى
من ذلك : هو صورة الفحل الصائل قد فغر فاه ليأكله . ولا غرو فالفحل

الباطن يجتهد في إظهار أقوى المؤثرات السالفة لدى الشخص عندما يتغلب على القوة الواعية .

ومن أمثال العرب قولهم للرجل لا يحكم أمره ولا يسير على هدى وحزم : « يخبط خبط العشواء » . والعشواء : الناقة لا تبصر ما أمامها . فهي تخبط ما مرت به بيديها ، لأنها ترفع رأسها ولا تتعهد مواضع أخفافها . فيقعن حيثما وقعن .

ومن أمثالهم الخالدة : « لا ناقة لي في هذا ولا جمل » يريد أنه يرى كل البراءة بعيداً عن التهمة : وأنه لا دخل له فيما وقع القوم فيه من شروفتة .

ويقولون : « ألقى حبله على غاربه » أى تركه يذهب حيث يشاء . أو أهمله . كما يقولون : « هذا من باب إلقاء الحبل على الغارب » . وليس للرجل حبل يلتصق على غاربه ، وإنما هو مأخوذ من الإبل ، إذا أرادوا إرسالها إلى المرعى ألقوا حبالها على غواربها . ولم يدعوها ساقطة على الأرض فتمنعها الرعى .

وغارب البعير : ما بين سنامه وعنقه .

• • •

ومن الكنايات التي كان يستعملها العرب في ألفاظ الطلاق قولهم للمرأة : « حبلك على غاربك » أى اذهبي حيث شئت فأنت طالق ، وقد جعل الإسلام هذا النوع من الألفاظ موجباً للطلاق البائن .

• • •

وقد ضرب القرآن الكريم دخول الجمل في سم الخياط مثلاً للاستحالة والبعد فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ ﴾

وسمّ الخياط هو ثقب الإبرة . ودخولُ الجمل ، وهو ما هو في العظم ، في ذلك الحيز الضيق هو منتهى الاستحالة .

* * *

ولم يتخلّ الحديث الشريف من التشبيهات المستمدة من وحى الإبل ، فمن مشهور الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : « تجدون الناس بعدى كإبل مائة ليس فيها راحلة » . والراحلة : البعير النجيب القويّ على الأسفار والأحمال . يريد أنه يندّر منهم المستوى الصالح الممتاز في الخلق والدين ، كما أنّ الراحلة النجبية الممتازة تكون نادرة قليلة في الإبل الكثيرة .

* * *

وفي الخطب نلمح في خطبة الحجاج في أهل العراق ، كلمات مستوحاة من الإبل ، إذ يقول في بعض القول : « أمّا والله لأخونكم لحو العصا ، ولأعصبتكم عصب السلعة ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل » . ويقول في خطبة دير الجماجم : « إذ ولّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها ، النوازع إلى أعطانها » .

* * *

وفي أغراض الشعر المختلفة كان للإبل نصيب كبير . ولعل في وصف طرفة في معلقته للناقة في نحو ثلاثين بيتاً ، أى في نحو ثلث معلقته ، شاهداً يبيّن عن إيغال العرب وعنايتهم العجيبة بالأخيلة والصُّور التي تتعلق بالإبل وتناول أعضائها بالتصوير الدقيق ، ومعلقة طرفة من الشهرة بحيث لا يحمل في هذا الحديث الموجز أن نذكر نماذج منها في هذا الصدد . وليت شعري إذا عمدَ طرفة إلى صفة إنسان أو إنسانة أكان يستغرق قوله مثل هذا العدد من الأبيات ؟ !

وفي فن المديح لم يكن للشاعر العربي القديم مندوحة عن أن يصف الناقة

التي أمضى عليها الرحلة إلى الممدوح . وفي شعر الأعشى والتابعة من ذلك نماذج كثيرة معروفة .

وكان العرب يؤثرون الناقة على الجمل في أسفارهم ، لأنّ الناقة بطبيعتها ميطوعة سلسة القيادة ، وكانوا يستغلظون البعير ولا سيما في السير الطويل ، لصلابة جسمه وصلابة سيره ، ومن شواهد ذلك ما رواه ابن إسحاق من قول أبي جهل لعيّاش بن أبي ربيعة ، وهما في سفرهما : « والله يا أخى لقد استغلظت بعيرى هذا ، أفلا تُعقّبني على ناقتك هذه » .

أمّا نسائهم فكان يُحمّلن على الجمال ، لأنّ السّوق بهنّ يحتاج إلى الرفق ، فلا تلائمن سرعة النوق الموحّاء ، وكان الجمل أثبت وأضبط سيراً فخصّوهن بذلك حرصاً عليهنّ ، وهذا هو سرّ قول امرئ القيس :
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً

عقرت (بعيرى) يا امرأ القيس فانزل

حيث قال (بعيرى) ولم يقل « ناقتى » .

ودخلت الإبل في الهجاء كما دخلت في المديح ، يهجو أحدهم صاحبه بيسمن إبله ، لأنّ الإبل لا يظهر سمها إلا إذا بخل بها صاحبها ففنع لبنها ضيفته وجاره :

لقد سمّنت قعدانكم آل حذيم

وأحسابكم في الحى غدير سمان

ويهجو أحدهم قبيلة بأنّها لا تسقى إبلها إلا بعد انصراف الناس عن سقى إبلهم . وذلك لضعفها وقلة سطوتها . وأنّها لا تستطيع مدافعة الناس والخروج إلى الصّف الأول . وذلك قوله :

ولا يتردون الماء إلا عشية

إذا صدر الورّاد عن كل منهل

وفي الغَزَل نجد نماذج تُذكر فيها الإبل ، منها قول امرئ القيس :

تقولُ وقد مالَ الغبيطُ بنا معاً

عقرتَ بعيري يا امرأ القيسِ فانزلِ

فقلت لها : سيري وأرخي زمامه

ولا تبعدينى من جنائك المعلن

ويقول عروة بن حزام مسجلاً تضاربَ ما بين هواه وهوى ناقته :

هوى ناقتي خلقي وقد أوى الهوى

وإنسى وإياها لختلفانِ

هواي إمامي ليس خلقي مُعرج

وشوق قلوصي بالغدو يمانِ

وفي شعر الحنين نرى عمرو بن كلثوم يعلن أن وجدته على رحلة صاحبه ومفارقته له فوق وجد الناقة التي فقدت ولدتها ، فيقول :

فما وجَدْتُ كوجدى أمُّ سقبِ

أضلته فرجعت الحنينا

ويقول آخر في ذكر حنينه وحنين ناقته :

وحننت ناقتي طرباً وشوقاً

إلى مَنْ بالحنين تشوقي

ويقول آخر في ذكر حنين ناقته ، وهو بلا ريب إشارة إلى حنينه هو أيضاً :

تحنن إلى أهل الحجاز صبايةً

وقد بُت من أهل الحجاز قرينها

فيا ربّ أطلق قيدَها وجريدَها
فقد راع أهلَ المسجدين حينئِها

* * *

هذا قلّ من كثر ، وصورة "مصغرة" نلمح بها أثر هذا الحيوان في لغة العرب ، وهو أثر خالد سيبتي بقاء الدهر ، ما دامت الدنيا ، وما دامت الصحراء ؛ ولن يمحوه عجيج السيارات ولا أزيز الطائرات .

عبد السلام محمد عارون
جامعة الكويت

الفصح بين اللغة والتاريخ (*)

الفصح كلمة براءة ، هي في ظاهرها عربية النسيج ، جارية على الوزن العربى ، تنثر بين مئات الألفاظ العربية وآلافها فلا تحس لها بغرابة ، ولا تشعر برية في عروبتها وأصالتها . ذلك لأن مادة (ف ص ح) من المواد الأصلية الواسعة الاشتقاق .

فنها : الفصاحة ، والإفصاح ، والتفصيح ، والفصيح من الناس ، ومن الدواب ومن الألبان . وأفصح الصبح ، وأفصح القمر ، وأفصحت الشاة . وفصّحك الصبح . وكذلك « الفِصْح » بمعنى اليوم الذى لا قَرُّ فيه .

وأصل معنى المادة ، كما يقول ابن فارس فى مقاييس اللغة : أن يدل على خلوص فى الشئ ونقاء من الثوب . من ذلك اللسان الفصيح : الطليق . والكلام الفصيح : العربى . وأفصح اللبن : سكنت رغوته . والرجل : تكلم بالعربية ... وفصح : جادت لغته حتى لا يلحن . وأفصح الصبح : بدا ضوءه .

وهذا كله لا يترك مجالا لدخول هذا الفصح فى نسيج المادة العربية ، التى قد ترفض هذا الخيط . وهذا هو الإحساس الصادق الذى جعل ابن فارس ، وهو من هو . يقول فى هذه المادة « ومما ليس من هذا الباب : الفصح : عيد النصارى » .

وهذا مما يسمو بقدر ابن فارس . ويدل على عمق نظرته ، التى قد يستهين بها بعض الباحثين ، فإحساسه هذا الذى انفرد به من بين اللغويين جميعاً ، يسجل له صفة العملاق فى الإدراك اللغوى والإحساس الدلالى .

وقد كنت على موعد من تحقيق هذه الكلمة وتأصيلها منذ ست وثلاثين سنة على وجه التحديد ، وأنا بصدد تحقيق الجزء الرابع من كتاب الحيوان للمجاط حيث وردت كلمة « الفصح » في الصفحة ٤٣٢ إذ أثبت أنها ليست عربية ، وقلت إنها معربة عن العبرية ^(١) من كلمة « ييسح » .

وهو تحقيق غاب أمره عن علماء اللغة وأصحاب المعجمات قاطبة . وذلك بتبعية لقدر كبير من أمهاتها وأصولها ، تتبعاً تاريخياً يمتد من عهد ابن السكيت المتوفى سنة ٢٤٤ إلى سنة ١٣٦٠ ؛ فإنني لم أجِد من نص على أنها معربة .

جاء في إصلاح المنطق^(٢) ما نصه : « وهو فصيح النصارى ، إذا أكلوا اللحم وأفطروا » . ذكر هذا في باب المكسور مما فتحتة العامة أو ضمته .

أما ابن دريد المتوفى سنة (٣٢١) فيقول : والفصح : عيد النصارى .
وقد عرفته العرب وتكلمت به . وقد أفصح النصارى ، إذا دنا فصحهم .
ويقصد بقوله : « عرفته العرب » أن الكلمة قديمة ليست بمستحدثة .
واستشهد ابن دريد لذلك بميث حسان الذى يقول فيه :

قد دنا الفصح فالولائد ينظم

—سراعاً أكلته المَرْجان (٣)

والقارابي (٣٥٠) في معجمه «ديوان الأدب ١ : ١٧٩ يقول : «وهو فصيح النصاري» ، لا يزيد على هذا ولا ينقص .

وأما الأزهرى (٣٧٠) فليس في معجمه تهذيب اللغة ٤/ ٢٥٣ إلا ما نقل
عن الليث : « الفصح فطر النصارى » .

(١) الحيوان للمحافظ : ٤ : ٤٤٩ .

(٢) إصلاح المنطق ص ١٧٥ .

(٣) جمهورية ابن دريد - ٢ : ١٦٣ .

ثم نمشي ربع قرن إلى أن ندرك ابن فارس (٣٩٥) يقول في مقاييس اللغة : « وما ليس من هذا الباب — يعنى الاشتقاق السائد للمادة — الفصح عيد النصارى ، يقال أفصحوا : جاء فصيحهم » .

والجوهري المتوفى بعد ابن فارس بسنة واحدة أى (٣٩٦) وهو اللغوى المعروف بالدقة والتوثيق ، يقول فى الصراح : « والفصح بالكسر : عيد للنصارى ، وذلك إذا أكلوا اللحم وأفطروا . وأفصح النصارى ، إذا جاء فصيحهم » .

ويطل علينا من بعد ذلك الإمام محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨) فى أساس البلاغة لينغم بنغمة جديدة لا تخرج عن نطاق اللحن الأول فيما يخص جوهر الكلمة ، وهو قوله : « وجاء فصيح النصارى ، أى يومُ بروزهم إلى معييدهم » .

لكنه يزيد على ما قاله من سبقوه ، قوله : « وهذا مفصحهم ، أى مكان بروزهم . قال ابن هرمة :

نصارى تأجل فى مفصّح

بيداء فى يوم سيملاجه^(١)

تأجلّ : تصير آجالا ، أى جماعات . ويوم السملاج : يوم الفطر ثم قال : « وأفصحوا : عيدوا » .

ثم نخطو خطوة واسعة إلى وفيات سنة ٧١١ فنجد ابن منظور فى لسان العرب يردد ما ذكره الجوهري من قبل فيقول : « والفصح بالكسر : فطر النصارى ، وهو عيد لهم » .

(١) م يرد هذا البيت فى ديوان ابن هرمة من تحف محمد جبار العيد .

وأفصحوا : جاء فصيحهم ، وهو إذا أفطروا وأكلوا اللحم .

وفى وفيات سنة ٧٧٠ نلقى الإمام الفيثوى صاحب المصباح يقول ما نصه : « فصيح النصارى مثل الفِطْر وزناً ومعنى ، وهو الذى يأكلون فيه اللحم بعد الصيام » . لا يردد فى هذا التفسير اللغوى إلا ما ذكره السابقون الأولون ، وإن كان قد ذكر لمعرفة وقته مقاييس حسابية دقيقة ، وضوابط منظومة وغير منظومة لصوم النصارى وإفطارهم . منها قوله :

إذا ما انقضى ست وعشرون ليلة

لشهرٍ هلالى شُباطُ به يرى

فخذ يوم الاثنين الذى هو بعده

يكن مُبتدا صوم النصارى مقررًا

ونمضى نحو نصف قرن إلى صاحب القاموس (٨١٧ -) لنستمع إليه وهو يقول فى تفسير كلمة أفصح : « والنصارى - أى أفصح النصارى - جاء فصيحهم ، بالكسر ، أى عييدهم » .

أما شارح القاموس الزبيدى (١٢٠٥ -) فيعلق على ذلك بقوله : « وهو نوروزهم ومعبيدهم » . صواب هذا : وهو يوم بروزهم إلى معيدهم التى وردت فى نص الزمخشري . ثم يقول الزبيدى : « وهو إذا أفطروا وأكلوا اللحم » .

وأما صاحب معيار اللغة . وهو ميرزا محمد على الشيرازى الذى فرغ من تأليف معجمه سنة ١٢٧٣ فإنه لا يخرج فى كلامه هنا عما ذكره صاحب القاموس .

وننتقل بعد هذا إلى الكتب المختصة بالتعريب كالمعرب للخوايى (٥٤٠ القرن السادس) وشفاء الغليل للنفاجى (١٠٦٩ القرن الحادى عشر)

والألفاظ الفارسية لأدى شير (١٣٣٣ - ١٩١٦ القرن الرابع عشر) فلا نجد شيئاً منها يعرض لذكره أو يحوم حول حماه ، وهذا يعد اعترافاً ضمناً بعروبة هذه الكلمة وأنها أصلية في اللغة العربية ، غير مستعارة ولا مجتلبة .

وأما « استنجاس » في معجمه فقد جعل هذه الكلمة من الكلمات المنقولة إلى الفارسية من العربية ورمز لها بالرمز : A .

وهذا كله ما دفعني أن أكشف عن حقيقة هذه الكلمة ، وأن أستعلن أصلها للمرة الأولى في حياتها .

والنتيجة التي أداني إليها البحث هي أن الكلمة عبرية الأصل ، دخلت في العربية منذ عهد سحيق ، باستيطان اليهود ومن تبعهم في الجزيرة العربية ، وممارستهم شعائرهم الدينية في أرجائها ما بين العراق والحجاز .

فحسان بن ثابت الأنصاري ، الذي عاش في الجاهلية ستين سنة وفي الإسلام ستين مثلها يقول في قصيدة يمدح بها الملك الغساني النصراني جبيلة ابن الأيهم ، آخر ملوك آل جفنة بالشام (ديوانه ٤١٥) .

قد دنا الفِصحُ فالولائد ينظّم

— من سراعاً أكلّة المرجانِ

يجتنين الجادى في نُقب الرّيبِ

— ط عليها مَجاسد الكتّانِ

ثم يقول :

ذاك مغنى من آل جفنة في الدهـ

ر وحقّ تعاقب الأزمـانِ

يعنى أن ولادتهم إذا اتّرب هذا العيد شغلن أنفسهن في الإسراع بنظم الأكاليل ، وهى العصائب المزينة بالجواهر . . والمرجان هو هذا الجواهر

الأحمر المعروف ، أو هو صغار اللاؤلؤ ، كما حققه ابن برى . يَجْتَنِينَ
الجادى : أى الزعفران ، كناية عن أنهم يَطْلِينَ بالزعفران ، فكأنهم قد
اجْتَنَيْنَهُ . والريط هنا : الثياب اللينة الرقيقة البيض . والمجاسد : القمصان .
ينعث ثيابهن .

والبيت الأول من هذه المقطوعة : « قد دنا الفصح » هو الشاهد الوحيد
الذى تمخضت عنه معاجم اللغة المشهورة المنشورة .

ولكنى بالبحث وجدت شواهد أخرى للفصح فى خارج نطاق المعاجم
أحفلها فيما يقول : يقول عدى بن زيد ، أشهر شعراء النصرانية فى الجاهلية
(ديوانه ١١٧) :

بَكُرُوا عَلَى بَسْحَرَةٍ فَصَبَحْتُهُمْ

بِإِنَاءِ ذِي كَرَمٍ كَقَعْبِ الْحَالِبِ

بَزَجَاجَةٍ مِلءِ الْيَدَيْنِ كَأَنَّهَا

قَنْدِيلُ فِصْحٍ فِي كَنِيسَةِ رَاهِبِ

ويقول أيضاً (ديوانه ١١٨) :

دُمِيَّةٌ شَافَهَا رِجَالُ نَصَارَى

يَوْمَ فِصْحٍ بِمَاءِ كَنْزٍ مُذَابِ

شَافَهَا : طَلَاها وَجَلَّاهَا . وَالكَتَرُ : الْذَهَبُ .

والتنمر بن تولى ، الشاعر المخضرم المعمر الذى أدرك الإسلام فأسلم وحسن
إسلامه ، كما يقولون ، ونزل البصرة ، ينشد له سيويوه فى كتابه (٢ : ٢٩ -
٣ : ٢٥٥) .

صَدَّتْ كَمَا صَدَّتْ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهَا

سَاقِي نَصَارَى قُبَيْلَ الْفِصْحِ صَوَامِ

والبيت في ديوان النمر من تحقيق نوري القيسى ص ١١٤ برواية «قوام». وهو يصف ناقة عرض عليها الماء فعافته.

ويقول إبراهيم بن هرمة . من مخضرمي الدولتين . وهو آخر من يحتج بشعره كما في الخرائطة (١ : ٨ - ١ : ٥ بولاق) . يقول مُطْلَقاً لفظ «الفصح» على المكان الذي يخرج إليه النصارى في عيد الفصح :

نصارى تأجَّـل في مَفْصَح

بيداء في يوم سِـمَـلَـجْـهـا

وقد انفرد الزمخشري في أساس البلاغة بهذا الشاهد الذي لم أعثر عليه في ديوان ابن هرمة المشهور حديثاً . فقد فات ناشره الفاضل .

أما كيف تسربت هذه الكلمة في خفاء إلى لغتنا العربية فإن البحث التاريخي سوف نهتدي به إلى هذا السر .

كان مفتاحُ اعتدائي إلى تحقيق هذه الكلمة ما ذا من معنى دينيٍّ ومناسبات دينية ترتبط بالصيام والإفطار عند المسيحيين ، وليس في المعجمات العربية ما يشير إلى أصل ديني غير الأصل المسيحي . فلم تعرف هذه المعجمات عيد اليهود . لكن كتب التاريخ والأدب تلقى ضوءاً على الفصح اليهودي .

ولعل أقدم من ذكر الفصح اليهودي من المؤرخين العلامة المسعودي المتوفى سنة ٣٤٥ : ذكر في كتابه التنبيه والإشراف^(١) فصح اليهود وفصح النصارى .

ونص على أن السنيهودس الأول بمدينة نيقية^(٢) من بلاد الروم ، اتفقوا

(١) التنبيه والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣

(٢) من أعمال اسطبول على البر اسرقى اجتمع بها آباء الملة المسيحية وكانوا ثلثائة وثمان عشر أنا يزعمون أن المسح عليه لسلام كد معهم في هذا النجم ، يافوت .

على أن يكون فصيح النصارى يوم الأحد الذى يكون بعد فصيح اليهود ،
وَألا يكون فصيح اليهود مع فصيح النصارى .

وقد تكفل الآلوسى فى بلوغ الأرب ١ : ٣٦١ بذكر أعياد اليهود
الخمسة نقلاً عن شهاب الدين الحموى فى كتابه عجائب المخلوقات ، وهذا
الكتاب ومؤلفه غير كتاب عجائب المخلوقات المتداول من تأليف زكريا
ابن محمد القزوينى . فذكر من أعيادهم « عيد الفصح » الذى يسمى أيضاً
« عيد الفطير » أى الخبز الذى لم يخبز . وهو محرم عليهم أن يأكلوا فيه
الخبز الخمر .

وبرجوعى إلى النسخة المترجمة من العهد القديم ، وجدت أول خيط
لهذه الكلمة فى سفر الخروج (الإصحاح الثانى عشر العدد - ٢٧) : « إنكم
تقولون : هى ذبيحة فصيح للرب الذى عبّر عن بيوت بنى إسرائيل فى
مصر لما ضرب المصريين وخلّص بيوتنا » .

ورجعت إلى النسخة العبرية من سفر الخروج . فوجدت المقابل لكلمة
الفصح هو : « بيساح » كما أن المقابل لكلمة عبر هو « پاساح » : فكلمة
الفصح عبرية النسخ ، واشتقاقها فيها من پاساح بمعنى عبّر :

وقصة العبور هذه يوضحها ما ورد فى سفر الخروج . من أن الصراع
الذى نجّم بين فرعون مصر وموسى عليه السلام حينما أراد أن يُنقذ
بنى إسرائيل من سوء العذاب ، أو أن يحمل فرعون على الإيمان بالله فى تسع
آيات إلى فرعون وقومه . وهى : العصا ، واليد البيضاء من غير سوء ،
وانحلال عُتْدَة لسانه . وهذه الآيات الثلاث لم يهتز لها فرعون بل سخر منها .
ثم خمس أخرى عانى منها فرعون وقومه دون الإسرائيليين ، وهى :

الطوفان والجراد ، والقمل . والضفادع ، والدم . وقد تكفلت كتب التفسير بتبيانها في تفسير الآية ١٢٣ من سورة الأعراف .

كما يقدم لنا سفر الخروج مراحل هذا الصراع مفصلة ، بدءاً من استجابة موسى عليه السلام للإسرائيلى الذى استغاثه على الذى من عدوه ، وهو المصرى الذى وكره موسى من بعد فقضى عليه ، وانتهاءً بخروج بنى إسرائيل وتعقب فرعون وجنوده لهم فى اليم بعد نجاتهم وإيمانهم فى اللحظة الأخيرة حين أدركه الغرق ، فى الوقت الذى تمت وتحققت فيه الآية التاسعة لموسى عليه السلام ، وهى انفلاق البحر لعبور موسى وقومه . كل هذا مفصل فى اثنى عشر إصحاحاً فى سفر الخروج من التوراة المشتمل على أربعين إصحاحاً .

والذى يعيننا هنا هو تاريخ هذا العيد وتقاليده عند الإسرائيليين ، ثم امتداده إلى المسيحية من بعد إلى يومنا هذا .

ويبدأ دخول بنى إسرائيل إلى مصر بدخول يوسف عليه السلام مع السيارة ، وهى القافلة التجارية المحملة بالبضائع ، فى مُنْطَلَقِهَا من أرض كنعان إلى مصر . حملت السيارة معها يوسف ، وباعته فى مصر بثمانٍ وخمسين دراهم معدودة . لرئيس شرطة فرعون ، فوطيفار الخصى . فأظهر يوسف من النجابة ومن صدق تعبيره لرؤيا الفتيتين اللذين سُجْنَا معه بعدَ مؤامرة امرأة العزيز ، ما حدا بفرعون أن يستدعيه لتعبير رؤياه فى البساتين والسنابل ، فبيَّعُ يوسف عليه السلام هذه الرؤيا أصداق تعبير ، ويمكن له فرعون فى بلاطه ويجعله على خزائن الأرض . وتأتى أعوام المجاعة ، وهى مجاعة عالمية كانت دعت إخوة يوسف إلى أن يهاجروا إلى مصر طلباً للقمح .

وقد ظهرت حكمة يوسف وتجلي حسن تدبيره فى معالجة هذه الأزمة التى أخذت بمخنق العالم ، فأعطاهم يوسف كفايتهم من القمح وطالهم بإحضار

أخيه ، وعادوا إلى أبيهم وقصوا عليه القصص ، ثم رجعوا إلى يوسف ومعه بنيامين . وكانت قصّة الصاع واحتجاز بنيامين ، ثم عودتهم بقميص يوسف إلى يعقوب الذي نقلوا إليه دعوة فرعون له ولنسله للإقامة في مصر إكراماً ليوسف ، فاستجاب يعقوب وهاجر مع أبنائه وعشيرته إلى مصر . واستمر بهم المقام فيها ٤٣٠ سنة كان بعدها خروجُ بني إسرائيل من مصر فِراراً من العذاب « يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم » خروجاً إلى الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً .

وتشير التوراة في الأصحاح الأول من سفر الخروج إلى أن الدافع إلى هذا التقتيل للأبناء الذكور والسكوت عن الإناث ، إنما كان منشؤه خشية المصريين من تزايد عدد الإسرائيليين في أرض مصر واحتمال انضمامهم إلى صفوف أعداء فرعون حين تظروا ظروف تدعو إلى الحرب .

وفي الإصحاح الأول من سفر الخروج : « ثم قام ملك جديد في أرض لم يكن يعرف يوسف - أي فرعون غير الذي كان على عهد يوسف - فقال لشعبه : هو ذا بنو إسرائيل شعب أكثر وأعظم منا . هلمّ نختال لهم لنلا ينموا فيكون إذا حدثت حرب أنهم ينضمون إلى أعدائنا ويحاربوننا .. فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرّوا حياتهم بعبودية قاسية ، في الطين والتّبين . وفي كل عمل في الحقل ...

ونعود إلى قصة أنواع العذاب الإلهي التي عانى منها المصريون ، وكان آخرها ما تشير إليه التوراة في السفر الثاني عشر من الخروج . وهو الضربة الأخيرة من العذاب . التي نجم عنها موت كل بكر في أرض مصر ، من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الأسير الذي في السجن . وكل بكر بهيمة . « وكان صراخ عظيم في مصر لأنه لم يكن بيتاً ليس فيه ميت . وهذا هو الرّحز الذي أشار إليه القرآن الكريم .

ويذكر أبو حيان في تفسيره ٤ : ٤٧٣ أنه مات من المصريين في ليلة واحدة سبعون ألف قبلى . وهذا ما دعا فرعون إلى أن ييأس من مناهضة العبرانيين ، وأن يبادر بدعوة موسى وهارون بالليل قائلاً : « اخرجوا من شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً » « سمح لهم بالخروج من أرض مصر إلى الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً » .

وهذه هي الأمنية التي كان يتطلع إليها بنو إسرائيل .

فكان من التدبير الذي سبق هذه الضربة حسب نصوص التوراة : أن موسى عليه السلام أمر بنى إسرائيل قبل ليلة العذاب أن تعد كل أسرة منهم للفصح في اليوم العاشر من شهر أبيب شاة صحيحة ذكراً ابن سنة : « تأخذونه من الخرفان أو من المواضع . ويكون عندكم تحت الحفظ إلى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر » (الأصحاح الثاني عشر) وأمرهم بذبح الفصح في عشية ذاك اليوم ، وأن يأخذوا من الدم ويجعلوه على القائمتين والعتبة العليا في البيوت التي يأكلون الفصح فيها وهم على أهبة الاستعداد . « أحذيتكم في أرجلكم ، وعصيتكم في أيديكم ، وتأكلونه بهجلة » .

فهذا الدم الذي طليت به أبواب بيوتهم جعل علامة واضحة ليعبر العذاب عنهم إلى بيوت المصريين . وهو ما أشرت إليه من قبل في كلمة « يسح » العبرية التي ترد بمعنى العبور ، أو القفز ، كما ترد بمعنى الذبيحة التي يضحى بها في عيد العبور أو عيد الفصح . .

وتقدر التوراة عدد الذين خرجوا من مصر بستمائة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد ، وصعد معهم لقيف من الغنم والبقر ، مواش وأفره جداً . وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر ملة فطيراً إذ لم تكن هناك فرصة لاختتماره . لأنهم طردوا من مصر على عجل ، فلم يستطيعوا تهيئة الزاد المعتاد ... وهذا هو السر في أن الإسرائيليين في هذا العيد محرم عليهم أن يأكلوا الخبز الخمير . احتفاظاً بالذكرى لتلك الحال التي خرجوا عليها .

أما موعد هذا العيد فهو سبعة أيام تبدأ من مساء الرابع عشر من أبيب حينما يكتمل البدر منيراً وضياءً ، إلى مساء الحادى والعشرين منه . وفى الليلة الأولى يذبح الفصح ، فى تقاليد معينة مشددة تكفلت بها التوراة يأكلون قياماً لابسين نعالمهم ، وعصيهم فى أيديهم ، ويسرعون فى تناول الطعام مشوياً « لا تأكلوا منه نيئاً أو طبيعاً مطبوخاً بالماء بل مشوياً بالنار ، رأسه مع أكارعه وجوفه ، ولا تبقوا منه إلى الصبح . والباقي منه إلى الصباح تحرقونه بالنار » .

ويعتقد اليهود أن النبي إيليا لم يمت ، بل هبت ريح عاصفة ورفعته إلى السماء ، وسينزل إلى الأرض لخلاصهم ، فى أول ليلة من ليالى العيد ، فهم يتركون له مكاناً خالياً على المائدة ويخصصون له كأساً مملوءة بالنبيذ الذى يتولى رب الأسرة صبه فى كتوس أفرادها وتقضى التقاليد عندهم أن يتولى أصغر أبناء الأسرة ملاحظة باب الحجرة ، يفتحه قليلاً فلعل النبي يكون واقفاً خلف الباب متهيئاً للدخول . . وإن كان يبدو أن هذا التفكير نابع من شدة الحرص اليهودى .

ومن عجب أن اللغويين العرب لا يعرفون الفصح إلا عيداً للنصارى ، مع أنه فى أساسه وأصله عيد لليهود . فما العلة فى هذا ؟

لقد اهتديت إلى شيء من السر فى هذا ، وهو أن الفصح اليهودى فى غالب الأمر ينتهى بالحج ، فوطنه الغالب أيضاً هو بيت المقدس ، فهو عيد غير ظاهر لدى جمهرة المسلمين . هذا بالإضافة إلى الانعزالية التى يحرص عليها اليهود . وأما فصح النصارى فليس له وطن خاص ، ناهيك بالمياصرة المسيحية . لهذا ظهر فصح النصارى ظهوراً وتعارفه العرب ... وفصح النصارى هو عيد قيامة المسيح فيما يعتقد النصارى .

والعرب قد شاركوا فى أعياد كثيرة ولا سيما أعياد الفرس كالنيروز والمهرجان .

والنيروز هو أول أيام السنة الفارسية ، وهى سنة شمسية ينتظم معها نظام الزراعة وتحصيل الخراج . فاستعاره العرب فى وقت مبكر جداً ينظمون به تحصيل الخراج .

وقبلهم استعاره المصريون منذ عهد دارا - فيما ذكره بعض المؤرخين^(١) استعاروه لرأس سنتهم الزراعية فى شهر توت ، كما استعاروا بعض رسومه وتقاليده التى ظلت ممتدة إلى عصر القلقشندى .

وكذلك المهرجان الذى يقع فى اليوم السادس عشر من مهرماه المقابل لشهر أكتوبر الرومى فى زمان الشتاء . يذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ص ١٨٤ أن بينه وبين النيروز ستة أشهر ونصفاً ، تكون أياماً مائة وخمسة وتسعين يوماً .

وكتب الأدب العربى حافلة بالأخبار والأشعار التى قيلت فى هذين العيدين .

كما أن كتاب التحف والهدايا لخالدين مفعم بالنصوص المتضمنة لهدايا النيروز والمهرجان .

ومن الأعياد التى شارك فيها العرب غيرهم عيد عاشوراء الذى يوافق العاشر من المحرم . يزعم القزوينى أنه عيد مشترك بين جميع الملل فيقول فى عجائب المخلوقات ص ٦٦ : لأنه تاب الله فيه على آدم عليه السلام ، واستوت السمينة على الجودى . وولد الخليل وموسى وعيسى عليهم السلام ، وبردت النار على إبراهيم . ورفع العذاب عن قوم يونس . وكشف ضر أيوب ، ورد على يعقوب بصره . وأخرج يوسف من الجب ، وأعطى سليمان

(١) كتاب تنوير الدكتور فؤاد عبد المعطى الصياد

ملكه . وأجيب زكريا حين استوهب يحيى . وهو يوم الزينة الذى غلب فيه موسى السحرة » .

ولا ريب أن هذه المزاعم لا تستند إلى أساس . ولكن الثابت المعتمد ما روى فى الأحاديث الصحيحة : أن النبى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجد يهودها يصومون عاشوراء فقال ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح . هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى .

فقال صلى الله عليه وسلم : « فأنا أحق بموسى منكم » فصامه .

أخرجه البخارى فى كتابى الصوم والأنبياء . كما أخرجه مسلم . وأبو داود . والنسائى ، وابن ماجه : أربعتهم فى كتاب الصوم^(١) .

ومن مظاهر المشاركة فى الأعياد ما نراه إلى اليوم من مشاركة المسلمين لإخوانهم المسيحيين فى الاحتفال بعيد مولد المسيح عليه السلام ، بل يكاد المترقون من المسلمين يسبقونهم فى ذلك .

ومن أعجب ما عثرت عليه فى كتاب التحف والهدايا للأديين نص^٢ يدل على مشاركة المسلمين قديماً لإخوانهم المسيحيين فى الاحتفال بهذا العيد . وهو ما كتب به الخمسين بن الضحاك إلى أحمد بن يوسف الكاتب وريز المأمور . كتب إليه يستهديه شمعاً ليستصبح به ليلة هذا العيد . كتب يقول :

وليلة ميلاد عيسى المسيح

ح قد طالبتنى بميثاقها

مهلى قدورى على نارها

وفاكهتى ملء أطباقها

(١) انظر الحديث وتخرجه فى الألب المختارة لكاتب هذا البحث - الحديث ٢٠٦

وبنت الدنان فقد أبرزت
 من الحذر تجللى لعشاقها
 فكن مهدياً لى . فذلك النفوس ،
 فجودك ممسك أرماقها
 نظائر صفراً غدت فتنة
 بلطف أنامل حذاقها
 ومثل الأفاعى إذا ألهمت
 وللرؤم زرقنة أحداقها
 ولم أر من قبلها أنفساً
 تذيب الجيوم بإحراقها
 وإن مرضت لم يكن برؤها
 بشىء سوى ضرب أعناقها
 وأما بعد فعسى أن أكون قد أفصح عن الفصح . وأظهرت سماحة
 لغتنا الحبيبة حين يطرقتها ضيف نقى الوجه سليم الإهاب . فتحتازه إلى
 ساحتها . وتضمه إلى عبرتها .
 ونكرم جارنا ما دام فينا
 ونشعر الكرامة حيث مالا

الدعوة للصلاة . . في أذان المؤذنين

كتاب مفتوح إلى وزير الأوقاف

السيد الجليل وزير الأوقاف المحترم :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

وبعد . . فلإني أكتب إليك هذا إثر سماعي لأصوات جماعة من المؤذنين في هداة الفجر ، حاولت أن ألتقط صواب الأذان من بينهم فلم أحظ بباطل .

وجدتهم جميعاً يدعون إلى الصلاة في صوت واضح . ولحن غير مستساغ . وقد ألفنا أن نسمع منهم هذا اللحن ، لا يكاد يسلم منه واحد من صغار المؤذنين أو كبارهم . وهو لحن خفي يمر على الأذان مروراً خاطفاً ، بوضوح تارة ، وبخفاء في أكثر الأمر .

وليس هذا من أخطائنا المحلية فحسب . فلإني قد سمعته كما سمعه غيري في كثير من الأقطار الإسلامية التي زرتها .

إن العبارة الدينية التي يطلب بها الإقبال على الصلاة ، والتي هي لب الأذان هي عبارة : « حيَّ على الصلاة حيَّ على الصلاة ، حيَّ على الفلاح حيَّ على الفلاح » وهذه العبارة ليست أمراً بإصدار التحية إلى الصلاة وإلى الفلاح كما يفهمها الجسهرية العنظمي من الناس أو من المؤذنين ، فإن هذا فهم خاطئ ! يأتي به كتاب أو سنة .

وأريد أن أوضح كما تعلم أن كلمة « حى » التى وردت مأثورة فى شعار الأذان إنما هى مفتوحة الياء المشددة كما تقضى به نصوص كتب الحديث الستة وغيرها . وكتب اللغة جميعاً ولا سيما كتب لغة الحديث . بالإجماع .

ولست فعلاً من أفعال الأمر كما يتبادر لغير العارفين ، بل هى كما يقول اللغويون والنحاة اسم فعل أمر . خاضعة للبناء على الفتح ، ومثلها فى ذلك مثل كلمة « هلم » التى هى كذلك اسم فعل أمر خاضع للبناء على الفتح لا يجوز غيره .

وإذن فنطقها بكسر الياء كسرّاً ظاهراً أو كسراً خفياً ، كما هو المعمود والمسموع فى نطق المؤذنين ، يعد مخالفة شنيعة ، ولحنا غير مقبول لأنه يغير المقصود من معنى الكلمة التى إنما يراد بها الدعوة اللطيفة الفصيحة إلى الإقبال على أداء هذه الشعيرة الدينية ، وليست من قبيل طلب أداء التحية للصلاة أو للفلاح فى شىء .

قال ابن الأثير فى النهاية : « وفى حديث الأذان : حى على الصلاة حى على الفلاح . أى هلموا إليها وأقبلوا وتعالوا مسرعين . ومثله فى سائر المعاجم .

لهذا أتوجه إليك مشاركاً لك فى وجوب إسداء النصيح بصورة حازمة إلى السادة القائمين بشعيرة الأذان أن يتوخوا صواب اللغة وصواب الأداء . بأن يظهروا فتحة الياء المشددة فى « حى » إظهاراً صريحاً واضحاً ، جرياً على ما كان عليه السلف الصالح من الحرص على سلامة اللغة العربية ، لغة الكتاب . .

ولنا أمل أن يذاع هذا التنبيه إذاعة مكتوبة عامة شاملة .

وبحكم منصبكم الرسمي في الوزارة نأمل كذلك أن تتكرموا بالاتصال
بالسادة زملائكم في جميع الأقطار الإسلامية ليقوموا بمثل ما ستقومون به
خدمة خالصة للدين ، ولغة الكتاب الكريم .

والله يحفظكم ويكلؤكم بعنايته .

عبد السلام محمد حارون

الأمين العام لمجمع اللغة العربية

اللغة العربية

صراع للعجمة - وفوز في المعركة(*)

إن التفاؤل الذي تسرى نشوته اليوم في أنصار اللغة الفصحى وحركات التطهير التي تنبعث من كل صوب ، تبغى القضاء على تلك الفوضى التي أصابت لغتنا الكريمة لما يبشر بازدهار الفصحى وتفوقها على العامية .

لقد كنا لسنوات مضت يستحي منا المتكلم أن يدخل القاف العربية في تضاعيف كلامه ، وهو إن تجاسر مرة ، وجهت إليه سهام السخرية ، ولكنه اليوم ينطق بها فخوراً ، وجرت القاف اليوم أيضاً على لسان الكريكات فزدها جمالاً ، اقترَب حين القضاء على تلك العجمة الساخرة .

ومبلغ الظن أن لغة لم تصب بمثل ما منيت به اللغة العربية في مصر . من تطفل العناصر الغريبة عليها . فتجد اللفظ التركي إلى المصري واليوناني . إلى الإيطالي والفرنسي والإنجليزي والفارسي والأسباني والفينيقي . وبعض اللهجات العربية الوضيعة .

ومرجع ذلك - فيما يظهر - إلى اضطراب حبل السياسة في تلك العصور الغابرة . وتواتر الغزوات والهجرات الطامعة في خصب مصر ونعيمها .

وقد كان داء العجمة مستنجلاً فيما مضى . إذ لم تكن هناك وسائل جديّة لمقاومته . فلم يكن له بد من أن يستطير وينشر ظله الثقيل في كل مكان

(٥) أول مقال منشور للمؤلف ، ظهر بصحيفة الأهرام بتاريخ ٢٢ من مايو سنة ١٩٣٥ . أي منذ ٥٣ سنة . وهو يسجل ظاهرة تطور سريع في لغة التخاطب المعتمدة ، ولا سيما استعمال القاف ومعالجة كثير من الصفات للأخطاء الشائعة . كما أن المقال تحية مكرمة لمجمع اللغة العربية في بدء نشأت سنة ١٩٣٤ م .

يحل به . وأضيف إلى ذلك ما طبع عليه المصرى من كرم وتسامح ، ولين جانب ، أطمع فيه ضيفه فألقى بأحمال لغته في تلك الساحة الكريمة ، ثم أبى أن يرحل بها !

أما الآن فهناك وسائل تتعاون جميعاً على تلك المقاومة . وتبدو لنا في تلك المدارس العامة المنتشرة في أرجاء القطر . وهى لو جرت على النمط القويم في معالجة ودائعها لنهض جيل يدور لسانه بلهجة طاهرة ، ومنطق سليم ، ولكن أمام المدرسة عقبات كأداء ، أهمها البيت .

فلغة البيت لها تأثيرها القوي في أعصاب أطفالنا وفتياتنا ، والبيت هو المعهد الأول الذى يثقف فيه الصبي لغته وكلامه . لذلك كان من الواجب الوطنى والقومى أن نقضى على هذا المرض بأنفسنا في بيوتنا ، وقد ذهب عصر الظلمة ، ونام أذنان العجمة العاجزون . ومما يؤذن بالنصر أن نرى البيت اليوم يطرح وراء جدرانها كثيراً من تلك الهمهمات المنقرضة ، لينفسح المجال لهذه اللغة الكريمة .

والصحف الذائعة منتخرة من مفاخر جيلنا ، ولها السلطان الأعظم على المتعلمين وتوجيههم نحو النصحى ، بدعايتها المستمرة ، وقذورتها الصالحة ، وقد خصص بعض منها صفحات محترمة للانتقادات اللغوية ، وهى وإن سارت أحياناً إلى حد الإسراف ، فهى ذات أثر بين في لغة الكاتبين . وقد كانت إلى عهد قريب تتسامح في نشر الإعلانات باللغة العامية . ولكنها اليوم قد أبعدت هذا التسامح ، وأبت عليها كرامتها أن تخط حرفاً عامياً إلا لضرورة قصوى . ومن دواعى الغبطة أن نشهد فلاحنا المصرى ذا الجلباب الأزرق . قد ضم إليه صحيفة يومية أو مجلة مصورة ، وهو لا جرم ، يختلط لسانه بكلمة أو كلمات مما قرأ في نشرها بين عشيرته وذويه ، رسالة طاهرة مباركة .

ودور الخيالة والتمثيل سلاح ، ولكنه اليوم ذو حدين ، ونرجو في

القريب أن يبقى على حد واحد يصرع تلك العجمة بماله من عظيم التأثير والمصريون من أصحاب تلك الدور لهم رقابة من أنفسهم على جهادهم الذى يكلل بالظفر . أما الأجانب فإعلى حكومتنا الرشيدة إلا أن تمدهم بترجمة اختصاصيين يعملون على إبعاد تلك المزعجات ، من هذه الأساليب الهلهالة ، والتعريب المضحك المبكى ، فإن أعجزها ذلك فلا أقل من أن يكون انتخاب هؤلاء تحت إشرافها ورقابتها .

والمطابع وسيلة فعالة ، وإن ما تقوم به دار الكتب المصرية من إحياء الآثار العربية ، لنجهود مثمر ، لكنه تعوزه السرعة فى الإنتاج ، وذلك لا يكون إلا بكثرة الأشخاص العاملين ، والكفيل به أن تزيد وزارة التعليم فى مخصصات هذه الدار حتى تضطاع بمهمتها . أما أمر المطابع الأخرى فن الخطأ أن يسند أمرها إلى قوم لا يعرفون الكتابة ، وهم إن عرفوها لم يتجاوز أحدهم بمعرفته أن يكتب سند التسليم والتسليم . ذلك شأن معظم أصحابها - وإن كان فيهم العالم الجليل ، والأديب الكبير ، والإمام الدينى - وفيه الضرر كل الضرر من تشويه معالم اللغة وتحويلها بحيث يخفى ذلك على الكثيرين .

فمن المستحسن إذن ألا تسمح الحكومة بإدارة مطبعة إلا لشخص حصل على ثقافة تؤهله لذلك . وكما تجتهد الحكومة فى محاربة المشعوذين والمحتالين يجب ألا تأذن بنشر تلك الكتب الوضيعة التى تفسد الخلق قبل أن تفسد اللغة ، وتلك النشرات التى تؤذى السمعة المصرية فى الخلق واللغة كذلك .

بقى أمران محدثان : أما أولهما فهو هذا (المذيع) الذى يطالعنا فى كل صباح ومساء بمحاولاته القبيحة فى هذا الجهاد اللغوى . وهو فتح جديد للغة الفصحى وودنا لو عنى المحاضرون بفحص ألفاظهم وأساليبهم ، فحسباً دقيقاً قبل إلقائها ، فإن من المؤسف حقاً أن نصغى إلى كتب من أكبر كتابنا ، أو أديب من أشهر أدبائنا فنرى الأخطاء تشيع فى كلامه . وهو هو القدوة المتبوع !

ومن الأمور الواجبة أن تؤلف لجنة فنية دائمة بمحطة الإذاعة ، تكون مهمتها الإشراف على لغة المحاضرات . أما مندوبو الحكومة فن السير أن تختبر محاضراتهم في إدارة المطبوعات ، وبها من جمهرة الأدباء من لا يستهان بشأنهم . وأما المذيعون بالمحطة وهم من صفوة الشبان ، فإنه لا يرصدهم أن يقال عنهم أنهم يخطئون في الكلام المعتاد .

أما الأمر الثاني فهو ذلك الاتحاد الشرقي ، المتمثل في الجمع اللغوي الملكي ، وهو سيف العربية القاطع في تلك المعجمة ، وقائدها البصير ، وهذه تباشر فجره يهلال لها أنصار الفصيحة . لكن دعايته إلى الآن لم تتجاوز إصدار الجزء الأول من مجلته ، ولم يعرفها إلا خاصة الخاصة وذلك لعسر طريقة الحصول عليها ، وأجدر بمجتمعنا أن يعمل على تذليل تلك العقبة . وفي اليقين أن هذه الدورة الثانية ستنتج إنتاجاً فعلياً له ما بعده ، وإن الجمع سوف لا يدع وسيلة من طرق الدعاية إلا تعلق بها .

هذه هي وسائل مقاومة العجمة . التي تحد من أفكار الكثير من كتابنا . وتذهب بمجهود أساتذة اللغة العربية أدراج الرياح . وإن يوم اليوم النصر لتخفق أعلامه الساعة فوق ربي النيل والفرات وبردى ، وسائر الأقطار العربية الشقيقة

عبد السلام محمد هارون

المدرس

المتخرج في دار العلوم

حول التيسير(*)

حقاً إن دراسة النحو العربى دراسة صعبة ، كما أن من الحق أن دراسة قواعد كل لغة عالية أمر صعب عسير المنال ، وليس الذنب ذنب هذه القواعد ، وإنما هو علو اللغة وضخامة شأنها واتساع مراميها وتشعب أساليبها .

لكن أقول : هل انفرد النحو العربى من بين العلوم التى نقدمها إلى أبنائنا فى التعليم العام بهذه الصعوبة ؟ وألم يوجد له نظير أو مثيل يتسم بمثل هذه الصعوبة ؟ !

الذى نعلمه حق العلم ويشهد به الحق ، أن هناك علوماً أخرى مما تقدمه إلى التلميذ ، تفوق النحو فى جفائها وقسوتها . ومع ذلك لسنا نسمع من ينادى بتغييرها . ويملاً الدنيا صياحاً وضجيجاً بضرورة هدم قواعدها ، أو تبديلها ، أو مسحها .

إليكم مثلاً دروس الحساب ، التى يتلقاها الناشء الصغير فى غضاضة ومرارة لا نجد لهما مثيلاً . ومسائل الحساب المعقدة التى ليس لها ضابط معين فى حلها وفك رموزها التى تعصف بوقت التلميذ ، وتقتضيه زماناً هو أبعد مدى وأطول أمداً من تلك السويغات التى يقضيها التلميذ فى دراسة النحو ، وتستنزف صبره إن لم تستنزف دمه .

واللغات الأجنبية التى نستعصى على الجمهور الأعظم من أبنائنا ، وكثير غيرها من العلوم التى نلقنها أبناءنا ، نلمح فيها كذلك صعوبة . وما أنشئت هذه المدارس وشيدت هذه المعاهد إلا لتعالج مشاكل التعليم ، وتعاون

التلميذ في التغلب على تلك المشاق ، وتذلل أمامه السبيل ليخطو بين صعابها في كفاح مشترك بينه وبين أستاذه .

كل هذا يحملنا على التساؤل عن أهمية هذا القدر اليسير من النحو ، الذي يتلقاه تلاميذنا في التعليم العام ، كيف لصقت به هذه التهمة دون غيره ، وكيف صور في هذه الصورة البغيضة التي تعقد لها المؤتمرات تلو المؤتمرات .

إنها عقدة الأجيال الاستعمارية البائدة . عقدة رجال العهد البائد . عقدة الدم التركي والأجنبي ، الذي حاول أن يقضى على النحو تحت ستار الإصلاح ، بل حاول أن يقضى على اللغة الفصيحة ، بل حاول أن يقضى على الكتابة العربية بإحلال الكتابة اللاتينية ، وألح في ذلك إلحاحاً ، وطال به العهد فلم ينل من ذلك مثلاً وخاب مسعاه وخسرت صفقته . ونسينا نحن لطول العهد هذا المحرك الأول لهذه الحملة الظالمة التي أدركنا طرفاً من زمنها . قضيناه في ألم الخائف . وخوف الشفيق . حتى ذهب عهده وولى إلى غير رجعة .

ولقد كان المخلصون من أبناء هذا البلد يدورون تلك الرغبات الخفية . ويقدمون من عصية أنفسهم وذوب عقولهم ما يلهثون به ذلك السلطان الغاشم ، ووجدنا في المغفور له الأستاذ علي الجارم مظهراً من مظاهر الإخلاص العميق لهذا النحو ، ومحاولة تيسيره في منهج مرتضى ، وصورة من صور الوفاء لهذه البلاغة العربية ومحاولة تيسيرها في أسلوب واضح .

ولكن كما قلت ، نسي الناس ذلك المحرك الأول وارتأبوا في أنفسهم وفي مقومات قوميتهم ، ووجدت تلك الصيحات البعيدة من يستجيب لها بعض الاستجابة ، واختلطت رغبة الإصلاح بتلك الرغبات القديمة ، حتى صار من العسير تخليص هذه من تلك . وظن بعض الناس أن كل لمعة من لمعات التغيير والتبديل إنما هي إصلاح وتجديد .

وفى خلال هذه السنين الماضية صدرت قرارات فى سنة ١٩٤٥ رضى عنها السلطان . تنحو بهذا النحو وجهة رآها الناس فى حينها متطرفة ، ولذلك لم تلبث أن وئدت فى مهدها . ولم تجرؤ أحد على تنفيذها ، لأن التيار العلمى العام وسلطان التيار العلمى العام أقوى من أن تصده تيارات خاصة مهما بلغت هذه التيارات من القوة والسلطان .

هذه كانت كلمة السلطان فيما مضى . وتلك كانت طريقة إرضائه فيما سلف من الزمان ، فن أحدث حدثاً جديداً رضى السلطان عنه ورضوا عنه ، وعد نابغة من نوابغ هذا الدهر .

ولكن كلمة السلطان فى عهدنا هذا قد أساء فهمها قوم وظنوا أنه يرضيه ما كان يرضى سلطان العهد البائد . وفاتهم أن سلطاننا اليوم عاقل مخلص لا يفرط فى حقوق قوميته ولا فى حقوق تراثه ، فلم يقل السلطان للعلماء إنه يسرّ بمسخ هذا التراث ، بل نادى السلطان بضرورة المحافظة على التراث الفكرى الإسلامى . وتولت الدولة فى رغبة صادقة ونشاط واسع إحياء هذا التراث والمحافظة عليه ، بل تولت إحياء ذكرى علماء هذا التراث ، واعترفت لهم بفضائلهم ونبوغهم . لأن دولتنا هذه دولة عاقلة .

فليس معنى تيسير النحو فيما رأى السلطان أن نقضى على قواعده الأساسية . وعلى اصطلاحات جمهور النحاة التى تشربتها الأجيال وسرت فى العروق والدماء . أعنى عروق التراث الإسلامى ودماء الثقافة العربية . فالترابط وثيق شديد الصلة بين علم النحو . والبلاغة . والتفسير ، والحديث ، والنقد الإسلامى . ونصوص الأدب العربى ، جاهلية وإسلامية . وبين كثير غيرها من فروع الثقافة الإسلامية . فكيف نصل التلميذ الذى ربى ونشأ فى ظل هذا النحو الذى غيرت فيه المصطلحات ، وبدلت فيه الأصول المعترف بها . كيف نصل هذا التلميذ بهذا التراث القديم إن شاء أن يتصل به ؟ ! إن لهذا التلميذ الحق كل الحق أن يتصل بهذا التراث . فكيف نحرمه من هذه

الحرية العلمية ، وبأى سلطان نحرمة من حرية مزاولته لهذه العلوم القديمة التى وضعت كلها فى ظلال موحدة ، وفى جو مترابط متآزر ؟ ! كيف يفهم هذا الطالب علوم آبائه وقد حرمانه من المبادئ الأولية التى تقوده إلى هذا الفهم وتثير أمامه السبيل إلى تلك الكنوز الفكرية الغالية ؟ ! إن مدرسة المستشرقين إنما قامت على هذا النحو الأصيل ، وإن من المؤسف أن نجد المستشرقين قد سبقونا إلى رعاية علومنا وتقديرها . وأن نلفيهم قد تقدّمونا بعشرات السنين ، وظهرت عيونهم على أمهات كتب النحو قبل أن تظهر عليها عيوننا . فكتاب سيبويه سبق إلى نشره المستشرق « ديرنبرج » مع تعليقات ومقدمة باللغة الفرنسية فى باريس سنة ١٨٨١م أى منذ تسعين سنة على حين كانت طبعته المصرية سنة ١٩٠٠م أى منذ ستين سنة .

وشرح المفصل لابن يعين نشره المستشرق « باهن » فى ليلك سنة ١٨٧٦م أى منذ ٨٤ سنة . ولم تره المطبعة العربية إلا منذ ٣٠ سنة^(١)

ومن قبل ذلك . وفى العصور الإسلامية الأولى تسابق الموالى والأعجم إلى تعلم النحو وتعليمه والتأليف فيه . وتسابقوا كذلك إلى صونه وحفظه والغيرة عليه .

وها نحن أولاء لا نرى اليوم بأساً أن نباعد ما بين أبنائنا وبين هذا النحو الأصيل فمجعل فوق عيونهم غشاوة تحول بينهم وبين إبحاره . ونحن فيما بين ذلك نتناسى حق عروبتنا وقوميتنا وراثتنا اللامع الضليع .

ماذا يفعل الطالب إذا أراد أن يتصل بهذا النحو الأصيل . هل يمسك بإحدى يديه مسنداً وبالأخرى مسنداً إليه ليجت عن الفاعل ونائبه ، ويتلمس أضواء التعرف على المبتدأ والخبر . واسم كان وخبرها واسم إن

(١) مضت عشرون سنة أخرى بعد كتابى لما تقدمه

وخبرها . ثم تربه الكتب القديمة الضمير في زيد قام واضحاً مطرداً على حين قد نهاه أستاذه في دنيا التيسير أن يتلمس هذا الضمير أو يلقي إليه البال . وهذا الطالب الذي استكمل التعليم العام . ماذا يكون موقفه إزاء الدراسة الجامعية المتخصصة . كليات الآداب بالجامعات وكلية دار العلوم والمعاهد العليا ، كيف يواجه الطالب ما فيها من دراسة مبيّنة تمام المبيّنة لما درسه في التعليم العام . دراسة يتلقاها على أيدي أساتذة لا يعترفون بهذا التبديل ، وفي مراجع قد وضعت فيها المصطلحات النحوية وضعاً متعارفاً عليه ولا سبيل إلى محوه وإزالته .

قد يقال إن على الجامعة وأشباه الجامعة أن تدرس منهجين متوازيين : أحدهما المنهج الأصل الذي تقوم عليه دراستها ناقدة ودارسة وباحثة . والآخر هذا المنهج المبسّل المشيأ . وهذا أمر مغرق في الخيال . فإنه يجب على الجامعة أولاً أن تؤمن بصحة ما تكلفه لأن الجامعة لا تساق ، وهي إن فرضنا إيمانها به أو بأشباهه لن نجد من الوقت ما يمكنها من تنفيذ الدراسات . لأن الوقت الذي انتزعت الجامعة إلى الآن لدراسة النحو لا يكفي لتحقيق منهج واحد بل ربع منهج واحد على وجه الصحة . لضيق الوقت وقلّة الأساتذة المختصين ، فكيف تكلف الجامعة دراسة إضافية تتولى فيها ترجمة المصطلحات وإعادة الأوضاع إلى نصابها .

ثم متى يدرس هذا المنهج الجديد لطالب الجامعة وهو مكلف منذ اللحظة الأولى أن يدرس الكتب الأصلية والنصوص العربية ، ويتولاها بالتحليل الأسلوبى على ضوء المصطلحات المتعارف عليها من قديم ، إلا أن يقال له : أمهلنا سنة أو سنتين حتى نصحح لك أوضاع النحو التي عرفتتها من قبل وتعلم أن المسند هو الذى يقال له فاعل ويقال له اسم كان أيضاً وحيناً يقال له اسم إن ثم يقلب له نحو نصف أوضاع النحو رأساً على عقب .

إن أمر متابعة الدراسة ليس مقصوداً على الجامعة وأشباهها . فتد

يريد بعض الدارسين أن يتابعوا دراستهم من تلقاء أنفسهم ، أو يستقوا كتب النحو الأصلية في مشاكل التعبير ، أو يرجعوا إلى كتب التفسير أو الحديث ، ليشبعوا رغبتهم العلمية . فكيف يتسنى لهم ذلك وقد نشأناهم تنشئة لا تمكنهم من الاتصال بهذا التراث الغني .

الحق أن تغيير المصطلحات النحوية مهما تكن نية الداعين إليه مما يعد جناية على علم أصيل يتسم بسمه دينية واضحة ، فإن من أهم الأغراض التي دعت إلى وضع هذا العلم ثم التبحر فيه وتشقيقه ، فهم كتاب الله وفهم حديث رسول الله . واستنباط الأحكام الشرعية من كل منهما . فهو الوسيلة الأولى إلى فهمهما وإدراك أحكامهما . فالتحويهم أمره كل مسلم بل كل عربي ، وليست المحافظة عليه إلا محافظة على أصول إسلامية وتراث إسلامي لا نظن أننا نستطيع التفريط فيهما أو نستطيع إغفالهما . لأننا لا نزال بحمد الله أمة مسلمة .

والحق أن القول بتبديل الاصطلاحات قول خطير . وبطلانه من الوضوح بمكان ، إلا أن يكابر مكابر ، أو يعاند معاند .

إننا نرحب بالتيسير المعتدل . ونرحب بالإصلاح المعقول وندعو إلى كل منهما ، لكن من الظلم البين أن نسمى هذا الضرب من التبديل الذي رأيناه في هذا النحو الجديد تيسيراً . لقد سبق إليه الطلاب سقواً ، ودفع إليه الأساتذة والمدرسون دفعاً . وأنت حين تسأل المدرسين خارج حجرات الدرس عن رأيهم في هذا الذي سمي تيسيراً . تراهم كارهين له ساخطين عليه . بل إن الذي أعلمه يقيناً ويعلمه الناس يقيناً أن كثيراً منهم يلجأ إلى الطريقة السرية في التعليم . ليزاوج بين ما يرضى عنه ضميره العلمي وما تقتضيه الأمانة للأجيال الصاعدة ، وبين ما يحتّمه عليه ما ينوء تحته من السلطان الوظيفي . وأجاهر فأقول : إن النحو الأصيل لا يزال يدرس حتى الآن وسيدرس بعد الآن على وجهه الذي ارتضاه العلماء ، وعلى الاصطلاح

الذى درجوا عليه ، ولكنه يدرس الآن فى مصر فى الخفاء وعلى طريقة التهريب العلمى . .

وأنت تسأل الآباء وأولياء أمور التلاميذ عن رأيهم فى هذا الضرب من التيسير وهم ألصق الناس بأبنائهم وأعرفهم بما يعانون من اضطراب فى دراستهم لهذا النحو ، فترى منهم السخط الشديد والكرهية الصارمة .
وتسأل التلميذ فتراه فى حيرة المضطرب وجمجمة الجاهل الشديد الجهل بما يلقى عليه من قول غامض .

لقد أخفقت ناحية التيسير هذه فى زاوية المسند والمسند إليه إخفاقاً رائعاً ، وأفسدت بذلك جمهور النحو الذى يدرس فى المدارس اليوم .

إننا لا نفهم تيسير الصعب بالأصعب منه ، ولم يقل أحد فى قديم الزمان أو حديثه : إن اصطلاح المسند والمسند إليه مما يعيه عقل الصغير . لقد كنا كباراً فى معهد دار العلوم ، وكنا نجد شيئاً من العنت فى فهم المسند والمسند إليه وتبادرهما إلى الذهن ، وكنا نفكر شيئاً من التفكير حتى لا نخطئ فى الإجابة عن تعيينهما ، وكنا من قبل فى المدارس الأولية القديمة نفهم لأول وهلة الفاعل والمفعول من الدرس الأول .

ثم ما الحكمة فى أن نجمع أبواباً شتى من أبواب النحو لكل منها فى النحو الأصل حكم خاص واضح كالفاعل ونائبه والمبتدأ وخبره ونسبها كلها باسم واحد ثم نعطى لهذا الاسم الواحد أحكاماً مختلفة يبحر فيها التلميذ .

المسند يكون أحياناً مرفوعاً ويكون أحياناً منصوباً ، ويكون مرة فعلاً ومرة اسماً وأخرى ظرفاً ، ويكون مرة جاراً ومجروراً . والمسند إليه يكون أحياناً مرفوعاً وأخرى منصوباً . فالتلميذ إن عرف المسند حار فى حكمه ، وإن وجد الحكم حار فى تمييز المسند من المسند إليه . وإن عرف السند إليه حار فى حكمه ، وإن عرف الحكم حار فى تمييز المسند من المسند إليه .

فأى خدمة قدمها هذا التيسير إلى هذا الصغير بإحلال هذا الاصطلاح المعقّد محل الاصطلاح السهل اللين .

لقد أخفقت ناحية التيسير كذلك في موقفها من الضمائر المستترة ، لإحلالها بموازين النحو وطرق ضبطه ، وسوق قواعده المنضبطة المتساوقة التي تقول بأن لكل فعل فاعلاً ولكل مبتدأ خبراً ، ولكل موصول عائداً . وهي قواعد من اليسر والانضباط في مكان ممكن .

وأخفقت كذلك في موقفها من الضمائر المتصلة وجعلها علامة لنوع المسند إليه . للأسباب التي ذكرتها من قبل .

وأما المكملات فهي إضافة عبء إلى عبء . فبدل أن يقال للتلميذ : هذا مفعول به ، قيل له : هذه تكملة بالمفعول به . وهكذا يساق القول في سائر ما يسمى بالمكملات . ولم يرض التيسير باصطلاح المفعول المطلق ، أعنى بهاتين الكلمتين السهلتين فقال : تكملة لتوكيد الفعل مع أنها تأتي أحياناً لتوكيد الوصف من اسم الفاعل والمفعول ، وحينما طبق في الكتاب الذي اعتمدته وزارة التربية أدخل فيه ما هو مبين للنوع .

ولم يعجب التيسير اصطلاح المفعول لأجله فرأى أن تكون تكملة لبيان السبب ، فأحل ثلاث كلمات محل كلمتين .

وأما الظرف فهو تكملة بالزمان والمكان ، والحال تكملة بالحال

ومن المؤسف حقاً أننا حين نطالع منهج اللغة العربية للمرحلة الإعدادية في ص ٥٢ نجد هذين العنوانين :

(أ) الأسس العامة . (ب) أسس تيسير المنهج في مصر .

ما هذا ؟ أيكون لمصر نحو خاص ولسوريا نحو خاص ؟ ! وما هي

الضرورة العقلية أو الاجتماعية التي تدفعنا هذا الدفع وتلح علينا هذا الإلحاح حتى نفصل هذا الفصل الثقافي بين بلاد شعب واحد وأمة متحدة ؟ !

نحن لا نشك في أن واضعي هذا المنهج رجال فاضلون مخلصون لغتهم ولقوميتهم ولكن التوفيق والسداد كثير أ ما يجانب الخلف ، فقد تخشى الأم الرعوم على ولدها لتنجيه عن خطر الرضاء فتوقعه بيدها في خطر النار .

سبق في التاريخ رجال فضلاء مخلصون أيضاً ، ولكن صعبهم كثير من التوفيق والسداد . وإن من درسوا النحو على كتب المغفور له حفي ناصف طيب الله ثراه ، والمغفور له الأستاذ على الجارم أكرم الله مثواه ، لا يزالون يذكرهم لهما فضلهم في خدمة النحو العربي وتيسيره وإساغته للدارسين . لقد كنا طلبة في هذه الدار : دار العلوم ، وكنا نعول أكثر ما نعول على هذين الكتابين النافعين . وأنا أعرف أن كثير آ من الدارسين لا يزالون يعترفون بهذين الكتابين اعترازاً أو يتخذونهما مرجعاً ميسراً .

إننا ننادى بتيسير النحو ، وبتيسير غير النحو . بل بتيسير كل صعب في هذا الوجود . ولكننا لا نغفر أن تمس أصول العربية استناداً إلى آراء بعض شذاذ النحويين ، وار تكاناً إلى آراء فردية لا تمت إلى مدارس ذات قدر موزون .

إن ابن مضاء الذي اتخذ إماماً في هذا التيسير رجل لا يكاد يعي ما يقوله في النحو . ونحن نقرأ كلامه حين يشن هجوماً عنيفاً على نظرية العامل ويتخيل أمامه ميدان حرب يصمول فيه ويجول ليقضى على كلمة النحويين : إن العامل يعمل في المعمول ، فنرى قولاً متهاكاً . فأى فكاكة هذه التي نستخرجها من هذا الهجوم الذي يقول فيه :

« وأما القول بأن الألفاظ يحدث بعضها بعضاً فباطل عقلاً وشرعاً لا يقول به أحد من العقلاء لمعان يطول ذكرها فيما المقصود بإيجازه . منها أن

شرط الفاعل أن يكون موجوداً حينما يفعل فعله ، ولا يحدث الإعراب فيما يحدث فيه إلا بعد عدم العامل ، فلا يُنصب زيد بعد إن في قولنا : إن زيداً إلا بعد إن .

فإن قيل : بم يردّ على من يعتقد أن معانى هذه الألفاظ هي العاملة ؟ قيل : الفاعل عند القائلين به إما أن يعمل بإرادة كالحیوان ، وإما أن يفعل بالطبع كما تحرق النار ويُبَرِّد الماء ، ولا فاعل إلا الله عند أهل الحق . وفعل الإنسان وسائر الحيوان فعل الله تعالى ، كذلك الماء والنار وسائر ما يعمل . وقد تبين هذا في موضعه - يعنى كتب الكلام - وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل لا ألفاظها ولا معانيها لأنها لا تفعل بإرادة ولا طبع .

وهكذا نمط كلامه في زوايا كتابه العجيب . أفنجعل من يفكر بهذه العقلية المنحرفة إماماً لنا فيما نحن بسبيله من تيسير .

إن مذهب ابن مضاء الظاهري وعقيدته الدينية الخاصة أفسدت عليه تفكيره في تعبير مجازي استعمله النحاة ليدلوا على أن العوامل دلائل تعيننا على ضبط ما يأتي بعدها أو قبلها من معمولات . لكنه خلط وأخرج دينه وعقيدته الخاصة لبستخدامهما في مهاجمة النحويين في أقوى معاقلهم فلم يَضَيِّرْها وأوهى قرنّه الوعل !

في استطاعة التيسير الصالح أن يقدم هذا النحو في ثوب جديد من حسن الأداء ، أو في ترتيب بدیع من نظام العلم وأسلوب عصرى ملائم ، وأن يجارى المناهج الحديثة التربوية ويسير معها محتفظاً بأصوله وعناصره فلننظر : أولاً : في المناهج . ومدى ما يؤخذ أو يترك ، وما يقدم وما يؤخر . وثانياً : في الطريقة . على هدى الطرق التربوية الحديثة .

وثالثاً : في الساعات المقررة لدراسة هذه المادة المظلومة في جميع مدارس الوزارة ومعاهدها .

فالمشكلة الرئيسية أمامنا هي مشكلة المنهج لا مشكلة المصطلحات .
إننا ننظر إلى هذه المناهج في التعليم الابتدائي والإعدادي فنرى أموراً جديرة
بأن تدرس على ضوء النحو الأصل ، ويعاد اختيارها وتوزيعها على مختلف
سني الدراسة الابتدائية والإعدادية بواسطة لجنة تؤلف من رجال الهيئات
العلمية الرسمية المسؤولة عن تعليم النحو في إقليمي الجمهورية .

وننظر إلى منهج التعليم الثانوي فنرى أمراً يدعو إلى الرثاء حقاً ، فإن
من المؤلم أن يجرّد هذا التعليم من دراسة النحو تجريباً ، فلا يدرس إلا في
سنة واحدة ، دراسة هزيلة قوامها بابان من أبواب الصرف هما التصغير
والنسب . أما السنتان الباقيتان من التعليم الثانوي فيسدل فيهما الستار على هذا
العلم ، لأن الطالب زعموا قد وعاه واستوفاه .

إن هذه السنوات الثلاث هي الفرصة السانحة الملائمة للطالب العربي
أن يتقن لغة بلاده ويتعرف قواعدها ، وفيها يُعدّ ويهيأ لدخول الجامعة
وكلياتها النظرية والعلمية . فليسلاح بسلاح اللغة التي يتمكن بها من مواجهة
دراسته في ثقة وطمأنينة . ويستطيع الطالب في هذه السنوات الثلاث أن يعيد
دراسة النحو ويستكمل ما فاتته من أبواب النحو والصرف المناسبة ، حتى إذا
أتيحت له في الجامعة دراسة متخصصة في العربية وجد لها جذراً في دراسته .
وأساساً صالحاً يبنى عليه تعليمه . وإذا لم يتجه جهة التخصص العربي أسعده
الخط بأنه قد نال قسطاً وافياً من لغة بلاده يهيئه لمزاولة أي عمل يزاوله بعد
خروجه ، في قوة وسلامة . فنحن في هذا العصر الحاضر الذي استكملنا فيه
مقومات قوميتنا محتاجون إلى مضاعفة الجهد في تعلم لغته القومية ، وأن
يحدّقها أبداً وليواجهوا ما يسطّون به من مختلف الأعمال ومتنوع النشاط .
لا يصح أن نخفف العبء اللغوي عن التلميذ اليوم إن كان قد صحّح في الماضي
المتهاف أن نخففه . فإن العلوم اللغوية - وفي مقدمتها النحو - هي الأساس
الأول للتعليم القومي .

إننا نستنجد بوزير التربية أن يسمع صيحتنا هذه ولا يسمع لصيحة غيرها فيعطى لعلوم اللغة القومية كل ما تحتاج إليه من زمن في هذا التعليم الثانوى . وأن يقضى على تلك التيارات الخبيثة التى قصد بها تهوين شأن معلم اللغة العربية قبل أن يقصد بها الخير الخالص .

إننا ننادى بتوسيع نطاق الدراسة اللغوية لا باختزاله ، وننادى بتيسير هذه الدراسة على الوجه المرتضى ، أعنى تيسير الطريقة وتيسير أدائها : تيسير الطريقة بإتقان التعليم ودقة الإشراف عليه ، وتيسير الأداء بزيادة الساعات المقررة لدراسة اللغة القومية . كما نرجو أن نكف عن الدعاوة التى تجعل من مادة النحو شعباً مخيفاً . وفق الله القائمين على أمور التعليم في بلادنا العربية إلى ما فيه الخير والصلاح .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رئيس قسم الدراسات النحوية بكلية العلوم
جامعة القاهرة
ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة الكويت

علاقة الإسلام باللغة العربية(*)

إجابة على استفتاء المكتب الدائم للتعريب بالرباط

لا ريب أن الإسلام - الذى نزل كتابه باللغة العربية ، ونطقت سنته باللغة العربية ، وانطلقت السنة صحابة رسوله بهذه اللغة ، وهى كلها فى مجموعها من أصول التشريع الإسلامى - لا ريب أنه كان العامل الأول فى انتشار اللغة العربية على نطاق واسع سريع فى أنحاء المعمورة قديماً وأنه لولا النكسات السياسية التى صنعتها الغارات التترية ، والنكسات الاجتماعية التى ساقطتها التيارات الشعبية ، لغطت هذه اللغة مساحة تفوق المساحة التى استقرت فيها الآن .

واللغة العربية قبل القرآن والسنة لم تكن تدور إلا فى نطاق محدود بين العراق والحجاز شرقاً وغرباً ، ونخوم الروم وبلاد اليمن شمالاً وجنوباً ، فإن تنقل العرب كان محدوداً بهذه الجزيرة العربية ، ولم يكن لها أثر يذكر فى البلاد المجاورة كالفرس والروم والأحباش . ولكن الوثبة الإسلامية ساقطت هذه اللغة إلى بلاد الصين شرقاً ، والمحيط الأطلسى غرباً فى مدة لا تتجاوز القرن الأول الهجرى بمقتضى الفتوح والدعوة الإسلامية ، وهو انتشار قوى فى سرعته ، لم يعهد له نظير فى أى لغة أخرى .

وإذا أضفنا إلى الفتوح والدعوة الإسلامية ظاهرة التأليف باللغة العربية التى بدأت فى أول أمرها لتخدم القرآن الكريم والسنة النبوية ، فى سرعة مذهلة ، بأقلام مسلمين من العرب والأعاجم ، ثم تطورت إلى خدمة العلوم الكونية التى يحث الدين على تحصيلها . بمقتضى الأمر الدينى بالنظر فى ملكوت السموات والأرض ؛ وإلى خدمة العلوم السياسية والتنظيمية والتاريخية التى

اقتضتها سياسة الحكم الإسلامى لتنظيم الإدارة وجباية الخراج ، وما استتبع ذلك من التأليف فى علوم الجغرافيا وتاريخ الشعوب التى أظلمها الإسلام أقول : إن ظاهرة التأليف باللغة العربية التى يستطيع المطلع على كتب التصانيف ، مثل كتاب كشف الظنون لملا كاتب جلبي ، أن يدرك أنها جاوزت فى العدد مئات من فروع العلوم المختلفة ، تبارت فيها أقلام العرب والأعاجم ، وكانت عاملاً قوياً فى انتشار هذه اللغة الكريمة . ويكفى أن نذكر أن صاحب أول كتاب فى النحو العربى رجل أعجمى هو سيبويه . ولا ريب أنه لم يتوجه إلى ذلك إلا بالدافع الدينى الذى ساقه إلى خدمة القرآن والحديث . وكذلك نلمح هذا الدافع فى الكثرة الأعجمية من رجال الحديث ، والفقه الإسلامى والتفسير وعلوم العربية .

ولقد بلغ من السلطان الدينى للإسلام أن استطاع أن يمحو اللغة القبطية فى مصر ، التى كانت تطوراً من اللغة المصرية القديمة الحضارة ، فى زمن وجيز ، وأن يقضى كذلك على لغة القرطاجنيين وغيرهم فى شمالى إفريقية . وعلى لغة النبط فى شمالى العراق ، وأن يقلص ظل اللغة الرومية من الأطراف الشمالية لبلاد الشام ، كما استطاع أن يغير وجه اللغة الفارسية بمنحها أكثر من ٣٠ ٪ من ألفاظها ، وكذلك أمكن هذا السلطان أن يترك فى جنوبى إيطاليا وصقلية وفى تركيا وأسبانيا وجنوب فرنسا أثراً ظاهراً دامغاً تتفاوت درجاته فى القلة والكثرة .

ولم تستطع أى لغة أخرى أن تترك أثراً ملموساً فى اللغة العربية الفصيحة التى حرصت على نقائها وصفائها ، ولا أثراً واضحاً فى لهجاتها العامية التى هى بطبيعتها أشد استجابة للغات الدخيلة .

أما القول بأن اللغة العربية كانت سبباً فى انتشار الإسلام فقول يحيطه التحفظ ، فالإسلام إنما انتشر بمبادئه وأصوله الفطرية السليمة . يدل على ذلك هذه الملايين المسلمة التى لا تعرف من العربية قليلاً ولا كثيراً .

وهذه الآلاف التي تعتنق الدين الإسلامي من الأوروبيين والأمريكيين والأفريقيين والآسيويين لا عن وراثته ورثوها ، ولا عن أمة وجدوا عليها أباؤهم ، بل بالقراءة والتدبر في لغاتهم الأجنبية التي يطلعون بها على مبادئ هذا الدين الحنيف . على حين لا نجد هذه الأعداد في المعاصرين من معتنقي الديانات الأخرى إلا بالإرغام السياسي أو التبشيري المتطرف .

ومن الحق أيضاً أن أقول : إن اللغة العربية كانت سبباً في انتشار الإسلام بين من كانوا يتكلمون باللغة العربية في شبه جزيرة العرب ، ثم من جاء بعدهم من الأجيال التي درست العربية أو صارت العربية لغتها . ذلك أن إعجاز القرآن ، وهو مظهر التحدى الصريح الذي نطق به القرآن في قوله : ﴿ قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ كان هذا الإعجاز حقيقة واقعة ألجمت العرب أنفسهم ، وجعلتهم يدركون منطقياً أن مستوى بيان هذا الكتاب فوق مستوى البشر . ويسجل التاريخ عدة محاولات حاول أصحابها أن يباروا هذا القرآن أو أن ينسجوا على منواله ، فباؤوا بفشل واضح ، وكان هذا بمثابة الدليل القاطع على أنه كتاب سماوى يحق على البشر أن يدينوا بدينه ، وأن يؤمنوا به وبمن أنزل عليه .

ومن هنا نستطيع أن نقول : إن اللغة العربية من الأسباب الجوهرية لانتشار الإسلام بين من يتكلمون العربية أو يتعلمونها ، وليست هي كل الأسباب التي انتشر بها الإسلام .

وأما ارتباط الوعى الإسلامى والوازع الدينى بما يعترى لغة النضاد من قوة وضعف فيمكن الإجابة عليه مما سبق من القول ، وهو أن الإسلام ليس لغة وألفاظاً ، وإنما هو مبادئ ومثل عليا للبشرية جمعاء يستطيع المتدين أن أن يتمثلها في أى لغة ، وفي أية ألفاظ كانت ، ما دامت تعبر عن تلك المبادئ وتصور هاتيك المثل .

وهناك أمم إسلامية معاصرة لا تتكلم بالعربية ولا تفهم دين الإسلام بلغة العرب ، وإنما تستمد وعيها الإسلامى ووازعها الدينى من قبل لغاتها نفسها ، وفيها أئمة للدين يتعلمونه ويعلمونه بلغتهم كما هو الحال فى أندونيسيا والملايو والباكستان حيث ترجم عدد كبير من أمهات الكتب الدينية إلى تلك اللغات ، وألفت كذلك الكتب فى مختلف مراحل الثقافة الدينية بين صغار المتعلمين وكبارهم ، وقامت إلى جوار ذلك معاهد دينية وكليات إسلامية يدرس فيها الدين باللغات المحلية . ولكننا نستطيع أن نقول من زاوية أخرى : إنّ الوعى الإسلامى الكامل . أى الإدراك السليم لمفاهيم الإسلام . لا يتأتى إلا بفقه لغة الكتاب وفهمهما . وذلك الفقه والفهم إنما يتسنى على وجهه الصحيح لمن كان له حظ فهم اللغة العربية نفسها . وذلك لما يتطلبه النص العربى ولا سيما الدينى منه . من إحساس لغوى خاص . ومن دقة فى إدراك مراعى الأساليب العربية .

وأما الوازع الدينى فإنه لا يواكب اللغة العربية تلك المواكبة التى يجرى عليها الوعى الإسلامى فإنما يحكم هذا الوازع البيئة التى يعيش فيها المسلم . ونحن فى عصرنا الحاضر قد نجد الوازع الدينى فى بعض البلدان غير العربية ذا سلطان أعظم من سلطانه فى بلاد يتكلم أهلها بالعربية لأن الوازع يتأثر بالبيئة الاجتماعية والبيئة السياسية أكثر من تأثره بالبيئة الثقافية . لأن الوازع من الظواهر النسبية التى تكون نتيجة لتفاعل المجتمع . ومن البديهي أنه لا تلازم بين العلم بالدين والوازع الدينى . ففى الشعب الواحد نجد أن الوازع الدينى يتجلى بسلطانه فى الطبقات التى هى أقل ثقافة . وهذا أمر تقرر المشاهدة والعيان .

وأما تأثير اللهجة الإفريقية فى التعابير العربية المحمية فقد كان واضحاً بعض الوضوح فى العهد القريب الذى كانت وشائج العروبة فيه فى شبه تمزق بفعل الاستعمار ، وكانت لغة الصحافة ولغة المكاتبات متباينة فى بلادنا

العربية . وهذه الظاهرة الآن في سبيل الاضمحلال بمقتضى تقارب الشعوب العربية وسهولة الانتقال بين أطرافها . ونحن الآن في الكويت نجد صدى كبيراً للهجتنا المصرية بين المواطنين الكويتيين الذين درسوا في مصر . أو قام بالتدريس لهم في الكويت مدرسون مصريون . أو الذين تفاعلوا مع وسائل الإعلام .

وكذلك نجد كثيراً من المصطلحات اللغوية السورية قد أخذت طريقها إلى مصر ورسخت فيها ولا سيما في أيام الوحدة السياسية القريبة . ومهما يكن من تقارب بين شعوبنا العربية فإنني أعتقد أن لكل موطن من مواطن العروبة تراثاً لغوياً يسرى في دماائه ولا يمكن التخلص منه . إلا إذا أمكن التخلص من الفولكلور الشعبي .

وأما السؤال الأخير الخاص بالمكانة التي يجب أن تحتلها العربية في موطن مصر . بالنسبة للغات الأجنبية . فإنني أعتقد أن إجابته موحدة بين كل مثقف عربي . وهو أن يكون للغة العربية الساطان الأول في اللغات الثقافية المحلية . وأن تكون هي لغة العلم المحلية .

وأعتقد أن المحاولات التي بدأت في الجامعات المصرية لتعريب التدريس الجامعي تنسم بكثير من النجاح وإن كانت الجمهورية السورية قد قطعت في ذلك شوطاً أطول من شوط الجمهورية العربية المتحدة . والأمل معقود في أن يتم تعريب التدريس الجامعي في تودة وتنسيق حتى يصل إلى المستوى العالمي .

بدر محمد عارون

الإذاعة ونشر الفصحى(*)

أقيمت في احتفالات الإذاعة بالعيد الخمسيني لجمع اللغة العربية

كان من يمن الطالع لهذه اللغة العربية الخالدة أن يقترن مولد مجمعها العتيد . بمولد مؤسسة الإذاعة المصرية ، في عام واحد ، يتعاونان معاً ، ويتساندان معاً على النهوض بالفصحى والعمل على نصرتها وإشاعتها ، يسيران في خطين متوازيين : أحدهما علمي يرسم ويخطط ، ويضع القواعد والبحوث ، ويقضى رجاله الساعات والأيام والشهور والسنين ، في جهاد علمي صادق ، يحدوه الحرص على كيان اللغة والنهوض بها في تحفظ وأناة ، ولا يزالون بين الفينة والأخرى يظهر لهم معجم من المعاجم الخاصة أو العامة بين كبير ووسيط ووجيز ، وآخر لألفاظ القرآن الكريم ، وضروباً أخرى من معاجم ألفاظ الحضارة والفنون ، والجولوجيا ، والفيزياء النووية والفيزياء الحديثة ، إلى المعجم الجغرافي . والمعجم الفلسفي ، ومعجم الطب والصيدلة ، والأحياء ، والزراعة .

وعلى الجانب الآخر يقوم رجال الإذاعة في خدمة اللغة العربية بخدمة عملية متواصلة تكاد تقضى الليل كله والنهار كله في إذاعة الفصحى وإشاعتها بين الناطقين بالضاد في سلبقتهم ، والذين لا ينطقون بها ولكن يحدوهم حبها والتطلع إلى معرفتها في شغف ولهفة . أن يستمعوا إليها ، وينعموا بها ، وكوفاً بحماها وفقه أسرارها .

ولا تزال برامج الإذاعة عندنا في أقسامها المختلفة تذيع أنباء العالم في كل ساعة باللغة الفصيحة التي تزداد نضجاً واستواء في كل يوم عن سالفه ، إن لم يكن في كل لحظة عن سابقتها . ويبتهد أولو الأمر فيها بانتقاء أطيب العناصر

وأعلى المستويات في اللغة ، استجابة لما يوصى به المجتمع في كل عام من دعوة وسائل الإعلام إلى الالتزام بتوصيات مؤتمر المجامع العربية .

وقد كان من بنوده هذا العام توصيتان خاصتان بوسائل الإعلام .

أولاهما : أن تعنى وسائل الإعلام جميعها بالالتزام العربية الفصحى نطقاً وأداءً ، مع وجوب تعيين مصححين متخصصين لكل ما يكتب في الصحف والمجلات ، أو يذاع من أخبار ومواد مختلفة ، يقومون بتقويم الألفاظ وضبطها ضبطاً دقيقاً ، وأن يعنى في الإذاعة والتلفزيون خاصة بتنمية المهارات والقدرات اللغوية ، بمحاضرات يلقيها على المذيعين متخصصون في اللغة العربية .

والتوصية الثانية : يوصى المؤتمر بأن تقلل وسائل الإعلام من الاهتمام بالأدب الشعبية ، لتزويد من ناحية أخرى اهتمامها بالأعمال الأدبية الرفيعة التي تلقى الآن ترحيباً من مختلف الطبقات على امتداد العالم العربي .

هذا . ونلمح الآن تسابقاً ظاهراً ، وتواتباً جلياً في البرنامج العام والبرنامج الثاني ، وصوت العرب ، والشرق الأوسط ، وإذاعة الشباب ، وإذاعات الأسكندرية وفلسطين والشعب ، وإذاعة السودان التي أصبحت الآن إذاعة وادي النيل .. نشاط متعدد الألوان والنضروب ، ينقل إلى سمع الدنيا لغة العرب عزيزة قوية النبر ، مليحة اللفظ ، ويسكب في آذانها أنغام الفصحى عذبة شجية .

وتعتقد الصلة وثيقة على مدى الأيام بين مجمع الخالدين والإذاعة ، ولسنا ننسى الأحاديث الأسبوعية التي كانت الإذاعة تحرص عليها وتدعو كبار رجال المجمع انقداى ، من أمثال طه حسين والعقد والمازني . وأحمد أمين ، ومنصور فهمي ، وعبد الوهاب خلاف ، وعبد العزيز البشري وغيرهم وغيرهم ، كما لا يزال في أسماعنا صدى صوت الأستاذ على الجارم في جهوده

اللغوية التي كان ينبغي من ورأيها تنقية انفصحي من أوضار العامية واللغة الدخيلة . وتحفظ له الإذاعة قصيدة زهراء أنشدتها في مناسبة افتتاحها في مايو من سنة ١٩٣٤م . ونحن نستمع الآن إلى برنامج عنوانه « مجمع الخالدين » مرزبن في كل شهر في أيام الأربعاء ، كما نصغي إلى برنامج « صفحات من التراث العربي مرة في كل أسبوع . ولا يزال صوت العرب يمدنا في كل أحد ببرنامج عنوانه « شيء من الثقافة » . ونستمع في أمسيات كل ثلاثاء إلى مجلة الثقافة التي تخطو خطوات واسعة في موادها ، وكذلك إلى برنامج « دراسات عربية » .

وتسعى الإذاعة أيضاً إلى الجامعات لينتقل برنامجها الثاني « من رحاب الجامعة تذيع فيه مناقشة بعض الرسائل الجامعية في الماجستير والدكتوراه كل خميس من كل أسبوع . دع عنك أحاديث محطة القرآن الكريم . واهتمامها بالقرآن الكريم وتلاوته وتفسيره . والحديث النبوي ودراسته ، والفقه الإسلامي وفتاويه . كل أولئك في لغة جزلة سمحة ، تغلب عليها الأصالة والسلامة . وإن كانت الصحافة تتسمح في بعض الأحيان في أنفاظها وأساليبها . فنحن نشهد شهادة بأن الإذاعة تحاول ما استطاعت أن تسمو باللغة وترقى بها إلى المستوى الذي هي جديرة به .

على أن أهم البرامج وأجل الخدمات التي أسديتها وتسلمها الإذاعة إلى لغة الضاد والنهوض بها ، والارتقاء بها إلى حيث العزة والنبوغ بين لغات العالم ، هو البرنامج اليومي الحبيب إلى القلوب والأسماع . برنامج « لغتنا الجميلة » ، الذي يقدمه أديب ممتاز في أدبه واختياره ، ممتار في ذوقه ورهافة حسه ، ممتاز في خلفه وطبعه ، ممتار في لغته وأدائه ، هو الأديب « فاروق شوشة » الذي شهد له دنيا العروبة بالبراعة ، وبإخلاصه للغة ، ودقته في حسن عرضها وتحيبها إلى الناشئة والفتيان والكهول . وهو في جهاده اليومي الذي

استمر على مدى سبعة عشر عاماً . فيما أذكر ، أو يزيد ، لا يزال وقع حديثه المحبب موضع حرص المستمعين في أجواز الليل وأوساطه ، ليتموا رحلة نيوم على أنغامه . وإني لأذكر أني قرأت كلمة لكاتينا أنيس منصور يسرد فيها أنه كان يسأل في كل بلد عربي يدخله عن « فاروق شوشة » معبرين عن إعجابهم بصنيعه ، وتقديرهم لفضله وعظيم أثره .

إني لأعتر بتلميذي وصديقي فاروق شوشة ، وأعده موضع فخر لي بين تلاميذي الذين أعتز بهم من أمثال عبد العال سالم ، وأحمد مختار . وعبد بدوي . وعبد الله شحاته . ويوسف عز الدين ، ومصطفى الجويني . وعبد العزيز مطر وغيرهم من أساتذة الجامعات . ومحمود الطناحي . وعبد الفتاح الحلو ، وعبد نجيد فطامش . وحسين شرف ، من كبار رجال التحقيق الترنسي ، وإبراهيم الترنزي من الأصلاء في فن القصة العربية الفصيحة .

أما فاروق فهو العلم البارز في محراب الدعوة إلى الفصحى والقيام بها . وإني لأدعو له من صميم قلبي باطراد النجاح فيما قد أخذ بسبيله منذ عهد طويل ، وبدوام اجتماع القلوب الخافقة بحب لغتها حول مائدته الحافلة بشمار العقول العربية الفارعة . كما أدعو له بالبركة في حياته حتى يحتفل بعيدة الخمسين في برنامج الحبيب .

وإنه ليسعد مجمع اللغة العربية ، وقد قامت الإذاعة بماركته في عيدة الخمسين مشاركة واسعة مستفيضة ، وأبدت اهتماماً مرموقاً بتسجيل لحظاته السعيدة بكامل تفاصيلها - إنه ليسعد الجميع أن يشارك الإذاعة الحبيب في عيدها الخمسين مشاركة نابعة من الحرص على تبادل التقدير والإكبار ، وأنسعى نحو هدف سام واحد . ومرمى رفيع واحد .

ويسعدنى فى هذه المناسبة السعيدة أن أقدم باسمى وباسم النجم الموقر
إلى الإذاعة المصرية بمختلف هيئاتها وإلى رجالها الأفذاذ والعاملين فيها جميعاً ،
أطيب تهنئة وأزكى تحية ، وأسئ اعتزاز بكفاحها السرملى وجهادها
المتواصل فى سبيل العربية ولغتها الفصحى .

عبد السلام محمد عارون

الامين العام لمجمع اللغة العربية

مكتبة الجاحظ (*)

أعنى بها تلك الآثار التأليفية التي خلفها الجاحظ ، زعيم البيان العربي وشيخ كتاب العرب ، وأستاذهم الأول فيما يشهد الحق .

وقبل أن نتوغل في هذا البحث ، الذي أردنا به التنويه بفضل هذا الرجل وإظهار ما طوته الأيام من براعة عبقريته نقدم له بترجمة يسيرة .

فهو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، لقب بهذا اللقب للجحوظ عينيه جحوظاً ظاهراً . وقد أكسبه ذلك الجحوظ قبحاً ظريفاً ، جعله أداة صالحة للتندر والمفاكهة .

قال الجاحظ : ذكرت للمتوكل لتأديب بعض ولده . فلما رأيته استبشع منظري فأمر لي بعشرة آلاف درهم . وصرفني .

وقال الجاحظ أيضاً : ما أخجلني أحد مثل امرأتين ، رأيت إحداهما في العسكر وكانت طويلة القامة ، وكنت على طعام .. فأردت أن أمارحها فقلت : انزلي كلي معنا ! فقالت : اصعد أنت حتى ترى الدنيا .

وأما الأخرى فإنها أتتني ، وأنا على باب داري ، فقالت : لي إليك حاجة ، وأريد أن تمشيّ معي ! فقممت معها إلى أن أتت بي إلى صائغ يهوديّ نقلت له : مثل هذا ! وانصرفت . فسألت الصائغ عن قولها فقال : إنها أتتني إلى بنصّ وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان ، فقلت : يا سيدتي . ما رأيت الشيطان ! فأنت بك لأنقش الفص على مثالك !

والجاحظ عربي ، فهو كنانى ينتمى إلى كنانة بن خزيمة . وهو حجة

(*) محاضرة أُلقيت في نادي دار العلوم في ٤ من مارس سنة ١٩٤٣ ونشرت في صحيفة دار العلوم في أبريل سنة ١٩٤٣م

ضد الشعوبية الذين يزعمون أن الأدب العربي واللغة العربية لم تنهض إلا على أكتاف الموالى والفرس .

ولد الجاحظ بالبصرة سنة خمسين ومائة . وتوفى بها سنة خمس وخمسين ومائتين . منحه الله عمراً طويلاً . استغله استغلالاً صالحاً في نصرة البيان العربى ، وإذاعة الثقافة الإسلامية . فكان زعيم مدرسة أدبية تنتمى إلى الإسهاب ، ولطف الاحتجاج . ودقة التبيين . مع إشاعة الفكاكة والتهكم وكان أيضاً زعيم مدرسة دينية . فكان رأس فرقة من فرق الاعتزال . عرفت بالفرقة الجاحظية .

التأليف فى عصر الجاحظ :

عاش الجاحظ فى دهر كان يزخر بالعلوم والآداب . هو العصر الذهبي للأمة العربية . عصر هارون والمأمون والمتوكل . حين كانت معاهد البصرة وبغداد والكوفة وقرطبة وسائر عواصم الإسلام . تفيض بالآداب والعلوم والفنون . وكان المعين فياضاً مترعاً . والتأليف والترجمة لهما دوى شديد فى كل صقع . والعلماء والأدباء فى نشاط عجيب . يصل الليل بالنهار والغدو بالآصال .

فعاصر الجاحظ من علماء العربية أبا عبيدة . والأصمعي . وأبا ريد الأذصارى وكانوا جميعاً شيوخه . وأخذ النحو عن أبى الحسن الأخفش . والكلام عن النظام . وشافه الجاحظ فضحاء العرب الذين كانوا ينفدون إلى مريد البصرة . فلقين منهم كثيراً من وصاحتهم . وارتشف هذا البيان العربى الصافى . وهذه اللهجة الصحيحة . وتلك المعرفة النظرية القوية . ويعرف التاريخ فى عصر الجاحظ أربعة من ضربوا بسهم كبير فى وفارة الإنتاج الفكرى والتأليف . واستروا على غاية قصر عنها من عداهم . فالواحد : أبو عبيدة معمر بن المثنى ١١٠ - ٢٠٩ وكان من أهل البصرة

ولد وتوفي بها . قال صاحب الوفيات : « وتة اذيفه تقارب مائتي مصنف » .
وقد سرد ابن النديم منها في الفهرست مائة وخمسة ، وقال فيه الجاحظ : لم
يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلم منه » .

والثاني : أبو الحسن علي بن محمد المدائني ١٣٥ - ٢٢٥ له نحو من
مائتين وأربعين مصنفاً على ما أحصيت في فهرست ابن النديم . وقد روى
عنه الجاحظ في البيان وفي الحيوان روايات كثيرة .

والثالث : هشام بن محمد الكاكي الكوفي المتوفى سنة ٦٠٢ عدت
كتبه في الفهرست فألفيتها نحو مائة وأربعين مؤلفاً .

والرابع : إمام العربية والدين : محمد بن إدريس الشافعي . ولد سنة
١٥٠ وهي سنة ولادة الجاحظ . وتوفي سنة ٢٠٤ .

وقلت : إمام العربية : لأن كثيراً من الناس لا يعلم فضل الشافعي في
هذه الناحية . والحق أن الشافعي كان من أدق الناس خبرة بالعربية ، وأوسعهم
فقهاً فيها ، وإطلاعاً على أسرارها . وحسبك أن تعرف أن الأصمعي وهو
الإمام الكبير . قرأ على الشافعي أشعار الهذليين وضبطها وصححها . وحسبك
أيضاً أن تطلع على كتابيه العظيمين ، وهما الأثر في مسائل الفقه ، والرسالة
وهي في مسائل أصول الفقه . فتعرف إلى أي مدى وصل هذا الرجل في
معرفة العربية ، ودقة التعبير العربي كذلك . وهذا ما حمل الجاحظ أن يقول
فيه : « نظرت في كتب هؤلاء النبیغة الذين نبغوا في العلم فلم أر أحسن تأليفاً
من المطلبی ، كأن لسانه ينظم الدر » .

وقد سرد ياقوت من كتب الشافعي مائة واثنين وأربعين كتاباً . منها
كتب تدخل في كتاب الأم .

عاصر الجاحظ هذا الرهط ، وأدرك هذه الجماعة التي منحت الثقافة
العربية ثراء وافراً ، فكان له بهم أسوة - ونهج نهجهم الذي سلكوا . وكان

ذلك إلى ما وهبه الله من امتداد العمر ، وتملك الفصاحة ، من أقوى الأسباب التي تضافرت على إنشاء مكتبة الجاحظ . . الغنية بعددها ، وبقيمتها الأدبية والفكرية والدينية أيضاً .

ومن العوامل القوية التي أدت إلى إثراء مكتبة هذه الرجل ، شدة ولوعه بالقراءة وجلده عليها . قال أبو هفان : « فأما الجاحظ فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان ، حتى إنه كان يكثرى دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر » .

وسائل النشر في عصر الجاحظ :

ويعجب العاجب من وجود هذه الظاهرة الغريبة في ذلك العصر . . أعنى كثرة المؤلفات لرجل واحد . يعجب العاجب لظهور ذلك في عصر كانت وسائل النشر فيه غير متوافرة . فليست هناك مطبعة . وليست هناك هيئات أدبية تعمل على إذاعة المؤلفات ونشرها . ولم يكن القراء حينئذ بالكثرة التي نراها الآن . . فما السر إذن في ذلك ؟

لم تكن هناك مطبعة حقاً . تستطيع إخراج الآلاف من الكتب في وقت وجيز . ولكن أمراً آخر له خطره وجليل شأنه ، كان يقرم مقام المطبعة ، وكان له نشاط لا يستهان به . ذلك هو النظام الذي كان يعرف بنظام الوراق . يتخصص به أناس معروفون ، ينقلون الكتب ويكتبونها ، ويشترونها ويشرونها ويجلدونها ، ويصححونها أحياناً . . هؤلاء الوراقون كانوا بمثابة مطابع حية تنشر المعارف في تلك العصور القديمة . وكان لهم خطر عظيم لا يقل عن خطر هذه المطابع الحديدية في عصرنا هذا .

والذي يتصفح معجم الأدباء لياقوت ، يستطيع أن يمس عظمة هذه الدولة ، أعنى دولة الوراقين ، الذين كان بينهم كثير من أعلام الأدباء والعلماء والشعراء . وبحسبك أن تعرف أن ياقوتاً نفسه كان وراقاً ينسخ

الكتب بالأجر كما يحدثنا بذلك ابن خلكان . وكان كذلك من كبار تجار الكتب . قال يتحدث عن نفسه في أثناء ترجمة قابوس بن وشمكير : « توجهت إلى الشام وفي صحبتي كثير من كتب العلم أتجر فيها » .

وياقوت في كتابه « معجم الأدباء » ناقد صير في لتلك الطائفة من الوراقين فيقول : « هذا مليح الخط ، متقن الضبط » ويقول : « هذا ردىء الكتابة سقيم الخط » . ومما قاله في ترجمة من يدعى الفضل بن عمر بن منصور : « وخطه في غاية الجودة ، على طريقة ابن هلال البواب . ولذا أوردناه في هذا الكتاب » . فيجعل سبب ذكره في هذا المعجم أنه وراق جيد الخط حسن الكتابة .

وحسبك أيضاً أن تعرف أن ابن النديم صاحب الفهرست كان أحد أولئك الوراقين الأعلام . وأن تعرف أن صناعته هذه الجائلة هي التي يسرت له أن يخرج لنا هذا الكتاب الخالد . الذي نرجع إليه كلما أظلمت علينا مسالك البحث في غيره من الكتب . فنظفر منه بما يروى الغلة وبعين على التحقيق . وأما الهيئات الأدبية فكانت معروفة أيضاً . وإن لم تكن بمظهرها الحديث الذي نلمسه بين ظهرانيه . فهؤلاء لوراقون الألى ذكرت كانوا من أعضاء هذه الهيئة . وكان أيضاً من أشخاص الولاة والخلفاء هيئات أدبية تعمل على تشجيع نشر الكتب وإذاعتها وإجازة مؤلفيها بالمنح العظيمة . والعطايا الفاشية .

وكانوا ينفقون على التأليف وعلى الترجمة وسائر ضروب التنقيف العام والخاص مالا يستهان به من الأموال الطائلة . ويمتد بنا القول لو ذهبنا في بيان ذلك الجود الحتمي الذي كانت تسخر به أيدي الخلفاء والولاة والسراة . وأما أن القراء لم يكونوا كثيرين في تلك العصور ، فليس ذلك بمؤثر في ذيع الثقافة . وانبلاج نورها بين الناس . بل نستطيع أن نقول : إن المثقفين في ذلك العصر كان عددهم ينمو في عدد المثقفين في عصرنا هذا .

وقلت : « المثقفين ، ولم أقل المتعلمين ، لأن نسبة المتعلمين في عصرنا هذا أكثر عدداً بلا ريب من المتعلمين في عصر الجاحظ . ولكن المثقفين أعني من توغلوا في مختلف نواحي العلم توغلاً كبيراً ، كانوا في عصر الجاحظ أكثر عدداً منهم في عصرنا هذا ، فكان هناك صبيان يفتون في مسائل الفقه . وكانت هناك جوارٍ يفلن الشعر ويغشّين مجالس الأدب ، ويرون حديث الرسول . وكان أيضاً رجال كثيرون لا يخصيهم العدد ، وتعرفهم كتب التراجم وكتب الرجال .

كان من أولئك المثقفين المنوّرين مشجع قوى على إثراء المكتبة العربية ، وعلى كثرة إنتاج المؤلفين وكثرة إنتاج المؤلف الواحد أيضاً .

أسلوب الجاحظ في التأليف :

سلك الجاحظ مسلكاً غريباً في التأليف ، فطرق أبواباً عجيبة منه ، فهو يحدث عن البخلاء . وعن الحاسد والمحسود . وعن تفضيل انطق على الصمت . ويحدثنا عن حيل اللصوص . وعن غش الصناعات . ويتكلم في القيان ، وفي أخلاق الكتاب . وفي المعامين والطفانييس والملوك والمغنين . وأخلاق النتيان . وفضائل أهل البطالة .

ويتحدث عن جميع الأنواع الشريفة من ترك ، وصقالبة ، وحميران ، وسودان ، وبيض ، وعرب وعجم ، وعرجان وبرصان وحول وعور . وعن الطوائف الدينية ، كالشيعة ، والزيدية ، والمشبهة ، والجهمية والمعتزلة . ويذكر لنا مذاهب اليهود والنصارى والمجوس .

يتحدث عن نقض مذاهب الأطباء ، وعن التفاح والنبيد . والقلم . والكتب ، والزرد . والشطرنج . يصنع في كل من أولئك كتاباً .

فكان الجاحظ لم يترك شيئاً مما يحول بخاطر إنسان ، أو يمر بذهنه ، إلا كتب فيه وأبدع إبداعاً وأوفى على الغاية .

وأذكر هنا قولاً صادقاً لأبى العيناء . وذلك أن سائلاً سأله وقال : ليت شعري أى شئ كان الجاحظ يحسن ؟ فأجابه أبو العيناء : ليت شعري أى شئ كان الجاحظ لا يحسن ؟ !

وشئ آخر امتاز به الجاحظ من بين جميع المؤلفين في عصره . وهو إدهان الفكاهة . فهو لا يبرح يشيع الفكاهة في تصانيفه . ولا يدع فرصة تصلح للمفاكهة والمطايبة إلا انتهزها انتهازاً . وأنت تستطيع أن تتصفح أى كتاب أو أية رسالة له . فتجد في ذلك البرهان واضحاً . والدليل ساطعاً . وتعد رسالة التبريع والتدوير . التى صنعها في من يدعى أحمد بن عبد الوهاب . أبرع ما كتب الجاحظ في فن الفكاهة .

وكان أحمد فيما يقول الجاحظ — مفرط القصر ويدعى أنه مفرط الطول ، وكان مربعاً ونحسبه مدوراً . وهو في ذلك يدعى السباطة والرشاقة .

يقول له الجاحظ : « وهل غاية الجميل إلا وصفك . وهل زين البليغ إلا مدحك . وهل يأمل الشريف إلا اصطناعك . وهل يقدر الملهوف إلا غياتك . وهل للماتع رجراً إلا فيك . وهل يحدو الحادى إلا بذكرك ؟ ! لا بل إن الحسن المصممت . والجمال المفرد . والقد العجيب . والكمال الغريب . والمليح المنشور . والفضل المشهور . إلا لك وفيك . وهل على ظهرها جميل حبيب . أو عالم أديب إلا وظلك أكبر من شخصه . وظننك أكبر من علمه ؟ ! وهل أقلت الخضراء ذاخجة أصدق منك . وهل حملت النساء أجل منك . »

ويقول : « وما على ظهرها خنود إلا وهى تعبر باسمك ، ولاقينة إلا وهى تغنى بمدحك . ولا فتاة إلا وهى تشكو تباريح حبك . ولا محبوبة إلا وهى تنقب الحروق لممرّك . ولا عجوز إلا وهى تدعو لك . »

ويقول في رسالة النساء : « وبعد فأياً ما أحسن وأمدح . وأشهى وأغنج .

أن يغنيك فحلٌ ملتف اللحية كثّ العارضين ، أو شيخ متخلّج الأسنان .
مغضن الوجه ، ثم يغنيك إذا هو تغنى بشعر ورقاء بن زهير :

رأيت زهيراً تحت كلـكل خالد

فأقبلت أسعى كالعجول أبادرُ

أم تغنيك جارية كأنها طاقة نرجس ، أو كأنها ياسمينية ، أو كأنها
خرطت من ياقوته أو من فضة مجلوة — بشعر عكاشة بن محصن :

من كف جارية كأن بناتها

من فضة قد طوّقت عنابا

وكان يماها إذا تقمّرت بها

تلقى على الكفّ الشمال حسابا

وللجاحظ في البيان والتبيين من حشو الفكاهة وجمع النوادر ما إذا سردنا
بعض شواهد طال القول بنا . . وفي كتاب الحيوان مطايبات شتى ، ومتعة
طيبة للقارئ .

كان الجاحظ رجلاً مؤلفاً متصلاً بجمهور الناس اتصالاً شديداً . فهو
جلس الخلفاء والوزراء والكتاب . وهو أيضاً يجلس إلى الباعة والكناسين
والخوذة والموسرين والمجانين . وكان يتعرف إلى بداء الأعراب ، كما كان
مصادقاً للترك وللروم والسنديين . وكان يجالس الشيوخ والمساكين ، كما كان
يجالس الصبيان .

روى ياقوت أن سلام بن يزيد قال يصف دخوله على الجاحظ مرة :
قال سلام : « وسألت عن منزله — يعني منزل الجاحظ — فأرشدت ودخلت
إليه فإذا هو جالس وحواليه عشرون صبيّاً ، ليس فيهم ذو لحية غيره » .

وواضح أن تلك الخاطلة قد أكسبته معرفة كاملة بطبائع الناس ، وأطلعته على كثير من مصادر الفكاهة .

ونستطيع أيضاً أن نقول : إن الجاحظ كان صياداً ماهراً للظرفاء . وإليك مثلاً من ذلك :

قال الجاحظ : كان يأتيني رجل فصيح من العجم . فقلت له . هذه الفصاحة وهذا البيان ! لو ادعيت في قبيلة من العرب لكنت لا تُنازع فيها . قال : فأجابني إلى ذلك فجعلت أحفظه نسباً حتى حفظه فقلت له : الآن لا ننته علينا ! فقال : سبحان الله إن فعلت ذلك فإني إذن لدعي !

وفي الحق أن نعد الجاحظ شيخ الفكاهة العربية في عصورها الأولى ، وهو أيضاً زعيم من زعماء التهكم . التهكم اللاذع الحار . قيل لأبي هبّان : لم لا تهجو الجاحظ وقد ندد بك . وأخذ بمخنتك ؟ ! فقال : أمثلي ينخدع عن عقله ؟ والله لو وضع رسالة في أرنية أني لما أمست إلا بالصين شهرة .

وشيء ثالث : هو من خصائص الجاحظ في فن التأليف ، يعرفه من مارس صناعة التعليم ، وعرف ما يتطلبه التلميذ أو المعلم من أسناذه : من كثرة التكرار والمعاودة وصوغ الدرس بصيغ مختلفة متنوعة ، كي تتأدى المعارف إلى ذهنه تأدياً صادقاً . ولتثبت العلوم في ذهنه ثباتاً ، فلا تذهب مع الداهيات .

فالجاحظ يلح على المعنى الواحد بمختلف صنوف التعبير . ولا يترك قارئ كتابه حتى يتيقن هو أنه قد أوضح له المعرفة إيضاحاً ، وحتى يطمئن إلى أن القارئ قد وعى ما أراد إلقاءه إليه وعياً تاماً .

ولذلك نجد الجاحظ يذهب في الكتب إلى أنها أجدي نفعاً من المعلمين ، وأن عملها يجزئ عن عمل المعلمين ويغني غناؤه .

وله في صدر المصحف الأول من الحيوان كلام طويل في هذا ،
وتستطيع أن ترجع إليه .

ومن قوله في شأن الكتاب : « وهو المعلم الذي إن افتقرت إليه لم يخفرك ،
وإن قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة ، وإن عُرِلت لم يدع طاعتك ،
وإن هبّت ريح أعاديك لم ينقلب عليك » .

ولذلك أيضاً لا نجد رجلاً تأدب بأدب الجاحظ . وتناول كتبه بالقراءة
والدرس إلا خرج وقد سرى فيه عرق من أدب هذا الرجل سرّياً واضحاً ،
أو نفحته نفحة ظاهرة من بيانه .

وفي عصرنا هذا جمهرة من الكتاب تتلمذوا للجاحظ فنالوا من بيانه قسطاً
وافراً . وأعداهم ذلك على جمال فنهم . ونضرة حديثهم ، وظهر عليهم
فضل الجاحظ ظهوراً بلياً .

والأمر الرابع - الذي نلمحه في كتب الجاحظ هو التنوع . وهذا راجع
إلى طبيعة الأستاذية في الجاحظ . التي أشرت إليها قريباً . فأخص خصائص
المعلم أن يتنقل بتلاميذه كلما طال عليهم الوقت في معارف شتى ، حتى
لا يملوا درسه ويسأموا ما يلقنهم إياه من مسائل العلم ، أو مسائل الأدب .
وهو يقول في ذلك : « فإني رأيت الأسماع تمل الأصوات المطربة ،
والأغاني الحسنة . والأوتار الفصيحة . إذا طال عليها ذلك . وما ذلك إلا في
طريق الراحة التي إذا طالت أورت الغفلة » .

ويردّ قول أبي الدرداء : « إني لأجيم نفسي ببعض الباطل . كراهة
أن أحمل عليها من الحق ما يملأها » .

ولذلك أيضاً نجد الجاحظ يصطنع الاستطراد . ويستعمل التعقيب .
وليس ذلك عجزاً منه ولا التفاتاً عن الغرض الذي نصب له نفسه ، وإنما
ليروّح عن القارئ . ويستجلب نشاطه . ويجدد انتباهه .

وأمر خامس هو من خصائص مكتبة الجاحظ . وهو تناولها كثيراً من الأمور التي تبدو أنها متناقضة . وإلى تشعر القارئ لأول وهلة أن ذلك الرجل يناقض نفسه فيما يكتب فهو يمدح النبيذ حيناً ويذمه حيناً آخر . وهو يمدح الوراقين قارة ويذمهم أخرى .

ولكن المنصف يرى أن الرجل لم يناقض نفسه . بل نظر إلى الشيء الواحد نظرتين من ناحيتين مختلفتين . وكل أمر من الأمور ما يقتضى مدحه حيناً وذمه حيناً آخر ، حتى الصدق وحتى الأمانة وهما الأساس الأول للفصائل .

وكلكم يذكر فول عمرو بن الأعمى « رضيت فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أقبح ما علمت » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - في ذلك : « إن من البيان لدجراً » وما كذبت في الأولى ولقد صدقت في الثانية »

وهذه الحاسة الجاحظية هي الارب رب برهان ساطع على دكاء روح هذا الرجل وفوة فنه وتمام اقتناده .

وأمر سادس تمتاز به مكتبة الجاحظ . هو حرية الفكر . الى لا يفتأ ينادى بها عند كل مناسبة . فهو شديد انتهمك حينما يتحدث عن حجة لا يسيغها العقل ، ولا يقرها الفكر الحر . وهو يخشأ أقصى ما يستطيع من الحجج حين يعرض رأياً لأحد الجاهدين أو المتعلقين بأذيال الخرافات والأساطير ، فإذا الأساطير والخرافات تنهالك في يديه . كما يتنهالك الليل البهيم للصبح الطالع .

وهو كذلك يعترض كثيرين من العلماء وكبار الفلاسفة . وفي مقدمتهم أرسطو . وكذلك أستاذه أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام . وكتاب الحيوان ميدان فسيح يجول فيه صاحبنا ويصول . برأيه الحر . ويرفع علم الثورة على المعتنقين من المفسرين والقصاص والمتزمتين . بل على المتحذلقين من اللغويين

والأدباء ، فهو يندد في الجزء الأول من الحيوان بكتب أبي الحسن الأخفش واستغلاقتها على الناس ، وهو يتهمهم بالمفسرين وأصحاب الأخبار الذين زعموا أن أهل سفينة نوح كانوا قد تأذوا بالفأر فعطس الأسد عطسة فرمى من منخره بزوج سنابير . فلذلك السنور أشبه شيء بالأسد . وأخرج الفيل زوج خنازير . فلذلك الخنزير أشبه شيء بالفيل . ثم هو يروى منخرية أبي عبيدة من هذا الخبر ، وضحكه مما فيه من خرافة .

والجاحظ أيضاً يتهمهم بالقصاص . ويصور لنا صورة طريفة منهم متمثلة في شخص « أبي كعب القاض » حين حمل المستمعين على التهليل والتكبير . ليخفي أمراً مستكراً ضاقت به نفسه ، ولم يستطع إمساكه .

ويروى أيضاً أن أبا كعب هذا أرسل رسولاً له إلى مجلس الوعظ في مسجد عتاب ، ومعه هذه الرسالة : يقول لكم أبو كعب : انصرفوا ، فإنني قد أصبحت اليوم مخموراً !

وأمر سابع تمتاز به مكتبة الجاحظ . هو كثرة تناول المسائل الكلامية ، والحرص على اقتناص مناسباتها في أثناء الكتب . فبينما نرى الجاحظ يفيض في الحديث عما قال العرب من شعر بديع في النار إذا به يهجم على مسألة من مسائل الجوهر والعرض ، والثواب والعقاب ، والجزء الذي لا يتجزأ . حتى الفكاهة لا يخليها من هذه المناسبات الكلامية . فهو يروى في الحيوان أن رجلاً من أهل الكوفة قال لهشام بن الحكم . صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من المشبهة : إن هذا الرجل قال لهشام : أترى الله عز وجل في عدله وفضله كلفنا ما لا نطيق ثم يعذبنا ؟ قال هشام : قد والله فعل . ولكننا لا نستطيع أن نتكلم به .

ويروى أيضاً أن بعض أصحابه سأل أبا لقمان المروزي عن الجزء الذي لا يتجزأ ما هو ؟ فأجاب : الجزء الذي لا يتجزأ هو علي بن أبي طالب ! فسأله أبو العيلاء قائلاً : أفليس في الأرض جزء لا يتجزأ غيره ؟ قال : بلى ،

حمزة جزء لا يتجزأ ، وجعفر جزء لا يتجزأ . قال : فما تقول في العباس ؟ قال : جزء يتجزأ . قال : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ قال : أبو بكر يتجزأ ، وعمر يتجزأ . قال : فما تقول في عثمان ؟ قال : يتجزأ مرتين ، والزبير يتجزأ مرتين .

وقد عقب الجاحظ على هذه الفكاهة بأن هذا الرجل الممرور لما سمع المتكلمين يذكرّون « الجزء الذى لا يتجزأ » هاله ذلك ، وكبّر في صدره . وتوهم أنه الباب الأكبر من علم الفلسفة . وأن الشيء إذا عظم خطره سموه بالجزء الذى لا يتجزأ .

وهذه الثروة الكلامية التى أودعها الجاحظ كتبه ، قد حفظت علينا كثيرًا من مذاهب المعتزلة التى لا تستطيع تخليصها من كتب الفرق الإسلامية ، التى جرت على تسفيه آراء المعتزلة وأشباههم ورميهم بما هم منه براء .

ولعلك تسحر معي حين تسمع أن بعض هؤلاء الفضلاء - وهو صاحب الملل والنحل - يروى أن الجاحظ يقول في القرآن : « القرآن جسد . يجوز أن يقلب مرة رجلاً ومرة حيواناً » وقد ذكر مثل هذا القول الإيجي صاحب المواقف بلفظ : (يجوز أن يقلب مرة رجلاً ومرة أنثى) . وليس هذا القول الذى يتبرأ من نفسه بمحتاج إلى تعليق ، فعقل الجاحظ هو ما علمت وما سمعت .

كتب الجاحظ إذن من أهم المصادر الحقيقية لمعرفة الاعتزال ، كما كان تفسير الزمخشري من بعده مصدراً صالحاً أيضاً في بيان مذهب المعتزلة ، وتطبيق آرائهم على نصوص كتاب الله .

وأمر ثامن : تمتاز به مكتبة الجاحظ ، هو حديثها عن كثير من الأشياء التى لم يخُصّ فيها أحد من قبل ، أو التى يحجم الناس عن الكتابة فيها . استهانة بشأنها . أو فراراً من التهمة فيها . ولكن الجاحظ رجل جرىء .

رجل جرى حقاً . فلم يحدثنا التاريخ أن رجلاً ألف كتاباً في ... فيماذا ؟
 في حيل اللصوص . ولكن الجاحظ يتكلم في ذلك ويسهب في القول ويأتى
 بالعجب العاجب . وقد ذكر من هذا الكتاب فصلاً في الجزء الثانى من
 الحيوان . كما نقل الراغب الأصفهاني في محاضراته بعض هذه الفصول ،
 فنعرف أن هؤلاء اللصوص كانت لهم مدرسة . وكان لهم أستاذ يدعى « عثمان
 الخياط » ، وكان زعيمهم . قالوا : سمى بالخياط . لأنه نقب على أحذق الناس
 وأبعدهم في صناعة التلصص وأخذ ما في بيته . وخرج وسد المنقب كآذنه قد
 خاطه . فسمى بذلك .

ومن أقوال عثمان الخياط لبعض أتباعه ومريديه من اللصوص : « لم
 تزل الأمم يسي بعضهم بعضاً . ويسمون ذلك غزواً . وما يأخذونه غنيمه .
 ويذكرون أن ذلك من أطيب الكسب . وأنتم في أخذ مال الغدر والفحرة
 أعذر . فسموا أنفسكم غزاة . كما سمى الخوارج أنفسهم تראה ! » .

ومن مآثور قول عثمان الخياط : « اللص أحسن حالا من الحاكم المرتشى ،
 والقاضى الذى يأكل أموال اليتامى ! » .

وقد كتب الجاحظ أيضاً في « غش الصناعات » . قال صاحب العرفى
 بين الفرق . في شأن هذا الكتاب الخطير : « وقد أفسد به على التجار سلعتهم » .
 وغير هذين في هذا الفن كثير .

والأمر التاسع : أن هذه اخموعة القيمة من كتب هذا الرجل ، ترسم
 لنا صورة طويلة عريضة من صور الحياة في العصر العباسى . هذه الصورة
 نرى فيها الثقافة الفكرية في نواحيها المتعددة . وفروعها المتوشجة . وكان
 هذا الرجل لم يترك علماً من العلوم التى عرفها القوم . ولا فناً من الفنون إلا
 اطلع عليه وأخذ منه بنصيب قليل أو كثير .

وهذه الصورة أيضاً ترى فيها الحياة السياسية التى كان يحياها القوم . ففى

رسالته إلى الفتح بن خاقان ، التي تتضمن مناقب الترك وعامة جند الخلافة ،
يرينا مبلغ توغل الترك والفرس في سياسة الدولة العباسية ، ومقدار سلطانهم
واعترازهم بأنفسهم ، ويروى لنا طرفاً من أمر الخوارج ، ويصف لنا
بأسهم .

وهذه الصورة أيضاً نرى فيها الحياة المدنية ، حتى لكأنما نعايش
العباسيين ، فنبقى منازلهم وحماماتهم ومصايبحهم ، وملابسهم ، ومطاعمهم
ومشاربهم ، وماآدبهم ، وصناعاتهم ، ونظمهم الاجتماعية والصحية
والعمرانية . وغير ذلك من دقائق الحياة التي انتبه الجاحظ إليها انتبهاً دقيقاً .
ولا سيما في « كتاب البخل » . الذي يعتبر بحق أصدق مصورة راسمة للعصر
العباسي . وأهم مرجع فيه .

ولا يقتصر الأمر على تصوير العراق . فهو يصور أيضاً أحوال سائر
الأمم المعاصرة من الفرس والهند والصين وأهل مصر والمغرب .

لذلك كانت مكتبة الجاحظ سنداً قوياً لمن أراد أن يلم بدقائق العصر
العباسي . وأن يتعرف إلى الحياة العامة فيه .

والأمر العاشر : هو اهتمام الجاحظ بتسجيل الحياة اليومية . وهو في
ذلك قد ضرب الرقم القياسي — كما يقولون . فغيره من المؤلفين إنما كان جل
هم أن يذكر الأخبار القديمة . والآثار المروية : كما كان يفعل المدائني
وابن قتيبة ومن أتى بعدهم من رواة الأخبار . فهم لا يولون الأخبار المعاصرة
إلا الجانب اليسير من اهتمامهم ولكن الجاحظ كان لا يفتأ يذكر أسماء
معاصريه . ويروى نوادرهم . ويتندر بهم إذا شاء . وهو لا يدع شيئاً أو
شأناً ، ولا عاقلاً أو مجنوناً . ممن تقع له النادرة . أو تصدر عنه النكاهة ،
أو يتصل به الخبر إلا عرض ذلك بين يدي قارئه ، وأطلعاه عليه إطلاعاً فهو
بلا ريب صحفي العباسيين . وهو بلا ريب شيخ الصحافة العربية ، وأول من
حاول إنشاء الصحف والمجلات العربية .

ذبوع كتب الجاحظ :

كانت كتبه تذيع وتشيع ، وتطير إلى الآفاق البعيدة في حياته ، للرجبة الملحة فيها ولحرص الناس على ما فيها من خير كثير .

وإليك صورة تنبيك عن مبلغ هذا الذيع ، وتقف بك على مقداره .

روى صاحب تاريخ بغداد عن يحيى بن علي أنه قال : « حدثني أبي قال : قلت للجاحظ : إني قرأت في فصل من كتابك المسمى كتاب البيان والتبيين : إن مما يستحسن من النساء اللحن في الكلام . واستشهدت ببيتي مالك بن أسماء :

وحديث ألد هو مما

ينعت الناعتون يوزن وزنـ

منطق صائب وتلحن أحيا

نا وخير الحديث ما كان لحن

قال : هو كذلك . قلت : أفأسمعت بخبر هند بنت أسماء . . وهي أخت صاحب هذين البيتين - مع الحجاج حين لحن في كلامها فعاب ذلك عليها فاحتجت ببيت أخيها ، فقال لها الحجاج : إن أخاك أراد أن المرأة فطنة فهي تلحن بالكلام إلى غير المعنى في الظاهر . لتستر معناه وتورى عنه ، وتُفهمه من أرادت بالتعريض ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ ولم يرد الخطأ من الكلام ، والخطأ لا يستحسن من أحد فوجم الجاحظ ساعة ثم قال : « لو سقط إلى هذا الخبر لما قلت ما تقدم ! فقلت له : فأصلحه . فقال : الآن وقد سار الكتاب في الآفاق ، هذا لا يصلح !

فهذه صورة من صور ذيع كتب الجاحظ .

تقدير القدماء لكتب الجاحظ :

ترك القول لياقوت يحدثنا عجباً في هذه الناحية ، فهو يروى أن أبا حيان قال : « ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا به علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال : سمعت ابن الأخشاد شيخنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان في أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست ، ومربي في جملتها : الفرق بين النبي والمتنبي ، وكتاب دلائل النبوة ... فأحببت أن أرى الكتابين ولم أقدر على واحد منهما وهو كتاب دلائل النبوة ... فهمتني ذلك وساءني في سوء ظفري به . فلما شخصت من مصر ودخلت مكة — حرسها الله — حاجاً أقت منادياً بعرفات ينادي — والناس حضور من الآفاق على اختلاف بلدانهم وتنازع أطاخم . وتباين قبائلهم وأجناسهم من المشرق إلى المغرب ، ومن مهبّ الشمال إلى مهبّ الجنوب ، وهو المنظر الذي لا يشابه منظر — : رحم الله من دلنا على كتاب الفرق بين النبي والمتنبي لأبي عثمان الجاحظ على أي وجه كان !

قال : فطاف المنادي في ترابيع عرفات وعاد بالحية وقال : حجتّ الناس مني ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به .

قال ابن الأخشاد : وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسي عذرها . قال ياقوت : « وحسبك بها فضيلة لأبي عثمان أن يكون مثل ابن الأخشاد وهو من هو في معرفة علوم الحكمة . وهو رأس عظيم من رؤوس المعتزلة يُستهام بكتب الجاحظ حتى ينادي عليها بعرفات والبيت الحرام .

قال ياقوت : وهذا الكتب موجود في أيدي الناس اليوم لا تكاد تخلو حزانة منه . ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر .

نم نعود إلى المبعودي وهو ممن يعد في خصوص الجاحظ — فنجدده بقول في نعت كتب الجاحظ : « وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور تجلوا صدا الأذهان . وتكشف واضح البرهان : لأنه نظمها أحسن نظم . ورفضها

أحسن رصف ، وكساها من كلامه أجزل لفظ . وكان إذا تخوف ملل القارئ ، وسامة السامع . خرج من جد إلى هنل ، ومن حكمة بليغة إلى نادرة طريفة . وله كتب حسان منها كتاب البيان والتبيين وهو أشرفها ، لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم ، وغرر الأشعار . ومستحسن الأخبار . وبلغ الخطب ، ما لو اقتصر عليه مقتصر لا كتى به . وكتاب الحيوان . وكتب الطفيليين ، والبخلاء . وسائر كتبه في مهابة الكمال . ما لم يقصد منها إلى نصب أو إلى دفع حق ..

ثم نراجع إلى الوراء ونسأل الجاحظ نفسه أن يحدثنا حديث الصدق عن كتبه ونظرة الناس إليها ، فإذا هو يجيبنا في ثقة ويقين واعتزاز بالنفس قال في الجزء الثاني من البيان :

« ولما قرأ المؤمن كتي في الإمامة فوجدها على ما أمر به ، وصرت إليه . وكان قد أمر الزيدى بالنظر فيها ليخبره عنها . قال لي : قد كان بعض من نرتضى عقله ونصدق خبره . خبرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة . فقلت : قد تربى الصفة على العيان . فلما رأيتها رأيت العيان قد أربى على الصفة . فلما فليتها أربى الفلأى على العيان . كما أربى العيان على الصفة » .

وهذه شهادة تاريخية جلية . لها قيمتها ولها قدرها .

عدد كتب الجاحظ :

والآن ننتقل إلى الحديث عن عدد كتب الجاحظ . فنجد أن هذا الرجل قد خرج عن زهاء ثلثمائة وستين مؤلفاً . في ألوان شتى من المعرفة . رأى أكثرها في مشهد أبي حنيفة النعمان ببغداد سبط ابن الجوزي المتوفى

سنة ٦٥٤

قال في كتابه : « مرآة الزمان » ، عند ذكر الجاحظ : « أما مصنفاته فثلثمائة وستون مصنفاً . ووقفت على أكثرها في مشهد الإمام أبي حنيفة » .

هذا أقصى تقدير عددي وصلت إليه كتب الجاحظ . على أن أدنى ما تنزل إليه أن تكون مائة ونيفاً وسبعين كتاباً . قال ابن حجر في لسان الميزان : « وسرد ابن النديم كتبه . وهي مائة ونيف وسبعون كتاباً » . هذا آخر كلام ابن حجر .

ووجدت ياقوتاً في معجم الأدباء قد سرد منها مائة وثمانية وعشرين مصنفاً .

وليس يمكننا القطع برقم خاص لعدد كتب الجاحظ . ولكن نستطيع أن نقول : إن الجاحظ كان من أخصب علماء عصره وأدبائه إنتاجاً إن لم نقل إنه أخصبهم وأغزرهم فيضاً !

ويسأل السائل : أين طوح الدهر بهذه المجموعة الجاحظية الهائلة ؟ وكيف لم يظهر للناس منها إلا مقدار يسير تعدده أصابع اليد ؟

فالحق أن كثيراً من كتب الجاحظ قد ضاع فيما ضاع من آثار السلف . وعدت عليه عوادي الأيام والناس أيضاً .

فالفوضى الدينية التي منيت بها الأمم الإسلامية في مسأمتها الأولى والتي كانت قائمة في أكثر ما تنرم على التدمير والتخريب والانتقام من غزوات السلاجقة والتتار وغيرهم . جعلت تهدم في هذا الصرح الفكري حتى أتت على الكثير من قواعده . ولم تبق إلا وشلا من محيط .

وكذلك كان لعمود الهمم وضعف العزائم . أثر كبير في ضياع هذه النفائس وفقدانها .

ومهما يكن فقد أنقت الأيام لنا من آثار هذا الرجل مثمراً صالحاً ،

سار بعضه بين الأدباء ، فكان له فضل عظيم في تقويم ألفتهم وتأديهم ، وحث بعضه الآخر خزائن متناثرة في أنحاء المعمورة ، أشار إليه المشرق الكبير « بروكلمان » في معجمه . وهي أكثر من سبعين كتاباً ، تزدان بها خزائن المتحف البريطاني ، وداماد إبراهيم ، وكوبرلي ، والفتاح والموصل ، وجوتا ، وميلانو ، وغيرها .

وقد أخذت على نفسي عهداً أن أقوم بخدمة هذه المكتبة وبدأت منها بكتاب الحيوان . وعسى الله أن يهب لي من سعة الوقت والحال ما يسعني باستحضار هذه الكتب ونشرها بين أبناء العربية نشرأ علمياً صالحاً ، وفاء لهذا الرجل العالمي العظيم ، وفاء لهذه الدار التي حبب إلي أساتذتها أدب الجاحظ ، فصرت إلى أن أولع به وكوفاً ، وأغرَمَ به غراماً .

وأشكر! جماعة دار العلوم لما أتاحت لي من هذه الفرصة السعيدة ، وأهنتها بهذه النهضة الثقافية في عهدنا الجديد ، الذي يذكي شعلته سعادة رئيسها ، وحضرات أعضائها الأجلاء .

بالتة محمد قارون

المدرس بمدرسة الظاهر الابتدائية

الجاحظ والمعلمون (*)

يزعم بعض الأدباء أن الجاحظ كان خصماً عنيداً للمعلمين ، يطلقون ذلك القول إطلاقاً على ما فيه من إجحاف وضعف ، وعلى ما فيه من خطأ في القضاء وظلم في الحكومة .

والحق أن الجاحظ لم يكن خصماً للمعلمين ، ولا شاغباً عليهم ، ولا مجحفاً بحقهم ، أو مستهيناً بمكانتهم بين الناس ، بل كان الجاحظ مديراً للمعلمين ، ولساناً ناطقاً بفضلهم ، ومشيداً بما لهم من أثر صالح وفضل عظيم .

وقد كان المعلمون في القرنين الثاني والثالث على طوائف شتى :

أولاهم : طبقة صغار المعلمين ، الذين كانوا يتولون تعليم الصبيان القراءة والكتابة ، يتخذون لذلك مكاتب خاصة ، أو يجعلون من المساجد مدارس لهم ، ويتكسبون بتلك الصناعة وينالون بذلك دراهم معدودة ، وقد تدعوهم الحال أن يجعلوا أجرهم ما يحمل الصبيان إليهم من الخبز على اختلاف ضروبه . ويروون أن الحجاج بن يوسف كان معلماً بالطائف ، وكان أبوه يوسف معلماً أيضاً . وفي الحجاج يقول القائل ^(١) :

فإذا عسى الحجاج يبلغ جهده

إذا نحن جاوزنا حفير زياد

(٥) نشر بمجلة الكتاب بالعدد العاشر من السنة الأولى رمضان ١٣٦٥ هـ . أغسطس سنة ١٩٤٦ م .

(١) هو مالك بن الربيع . انظر المعارف لابن قتيبة - ٢٣٨ ، ٢٣٩ . والشعراء له أيضاً ١ : ٣١٤ طبعة الحلبي .

فلولا بنو مروان كان ابن يوسف
 كما كان ، عبداً من عبيد إباد
 زمان هو العبد المقر بذلة
 يرأوح غلمان القرى ويغادى
 وفيه أيضاً يقول القائل - وكان الحجاج يدعى كليباً - :

أينسى كليب زمان الهزال
 وتعليمه سورة الكوثر
 رغيث له فلكة ما ترى
 وآخر كالقمر الأزهر^(١)

ومن هذه الطبقة أيضاً : الكميت الشاعر . قال خلف الأحمر : « رأيت
 الكميت في مسجد الكوفة يعلم الصبيان » .

والطبقة الثانية : طبقة المؤدبين لأبناء الخاصة والخلفاء ، وهؤلاء كانوا
 يختارون من ذوى الأقدار ، ومن الأئمة ذوى الشأن ، وقد كان الخلفاء
 والولاة يرسمون مناهج هؤلاء المؤدبين كي يحدوا حذوها ، ويرسموا خطاها .

فمن ذلك وصية عتبة بن أبى سفيان - وهو أخو معاوية - أوصى بها
 عبد الصمد مؤدب ولده . قال^(٢) : « ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني
 إصلاح نفسك ، فإن أعينهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما استحسنت ،
 والقبيح عندهم ما استقبحت ، وعلمهم كتاب الله . ولا تكرههم عليه
 فيملوه ، ولا تتركهم منه فيهجرروه . ثم روهم من الشعر أعفّه ، ومن الحديث
 أشرفه . ولا تخرجهم من علم إلى غيره حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام في
 السمع مضلة للفهم . وتهددهم بى وأدبهم دونى ، وكن لهم كالطبيب الذى

(١) الفلكة ، بالفتح : كرشى مستدير .

(٢) لبين والتبيين (٢ : ٦٦) .

لا يعجل بالدواء قبل معرفة الداء . وجنبهم محادثة النساء . وروّهم سير الحكماء ، وزد في تأديبهم أزدك في برى .

ومن ذلك أيضاً وصية الرشيد التي أوصى بها خلفاً الأحمر قال ^(١) : « إن أمير المؤمنين دفع إليك مهجة نفسه وثمره قلبه . وصبر يدك عليه مبسوطة . ومقاتلتك فيه مصدقة . وطاعتك عليه واجبة . فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين : أقرئه القرآن . وعلمه الآثار والأخبار والسّن . وروّه الأشعار وبصره بمواقع الكلام ، ومره بالرزانة في مجلسه . والاقتصاد في نظره وسمعه . فلا تمرّن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فيها فائدة تفيده إياها . وكلمة نافعة يعيها ويحفظها . ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراع وبألفه . وقوّمه بالتقريب والملاينة . فإن أبى فبالشدة » .

وأما الحجاج فإنه كان يوصى مؤدّب بنيه بقوله ^(٢) : « علمهم السباحة قبل الكتابة . فإنهم يجدون من يكتب عنهم ولا يجدون من يسيح عنهم » . وأما شريح القاضي فكان له ولد يكبر البطالة . فنظر إليه شريح يوماً وهو يهارش بكاب له . فكتب له رقعة إلى معلمه وفيها هذا الشعر ^(٣) .

ترك الصلاة لأكلب يسعى بهـ

طلب الهراش مع الغواة الرجس

فإذا تراك فعضه بسلامة

أو عظه موعظة السرفيق الأكيس

وإذا هممت بضربه فبدرة

وإذا ضربت بها ثلاثاً فاحبس

(١) الحسن والمسدود لسيق (٢ : ٢١٣) .

(٢) عيون الأخبار (٢ : ١٦٦) .

(٣) الحيوان (٢ : ٢٥) وثمار الهارب ١٧٣ وعبود الأخبار (٢ : ١٦٧) والعقد (١ : ٣٦٣) .

وليحملن منى إليك صحيفة

نكراء مثل صحيفة المتلمس

واعلم بأنك ما أتيت فنفسه

مع ما يجرعنى أعز الأنفس

قالوا : فضربه المعلم عشراً وعشراً ، فقال له شريح : لم ثبت عليه الضرب ؟ فقال : العشر الأولى للبطالة ، والثانية للبلادة حيث لا يدري ما يحمل .

هذه أمثلة من الوصايا التي كان الولاة والخلفاء يوصون بها المؤدبين ، وهي تطلعنا على مدى النظام الذي كان يوضع للتعليم ، وعلى تباين الخطط التي كانت توحى بها النظم السياسية والاجتماعية والحلقة في تلك العصور الأولى .

وهذه الطبقة من المعلمين كانت على جانب عظيم من التوقير والتبجيل . قالوا : سأل الرشيد يوماً من أكرم الناس خدماً ؟ قيل : أمير المؤمنين . قال : لا ، بل أكرمهم خدماً الكسائي . فقد رأيتني بخدمه ولياً عهد المسلمين ، وليس لي من الخدم مثلهما .

وكان الولاة والخلفاء يطلقون لهم اليد في عقاب أبنائهم ، فكان معلم الرشيد يضربه على الخطأ واحداً وعلى اللحن سبعاً . وكان بعضهم يقدر للمؤدب مقداراً للضرب لا يعدوه . كما سبق في حديث شريح القاضي .

والطبقة الثالثة من طبقات المعلمين : هم جماعة المحدثين الذين كانوا يتصدون لرواية الحديث . وعنهم كان يتلقى الرواة والمتتبعون أحاديث الرسول والصحابة . وكانت هذه الطبقة كثيرة العدد . نافقة السرق ، وكتب الرجال تطلعنا على مدى النشاط العظيم الذي ظهرت فيه هذه الطائفة . وكان

من هؤلاء جماعة كبيرة تعتز بكرامة العلم وفضل العلماء . قالوا^(٥) : وجه الرشيد إلى مالك بن أنس ليأتيه فيحدثه ، فقال مالك : « إن العلم يؤتى . فصار الرشيد إلى منزله فاستند معه إلى الجدار . فقال : يا أمير المؤمنين : « من إجلال الله تعالى لإجلال العلم » .

فقام وجلس بين يديه .

وبعث الرشيد إلى سفيان بن عيينة فأتاه وقعد بين يديه وحدثه ، فقال الرشيد بعد ذلك : « يا مالك ، تواضعنا لعامك فانتفعنا به ، وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به » .

والطبقة الرابعة من المعلمين : طبقة الشيوخ والفقهاء ، وهؤلاء القوم كانوا ذوى كرامة ظاهرة . كان الإمام أبو حنيفة إذا أخذته هزة المسائل يقول : « أين لذة الملوك من لذة ما نحن فيه . لو فطنوا لقاتلونا عليه ! » .

وهذه الطبقة والتي قبلها لم تكن لتتکسب بالتعليم أو تتعمد نيل أجر عليه . بل كان المحدثون والفقهاء إما من ذوى اليسار والنعمة ، أو يكون لأحدهم صناعة أخرى يتکسب بها . ففهم كان القزاز والخزاز والدباغ والرفاء والكواء والخفاف والجرار والجزار والصيرفي والإسكافي والحريري والنحاس والتقاش ، وغير أولئك ممن تغص بهم كتب الرجال .

وإلى جانب هذه الطبقات تجد طائفة القصاص وجماعة المفسرين والنحاة ، وأنماطاً أخرى كثيرة ، منهم طائفة كانت تعلم الفتيان الخطابة^(٦) .

* * *

نتنقل بعد هذا العرض إلى التهمة الموجهة إلى الجاحظ في خصومة المعلمين ، حكى عن الجاحظ أنه قال^(٧) : ألفت كتاباً في نوادر المعلمين

(٥) محاضرات الراغب الأصفهاني (١ : ١٤) .

(٦) البيان والتبيين (١ : ١٠٤) .

(٧) المستطرف للأبشي (٢ : ٢٤١ - ٢٤٣) .

وما هم عليه من الغفلة ، ثم رجعت عن ذلك وعزمت على تقطيع ذلك الكتاب .
 فدخلت يوماً قرية فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة ، فسلمت عليه فرد عليّ
 أحسن رد ورحب بي ، فجلست عنده وباحثته في القرآن فإذا هو ماهر فيه .
 ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب ، فإذا هو كامل
 الأدوات ، فقلت : هذا والله مما يقوى عزمي على تقطيع الكتاب . قال :
 فكنت اختلف إليه وأزوره . فجئت يوماً لزيارته . وطرقت الباب فخرجت
 إلى جارية وقالت : ما تريد ؟ قلت : سيدك . فدخلت وخرجت وقالت :
 باسم الله . فدخلت إليه وإذا به جالس ، فقلت : عظم الله أجرك ، لقد كان
 لكم في رسول الله أسوة حسنة ، كل نفس ذائقة الموت ، فعليك بالصبر .
 ثم قالت له : هذا الذي توفي ولدك ؟ قال : لا . قلت : فوالدك ؟ قال : لا .
 قلت : فأخوك ؟ قال : لا . قلت : فزوجتك ؟ قال : لا . فقلت : وما هو
 منك ؟ قال : حبيبتي ! فقلت في نفسي : هذه أول المناحس ! فقلت :
 سبحان الله ، النساء كثير ، وستجد غيرها . فقال : أتظن أنني رأيتها ؟ قلت :
 وهذه منحسة ثانية ! ثم قلت : وكيف عشقت من لم تر ؟ فقال : اعلم أنني
 كنت جالساً في هذا المكان وأنا أنظر من الطاق ، إذ رأيت رجلاً عليه برد
 وهو يقول :

يا أمّ عمرو جزاك الله مكرمةً

ردّي علىّ فؤادي أينما كانا

فقلت في نفسي : لولا أن أمّ عمرو هذه ما في الدنيا أحسن منها ما قيل
 فيها هذا الشعر ، فعشقتها . فلما كان منذ يومين مر ذلك الرجل بعينه
 وهو يقول :

لقد ذهب الحمار بأمّ عمرو

فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أمها ماتت ، فحزنت عليها وأغلقت المكتب وجلست في الدار .
فقلت : يا هذا ، إني كنت ألقت كتاباً في نوادركم معشر المعلمين ، وكنت
حين صاحبكك عزمت على تقطيعه ، والآن قد قويت عزمي على إبقائه .
وأول ما أبدأ بك إن شاء الله .

ويروون عن الجاحظ أيضاً أنه قال : مررت بمعلم صبيان وعنده عصاً
طويلة . وعصاً قصيرة ، وصولجان ، وكرة ، وطبل ، وبوق ، فقلت :
ما هذه ؟ فقال : عندي صغار أوباش ، فأقول لأحدهم : اقرأ لوحك .
فيففر لي فأضربه بالعصا القصيرة . فيتأخر فأضربه بالعصا الطويلة ،
فيففر من بين يدي فأضع الكرة في الصولجان فأضربه وأشجه ، فيقوم إلى
الصغار كلهم بالألواح . فأجعل الطبل في عنقي ، والبوق في فمي ، وأضرب
الطبل وأنفخ في البوق . فيسمع أهل الدرب ذلك فيسارعون إلى ويخلصونني .

ويروون عنه أيضاً أنه قال^(١) : مررت بمعلم وهو يقرئ صبيّاً :
وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا
لك كيداً وأكيد كيداً . فقلت له : ويحك ، قد أدخلت سورة في سورة ،
فقال : نعم ، عافاك الله ! إذا كان أبوه يدخل شهراً في شهر ، فأنا أيضاً
أدخل سورة في سورة ، ولا آخذ شيئاً ، ولا ابنه يتعلم شيئاً !

* * *

هذه هي بعض الصور التهكمية التي تستند إلى الجاحظ فيما يمس المعلمين ،
وهي وإن تكن تبعد شيئاً عن أسلوب الجاحظ في التعبير فإنها لا تبعد عنه في
روح الفكاهة التي عرف بها . وروح الضحك الذي يتردد في أثنائها .

(١) ثمرات الأوراق هاشم مستطرف (١ - ١٧٣ - ١٧٤) .

فإن تكن حقاً فإنها ترديد منه لما كان يدور في عصره من التهكم بصغار المعلمين الذين اتخذوا من التعليم صناعة تقيم أودهم وتمسك رفقهم . قال الجاحظ^(١) : « من أمثال العامة : أحقق من معلم كتاب » . وقد ذكرهم صقلاّب فقال :

وكيف يرجي العقل والرأي عند من

يروح على أنثى ويغدو على طفل

وفي قول بعض الحكماء : « لا تستشروا معلماً ولا راعى غنم » .

وكان القوم في عصر الجاحظ لا يزالون على إرث من آباءهم الذين ينفرون من التكسب بالصناعات الصرفة التي لا تعتمد على رأس المال والثروة ، وكانوا يكرمون العلم أن تنفق فيه درهيمات معدودة تذهب بجماله وشرفه . وكانت الطبقة التي تتولى تعليم أبناء العامة ترضى بالقليل ، ولا تذهب إلى المحافظة على كيانها الاجتماعي ، فدفعت الناس أن يضربوا المثل بها ، فيقولوا للشيء قد اضطرب نظمه واضطربت أوصاله : « هو كرهفان المعلم » . يعنون أنها تهبط من هاهنا وهاهنا فإذا هي مشيئة مختلفة النّسج ، تتعدد فيها الضروب والأشكال .

وروى الجاحظ أن ابن عتاب كان يقول^(٢) : « يكون الرجل نحوياً عروضياً ، وقسماً فرضياً ، وحسن الكتابة جيد الحساب حافظاً للقرآن . وهو يرضى أن يعلم أولادنا بستين درهماً ، ولو أن رجلاً كان حسن البيان . حسن التخريج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم » .

ومن عجيب ما روى الجاحظ في أمر هذه الطائفة أنها كانت تُستخدم

(١) البيان (١ : ١٧٣) .

(٢) البيان (١ : ٢٥٣) .

أحياناً في بعض الجرائم التي كانت في عصره من الكثرة بمكان . وهي جرائم الخناقين الذين يخنفون الناس ، قال في شأن هؤلاء القوم ^(١) :

« ولا يزانون يجعلون على أبوابهم معلم كتاب منهم ، فإذا خنق أهل دار منهم إنساناً ضرب النساء بالدفوف ، وضرب بعضهم الكلاب ، فسمع المعلم فصاح بالصبيان : انبحوا . وأجاب أهل كل دار بالدفوف والصنوج كما يفعل نساء أهل القرى ، وهيجوا الكلاب ، فلو كان الخنوق حماراً لما شعر بمكانه أحد » .

أضف إلى ذلك أيضاً أن المهمة الثقيلة التي كانت تلقى على معلم الكتاب في ظل ذلك النظام الساذج ، بل قل تلك الفوضى البدائية ، وفي ظل تلك الحاجة إلى القليل اليسير من المال ، كانت تعرض بعض أفراد هذه الطائفة من المعلمين لأزمات نفسية تخرج بهم من حد الاعتدال إلى ما يدعى غفلة وحمقاً .

على أن مما دفع بالجاحظ إلى التندر بتلك الطائفة ، ذلك الأسلوب الذي امتاز به وكاد ينفرد به ، هو أسلوب السخرية بالناس جميعاً على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم . فالجاحظ لم يتهم بتلك الطائفة من الناس فحسب ، بل هو يسخر بالقصاص ، ويسخر بالمفسرين والمحدثين ، وبالقضاة والحكام وبطائفة المتكلمين أيضاً . لا يكاد يسلم من لاذع سخريته إلا « المعتزلة » ، فهؤلاء عنده كانوا أعقل الناس وأحزم الناس . وأهدى الناس إلى المعرفة والتبين وإصانة الحكم .

فمن سخريته بالقصاص ما رواه عن أبي أحمد التمار أنه كان يقول في قصصه :

(١) الحيوان (٢ . ٢٦٥) .

« لقد عظم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حق الجار وقال فيه قولاً أستحي والله من ذكره ^(١) » !

ومن تنزيهه بالمحدثين ما روى أن الأعمش كان سيء الخلق غلفاً ، وكان أصحاب الحديث يضجرونه ويسومونه نشر ما يحب طيه عنهم ، وتكرار ما يحدثهم به . ويتعنونه . فيحلف لا يحدثهم الشهر والأكثر والأقل . فإذا فعل ذلك ضاق صدره بما فيه ، وتطلعت الأخبار إلى الخروج منه ، فيقبل على شاة كانت له في منزله فيحدثها بالأخبار والفقهاء ، حتى كان بعض أصحاب الحديث يقول . ليت أنى كنت شاة الأعمش ^(٢) !

ومن تنزيهه بالتقضاء ما روى أن رجلاً قال لعبيد الله بن الحسن القاضي : إن أبي أوصى بثلاث ماله في الحصون . قال : اذهب فاشتر به خيلاً . فقال الرجل : إنه إنما ذكر الحصون . قال : أما سمعت قول الأسعر الجعفي :

ولقد علمت على تجنبي الردى

أن الحصون الخيل لا مدرك القرى ^(٣)

ومن تنزيهه بالمتكلمين ما روى أن هشام بن الحكم صاحب الهشامية ، سأله رجل فقال : أترى الله عز وجل في عدله وفضله كلفنا ما لا نطيع ثم يعذبنا ؟ قال : قد والله فعل . ولكننا لا نستطيع أن نتكلم به ^(٤) !

ونحن إذا قلّبنا كتب الجاحظ لا نجد فيها إلا تبجيلاً ظاهراً للمعلمين ، ومنفعة ودفاعاً عنهم . فهو في البيان والتبيين يسهب التعليق على قولهم في المثل : أحقق من معلم كتاب ^(٥) فيقول ^(٥) : والمعلمون عندي على

(١) الحيوان (٣ : ٢٩٧) .

(٢) رسائل الجاحظ ٤٢ : نشرة كراوس . الحرة .

(٣) الحيوان (١ : ٣٥٤ - ٣٥٥) .

(٤) الحيوان (٣ : ١١) .

(٥) : (١ : ١٧٤ - ١٧٥) .

ضربين ، منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة .
ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم
المرشحين للخلافة . فكيف تستطيع أن تزعم أن مثل علي بن حمزة الكسائي ،
ومحمد بن المستنير الذي يقال له قطرب وأشباه هؤلاء يقال لهم حمقى ...
ولا يجوز هذا القول على هؤلاء ، ولا على الطبقة التي دونهم . فإن ذهبوا
إلى معلمى كتاتيب القرى فإن لكل قوم حاشية وسفلة . فما هم في ذلك
إلا كغيرهم » .

فالجاحظ لا يعم أيضاً معلمى الكتاتيب بالحمق . بل هو ينصفهم
أصدق الإنصاف . ويحتج لهم بأنهم كسائر الأقوام . فيهم الغث والسمين ،
والصالح وغيره .

ونجده يعتب على من كتب إليه رسالة « الوكلاء » بقوله ^(١) . « وقد
رأيتك حفظك الله خونت جميع الوكلاء وفجرتهم . وشنت على جميع
الوراقين وظلمتهم . وجمعت جميع المعلمين وهجوتهم . وحفظت مساوئهم
وتناسيت محاسنهم . واقتصرت على ذكر مثالب الأعلام الجلة » . فهو هنا
كذلك لا يرضى بتعميم الحكم . ويذهب مذهباً عادلاً في التقدير .

وقد بحث ما أبتت الأيام من رسالة الجاحظ في « المعلمين » وهي في
مختارات عبد الله بن حسان . فوجدته يتحدث في تمجيد المعلمين والانتصار
لهم . والاعتراف بفضيلهم ويقول ^(٢) : « وليس علينا لأحد من ذلك من
المنة بعد الله ما للمعلمين الذين نخرهم لنا . ووصل حاجتهم إلى ما في
أيدينا ... والمعلمون أشقى بالصبيان من رعاة الضأن ورواص المهارة .

(١) رسائل الجاحظ ١٧١ طبع السامي

(٢) الفصول المختارة لعبد الله بن حسان بهتمش كامل سرود (١ - ١٨)

ولو نظرت من جهة النظر علمت أن النعمة فيهم عظيمة سابغة ، والشكر عليهم لازم واجب » .

* * *

هذه نظرات الجاحظ إلى المعلمين ، وهي ناطقة بإنصاف الرجل ، وعدله في حكومته ، وحسن وضعه طبقته في موضعها اللائق بها ، من الإجلال والتكريم .

عبد السلام محمد هارون
المدرس بجامعة فاروق الاول

من التراث اللغوي(*)

معجم مقاييس اللغة

مفخرة من مفاخر التأليف العربى ، بل يكاد يكون الفذ فى نوعه من بين المؤلفات اللغوية فى المحيط العربى إن لم يكن فى المحيط اللغوى العالمى . فنحن لم نعلم إلى الآن أن مؤلفاً لغوياً آخر حاول أن يدرس مواد اللغة فى ظل القياس المطرد فى معظم تلك المواد .

ولا غرو ، فإن مؤلفه أحمد بن فارس يعد فى طليعة العلماء الذين أخذوا من كل فن بسهم وافر ، وكان لمعجمه اللغوى الآخر « الخجل » سيطرة علمية ظلت زماناً تتحكم فى الدراسات اللغوية والمعجمية . كما اشتهر كتابه « الصحاح » شهرة الصاحب بن عباد .

١ - وقد ظل هذا الكتاب - أعنى مقاييس اللغة - مطموراً فى زوايا النسيان ، لا يكاد يعرفه أحد من العلماء ولا من قدامى المؤرخين . إلا ما أشار إليه ياقوت فى « معجم الأدباء » فإنه ذكره فى ثبت مصنفاته وقال : « كتاب مقاييس اللغة ، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله » .

والذى وجه النظر إليه حديثاً هو دائرة معارف حيدرآباد بالهند . إذ وضعته فى ثبت الكتب التى انتوت نشرها فى سنة ١٣٤٥هـ أى منذ سبعة وثلاثين عاماً ، كما أشار إلى ذلك بروكلمان فى كتابه . ثم اعترمت نشره وزارة المعارف المصرية فى سنة ١٣٦٢هـ ولكنها لم تحقق العزم ، إلى أن أتيت إلى فرصة سعيدة إذ عاجلت تحقيقه ونشره من سنة ١٣٦٦هـ إلى سنة ١٣٧١هـ وأخرجته مع فهارسه الفنية فى ستة مجلدات عن صورة مأخوذة من نسخة المدرسة المروية فى إيران .

(*) نشرت بمجلة المجمع ج ١٥ ص ١٠١ سنة ١٩٥١م .

٢- ولا يساورنى شك فى أن المقاييس من أواخر مؤلفات ابن فارس ، فإن هذا النضج اللغوى الذى يتجلى فى أثنائه ، دليل واضح . كما أن خمولى ذكر هذا الكتاب بين العلماء والمؤلفين ، دليل كذلك . ولو أنه أتيح له أن يحيا طويلا فى زمان مؤلفه لاستولى على بعض الشهرة التى نالها صنوه « المحمل » .

٣- وأستطيع أن أذهب أيضاً إلى أنه ألف المقاييس بعد تأليفه « المحمل » فإن دارس الكتابين يلمس القوة فى الأول ، ويجد ابن فارس فى المحمل إذا حاول الكلام فى الاشتقاق فإنما يحاوله فى ضعف وتيب ، فهو فى مادة (جن) من المحمل يقول : « وسميت الجن لأنها تتق ولا ترى . وهذا حسن » . فهو يعجبه أن يهتدى إلى اشتقاق كلمة واحدة من مادة واحدة ، وليس يكون هذا شأن رجل قد وضع من قبل كتاباً فيه آلاف من ضروب الاشتقاق وصنوفه ، بل هو كلام رجل لم يكن قد أوغل من قبل فى هذا الفن .

وهو فى « المحمل » يترك بعض مسائل اللغة على علاتها ، على حين ينقدها فى « المقاييس » نقداً ظاهراً . فى المحمل : « ويقال : الأترور الغلام الصغير فى قوله :

* من عامل الشرطة والأترور *

وفى المقاييس : « وكذلك قولهم إن الأترور الغلام الصغير ، ولولا وجداننا ذلك فى كتبهم لكان الإعراض عنه أصوب . وكيف يصح شىء يكون شاهده مثل هذا الشعر :

أعوذ بالله وبالأمر من عامل الشرطة والأترور

٤- وابن فارس يعنى بكلمة « المقاييس » ما يسميه بعض اللغويين « الاشتقاق الكبير » الذى يرجع مفردات كل مادة إلى معنى واحد أو عدة معان تشترك فيها هذه المفردات . قال فى الصاحب^(١) : « أجمع أهل اللغة

إلا من شذ منهم أن لغة العرب قياساً . وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض ، وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان .

٥ . وهو لا يؤمن باطراد القياس في جميع مواد اللغة . بل هو ينبه على كثير من المواد التي لا يطرود فيها القياس ^(١) . كما يذهب إلى أن الألفاظ التي تدل على الأصوات ليست مما يجري عليه القياس .

وهذا مذهب حسن لابن فارس . وتعليقه فيما أرى هو اختلاف المصادر التي يحاكي الإنسان صوته من حيوان أو جماد أو نبات . ومن جميعاً ليست لمن إرادة ما . أو توجيه لما يصدر عنهن من أصوات يحاكيها الإنسان . فليس يتصور فيها القياس اللغوي أصلاً .

ويذهب كذلك إلى أن هناك جمهرة كبيرة من أسماء البلدان ليست مما يجري عليه القياس . وهو كذلك يأخذ لنفسه الخذر حين يعالج المواد ذوات الإبدال . فلا يجعل للمبدلة معنى قياسياً جديداً . بل يردها إلى ما أدلت منه ^(٢) . وكذلك يصنع في أسماء النبات .

وقد نفهم لتعليل ذلك أن كثير من أسماء النبات ما يكون أصله مأخوذاً من لغات أخرى ذات خصص ورّيف ، وأن منها ما يرتجل اسمه ارتجالاً كما أن أسماءها ليست من قبيل عنصر الحدث الذي يسرى في معظم الكلمات الاشتقاقية .

٦ - وقد يظن ظان أن ابن فارس قد سيطرت عليه فكرة الاشتقاق وحملته على تكلف القياس كما فعل ياقوت في « معجم البلدان » إذ حاول أن يطرود القياس الاشتقاق في معظم أسماء البلدان ومنها ما هو فارسي ، وما هو رومي أو تركي ، أو بابلي أو مصري .

(١) انظر للمثال مادة (ذن) . و (جوس) .

(٢) انظر مادة (جر) . جمع . جهف . حجم . سجر .

وليس كذلك ، فإن الرجل كان أمناً لمذهبه ، يديره في المواد التي يرى فيها القياس واضحاً له وللدارس معاً ، ثم هو ينأى عن مزالق التكلف والتأويل ، ومن أمثلة ذلك ما صنع في مادة (دوى) ، فحينما وجد مفرداتها متخالفة متضاربة ، كل منها يضرب إلى معنى غير المعنى الذي يضرب إليه الآخر ، أغفل القياس فيها وساقها سوقاً عابراً ، ففيها : « الدوى دوى النحل ، وهو ما يسمع منه إذا تجمع » . وفيها : « الدواء ، وهو معروف » . وفيها « الدواء التي يكتب منها » . و « الدواء بمعنى المرض » . و « دوى الطائر إذا دار في الهواء ولم يحرك جناحيه » . وفيها « الدواءية » وهي الجليدة التي تعلو اللبن الرائب » .

فكل من هذه الألفاظ لا يمت بسبب إلى الآخر . وليس في الإمكان إيجاد جامعة قريبة أو بعيدة بينها .

لكنه في جمهور المواد يجد اليسر واطراد الاشتقاق . ففي مادة (خلق) يرجع مفرداتها إلى قياسين اثنين : أحدهما تقدير الشيء ، والآخر الملاسة . فأما الأول فقولهم : خلقت الأديم للسقاء . إذا قدرته . قال زهير : ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ

— ض القوم يخلق ثم لا يفرى

ومن ذلك الخلق . وهو السجية ، لأن صاحبه قد قدر عليه ذلك . وفلان خليق بكذا ، وأخلق به ، أي ما أخلقه ، أي هو من يقدر عليه ذلك . والخلق : النصيب ، لأنه قد قدر لكل أحد نصيبه . ومن الباب رجل مختلق : تام الخلق . والخلق . أي خلق الكذب ، وهو اختلاقه واختراعه وتقديره في النفس . قال تعالى : « وَتَخْلُقُونْ إِفْكَاً » .

وأما الأصل الثاني في معاني مادة (خلق) . وهو الملاسة . فقولهم : صخرة خلقاء ، أي ملساء . قال :

قد يترك الدهرُ في خلقاء راسية

وهياً ويتزلُّ منها الأعصم الصدعا

ويقال اخلوق السحاب : استوى . ورسم مخلوق ، إذا استوى بالأرض . واخلق : السهم المصلح . لأنه يصير أملس . ومن الباب : أخلق الشيء وخلق ، إذا أملس وذهب زهره .

وفي مادة (حفل) يرى أن أصلها واحد ، وهو معنى الجمع .

يقال : حفل الناس واحتفلوا ، إذا اجتمعوا في مجلسهم . والمجلس يسمى محفلاً . والمحفلة : الشاة قد حفلت ، أي جمع اللبن في ضرعها . ويقال : لا تحفل به ، أي لا تباله ، أي لا تتجمع له . وذلك أن من عراه أمر تجمع له . ومنه قولهم : رجل ذو حفلة : إذا كان مبالغاً فيما أخذ فيه . وذلك أنه يتجمع له رأياً وفعلاً . وقد احتفل لهم ، إذا أحسن القيام بأمرهم . ويقال تحفل ، إذا تزين ، فكأنه يجمع لنفسه المحاسن . ومنه حفلت الشيء . إذا جلوته . وقياسه صحيح أيضاً . وذلك أنه يجمع ضوؤه ونوره بما ينفيه من صلته .

٧ - معطم اللغويين حين يفسرون هذه الألفاظ التي سبق سردها لا ينظرون إلى تلك الأقدار المشتركة بينها من المعاني بل يفسرون الكلمات أقرب تفسير وأوجزه ، ولا يحاولون إيجاد العلاقة بين المتماثلات إلا نادراً أو عرضاً . ولكن ابن فارس يسوق هذا المذهب في جمهور مواد اللغة مقتدراً بارعاً ، لا تنتهيه صعوبة الربط بين معاني الألفاظ والتماس العلاقة بين بعضها وبعض . بل هو يمضي في ذلك قدماً . فإذا التوفيق حايفه . والإصابة رائده . وبذلك يضع الباحث أمام المعنى الدقيق المحكم . ويجلو ظلام التفسيرات والجمجمات المبهمة التي وقعت لمن سبقه من علماء اللغة . فهو كذلك يستخدم مقاييس اللغة في تصحيح تفسيرات كبار اللغويين ،

فقد ذكر في تأصيل مادة (دمع) أن المادة لها أصل واحد يدل على ماء أو عبرة . وبعد أن ساق شيئاً من مفردات المادة قال :

« ويقال شجة دامعة : تسيل دماً . كذا هو في كتاب الخليل » . وعقب على ذلك بقوله : « والأصح من هذا أن التي تسيل دماً هي الدامية . فأما الدامعة - بالعين - فأمرها دون ذلك . لأنها اتى كأنها يخرج منها ماء أحمر رقيق » .

٨ - ومع ذلك الفضل الواسع والنجاح الغني ، لانجد ابن فارس ذاهباً بنفسه في غرور ، بل هو يحاول أبداً أن يشرك من سبقه من علماء اللغة في الفضل الذي تهدي إليه . فهو يقول في مادة (خدع) :

« الخاء والذال والعين أصل واحد ذكر الخليل قياسه . قال الخليل . الإخداع : إخفاء الشيء . قال : وبذلك سميت الخزانة الدخدع » .

وفي مادة (خيل) بعد أن ذكر أن أصلها يدل على حركة في تلون . يروي ابن فارس عن الأصمعي أنه قال : كنت عند أبي عمرو بن العلاء . وعنده غلام أعرابي . فسئل أبو عمرو : لم سميت الخيل خيلاً ؟ فقال : لا أدري . فقال الأعرابي : لاختياها . فقال أبو عمرو : اكتبوا .

وعقب ابن فارس على ذلك بقوله : . وهذا صحيح : لأن المختال في مشيته يتلون في حركته ألواناً » .

وفي مادة (خذف) يذكر أن المادة تدل على الرمي . ثم يقول : « ويقال أتان خذوف ، أي سميئة . قال أبو حاتم : قال الأصمعي : يراد بذلك أنها لو خذفت بحصاة لدخلت في بطنها من كثرة الشحم » . ثم يقول : « وهذا الذي يحكيه عن هؤلاء الائمة - وإن قل - فهو يدل على صحة ما نذهب إليه من هذه المقاييسات » .

٩ - ولا ريب أن هذه النظرات واللفتات المتقطعة التي كانت تظهر بين

الحين والآخر في إجراء القياس الاشتقائي في مفردات المادة اللغوية الواحدة ، قد أخذت سبيلها إلى التجمع شيئاً فشيئاً ، فنجد لغوياً مثل أبي منصور الأزهري صاحب التهذيب (٢٨ - ٣٧٠) يعترف بهذا القياس في قوله في نهاية مادة (قطع) من الجزء الأول ويقول : « قلت : وكل ما مر في هذا الباب من هذه الألفاظ واختلاف معانيها فالأصل واحد والمعاني متقاربة وإن اختلفت الألفاظ . وكلام العرب آخذ بعضه برقاب بعض » .

١٠ - ونجد ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١) من قبل الأزهري يؤلف كتاب « الاشتقاق » وهو - فيما أعتقد - صاحب الفضل في الإيحاء إلى ابن فارس بهذه الفكرة العبقريّة وإمكان تطبيقها ؛ إذ حاول ابن دريد في كتابه هذا أن يرد أسماء قبائل العرب وعماثرها ، وأفخاذها وبطونها ، وأسماء ساداتها وثنيانها وشعرائها ، وفرسائها وحكامها ، إلى أصول لغوية اشتقت منها هذه الأسماء ويقول في مقدمة الاشتقاق : « ولم نعد ذلك إلى اشتقاق أسماء صنوف النام من نبات الأرض نجمها وشجرها وأعشابها . ولا إلى الجماد من صخرها ومدرها وحزنها وسهلها : لأننا إن رمنا ذلك احتجنا إلى اشتقاق الأصول التي تشتق منها . وهذا ما لا نهاية له » .

ولكن ابن فارس استطاع أن يقارب هذه النهاية التي تهيئها ابن دريد ، وحاول أن يقوم بما عجز عنه أو نكص دونه . فألف كتابه هذا « المقاييس » يطر فيه قاعدة الاشتقاق فيما صح لديه من كلام العرب .

١١ - والكلام في الاشتقاق قديم . يرجع العهد به إلى زمان الأصمعي وقطرب وأبي الحسن الأنخفش . وكلهم قد ألف في هذا الفن وحاول ، ولكن ابن دريد بدأ النجاح الكبير لهذه الفكرة . وتناه ابن فارس بتأليف المقاييس . فنجاح فكرة الاشتقاق في نطاقها الواسع ، قد ظفربه في العربية هذا العالمان . وإن كان لابن دريد فضل الإيحاء والسبق . فإن لابن فارس فضل القوة البارزة والافتقار العارم .

١٢ - ولقد حاول معاصران لابن فارس المتوفى سنة (٣٩٥) . وهما :
أبو على الفارسي (٢٨٦ - ٣٧٧) ، وتلميذه أبو الفتح عثمان بن جنى (٣٢١ -
٣٩٢) أن يصعدا درجة فوق هذا بإذاعة قاعدة الاشتقاق الأكبر التى
تجعل للمادة الواحدة وجميع تقاليبها أصلاً أو أصولاً ترجع إليها فأخفنا فى
ذلك ، ولم نستطيعاً أن يشيعا هذا المذهب فى جمهوره مواد اللغة .

وقد عقد ابن جنى فى صدر كتابه « خصائص اللغة » فصلاً لتفسير هذا
المذهب جعل من أمثله مادة (ق و ل) التى ذهب إلى أنها أين وجدت وكيف
وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره إنما هى للخفوف والحركة .
يعنى (ق و ل) ، (ق ل و) ، (و ق ل) ، (و ل ق) ، (ل و ق) .

وقد أصاب فى هذه المحاولة الساذجة نجاحاً ، ولكننى أحسب أنه كان
يחס فى قرارة نفسه أن الفكرة ليست من الاطراد فى منزلة يبنى عليها مذهباً
لغوياً قائماً ، إذ لو كان قد شعر بهذا الاطراد وهذا القياس لمارسه وعالجه فى نطاق
واسع من حقول التجارب اللغوية . ولكنه صاح بها ثم أسكت . صنيع من
لا يؤمن بما يدعو إليه . ومن لا يستطيع الدعوة إلى ما هو موضع الشك
والريبة .

هذا كله يجعلنا نحى الرأس إجلالاً لهذا العالم اللغوى الجليل . أحمد بن
فارس بن زكرياً ، الذى توج التأليف العربى بتاج لا نجد له نظيراً فى تألقه .
ولا شبيهاً له فى أرجاء الثقافة العالمية وفى زواياها . فلم نعلم - بعد الاستقصاء
والبحث - أن لغة من لغات العالم . كائنة ما كانت ، ظفرت بمثل هذا
التأليف المبتدع ، فى قديم الزمان ولا فى حديثه على كثرة ما نرى ونسمع
من تعدد النشاط اللغوى واختلاف وجوهه .

إن ابن فارس رجل خالد . خلده علمه . وخلده خلقه قبل علمه .

بذلك محمد عارون

كان عالماً جليلاً(*)

[الصديق الخالد المغفور له الأستاذ عبد الرحيم محمود]

خلق للعلم ، وعاش للعلم ، حتى إذا ما أدى واجبه كاملاً غير منقوص ،
راح إلى جوار ربه قريح العين ، مثلج الصدر ، مرتاح الضمير ، وراح
صديقه إلى قبره ساخن العين ، حران الصدر ، حزان الضمير !!

شيّعناه بالأمس إلى قبره ، وكنا نحسب أننا سنلتقى بجنائزة حافلة تتلاطم
فيها أمواج الأصدقاء ، وتتلاقى فيها عيون الصفوة المختارة من كبار الأدباء
والعلماء ، ولكن الذى نعى العالم الجليل « عبد الرحيم محمود » لم يحسن النعى
ولم يوفق فيه ، ولم ينشر خبر وفاته كما ينبغي أن يذاع ، وهو هو الأديب
الكبير الذى شمل فضله جمهرة الأدباء ، وانتفع بعلمه كبار العلماء .

فانى لأعلم يقيناً أن عبد الرحيم « كان أستاذاً لكبار أدباء هذا الجيل
ومرشداً لهم ، وأعلم يقيناً أنهم كانوا يعترفون له بهذه الأستاذية ويفخرون بها
فى مجالسهم وأحاديثهم ، وأنهم كانوا يحاولون بقدر الإمكان أن يجزلوا
ثوابه على هذا الفضل البار ، ولكن ساء حظ الأديب بأبى إلا أن يحالفه
حتى الممات !

كانت جنازته جنازة صغيرة ، ولكنها كانت على صغرها تضم نخبة مختارة
من المثقفين ، فكان فيها كاتب واحد كبير ، وأستاذ واحد من أساتذة الجامعة ،
ومؤرخ واحد من كبار المؤرخين ، وشيخ واحد من أعضاء الشيوخ ، وقاض
واحد من القضاة الوطنيين ، وصحفى واحد من خيرة الصحفيين ، وه موظف
واحد من كبار موظفى المجمع اللغوى ، وآخر من كبار موظفى وزارة

المعارف ، فكان هؤلاء إلى لقيف من زملائه بدار الكتب المصرية هم الذين أسعدهم الحظ بشرف السير في جنازته . وإني لأرى أن ذلك جاء طبقاً لرغبته وسنته في العيش . سنة التواضع العميق ، والبعد عن زخارف الحياة وتهاويلها .

كان عبد الرحيم عالماً جليلاً نافذ البصر . وأديباً فحلاً ناقد النظر ، وكان ملجأنا وموئلنا حين تظلم شبهات العلم . وتختلط موازين النقد ، فيجلى عن تلك ، ويفصل بين هذه بما آتاه الله من مقدرة عالية ، ومن اتزان علمي بلغ الغاية أو أوفى على النهاية .

كان عبد الرحيم مصباح القسم الأدبي بدار الكتب منذ أكثر من ثلاثين عاماً . وإليه يرجع الفضل في كثير مما ظهر من محققات الدار .

وكان نبراس لجنة إحياء آثار أبي العلاء . وإليه يرجع كثير من الفضل فيما ظهر من آثار أبي العلاء . وأشهد لقد كان أستاذنا ومرشدنا في هذه اللجنة . وكثيراً ما كنا نختصم اختصاصاً شديداً ونراه المخطئ الذي لا ريب في خطئه . فإذا هو يصابرنا ويصابرنا في ثقة الأستاذ وإيمانه حتى يلمع الحق في جانبه . فنهرع إليه معترفين له به . ثم نشد على يده إعجاباً بفضله وخلقته العلمي .

كان عبد الرحيم أستاذاً للتحقيق العلمي . يتأني لمجاهيل العلم من حيث تحيب ظنون الناس . ويتهدى إلى مشاكله من حيث تضل الأقوام . وكان صبوراً على التحقيق والتنقيب . مجانباً للتسرع والاندفاع ، وقد تمكث الكراسة الواحدة من تجارب الطبع تحت يده زهاء الأسبوع . وهو يبدي النظر فيها ويعيد . ولا يتركها حتى يجلوها سليمة من الخطأ . بريئة من العيب . كل ذلك في أمانة بالغة . وحرص علمي كبير .

وكان حجة عظيماً في مسائل العربية ولغات العرب . فكانت فتواه القول الفصل ، والبرهان الساطع .

وكان قوى الذاكرة يعلم العلم فيحتفظ به سليماً كما هو لا تغيير ولا تبديل .
ولقد زرته فينات في حجرته المتواضعة . ولست أجد لديه من الكتب والمراجع
إلا لسان العرب لابن منظور ثم شتمه أخيراً بمعجم مقاييس اللغة لابن فارس .
لأنه كان يعتمد على ذاكرة عبقرية . تعنى من أعماق الماضي ما لا يعيه
المحدثون من سطوح الحاضر !

وكان عبد الرحيم صديقاً وفياً خالص الوفاء . وكان ذا مروءة فياضة ،
وكان على ضيق ذات يده مفرط الجود . لا يضمن أن يتبرع بجاهه ، إذ كان
له جاه عظيم لدى كبار رجال الدولة . وكثيراً ما جاب إلى أصدقائه
ومواطنيه من أبناء الصعيد خيراً كثيراً . ودافع عنهم أذى كبيراً . وأعلم
لقد جلب الخير إلى كثير ممن وصلوا إلى السلطان .

كان عبد الرحيم ظل الصيف : كان ذا دعاية وفكاهة يصدران عن
أدب جم . وخلق سمح . وذكاء جميل . وكان مجلسه سروراً ومتعة عليّة .
وكأننى بجميع أندية القاهرة تعرف عبد الرحيم . إذ كان يتردد عليها منذ
صباه ، وله في كل منها أصدقاء ومريدون . كان عبد الرحيم صديقاً للقاهرة
وعلمت في جنازته بالأمس أنه آثر أن يدفن في القاهرة على أن يدفن في مسقط
رأسه . وأوصى بذلك إلى أحد أصدقائه اختارين . انذى اختار له مثنى كريماً
في مقبرة أسرته في حي الإمام الشافعى . فليرحمه الله ونيسكب عليه شآبيب
رحمته ورضوانه ! !

لقد ترك عبد الرحيم في قلوب أصدقائه كلوماً لا تهرأ وجراحاً لا تندمل .
وفي صفوف تلاميذه والمعجبين به فراغاً لا يسد ، وثلمة لا ترأب . ولكنه
ترك للعلم جهاداً صالحاً . وللوفاء والبر مثلاً عالياً . وللمروءة والكرم مناراً
واضحاً ، وللصبر وقوة الاحتمال علماً شامخاً ! !

عليك سلام الله قيسَ بنَ عاصم
 ورحمته ما شاء أن يرحمها
 تحية من غادرته غرض الردى
 إذا زار عن شحط بلادك سلم
 وما كان قيسٌ هلكه هلك واحد
 ولكنه بنيان قوم تهدما

عبد السلام محمد عارون

البَابُ الثَّانِي

بَيِّنِي وَبَيِّنَ الْأَدُبَاءَ وَالْعُلَمَاءَ

كليلة ودمنة

نقد وتعليق

للأستاذ عبد السلام محمد هارون

- ١ -

« كتابٌ دَهْرِي الصَّنْعَة ، متقادم الميلاد » ، أفرغت فيه حكم الدنيا
ومواعظ الأجيال ، وكان عجباً عجباً ، وأدباً خالداً ! !

وكان اختيار مطبعة المعارف لهذا السَّفر الجليل أن يكون تذكراً لعيدها
الخمسيني - اختياراً موفقاً كل التوفيق ، فبرهنت بذلك أنها تحسن هذا الأمر
ونجده .

وأما الرجل الذي وكلَ إليه الاضطلاع بعبء نشر الكتاب وتحقيق
مواضع الشُّبه فيه والحكم عليها ، فرجل هَدَّكَ مِنْ رَجُل !

فالدكتور عبد الوهاب عزام قطب من أقطاب الثقافة العربية كما هو من
الثقافة الفارسية . فكان بذلك خير من يتصدَّى لمثل « كليلة ودمنة » ، لينشره
على الناس في هذا الثوب الرائع الفائق . وليجهد نفسه فيه هذا الإجهاد
المثمر الطيب .

والني لأبادر فأهني الأستاذ عزام تهنئة صادقة ، لما أحيا « كليلة ودمنة »
على نحو يغتبط له ابن المقفع في مثواه . ويغتبط له أيضاً ذلك الجندي المجهول
الذي صنع للناس هذا الكتاب في أصله الهندي ، ثم تركه يسير في الدنيا كريماً
عزيزاً ، تنهاده اللغات ، وتنازعه اللهجات ، ويغتبط له كذلك أنصار
الأدب العربي في المشرقين والمغربين .

كما أزعجى تهنتى إلى رجال مطبعة المعارف ، مُنَوِّهاً بهذا الفن العجيب الذى أبرز الكتاب تحفة تاريخية ناطقة . وإن كان للنشر أدب خاص ، فهذا الكتاب منه قطعة أدبية عالية ؛ وإن للألواح الثلاثة عشر التى رسمها المصور « رومان سترىكالفسكى » لأثر كبير آفى لإحداث هذا الجو الفنى البهيج .

وقد صنع الأستاذ عزام لهذا الكتاب مقدمة بلغت من النفاسة مبلغاً ، وحوث من الفوائد الكثير ؛ فهو قد عرض لتاريخ الكتاب ، وبيّن أن النسخة العربية « أصل لكل ما فى اللغات الأخرى ، حاشا الترجمة السريانية الأولى ، فقد فقد الأصل الفهلوى الذى أخذت عنه الترجمة العربية ، وفقد بعض الأصل الهندى الذى أخذت عنه الترجمة الفهلوية واضطرب بعضه ، فصارت النسخة العربية أمّاً يرجع إليها من يريد إحداث ترجمة أو تصحيح ترجمة قديمة ، بل يرجع إليها من يريد جمع الأصل الهندى وتصحيحه » .

ثم تحدّث عن طبعات الكتاب ، فذكر :

١ - طبعة المستشرق دى ساسى الذى كانت طبعته أصلاً من أصول الطبعات المصرية الكثيرة ؛ وهى نسخة ملفقة من عدة نسخ .

٢ - ثم طبعنى اليازجى وطبارة . وهما ملفقتان من طبعة دى ساسى ومخطوطات ومصورات أخرى .

٣ - ثم طبعة شيخو . وهى أول طبعة فى اللغة العربية تقدم للقراء نصّاً كاملاً غير ملفق من كتاب « كليلة ودمنة » وأصلها مخطوط سنة ٧٣٩ هـ ؛ وقد طبعه شيخو كما هو لم يصحح أغلاطه ولم يوضح غامضه . ليكون أمام المستشرقين صالحاً للمقارنة والنقد .

ثم تحدّث عن النسخة التى نقلت عنها الطبعة الحديثة . وهى فى مكتبة أيا صوفيا بإسطنبول كتبت سنة ٦١٨ ، فهى أقدم من كل المخطوطات التى وصفها المستشرقون ، وأقدم من نسخة شيخو المكتوبة سنة ٧٣٩ .

وهذه النسخة مفعمة بالتحريف والتصحيف والأسقاط وخطأ الرسم ؛
وتستطيع أن تعد في النموذج المصور من الصفحة الأولى فقط ^(١) نحو اثني عشر
تحريفاً وتصحيحاً .

وهذا يدل على مقدار الجهد الهائل الذي بذله الأستاذ عزام في تحقيق
هذه النسخة وتقريبها إلى السلامة .

ونحن في هذا الصدد نأخذ على الأستاذ أنه لم يتوخ في هذه الناحية
ما يقتضيه النشر العلمي من إثبات الأصل والتنبيه عليه ؛ فقد يكون للقارئ
وجه في التصحيح غير الذي ارتضى . نعم ، إن الأستاذ قد أثبت بعض كلمات
الأصل في التعليقات التي ألحقها بالكتاب ، لكنها من القلة بحيث لا تغني شيئاً
في معرفة أصل الكتاب والوقوف عليه .

وأما جهود المستشرقين ناطقة بمدى تقديرهم لهذه الناحية التاريخية
الفنية . فلا تكاد تجد كتاباً نشره إلا وقد أثبتوا أصله أو أصوله إن كان
ذا نسخ مختلفة .

وكتاب مثل كتابنا هذا ، لبس من جلال التاريخ ما كبس ، جدير
بما ذكرت من وجوب بيان أصله للرجوع إليه ، ووجوب مقارنة نسخه
بعضها ببعض .

ولغة ابن المقفع في « كليلة ودمنة » لغة عالية . تعلقو على المتأدب
والأديب أيضاً . فهي محتاجة إلى توضيح وتقييد وبيان . فكان من المستحسن
أن يصنع الأستاذ لها شرحاً أو معجماً يالحقه بنهاية الكتاب ، كما فعل من قبل

الخورى نعمة الله الأسمر ، حينما نشر ترجمة ابن الهبارية لكليلة ودمنة ، مع أن لغة هذا النظم فى مستوى دون مستوى ترجمة ابن المقفع .

على أن الأستاذ قد أحسن صنعاً بما حقق من الأعلام الفارسية والهندية ، مما يشهد له بتمام البراعة فى ذلك .

• • •

قرأت نسخة الأستاذ عزام ، ونعمت - كما نعم غيرى - بما فيها من دقة وجمال ، فطالعت فيها خير كثير ومقدرة فنية عظيمة ، كما ظهرت لى بعض هنات أحببت أن أنبه عليها ، وبدا لى بعض الرأى فى عبارات الكتاب ، فأثرت أن أنشره راجياً أن يباعدنى العنتُ ، ويفارقنى التكلف ، وأن يسعفى فى ذلك الحق .

١ - فى الضبط اللغوى :

١ - ص ٣٦ س ٦ : (كالعظم المتعرق) بكسر الراء ، صوابه : (المتعرق) بفتح الراء المشددة . يقال عرق العظم يعرقه عرقاً ، وتعرقه . واعترقه : أكل ما عليه من اللحم .

٢ - ٨١ : ٥ ، ٦ : (ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل البيت ، وأهل البيت تفتدى بهم القبيلة ، والقبيلة يفتدى بها المصر) . الوجه : (يُفْتَدَى) و (تُفْتَدَى) بالبناء للمجهول فيهما . فأهل البيت ، وكذا القبيلة والمصر لا يفعلون الافتداء ، وإنما يفعل بهم ذلك غيرهم فهم مفتدون . ومن ذلك ما قال كعب بن سعد الغنوى ^(١) :

فلو كان حى يُفْتَدَى لفديته بمالم تكن عنه النفوس تطيب

(١) أملى بقلى (٢ : ١٤٩) .

٣ - ٨٧ : ٦ : (ولا تغتر إليه) ، ولا يقال (اغتر إليه) بل (اغتر به) على أن جو العبارة يؤذن بأن صحتها : (ولا تقترّب إليه) فليس فيما سبقها من الكلام ما يشعر بأن « شترّبة » قد يتعرض للاغترار أو يقع فيه .

٤ - ٩١ : ١٢ : (وندفن بقيتها مكاناً حريزاً) . وهذه عبارة غير صحيحة . والصواب : (في مكان حريز) فإن الفعل (دفن) لا يتعدى إلى ثان إلا بالحرف (في) . وليس هذا أيضاً من المواضع التي يكون فيها لفظ (مكان) ظرفاً من الظروف المكانية ؛ فإن اسم المكان الصالح للظرفية إما أن يشتق من حدث بمعنى الاستقرار والكون في مكان ، أولاً . والثاني لا ينتصب على الظرفية إلا بالفعل الذي ينتصب به على الظرفية المختص من المكان كدخلت ونزلت وسكنت . وذلك نحو المضرب والمقتل والمأكل والمشرب .

والأول (ومنه لفظ مكان) إنما ينصبه على الظرفية أمران : أحدهما الفعل المشتق مما اشتق منه اسم المكان نحو قمت مقامه ، وجلست مجلسه ، وأويت مأواه ، وثانيهما كل ما فيه معنى الاستقرار وإن لم يشتق مما اشتق منه ، نحو قعدت موضعتك ، ومكان زيد . وجلست منزل فلان ، ونمت مبيتة ، وأقمت مشتاه . وما ليس فيه معنى الاستقرار لا ينصبه فلا يقال كتبت الكتاب مكانك . وقتلته مكان القراءة . وشتمتكم منزل فلان ^(١) .

وليس « الدفن » من الاستقرار في شيء . فلا ينصب لفظ « المكان » على الظرفية المكانية .

وقد جاء في نسخة بولاق ^(٢) ص ٤٩ : « وندفن الباقي في أصل هذه الشجرة . فهو مكان » حريز » .

(١) انظر مع الهوامع (١ - ١٩٩) وشرح الرضى للكافية (١ : ١٦٩ - ١٧٠) .

(٢) كلية ودمنة طبع بولاق سنة ١٢٥١ .

٥ - ٩٥ : ١٣ « وبلاء يضيّع عند من لا شكر له » البلاء هنا بمعنى الإينعام . وفي ترجمة ابن الهبّارية ص ٩٥ :

ما أضيع النعمة عند الكافر وأقبح الخلة عند الهاجر

وبين اللغويين خلاف فى أن يكون البلاء بمعنى الإينعام ؛ فقال بعضهم : « الإبلاء : الإينعام . والبلاء : الإشقاء والإتعاس » . أما الإبلاء بمعنى الإينعام فلا خلاف فيه . ومنه قول زهير (١) :

رأى الله بالإحسان ما فعلا بكم فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

أى صنع بهما خير الصنيع . والحق أن الإينعام إنما هو الإبلاء لا البلاء . ومنه الحديث : « من أُبلى فذكر فقد شكر » وحديث كعب بن مالك : « ما علمت أحداً أبلاه الله خير مما أبلانى (٢) » .

وقد احتج من زعم أن « البلاء » يكون أيضاً بمعنى الإينعام بقوله تعالى : « وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين » وقوله : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » وردّ عليه بأن البلاء فى الآية الأولى بمعنى الاختبار لا الإينعام . وكذلك « نبلوكم » أريد بها : « نختبركم » .

وجاء فى نسخة بولاق ص ٥١ : « وحياء يصطنع عند من لا شكر له » . والحياء ، بالكسر : العطاء .

٦ - ٢٢١ : ١٥ « ولكن إيش الفائدة فيها » بكسر الهمزة . وهذا ضبط عامى ؛ والصواب : (أَيْش) بفتح الهمزة وتنوين الشين المكسورة . وأصلها : (أى شئ ؟) خففت بحذف الياء الثانية من (أى) وحذف همزة

(١) فى ديوانه ٢١ .

(٢) نهاية ابن الأثير ، ولسان العرب .

(شئ) بعد أن نقلت حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، ثم أُعِلَّتْ لإعلال المنقوص . ونحوها في ذلك (وَيَلْمُهُ) ، أصلها : (ويلٌ لأمه) ، حذفت لام (ويل) وهمزة (أم) . قال المتنخل الهذلي ^(١) :

ويلمه رجلاً تأتي به غيباً إذا تجرّد لا خال ولا بخلُ

وقال ذو الرمة ^(٢) :

وَيَلْمُهَا رُوحَةً وَالرَّيْحُ مُعَصِفَةٌ وَالْغَيْثُ مَرْتَجِزٌ وَاللَّيْلُ مُقَرَّبٌ

وقال علقمة بن عبدة ^(٣) :

وَيَلْمُ أَبَايَ الشُّبَابَ مَعِيشَةً

مع الكثر يُعْطَاهُ الْفَقِي الْمَتْلِفُ النَّدِي

قال ابن السّيد في الاقتضاب ^(٤) : « حذف لام ويل وهمزة أم ، كما قالوا أيش لك ، يريدون : أى شئ ؟ » . وقال الخفاجي في شفاء الغليل : « أيش بمعنى أى شئ ، خفف منه . نص عليه ابن السّيد في شرح أدب الكاتب ، وصرحوا بأنه سمع من العرب . وقال بعض الأئمة : جنبونا أيش ؛ فذهب إلى أنها مولدة . وقول الشريف في حواشي الرضى أنها كلمة مستقلة ^(٥) »

(١) أدب الكاتب ١٨٣ سلفية والاقتضاب ٣٦٣ .

(٢) خزائن الأدب (٣ : ٢٤٨ سلفية) .

(٣) الخزائن (٣ : ٢٥٣ سلفية) .

(٤) الاقتضاب ٣٦٥ ؛ وانظر أيضاً تكملة لإصلاح ما تفلط فيه العامة للجواليقي ص ٤٧ .

(٥) في الأصل : « مستمثلة » .

بمعنى أى شئ وليست مخففة منها ، ليس بشئ . ووقع فى شعر قديم^(١)
أنشدوه فى السير :

* من آل قحطان وآل أيش *

قال السهيلي فى تفسيره : « وأما آل أيش فيحتمل أن تكون قبيلة من
الجن المؤمنين ينسبون إلى أيش . فإن يكن هذا وإلا فله معنى فى المدح غريب .
تقول : فلان أيش هو ، وابن أيش ! ومعناه : أى شئ عظيم ؛ فكأنه أراد
من آل قحطان ومن المهاجرين الذين يقال فيهم مثل هذا ، كما تقول : هم
وما هم ! وزيد وما زيد ، وأى شئ زيد ! وأيش فى معنى أى شئ كما يقال
ويلمه فى معنى ويل أمه ، على الحذف وكثرة الاستعمال . وهذا كما قال هو :
فى جيش وأى جيش ! »

* * *

- ٢ - (*)

٧ - ١٧٩ : ٤ : (فأسعفنى بطليتى) بكسر الطاء وهى صحيحة . لكن
العرب يختارون فى مثل هذا « الطليبة » بفتح الطاء وكسر اللام . ومنه حديث
نقادة الأسدى : « قلت : يا رسول الله ، اطلب إلى طليبة ، فإنى أحب أن
أطلبكها » .

٨ - ٢٦١ : ٤ : « إن الملوك وغيرهم جدر أن يأتوا الخير إلى أهله » .
وقد أفسد هذه العبارة أمران : أما الواحد ، فأن (جدر) جمع (جدار)

(١) هذا وهم . ولصواب أنه سمع كاهن . وقد ذكره السهيلي فى (١ : ١٣٨) .
وهو قول خطر بن مالك الكاهن : « والحيدة والعيش ، إنه لمن قرئت ؛ ما فى حلمه طيش ،
ولا فى خلقه هيش ، يكون فى جيش وأى جيش ، من آل قحطان وآل أيش » .

(*) نشرت بمجلة ارسالة العدد ٤٢٦ ، سبتمبر ١٩٤١ .

بالكسر ، وهو الحائط : والصواب : (جُدراء) . أو (جديرون) ، وهما الجمعان اللذان يجمع عليهما (جدير ^(١)) : وجمع (فَعِيل) صفة على (فَعُل) بضمّتين نادر سمع منه : نذير ونذُر ، وجديد وجُدُد (بدلين) ، وسديس وسُدُس ^(٢) .

وأما الثاني ، فإن (أتى) إذا تعدّى إلى المفعول لا يكون بمعنى الإعطاء ، بل يكون بمعان أخر . منها الفَعْل : أتى الأمر والذنب : فَعَلَهُ : ومنها الهدم والقلع . قال الله تعالى : « فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِنَ الْقَوَاعِدِ ^(٣) » . ومنها الانتساب ، أتى الرجل القوم : انتسب إليهم وليس منهم ، فهو أَيْتِيٌّ .

وأما الذى هو بمعنى الإعطاء . فهو الفعل (آتَى) على زنة أفعَلَ . ومنه قول الله تعالى : ﴿ آتَيْنَا غَدَاءَنَا ^(٤) ﴾ ، وقوله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَ صَبِيحًا ^(٥) ﴾ ، ومضارعه (يُؤْتِي) على يُفَعِّل . وفي كتاب الله تعالى : « يُؤْتِي . يُؤْتُونَ ، يُؤْتِينَ . يُؤْتِيهِ . سَيُؤْتِينَا . يُؤْتِكُمْ . يُؤْتُونَهُن . وتؤتوها . نُؤْتِيهِ . نُؤْتِيهَا . يُؤْتِيهِمْ . سَنُؤْتِيهِمْ ^(٦) » : وإِنَّمَا سَقَت هذه الشواهد لأنبه على أن ما ورد فى اللسان من قوله ^(٧) : « والإيتاء : الإعطاء . آتَى يُؤَاتِي إِيْتَاءً . وآتَاهُ إِيْتَاءً أَى أعطاه » وهم "أو تصحيف : والصواب : آتَى يُؤْتِي . فوجه عبارة ابن المقفع إذن : « جُدراء أن يُؤْتُوا الخير إلى أهلها » .

ولعل السر فى هذا التحريف أن طائفة من علماء الرسم الأقدمين كانوا يرسمون الهمزة ألفاً فى كل حالة . وزعيمهم فى ذلك أبو زكريا الفراء المتوفى

(١) اللسان والتماموس وكتاب سيبويه (٢ : ٢٠٧ - ٢٠٨) .

(٢) سبويه . وجمع اليهو مع (٢) ١٧٥ طبع (١٣٢٧) .

(٣) سورة النحل ٢٦ .

(٤) سورة الكهف ٦٢ .

(٥) سورة مريم ١٢ .

(٦) نصر فوكل Flügel ص ٣ ، أو مصدح الإخوة ص ٩ .

(٧) سان اعرب (١٨ - ١٧ - ١٦)

سنة ٢٠٧ ، وجمهور علماء الرسم يُسمُّون أولئك : « أصحاب التحقيق » ،
أى تحقيق الهمزة ؛ وأما الكتابة الغالبة التى نأخذ نحن بها الآن ، فيسمى
أصحابها : « أصحاب مذهب التخفيف والتسهيل » ، وهم يجرون على لغة أهل
الحجاز فى تخفيف الهمزة وتسهيلها ، ويعبرون عنها بصور تسهيلها : من
الألف والواو والياء ^(١) . فلعل هذه بقية من بقايا رسم التحقيق .

٢ - فى الضبط النحوى :

١ - ص ١٤ س ٧ : (ولكل علّة مَجْرَى) . صوابه : (مَجْرَى)
بالتنوين ، وهو تحريف طبع .

٢ - ١٨ : ١١ : (فيعلم سرّ نفسه وما يضمّر عليه قلبه) بنصب (قلبه)
وجعلها مفعولاً لِيُضمّر ، وأُضمّر يُضمّر بمعنى أخفى يخفى ، فما يكون
المعنى فى أن يخفى قلبه عليه ؟ الصواب : (قلبه) بالرفع على الفاعلية ؛ لأن
القلب هو الذى يضمّر الأسرار والنوايا .

٣ - ٤١ : ١٤ : (وشبّهت الجرّدين بالليل والنهار ، وقرضتهما دأبهما
فى إنفاذ الآجال) يصح أن تقرأ : (وقرضتهما دأبهما) باستمرار التشبيه .
(شبّه) من الأفعال التى تتعدى إلى مفعولين . وفى اللسان : (شبّههُ إياه
وبه) . ومنه قول الشمر دل ^(٢) :

يُشبّهون ملوكاً فى تيجانهم وطول أنصية الأعناق والأمم

وقول عبد بنى الحسحاس ^(٣) :

(١) المطالع النصرى ٦٤ - ٦٥ - ٨٩ - ١٢٩ طبع ١٢٧٥ ومع الموامع (٢ : ٢٣٩) وأدب الكتب ١٩٧ .
(٢) الحيوان (٣ : ٩٢) والكامر ٣٥ لبيسك والقال (١ : ٢٣٨) .
(٣) الحيوان (١ : ٢٥٥) .

فشبهتهنى كلباً ولست بفوقه ولا دونه إن كان غير قليل
وقد سبق استعمال ابن المقفع لهذه اللغة فى ٣٥ س ٤ : (وشبهتهما
الجَنَّةَ الحريزة) . وعلى ذلك يسوغ أيضاً أن تضبط كلمة (العسل) فى
السطر بعدها بالنصب .

٤ - ٦٨ : ١٤ : ١٦ : (قال دمنة : حدثنى الأمين الصادق عندى
أن شترية خلا برءوس جندك فقال لهم : قد عجمت الأسد . وبلوت رأيه
ومكيدته وقوته ، فاستبان لى فى كل ذلك ضعف : وإنه - بكسر الهمزة -
كائن لى وله شأن . وأنه - بفتح الهمزة - لما بلغنى هذا عرفت ... الخ) .
يصح أيضاً : (وأنه كائن) بفتح أن . عطف على فاعل (استبان) .
ويتعین : (وإنه لما بلغنى) بكسر الهمزة . عطف على مقول دمنة . أى
وقال دمنة : إنه لما بلغنى ... الخ .

٥ - ٩٦ : ٣ : (وكذلك الجهال لم يزالوا يستثقلون عقلاءهم واللؤماء
كرامهم) . صوابه : (واللؤماء) بالرفع . وهذا تحريف طبع .

٦ - ١٢٨ : ٤ : (فأعادت ذلك عليه مراراً - كل ذلك لا يلتفت إلى
قولها) . ولا وجه للرفع هنا . والوجه (كل ذلك) بالنصب على الظرفية
الزمانية . ولا يصح أن تكون : (كل) مبتدأ . وذلك لأن الضمير العائد
عليها محذوف تقديره (فيه) . والبصريون يمنعون حذف الضمير العائد على
لفظ (كل) إذا كان مبتدأ^(١) ولذلك حكوا بشذوذ قراءة ابن عامر فى سورة
الحديد^(٢) : (وكلٌُّ وَعِنْدَ اللَّهِ الْحُسْنَى) . وقراءة بنى السبعة : (وكلُّا)
بالنصب^(٣) . وابن عامر قرأ نظير هذه الآية من سورة النساء ٩٥ (وكلُّا وَعِنْدَ
اللَّهِ الْحُسْنَى) بالنصب كالجماعة^(٤) .

(١) عسل - ٢٠٩ . ١ - ٢٠٧

(٢) - سورة الحديد ١٠ .

(٣) من الفصح ٣٢٨ وعث سمع ٣٢١ .

(٤) انظر المص (ك) وكذا المصنفين السابقين

٧ - ١٦٠ : ٢ (إلى مكان كذا وكذا) . تكرار (كذا) مع العطف
أحد استعمالين صحيحين . والوجه الآخر الإفراد . أى (مكان كذا) .
وهذا وردت فى ص ٨٣ من طبعة بولاق .

قال ابن هشام فى رسالته التى صنفها فى معنى هذه الكلمة : كذا وكذا
يكنى بها عن غير العدد . وفيها حينئذ الإفراد والعطف ، نحو مررت بمكان
كذا ، ومررت بمكان كذا وكذا . ويكنى بها عن العدد وليس فيها إلا
العطف ... وقال ابن مالك : سمع فيها العطف وعدمه كالأولى ، لكنه قليل ^(١) .

وفى شرح الأشمونى : « تأتى كذا هذه - أعنى المركبة - كناية عن غير
العدد وهو الحديث مفردة ومعطوفة » .

ففسهم من هذين النصين أن الإفراد فى الممكنى بها عن غير العدد مقدم على
العطف . لكن الرضى قدم العطف على الإفراد فى الحالين .

قال ^(٢) : « وورود كذا كذا مكرراً مع واو نحو كذا وكذا أكثر من
إفراده ومن تكرره بلا واو . ويكنى بها عن العدد نحو عندى كذا درهماً .
وعن الحديث نحو قال فلان كذا .. »

وقد التزم ابن المقفع لغة العطف . فقد جاء فى ١٦٨ س ١٤ (إن اليوم
بمكان كذا وكذا) وفى ٢٢٤ س ٨ : (فى يوم كذا وكذا من شهر كذا
وكذا) . وفى ٢٥٨ س ١٣ (فقال كذا وكذا) .

٨ - ١٧٩ : ٢ (ولم أذكر ما ذكرت ألا آكون أعرف منك الكرم
والسعة) . الوجه : (إلا لكونى أعرف منك) إلخ .

(١) شرح درة النواص ١٤٣ .

(٢) فى شرح الكافية (٢ : ٥٩)

٩ - ١٩٩ : ٣ : (لم تدر أيُّهما تأخذ) برفع (أيُّهما) والصواب (أيُّهما) بالنصب ؛ فإنها مفعول مقدم لتأخذ ؛ وليس من باب الاشتغال و (أى) هنا استفهامية ؛ ولذا علقت الفعل القلبي قبلها عن العمل فيها . ولا يجوز أن تكون (أى) هنا موصولة بنيت على الضم . ولو فرضنا أنها موصولة فإنها لا تبني عليه إلا في حالة واحدة . وهى إذا ما أضيفت وحذف صدر الصلة . وليس فى الكلام صدر صلة محذوف ؛ فإنها جملة فعلية .

قال الرضى ^(١) : « صلتها إما اسمية ^(٢) أو فعلية . والفعلية لا يحذف منها شيء ^(٣) ، فلا تبني أى معها . والاسمية قد يحذف صدرها . فلا بناء مع الصلة الفعلية .

١٠ - ٢٦٨ : ٩ : (من غدوة إلى الليل) ، بمنع (غدوة) من الصرف . وهذا ضبط جيد ؛ فإن (غدوة) هنا معرفة من قبيل أعلام الأجناس . بدليل قرنها بالليل وهو معرفة . وغدوة حين تعدها معرفة تمنعها الصرف فتجرها بالفتحة ^(٤) .

وزعم الخليل أنه يجوز أن تقول : أتيتك اليوم غدوةً وبكرةً ^(٥) . فهذا يدل على جواز الصرف مع إرادة المعرفة .

٣ - فى تحقيق النص :

١ - ٢٦ : ١٠ : (مثل الحراث الذى يثير أرضه ويعمرها ابتغاء الزرع

(١) فى شرح بكفية (٢ : ٥٣) .

(٢) النسبة إلى « اسم » . « اسمى » هربت وصر . ويوم من يجعلها فى النسبة همزة قطع . انظر سيبويه (٢ : ٨١) .

(٣) يعنى صدر الصلة .

(٤) الرضى (١ : ١٧٣) وسيبويه (٢ : ٤٨) .

(٥) سيبويه (٢ : ٤٨ س ٢٤) .

لا العشب) فما وجه العمارة فى طلب الزرع ؟ ! الصواب (يغمرها) بالغين المعجمة ، أى بالماء .

٢ - ٣٨ : ٣ فى الحديث عن الجنين : (منوط قمع سرته إلى مرىء بأمعائها) . وهو كلام متهاالك مضطرب . فما العلاقة بين سرّة الجنين وأمعاء الأم ؟ ! وإنما الجنين موطنه الرحم ، لا يعدوه ولا يتصل بغيره من الأعضاء . والصواب : (منوط بمعى [من] سرته) كما ورد فى نسخة بولاق ص ٢٨ . والمعنى ، بالفتح ، وكإلى : واحد الأمعاء . والمراد به هنا ما يسمى : « الحبل السرى » : Umbilical cord .

أما كلمة (مرىء) فعجبية أيضاً : فإن المرىء بفتح الميم وكسر الراء : هو رأس المعدة اللاحق بالخلقوم ، وهو مجرى الطعام والشراب إلى المعدة ؛ لا يكون إلا ذلك ، فكيف يكون المرىء بالأمعاء ؟ ! ووجه سائر العبارة عندى : (إلى مَرَّاقٍ رَحِمِها) . وأصل المراق للبطن ، وهى ما رَقَّ منه ولانَ .

٣ - ٤٠ : ٦ : (والرضا مجهوداً مفقوداً) هى (مجهولاً) باللام . جاء فى نسخة بولاق^(١) : (وكان الرضى أصبح مجهولاً) ، وفى نسخة شيخو ٤٢ : (وأصبح الرضى مفقوداً مجهولاً) . وعند ابن الهبارية^(٢) : من بعد ما عاد الحجا مجهولاً والشر قد ساء السماء طولا والحجا بالكسر : العقل والفطنة .

٤ - ٤٤ : ٧ : (كالكحل الذى لا يؤخذ منه إلا مثل الغبار) . صوابه : (إلا مثل غبار الميل^(٣)) . وقد جاء فى نسخة بولاق ص ٣٠ (إلا غبار الميل) . وفى نظم ابن الهبارية ص ٢٢ :

(١) من كلية ودمنة ص ٢٩ .

(٢) نظم كلية ودمنة ص ٢٨ .

(٣) الميل ، بالكسر . المرود الذى يكتسح .

أوشك أن يبقى بغير مال فالكحل لا يبقى على الأميال
الأميال : جمع ميل بالكسر .

٥ - ٥٢ : ٢ : (كالشعلة من النار التي يصونها) . وفي التذييل ص ٢٩٠ :
أنها كذلك في الأصل وفي نسخة شيخو . وأنها في النسخ الأخرى (يضر بها)
وأن قريباً من هذا في السريانية الحديثة .

أضيف إلى هذا التذييل أن في نسخة بولاق ص ٣٤ (يضرهما) بالميم .
وهذه محرفة بلا ريب . فليس المراد تقوية النار وإضرارها وتذكيتها ، بل
المراد سترها ومحاولة إضعافها .

٦ - ٥٨ : ١ : (فأحسن الأسد مسئلة شترية) المسألة هنا بمعنى
السؤال ، مصدر ميمي من سأل . والكتابة المعروفة (مسألة) برسم الهمزة
فوق الألف .

٧ - ٧٥ : ١٢ (مثل المكارى ^(١)) . كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه)
هي في الأصل ونسخة شيخو : (مثل البنى كلما ذهب واحد جاء آخر
مكانه) . وفي نسخة بولاق : (كمثل البغى كلما فقدت واحداً جاء آخر)
وتغيير الأصل هنا لا مبرر له . والأستاذ الجليل يعرف أنه لا يجوز لناشر
كتاب تاريخي عالمي أن يبدل ما يراه غير ملائم لأذواق معاصريه وميوهم .
ويعلم أن ذلك قد يعد جَوَراً على حق مؤلف الكتاب ، فإن تسوية التبديل
يسلب الكتاب شخصيته . وربما نكّره على مرور الزمان فعاد آخر غير
الأول .

ولعل ما حدا بالأستاذ على ذلك أن قد وجد ابن الهبارية قد صنع مثله
(في ترجمه ص ٦٩) إذ يقول :

(١) المكارى بضم الميم وكسر الراء : من يكرى الناس سائته . والكراء ، بالكسر : الأجرة .

شبيهه خان فاعلمن ومكتب من فر^(١) يوماً عنهما لم يطلب
لا بحملان أبداً بمن رحل لكل من يمضى من الناس بدل
ومهما يكن فإن لفظ (المكارى) قلق ناب في موضعه . لا يتوجه إلى
المعنى إلا مع الجهد والعسر . وإن فيما أثبتته الأستاذ من التنبيه على ذلك
التبديل في التعليقات لما يحمد عليه . وإن كان لا يعد عذراً صالحاً للناشر .
ونسأل : ما الحكمة في أن يرفع الأستاذ هذا اللفظ من صلب الكتاب ثم
يثبته وينبه عليه في التعليقات ؟ ! وكيف تسخّط هذه الكلمة وغفر لظاير لها
وأشاه متفرقات في ثنايا الكتاب^(٢) ؟ !

- ٣ - (*)

٨ - ٨٠ : ١ - ٥ « فلبث الذئب وابن آوى والعراب أياماً لا يصبر شيئاً
ثما كن يعيش به من فضول الأسد . وأصابعهم جوع وهزال شديد . فعرف
الأسد ذلك منهم فقال : جهدتن واحتجتن إلى ماتأكلن . فقلن : ليس همنا
أنفسنا ونحن نرى بالملك ما نرى . ولسنا نجد للملك بعض ما يصلحه . قال
الأسد : ما أشك في مودتكم وحببتكم » .

وهذه صورة عجيبة من التعبير لم أدر لها سرّاً ، وكان أولى بابن المقفع
أن يجعل الضمائر العائدة إلى هذه الجماعة من الحيوان على طراز واحد . كما

(١) في الأصل : « مر » بالميم . وليس ينتجه .

(٢) منها متى ٥٩ س ١١٧ - ٧ س ١٢١ - ١٠ س ١٣٨ - ١٥ س ١٨٢

س ١٣ - ١٥

(*) نشرت بالعدد ٢٢٨ من مجلة الرسالة ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤١ .

هو الأصل في إرجاع الضمائر . أما أن يجعلها للمؤنثات ثم لجماعة العاقلين ثم للمؤنثات أخرى ثم لجماعة العاقلين رابعة ، فهذا عجب لم نره لكاتب غيره وقد ينزل العرب غير العاقل منزلة العاقل ، وابن المقفع جعل هذه الجماعة مرتين من غير العاقلين ومرتين من العاقلين . فأسرف فيما أجازاه القوم إسرافاً .

وألقيته يعاود هذا المذهب ويراجعه . ففي ٨٦ س ٧ « فلنأت سائر الطير فلنذكر ذلك لهم . فأجابوه إلى ذلك وأعلمهن ما أصابه وحلّ به » الضميران في « لهم » و « أعلمهن » عائدان إلى سائر الطير . وفي ٩١ س ٤ « ودنا منهن ليصرهن . فتناوله بعضهم وضرب به الأرض » الضمائر راجعة إلى : « جماعة من القردة » في الصفحة السابقة . وفي ١٥٢ - ١٥٣ « فبينما هم في ذلك إذ وقع لهم غراب فقال بعضهم : انتظرون حتى يأتينا هذا الغراب » الضمائر مرجعها « جماعة من الطير » . وغير ذلك كثير .

٩ - ٧٤ : ٥ : « فلما فرغ دمنة من تضريب الأسد على الثور » .
التضريب هنا : التحريض ، وفي اللسان^(١) : « والتضريب تحريض للشجاع في الحرب . يقال ضربته وحرضه » والتضريب أيضاً : الإغراء ، وفي اللسان^(٢) : « والتضريب بين القوم : الإغراء » ، وفي نسخة بولاق ص ٤٣ « من تحميل الأسد على الثور » . وهي الرواية الجيدة ؛ لأنها لغة ابن المقفع .
ولازمة من لوازمه الكتابية . فقد جاء في ص ١٠١ س ٧ « ولكن قتل لتحميل الأشرار » . وفي س ١١ من الصفحة عينها « من تحميله إياك عليه . وفي ص ٢٤٩ س ٨ : « تحميل الملك على » . وفي س ١٤ من الصفحة نفسها : « ليحملوا عليه الأسد » فهذا هذا .

(١) - لسان العرب (٢ - ٣٩) .

(٢) لسان العرب (٢ - ٣٠)

وقد أراد ابن المقفع بكلمة « التحميل » الإغراء . ومن العجب أن ابن منظور وصاحب القاموس لم يذكر هذا اللفظ في مادته ، بل ذكرا في هذا المعنى « حملة على الأمر بحمله حملاً فأنحمل : أغراه به ^(١) » ، ثم انفرد ابن منظور ^(٢) بقوله « وحملت على بنى فلان إذا أرشت بينهم » ، والتأريش : التحريش والإغراء .

١٠ - ٨٦ : ٤ : « فأعينونى وظافرونى » وبدلتهما في نسخة بولاق ص ٨١ : « فأعنى » - و « ظافره » بمعنى أعانه وظاهره لم يذكرها صاحب اللسان والقاموس . وقاربها ابن منظور بقوله ^(٣) « وتظافر القوم عليه وتظاهروا بمعنى واحد » فنستطيع أن نزيد في معجمنا المنتظر هذه الكلمة . وابن المقفع ثقة يحتاج بقوله . وهو دليل أن المعاجم المتداولة لم تستوف ولم تستوعب كل أصول اللغة وفروعها إلا ما نهت على عدم وروده . فذا مرجعه إلى استيثاق الرواة الأولين واستقصائهم .

١١ - ٩٥ : ٧ : « ليس بمستكبر لها أن تختطف بزأتها الفيلة » ابن المقفع فيما أشعر - لا يقول هذه الكلمة بل يقول « بمستكر » .

ومما يجدر ذكره أن استكبر الشيء بمعنى رآه كبيراً وعظم عنده ، قول منسوب إلى الإمام ابن جني ^(٤) ، ولم يقله عامة اللغويين . واتفقوا أن استكبر بمعنى تكبر : وفي كتاب الله : « إنه لا يحب المستكبرين » ^(٥) . « يصدون وهم مُستكبرون » ^(٦) .

(١) القاموس ولسان العرب (١٣ - ١٨٥)

(٢) في لسان العرب (١٣ - ١٩٢)

(٣) في لسان العرب (٦ - ١٩٢) ص ٥ - ٦ .

(٤) لسان العرب (٦ - ٤٣٩) ص ٢٢ .

(٥) أنحر ٢٣ .

(٦) المنافقون ٥ .

وقد رجعت إلى نسخة شيخو (ص ٩٩) ، فوجدت : « ما أرضا
(كذا) يأكل جرذها مئة مَنٍّ من حديد بمستنكر ليزاتها أن تختطف غلاماً » .

١٢ - ١٠٧ : ٦ : (إذا جئتنى بالليل من غير نداء ولا رمى ولا شيء
يرتاب به) . فما ذلك الرمي ؟ !

الصواب : (ولا رمز) - أى إشارة وعلامة ؛ وقد جاء بدلها في نسخة
بولاق (٥٣) : (ولا إيماء) ، وهو الرمز والإشارة بمعنى .

١٣ : ١١٥ : ١٣ - ١٦ و ص ١١٦ : ١ و ص ١١٧ : ١ ، ١٦
و ص ١١٨ : ٢ ، ٦ : (رأس الخنازير) و (سيد الخنازير) . عندى أنها :
(رأس الخبازين) و (سيد الخبازين) .

يؤيد ذلك ما جاء بدلها في نسخة شيخو السريانية : (فتكلم صاحب
المائدة) ، وما هو عند ابن الهبارية (١١٥) :

فأخذ الخباز كفّ دمنه وقال : لله العظيم المنه

وكذلك ص ١١٨ :

فأطرق الخباز لما سمعا ذلك من مقاله وخضعاً

وكما يفهم من قول ابن المقفع عنه ١١٧ : ١٢ : (ثم أنت تجترى أن
تقوم بين يدي الملك وتلى طعامه) .

١٤ - ١١٦ : ١١ : (ولا مسيء وإن أذنبه بضائره ذنبه) تطبيع ،
صوابه : (وإن أذنب) .

١٥ - ١٢٠ : ٩ : (فأقرّ بذنبك وبؤ يساء تلك) : باء بإثمه فهو يبوء به
بوءاً : إذا أقرّ به : وفي الكتاب : (إننى أريد أن تبوء بإثمي وإثمك) ؛
وفي الحديث : « أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبي » - أى أقرّ ؛ وقال لبيد :

أنكرت باطلها وبؤت بحقها عندي ولم تفخر على كرامها
وأصل البوء الرجوع . فن باء فكأنه رجع إلى الإقرار بعد الإنكار
والسكوت^(١) .

وهذا أيضاً يفسر قول ابن المقفع في س ١٥ : (وأن أبوء بما لم أجن) .

١٦ - ١٢١ : ١١ . ١٢ (فحفظ الفُرخانُ ذلك بلسان البلخية)
البلخية : أهل بلخ ، بفتح الباء : مدينة مشهورة بخراسان^(٢) والتاء فيه
للدلالة على الجمع . وهي عند التحقيق علامة للتأنيث بتقدير الجماعة أو الطائفة
كأنك تقول : الجماعة البلخية . فلما حذفت الموصوف وأقمت صفته مقامه
ألحقت بها تاء التأنيث المنبهة على الجمع أيضاً^(٣) . ومثلها في ذلك :
الإباضية ، والإسماعيلية ، والأشعرية ، والباطنية . والجبائية . ونحو ذلك كثير
من أسماء الفرق الدينية والسياسية .

١٧ - ١٢٧ : ١٤ (وأخفت على الشبكة حتى لَحِجَّت فيها وصويحاتي .
لحج فلان في الأمر تمادى عليه وأبى أن ينصرف . فهو فعل اختياري
لا دخل للقسر فيه . والمعنى لا يتجه بهذا وإنما هو (لَحِجَّت) بالحاء
المكسورة المهملة بعدها جيم . لحج السيف وغيره بالكسر يلحج لحجاً :
أى نشب في الغمد فلم يخرج . وفي حديث علي يوم بدر « فوق سيفه فلحج »
أى نشب فيه . ويقال لحج في الأمر يلحج إذا دخل فيه ونشب^(٤) .
ومن البين أن المراد نشوب الطير في الشبكة . مما أعماه من القدر وأعشى
أبصارهن .

(١) نهاية ابن الأثير ولسان العرب : (١ . ٢٨) : « ومشرق . لا نوار . (١٩) »

(٢) معجم البلدان .

(٣) انظر الرضى (٢ : ١٥٢) تحذف هذا التحقيق النادر .

(٤) نهاية ابن الأثير . واللسان .

١٨ - ١٢٨ : ١ (ويستنزل الطير من الهواء ، إذا قضى ذلك عليهم)
 أجرى (الطير) مجرى العاقل فجعل لها ضميره . وهو معروف عند العرب .
 وفي كتاب الله : « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابقُ
 النهار وكلُّ في فلك يسبحون » . وفيه : « إني رأيت أحد عشر كوكباً
 والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » . « يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم
 لا يحطمنكم سليمان وجنوده » . وقال عبدة بن الطيب :
 إذْ أشرف الديك يدعو بعض أسرته لدى الصبح ساح وهم قوم معازيلُ
 جعل للديك أسرة وسماهم قوماً .

١٩ - ١٣٠ : ١ (منها عداوة من يجتازيان على ذلك . كعداوة الأسد
 والقيط) . وفي نسخة بولاق ٦٢ : (منها ما هو متكافئ كعداوة القيظ
 والأسد) وعند ابن الهبارية ١٢٩ :
 « وهو التجازى لا سواه » إنما .

الاجتراء : طلب الجزاء . قال :

يجزون بالقرض إذا ما يُجْتَرى ^(١)

وفي ذلك معنى التكافؤ . والتجازى — كما في ترجمة ابن الهبارية
 أصل معناه التقاضى ^(٢) والمراد به المقاصة ، فهو كذلك في معنى التكافؤ .

٢٠ ١٣٣ : ١٥ (وكان الضيف رجلاً قد جال الآفاق ورأى
 الأعاجيب) . والفعل (جال) لا يتعدى بنفسه . والوجه (جال) في [
 الآفاق) . وسُمع جَوَل الأرض : جال فيها . وجَوَل في البلاد أى طَوَّف ^(٣) .

(١) لسان العرب (١٨ : ١٥٦) .

(٢) لسان العرب (١٨ : ١٥٦) .

(٣) لسان العرب (١٣ : ١٣٩) .

فهذا المضعف ورد بالوجهين . وفى القاموس أن جال الشيء : اختاره .
وهذا معنى لا يراد هنا .

٢١ - ١٣٩ : ٨ (وانقلبُ ظهراً لبطن . وانجمرت حتى دخلت
جُحرى) فإذا جرّه حتى انجرّ ؟ ! إنما هى (وانحدرت) أى نزلت فى
سرعة إلى الجُحر .

٢٢ - ١٥٠ : ٧ (إن كان بعيداً لم يأمن من معاودته . وإن كان
متكشفاً لم يأمن استطراده ، وإن كان قريباً لم يأمن موائبته) . متكشفاً أى
بادياً ظاهراً . وهى لا تساير الكلام . والصواب (مُكثباً) أى دانياً .
أكتبك الصيد والرمى وأكتب لك : دنا منك . وعلى هذا الوجه الذى أثبتُّ
وردت الكلمة فى نسخة بولاق ٦٩ . ويؤيد هذا التصحيح ترجمة ابن الهبارية
: ١٤٨

لأنه إن كان منه نازحاً : أعاد مثل فعله مشايخاً
أو كان منه دانياً أو حاضراً واثبته مبادراً مشاوراً
فكلمة (دانياً) فى النظم تقابل كلمة (مُكثباً) التى ذكرت .

٢٣ - ١٦٥ : ١٦ (فإن الغراب ذو أدب ومكر ومكيدة) . لا وجه
لورود كلمة (أدب) بالبدال فى هذا المعرض . والصواب (أرب) بالراء ،
ليصح اقترانها بأختيها : المكر والمكيدة . والمقام مقام ذم وتهجين .
والإرب بالكسر . أو بالتحريك : الدهاء والخبث والتكر . وفى نسخة شيخو
١٥٨ (فإن الغراب ذا أرب ومكائد^(١)) .

٢٤ - ١٦٦ : ١٥ (فإن الشر يدور حيثما دارت) . وهى (حيثما
دُرّت) .

٢٥ - ١٧١ : ٤ (فابتليتُ ببلاء حرّمت على الضفادع) والجملة بهذا

(١) كذا فى أصل نسخة شيخو والصواب ذو أرب ، مكيد .

الوضع مبتورة ناقصة . وتامها (حرمت على الضفادع [من أجله]) أى من أجل البلاء . وذلك كما فى ص ٧٧ من طبعة بولاق .

٢٦ - ١٧٣ : ١ (بل برأيك وعقلك كان هذا : فإن الرجل الواحد أبلغ فى إهلاك العدد من كثير العدد من ذوى البأس) . وفى هذه العبارة نقص كسابقتها . وتامها كما فى نسخة بولاق ٧٨ : (فإن الرجل الواحد العاقل الحازم) . . . الخ . وعند ابن الهبارية ص ١٧٤ :

فالرجل اللبيب فى الأعداء أبلغ من ألف ذوى فتاء^(١)

و (اللبيب) هو العاقل ذو اللب .

٢٧ - ١٩٠ : ١٢ قول البرهمنين للملك حين سأهم تعبير الرؤيا : « فلعلنا - إن استطعنا - أن ندفع ما نتخوف منه » . الوجه (تتخوف) بالخطاب ؛ إذ ليس من شأنهم أن يحكوا فى تعبير الرؤيا بهذا الحكم قبل أن يجتمعوا للتشاور والنأمر . وهم قد استمهلوا الملك (ستة أيام) ليتمكنوا من ذلك . والملك هو الذى كان متخوفاً . لأنه (رأى ثمانية أحلام يستيقظ عند كل منها) .

٢٨ - ١٩١ : ٦ « لنجعل دماءهم فى أبزَنٍ ثم نقتلك فيه . . . كلمة (الأبزَن) معربة عن الفارسية . بفتح الهمزة بعدها باء موحدة ساكنة ثم زاي مفتوحة . وهو الحوض من نحاس يستنقع فيه الرجل ؛ ويعرف فى ألفاظنا الدخيلة باسم (البانيو) . وبالفرنسية : Baignoire . وبالإنجليزية : Bathing-tub . و (أبزَن) أصله فى الفارسية : (آبزَن) بمد الهمزة . وتكتب أحياناً (آب زن) . وفُسرَت فى معجم استينجاس^(٢) بأنها حوض

(١) الفتاء : الشباب والقوة . وفى الأصل : (عاء) بمعنى الهملة والوؤ .

(٢) معجم Steingass الفارسي الإنجليزي ص ١٠٠ .

للاستحمام من نحاس أو حديد بطول جسم الإنسان يملأ بماء فاتر طبي يجلس فيه المريض أو يتمدد .

وقد أهمل هذا اللفظ كثير من اللغويين . منهم الليث . والجواليقي ، وابن دريد . والزمخشري ^(١) ، مع أنه مستعمل قديماً . وجاء في شعر أبي دُوَادَ :
الإيادي . يصف فرساً وصفه بانتفاخ جنبه ^(٢) :

أجوف الجوف فهو منه هواء مثل ما جافَ أبزناً نجَّارُ
وأبو دُوَادَ جاهلي ^(٣) . ويفهم من هذا الشعر أنه يصنع أحياناً من الخشب ،
لما جعل صانعه النجار . وكأن بعض العرب كانوا يجتزون بالخشب عن
النحاس . قال ابن بري : « الأبزنى شيء يعمل النجار مثل التابوت » ، وأنشد
بيت أبي دُوَادَ . وروى البخاري أن أنس بن مالك قال : « إن لي أبزناً أتقحم
فيه وأنا صائم ^(٤) » .

وقد فسر (الأبزنى) في هذا الحديث بأنه الخوض الصغير . أو حجر
منقور كالخوض ، أو شيء يترد فيه وهو صائم . يستعين بذلك على صومه من
الحر والعطش ^(٥) .

٤ - (*)

٢٩ - ١٩٥ : ١٥ (أرادوا إدخال النقص عليك في ملكك) كلمة
(النقص) ركيكة في هذا المعرض لا يقولها مثل ابن المقفع . وإنما هي

(١) نص صاحب اللسان على عطف الليث . وأما الجواليقي فم يذكره في المغرب . وكذا
ابن دريد في الجمهرة ، والزمخشري في العنايق والأساس .

(٢) لسان العرب (١٦ : ١٩٦)

(٣) الأغني (١٥ : ٩١ سبي)

(٤) صحيح البخاري (٣ : ٣٠ س ٢٠ طبع ١٣١٤) .

(٥) عمدة القاري (١١ : ١٣) ومشارك الأنوار وشفه لتقليد ١٤ .

(٥) نشرت بالعدد ٤٢٩ من مجلة الرسالة سبتمبر سنة ١٩٤١

(النقض) بالضاد المعجمة والنقض: الإفساد وحل العقد. وهي سائرة في لغة الجاحظ وأضرابه من أمراء البيان العربى .

٣٠ - ١٩٩ : ٥ (وكانت شارته إليها أن غمزها بعينه) . الشارة : الحسن والهيئة واللباس . وليست مرادة . بل هي (إشارته) . وقبل هذا (وأشار عليها بأخذها فأخذتها) .

٣١ - ١٩٩ : ١٥ (فأضاء كل ما حولها فاشتاف إليها . وقال لإيراخت) . فاعل (أضاء) هو (كل) . وأما فاعل (اشتاف) فهو الملك . فالجملتان محتاجتان إلى فاصل بينهما ، واشتاف بالفاء . إذا تطاول ونظر . واشتاف البرق أى شامه . ومنه قول العجاج :

« واشتاف من نحو سهيل برقاً »

٣٢ - ٢٠٠ : ٩ (فلما امرأة عاقلة لبية . حريصة على الخير . سعيدة من الملكات . ليس لها فى النساء عديل) . وكيف تكون (سعيدة) مع أن الملك أمر بقتلها وأوشك أن ينفذ أمره ؟ ثم هو فى معرض التنويه بخصالها . وليست السعادة خصلة أو خلقاً من الأخلاق . والوجه (سديدة [الرأى] من الملكات [التى] ليس لها فى النساء عديل ^(١)) .

٣٣ - ٢٠٨ : ١١ ، ١٢ (الذى يصنع الطعام وينظفه لسيده ثم يقدمه إليه فى إبانة) . ليست كذلك ، وإنما هى : (وينضجه لسيده) تصحفت على الناسخ فشوها بما رأيت .

٣٤ - ٢١٠ : ٥ (والجرىء الجاهل المقدم على ما ليس له وإن أتلف نفسه ونفس غيره فى طلب حاجته وشحه) . صوابه : (ونجحه) والنجع بالضم : النجاح وإدراك البغية .

(١) انظر كليلة ودمنة طبع بولاق ص ٩٦ .

٣٥ - ٢٢٣ : ١٣ (إن أنا واخذته) ، هي لغة في (آخذته) بالهمز . قال صاحب القاموس (واخذ به بذنبه مؤاخذه . ولا تقل واخذه) . وفي اللسان^(١) : (والعامة تقول واخذه) والحق أن الكلمة عربية ، وأنها لغة لبعض العرب . وفي المصباح : وتبدل واو آ في لغة اليمن فيقال : واخذه مؤاخذه . وقرأ بعض السبعة^(٢) : « لا يواخذكم الله » بالواو ، على هذه اللغة . والأمر منه واخِذْ .

وقال العرب في مثل ذلك (واخيته) لغة في (آخيته)^(٣) ، و (واسيته مؤاساة) لغة في (آسيته مؤاساة)^(٤) ، و (واكلته) لغة في (آكلته) ، و (وامرته) لغة في (آمرته)^(٥) .

والهمز في كل ذلك أكثر وأجود .

٣٦ - ٢٢٤ : ١٥ (الحيوانات) جمع حيوان . زعم بعضهم أن العرب لم تنطق بها . ومجيئها هنا شاهد على صحتها وعلى استعمالها . وقد استعملها (الجاحظ) في كتاب الحيوان (٣ : ٢٦٥ س ١) قال : « والنسيم الذي يحيي جميع الحيوانات » وكذا الثعالبي في فقه اللغة ص ٢٤ طبع الحلبي ، قال « فصل في طبقات الناس وذكر سائر الحيوانات » . وكذا البغدادي صاحب (الفرق بين الفرق) المتوفى ٢٩٤ قال في ص ١١٨ : « وأصناف الحيوانات » وقال في الصفحة . نفسها « ولا نوعاً من الحيوان » فأجاز بذلك الاستعمالين . واستعمله أصحاب (رسائل إخوان الصفاء) في الجزء الثاني من طبعة التجارية ، استعمالاً كثيراً ، يدل على ذيع هذه الكلمة وإقرار العلماء لها .

(١) لسان العرب .

(٢) هو ورس : أدل الهمزة واو أو ولفظاً وأبداً كذلك حمزة وقفاً لا وصل .

نعت الصفح ٦٧ .

(٣) بحر العوام لابن احنبل ١٠٢

(٤) لسان العرب (١٨ : ٣٧) .

(٥) لسان العرب (أكل ، أمر) .

(٦) الحيوان (٧ : ٥٣ سمي) .

٣٧ - ٢٣٤ : ٩ : (وقع موقع من يركب ناب الفيل المغتم ثم يغلبه النعاس) . كثر ما ورد اسم (الفيل) في هذا الكتاب وذاك راجع بالطبع إلى الجو الهندي الذي يشيع فيه . وتجده أيضاً مقروناً بكلمة (المغتم) ، كما ورد في ٤٧ س ١١ . ٧١ س ١٣ . ٧٩ س ١ . ٢٥٥ س ٥ . فهو مضرب المثل عندهم بالقوة وشدة اليأس . قال الجاحظ في ذلك :

« وإذا اغتم الفيل قتل الفيلة والفيالين . وكل من لقيه من سائر الناس ولم يقم له شيء . حتى لا يكون لسوأسه هم إلا الحرب وإلا الاحتيايل لأنفسهم » . ثم ذكر قصة كان يتداولها الفرس من مصارعة كسرى لفيل مغتم تمكن من ضربه والفتك به .

٣٨ - ٢٥٠ : ٣ : (فلما رأوا الأسد قد احتشد في طلب اللحم وغضب) : أرى أنها (احدثت) والحدة تقارن الغضب .

٣٩ - ٢٤٧ : ٤ : (لما انذى يشبه كفلك عن الدماء وتركك اللحم) . وكلمة (يشبه) مقحمة . لعلها زيادة من المملى للناسخ حين تردده في الكلمة بعدها : وصواب العبارة : (فما الذي كفلك عن الدماء وأكلك اللحم)

٤٠ - ٢٥٦ : ٤ : (واللهج بانزن) : لا تجوز كتابتها بالألف إلا لمن نظر إلى أنها مقصورة من الممدودة (الزناء) وهي لغة بني تميم . ولغة أهل الحجاز القصير ^(١) : ومن ذهب إلى قصرها لم يكتبها إلا بالياء . لأنها يائية الأصل

٤١ - ٢٧١ : ١١ : (وعلمنا أنك كنت لما ساق الله إليك من ذنك أهلاً بفضل قسمه لك . وتابّع نعمه عليك) . فعلى أى فعل عطف الفعل (وتابّع) ؟ !

إن عطف على (قسمه) استرك المعنى وعاد الضمير في (نعمه) إلى

(١) لسان العرب (٩ : ٧٩) .

(فضل) أى نِعَم الفضل . وليس ذلك شيئاً : والوجه : (بفضل [ما]
(قسمه) . . الخ . أو (بفضل قسمه لك . ونعمة تابع عليك) - أى
تابعها أو (بفضل قسمه لك . وسابغ نعمه عليك) .

٤٢ - ٥٢ : ٢ : (كالشعلة من النار التى يصونها صاحبها وتأبى إلا ضياء
وارتفاعاً) . سبق الحديث عن هذه الفقرة فى رقم (٥) . وكنت على شك من
صحة كلمة (يصونها) . إلى أن ظهر لى وجهها فيما قرأت من عيون
الأخبار ^(١) : « ذو الهمّة إن حُطَّ . فنفسه تأبى إلا علواً . كالشعلة من النار
(يُصوَّبها) صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً » : والتصويب : الخفض والتنكيس .
وفى التهذيب : « صوّبت الإناء ورأس الخشبة تصويباً ، إذا خفضته » .
فصاحب النار يخفض رأس الخشبة المشتعلة . فلا يمنع ذلك النار أن ترتفع
وتأخذ طريقها فى العلو .

٤٣ - ٢٧٦ : ١٣ : (ولم تجدى من الأسف والحزن على شبليك شيئاً إلا
وقد كان من كنت تفعلين بأحبابه ما تفعلين يجد مثله أو أفضل منه) . وليس
يقال حزن فلان حزناً أفضل من حزن فلان . أو أسف أسفاً أفضل من أسفه .
والوجه (أمثل) كما ورد فى أصل النسخة . و (أمثل) هنا تنضيل من مثّل
بالرجل يمثّل مثلاً ومثّلة : نكّل به ^(٢) . فالمعنى أشد تنكياً منه .

٤٤ - ٢٧٩ : ٤ : (وبينى حيران متلدداً) . وفى نسخة بولاق ١٠١
(متردداً) وعند ابن الهبارية ٢٦٧ :

عاد إلى طلاب ما قد ترك فضل عنه وبقي مرتبك

والمثلدد والمتردد بمعنى . وهو من أسرار العربية : أن يختلف اللفظان

(١) عبود الآخر (٢٣١ من ١٨ - ١٩) .

(٢) لسان العرب (١٨ - ١٣٠ من ٢٣) .

فى حرفىن متقاربى المخرج فإذا المعنى واحد أو كالأحد . وفى اللسان : «تلد : تلفت يميناً وشمالاً ، وتخير متبلداً» . وجاءت هذه الكلمة بالراء فى ٢٨٠ : ١٢ (فىق حيران متردداً) .

٤- فى التعليقات :

١- أورد الأستاذ فى شواهد على أثر الأسلوب الفارسى فى هذه النسخة ما جاء فى صفحة ٢٧٠ (فسأله رجل فقال) وقال فى المقدمة ٢٦ (تشبه هذه الجملة التعبير الفارسى) : (برسيده كفت) وفى التعليقات ٣٠٠ (هذه الجملة تذكر بالتعبير الفارسى (برسيده كفت ^(١)) .

وليس للأسلوب الفارسى أى أثر فى هذه العبارة . بل هى عربية خالصة جرى عليها العرب فى الغابر ، واستفاضت فى كلامهم .

وبين يديّ أحد الصحاح الستة . وهو صحيح أبى عبد الله البخارى ^(٢) . فى ١ : ٢ س ٦ (أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟) . وفى ١ : ١٦٢ س ٣ (أن زيد بن خالد الجهنى أخبره أنه سأل عثمان بن عفان فقال : أرأيت) . وفى ٢ : ١٦١ س ٣ (سألت أنس بن مالك رضى الله عنه قلت : أخبرنى بشيء عقلتّه عن النبى صلى الله عليه وسلم) . وفى ٣ : ٤١ س (عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه سأل - أو سأل رجلاً ، وعمران يسمع - فقال : يا أبا فلان) . وغير ذلك كثير .

٢ - ٢٨٧ تعليقاً على ما ورد فى الأصل ص ١٦ (آدر هرير) قال الأستاذ : (نظنها محرقة عن آزر هربرد . أى سادن النار) . ولست أدرى

(١) هى بالكاف الفارسية التى تحق كالجيم المصرية . ورسمت بالكاف العربية فى تعليقات لضرورة الطبع .

(٢) طبع بولاق ١٣١٤ .

لم عدل عن لفظ (آذر) بالذال إلى (آذر) بالذال المعجمة مع أنهما بالفارسية في معنى واحد ، وهو النار ^(١) ؟ !

٣- وفي الصفحة نفسها تعليقاً على ما ورد في ص ٢١ س ٤ (ما أتذم لذلك منك) أن (ذلك) وضع موضع الضمير والمعنى ما أتذم له . قال الأستاذ (وضع الإشارة موضع الضمير هنا يشبه التعبير الفارسي) . وقال نحو هذا القول في تعليقه في المقدمة ص ٢٦ على قول ابن المقفع (تجرى أمورهم فنوناً يغلب على أكثر ذلك الخطأ) . حين استشهد على أثر اللغة الفارسية في ترجمة ابن المقفع .

والحق أن هذا أثر من آثار اللغة العربية لا الفارسية ؛ فإن العرب يضعون الإشارة موضع الضمير في كثير من عباراتهم . ويطرد ذلك في ربط الجمل الخبرية . والأصل في ذلك الضمير . وفي الكتاب (والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار) أى هم . وفيه (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولاً) أى كله .

٤ ٢٨٨ تعليقاً على ما ورد في الأصل ص ٣٠ (أكن كالمصدق المخدوع الذى زعموا أن جماعة من اللصوص) أن كلمة الذى هنا تشبه أن تكون ترجمة الكلمة الفارسية (كه) وهى تكون بمعنى الذى . وتأتى للتعليل والتفريع . أى إن ابن المقفع ترجم كلمة (كه) بكلمة (الذى) مع أنها هنا للتعليل والتفريع . أى بمعنى (فقدته) فلا نحتاج إلى ضمير عائد . على حين أن كلمة (الذى) فى استعمالها العربى تحتاج إلى عائد .

وهذه شبهة طيبة . واستنتاج حسن . ولكن الضمير العائد إلى الموصول يحذف كثيراً ^(٢) . وحاء حذف العائد حين يتصل بحرف الجر فى قول الله

(١) معجم استيعاب ص ٢٨ ٣٠٠

(٢) شرح درة الغواص ٢٠٩ وحواشى الخيوآن (ح ٤ : ٣٠٠)

تعالى : ﴿ ذلك الذى يبشر الله عباده ^(١) ﴾ أى به . وفى قوله : (فاصدع بما تؤمر ^(٢)) فى أحد وجهى تخريجہ . وقول حاتم الطائي :

وَمِنْ حَسَدٍ يَجُورُ عَلَى قَوْمِي وَائِي الدَّهْرُ ذُو لَمْ يَحْسُدُونِي

أى فيه . وذو موصول عند طيء . وقال الجاحظ ^(٣) : (فالحمد لله الذى كان هذا مقدار عقولهم) أى كان هذا منه . فهذا الحذف فى كلامهم جائز وإن كان قليلاً جداً ^(٤) . وهو أولى فى التخريج مما ذهب إليه الأستاذ من تأثير اللغة الفارسية . وابن المقفع أبقظ من أن يؤثر فى بيانه العربى هجئة فارسية . أو يلتاث فى ترجمته هذه اللوثة .

د ٢٩٥ تعليقاً على ما ورد فى ١٧٤ من قوله (وأكيس الأقوام من لم يكن يلتبس الأمر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلاً) : « همنا أن نحذف (يكن) من هذه الجملة ثم رأينا أنها تُشبه أن تكون من أثر الترجمة الفارسية ؛ فإن استعمال الفعل يكون . مألوف فى مثل هذا التركيب بالفارسية » .

هذا نص ما ورد فى التعليق . والحق أن التعبير عربى خالص . لم تشبهُه شائبة فارسية ولم تقر به . وأن (يكن) هنا قد جردت من معنى المضى . وألزمت معنى الثبوت واتصال الزمان من غير انقطاع . وفى كتاب الله من ذلك كثير : « وكان الله شاكراً عليمًا » ، « وكان الله سميعاً عليمًا » ، « فإن الله كان عفواً قديراً » . « وكان الله غفوراً رحيمًا » ، « وكان الله عزيزاً حكيماً » ^(٥) . ومنه قول المتلمس ^(٦) :

(١) الشورى ٢٣

(٢) الحجر ٩٤ .

(٣) الحيوان (٤ : ٣٠٠ من ٦) .

(٤) أملى ابن الشجرى (١ : ٧ حيدر أباد) .

(٥) فى الآيات ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٢ ، ١٥٨ من سورة النساء .

(٦) لسان العرب (١٧ : ٢٤٩) .

وكنا إذا الجبار صَعَّرَ خده أقننا له من دَرَّئِهِ فتقوَّما
وقول الفرزدق^(١) :

وكنا إذا الجبار نَبَّ عَتُودُهُ ضربناه فوق الأنثيين على الكَرْدِ
وقول قيس بن الخطيم :

وكنت امرأ لا أسمع الدهر سُبَّةً أسبُّ بها إلا كشفت غطاءها^(٢)
فليس في الكلام هجنة فارسية كما رأيت .

* * *

هذه نظراتُ في بعض مواضع من هذا الكتاب الجليل ، ولم أشأ أن أطنب
في سرد محاسن النشر وجودة العرض ؛ فذلك أمرٌ يبادر الناظر في هذه النسخة
ويدهمه في أول ما ينظر .

وليس يفوتني في هذه الفرصة أن أكرر تهنئتي للأستاذ الكبير « عبد الوهاب
عزام » بهذا العمل العظيم الخالد على الزمان . وأن أزجى مثلها إلى الأخ
المحترم « الأستاذ شفيق مئري » صاحب مطبعة المعارف ، بما أنفق من جهد
ومال ، في الاحتفال الناجح بمرور خمسين عاماً على جهاد مثمر . بدأه
والده . وسهر هو على إتمامه ورعايته .

(١) الديوان (١ : ٢١٠) ولسان العرب والمغرب لجوالقي ص ٢٧٩ . طبع دار الكتب

. ١٣٦٠

(٢) ديوان قيس ص ٣ طبع ليبسك ولسان العرب (١٧ : ٢٤٩) .

كليلة ودمنة (*)

للدكتور عبد الوهاب عزام

- ١ -

قرأت ما كتبه في الرسالة (العدد ٤٢٥) الأستاذ عبد السلام محمد هارون فشكرت للكاتب الفاضل حسن رأيه . وجميل ثنائه . وأعجبت بتدقيقه وتحقيقه . وتلقيت بالقبول والسرور نقده الذي يُبَيِّن عن صدق النية . وخلوص القصد في طلب الحق . وكلنا طلاب علم . نسأل الله الهداية والتسديد !

وقد أخذ الأستاذ على الكتاب مآخذ وهذا بيان رأيي فيها :

قال بعد أن ذكر كثرة التحريف في النسخة المخطوطة . والجهد الذي بذل في تصحيحها :

ونحن في هذا الصدد نأخذ على الأستاذ أنه لم يتوخ النثر العلمي من إثبات الأصل والتنبيه عليه فقد يكون للقارئ وجه في التصحيح غير الذي ارتضى وكتاب مثل كتابنا ليس من جلال التاريخ ما لبس جدير بما ذكرت من وجوب بيان أصله للرجوع إليه . ووجوب مقارنة نسخه بعضها ببعض . »

والجواب أن مذهبي في النشر ألا أخالف النسخة التي اتخذتها أصلاً إلا حين يتصح غلطها . وإن كان هذا الغلط في مواضع قليلة أثبتته في مواضع . أثبتته في الحاشية ليعرف القارئ ما وقع في أصل الكتاب . ولكن

نسخة كليلة ودمنة التى أنشرها مملوءة بأغلاط واضحة كثيرة لا ينال الناشر والقارئ من إثباتها إلا العنت .

وأما مقارنة النسخ المختلفة فقد بينت فى المقدمة أن النسخ المطبوعة .
إلا نسخة شيخو . ملفقة مغيرة تصرف فيها الناشرون كما شاءوا على غير خطة
معروفة . ثم بين هذه النسخ كلها بعضها وبعض . وبينها وبين نسختنا ونسخة
شيخو ، ثم بين هاتين النسختين من الاختلاف ما لا يمكن إثباته فى الخواشى
بل يختلف السياق أحياناً حتى يحسب القارئ أن أمامه كتباً مختلفة .

ثم يرى الأستاذ أن « لغة ابن المقفع فى كليلة ودمنة لغة عالية تعلو على
المتأدب والأديب أيضاً فهى محتاجة إلى توضيح وتقييد وبيان . . . إلخ » .

وليس هذا رأياً فى هذه الطبعة التى أريد بها أن تكون فى الأغلب هدية
للعلماء والأدباء لا أن تكون كتاباً مدرسياً يؤدب به الناشئون . نعم ربما
يستعان بهذا الكتاب على درس أساليب ابن المقفع وأساليب النثر فى عصره .
ولكن هذا بحث آخر لا يتعلق بمقصدنا من نشر الكتاب .

ثم أخذ الأستاذ ألفاظاً رأى أنها خالفت الصواب . وقد بينت رأى
فيها على الترتيب الذى ساقه فى مقاله :

١ - ص ٣٦ س ٦ : كالعظم المتعرق . والصواب المتعرق بفتح الراء
كما قال الأستاذ . وهى زلة مطبعية فاتت عناية المصحح واجتهاده .

٢ - ٨١ : ٥ و ٦ : « ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل البيت .
وأهل البيت تفتدى بهم القبيلة . . . إلخ » . قال الأستاذ : الوجه يُفتدى .

وعلى هذا بقوله : فأهل البيت لا يفعلون الافتداء . وإنما يفعل بهم
ذلك غيرهم . . . إلخ .

ولست أرى هذا الرأي ، فأهل البيت يفتدون أنفسهم : وفي القرآن الكريم : « ولو أن لكل نفس ظلمت ما في الأرض لافتدت به » . ومثلها آيات أخرى . فلا وجه للعدول عن المعلوم إلى المجهول . ويؤكد هذا أن اللزوم في افتدَى هو الأصل : وقد عرضت لها التعدية . ولم ترد في القرآن إلا لازمة . فالعدول إلى البناء للمجهول عدول عن الأصل لغير سبب .

٣ - ٨٧ : ٦ : يقول دمنة للثور : « إن أنت رأيت الأسد حين تدخل إليه ينتصب مقعياً ويرفع صدره . . . إلخ . فاعلم أنه يريد قتلك . فاحذره ولا تغتر إليه » . يقول الأستاذ : لا يقال اغتر إليه ، بل اغتر به ، ويرى أن الصواب لا تقترب إليه . وقد بينت في المقدمة أن كثيراً مما وقع في الكتاب من تحريف سببه تغيير العبارات غير الشائعة إلى العبارات الشائعة . وأرى أن كل فعل يعدى إلى ما بعده . أو الركون إليه . فذلك يقال : استمع إليه . وجلس إليه . وسكن إليه . وفي القرآن : « إلى ربك يومئذ المستقر » . . . فما رأى الأستاذ في أن يقال استقر إليه ؟ . . . فالتعدية : إلى وعلى ونحوهما جائزة إن كان في الفعل ما يدل على الانتهاء أو العلو صراحة أو ضمناً . وإنما الكلام في تعدية الفعل إلى المفعول به ، أيتعدى فيها الفعل بنفسه أو بالباء . . . إلخ . ومعنى اغتر إليه هنا سكن إليه أو ركن أو نحو ذلك مما يتضمنه معنى الانتهاء أو الركون .

٩١ : ١٢ : (وندفن بقيتها مكاناً حريزاً) . قال الأستاذ : وهذه عبارة غير صحيحة والصواب في مكان حريز . ونقل عن جمع المتواعم وشرح الكافية كلاماً في اسم المكان . وانتهى إلى قوله : « وليس الدفن من الاستقرار في شيء » . فلا ينصب لفظ المكان على الظرفية المكانية . وهذه الجملة تبطل الاحتجاج الطويل الذي نقل له ما نقل عن كتب النحو . ففي اندفن إقرار واستقرار ولا ريب . وأنا أعرف أن في النسخ الأخرى : (وندفن الباقي في أصل هذه الشجرة فهو مكان حريز . أو ندفن بقيتها في مكان حريز

ولكنى لا أغبر نص الكتاب ولو كان غيره أرجح منه حتى يكون غلطاً واضحاً لا شبهة فيه ، فكيف وليس فيه غلط ولا شبهة الغلط ؟

٥ - ٩٥ : ١٣ » وبلاء يضيّع عند من لا شكر له « قال الأستاذ وبين اللغويين خلاف فى أن يكون البلاء بمعنى الإنعام ونقل فى هذا كلاماً عن نهاية ابن الأثير ولسان العرب .

وليس لازماً أن يكون البلاء هنا بمعنى الإنعام ، بل الأرجح أن يكون بمعنى الاختبار ، والبلاء اختبار بالخير والشر . فكل معروف تصطنعه عند إنسان هو بلاء عنده .

٦ - ٢٢١ : ١٥ : (ولكن إيش الفائدة) قال الأستاذ : (وهذا ضبط عامى والصواب : إيش) . وقد بينت فى المقدمة رأيى فى هذا الباب ولغته وقلت : « بل أرى فيه من الركافة ومقاربة العامية الخ المقدمة ص ٥٠ » ولم أتبعه إلا اتباعاً لنسخة الأصل واستيفاء للبحث .

وبعد . فالأستاذ مشكور على نقده . ولعل فيما أجبت به ما يزيل شبهته .

■ * *

— ٢ — (*)

كتب الأستاذ عبد السلام هارون مقالات أربعاً فى كتاب « كليلة ودمنة » كما نشرته . وقد عجلت جواب المقالة الأولى فى العدد ٤٢٦ من (الرسالة) ، ثم بدا لى أن أنتظر فراغ الأستاذ من بحثه . فلما فرغ شغلتنى شواغل عن البدار إلى الإجابة ، فأرجو أن يقبل الأستاذ الناقد والقراء عذرى فى تأخير الإجابة التى انتظروها .

وإجمال الكلام في المقالات الثلاث أن كلام الأستاذ فيها ضروب ، منها ما هو تفسير لكلمة غامضة ، أو توجيه للفظ يبدو في السياق غريباً ، ومنها ما هو إجازة لوجه آخر غير الوجه الذي جرى عليه الكلام في الكتاب . وهذه الأضرب من التفسير والتوضيح والتجوير يشكر عليها الأستاذ وأوافقه عليها . ومنها بحث في أساليب ابن المقفع ، وهو موضوع يحتاج إلى مقدمات في كتاب « كليلة ودمنة » لم تستوف كلها ، وللاستاذ رأيه فيه واجتهاده .

وأما الضرب الذي يقتضيني الجواب ، فهو ما أخذه الناقد على كلمات أو جمل جاءت في الكتاب وعدّها غلطاً ، أو ظن غيرها أقرب منها إلى الصواب . وأنا أعرض على القراء آرائي في ما أخذ الأستاذ على النسق الذي أجرى عليه الكلام :

٨ - ٢٦١ : ٤ : (إن الملوك وغيرهم جُدُرُ أن يأتوا الخبر إلى أهله) .
أخذ الأستاذ على هذه الجملة أن جُدُرُ جمع جِدَار لا جمع جدير قال :
« وجمع فعيل صفة على فعل نادر سمع منه نذير ونذر وجديد وجدد وسدس وسُدُس .

والجواب أنه يجوز أن يكون الكاتب قد أجرى جدير مجرى نذير وغيره . والأولى مع هذا أن يتبع الكثير المعروف فيجمع جدير على جدراء .

والمأخذ الثاني في هذه الجملة أن الأستاذ ظن أن يأتوا في الجملة بمعنى يعطون فقال : « الصواب يؤتون من آتى » . وليس هذا من الصواب في شيء . والمراد في الجملة إتيان الخير بمعنى فعله . واو غُيِّرَت الجملة برأى الأستاذ إلى (يؤتوا الخير إلى أهله) ، لكان فيها مأخذان : الأول تعديّة آتى بلى وهي متعدية بنفسها كما في القرآن : وآتوا اليتامى أموالهم — ولا تؤتوا السفهاء أموالكم — والثاني : أن يعدل بالجملة من آتى الخير بمعنى فعله . وهو استعمال شائع ، إلى آتى الخير بمعنى أعطاه وهو استعمال غير معروف في

الكلام الفصيح . فعبارة الكتاب صحيحة واضحة لا يكون تغييرها إلا إفساداً لها .

الضبط النحوى

عدّد الأستاذ تحت هذا العنوان ماآخذ :

ص ١٨ س ١١ (فيعلم سر نفسه وما يضمّر عليه قلبه) : قال وأضمّر يضمّر بمعنى أخفى يخفى فما يكون المعنى فى أن يخفى قلبه عليه ؟ الصواب قلبه بالرفع لأن القلب هو الذى يضمّر الأسرار والنوايا : « والجواب أن من اليسير أن يضمن الكاتب « يضمّر » معنى يطوى أو يطبق أو نحوه . وتحويل قلبه من المفعولية إلى الفاعلية يجعل معنى الجملة « يخفى عليه قلبه » فهل يرى الأستاذ أن هذه العبارة أسد من الأولى ؟

٤١ : ١٤ (وشبهت الجرذين بالليل والنهار ، وقرضهما دأبهما فى إنفاد الآجال) قال : يصح أن تقرأ وقرضهما دأبهما باستمرار التشبيه الخ . والجواب أنى رجحت الرفع لأن فى النصب إخلالاً بنسق الجملة ، بتعدية الفعل (شبهت) بالباء فى المفعولين الأولين « الجرذين بالليل والنهار » وتعديته بغير حرف فى المفعولين الآخرين (وقرضهما دأبهما) فالاستئناف برفع قرضهما أرجح .

١٢٨ : ٤ (فأعادت ذلك عليه مراراً كل ذلك لا يلتفت إلى قولها) . وقال الأستاذ : ولا وجه للرفع هنا ، والوجه كل ذلك على الظرفية الزمانية ولا يصح أن يكون كل مبتدأ . وذلك لأن الضمير العائد عليها محذوف تقديره (فيه) ، والبصريون يمنعون حذف الضمير العائد على لفظ كل إذا كان مبتدأ . ولذلك حكوا بشذوذ قراءة ابن عامر (وكلُّ وعد الله الحسنى) . وليست الظرفية هنا حتمياً ، بل يجوز أن يكون المعنى : كل ذلك القول لا يلتفت إليه ، فالإشارة للقول لا لازمان . وقد وضع الكاتب الاسم الظاهر

موضع الضمير فقال : (إلى قولها) بدل (إليه) والجملة على الوجهين ليست من الأساليب العربية المختارة .

ص ١٧٩ : ٢ (ولم أذكر ما ذكرت ألا أكون أعرف منك الكرم والسعة في الخلق) قال : الوجه إلا لكوني أعرف منك . وأقول ليس هذا وجهاً . فإن المعنى : لم أذكر ما ذكرت جهلاً بكرمك . فهو اعتذار عن الكلام السابق الذي يشعر بأن الغيلم يشك في كرم الفرد . ويؤيد هذا أن بعد هذه الجملة : (ولكن أحببت أن تزورني في منزلي) وهو استدراك حسن في الجملة التي أثبتناها في الكتاب ، وهو إثبات بعد نفي : لم أجهل كرمك ولكني أحببت . ولا يحسن هذا الاستدراك إذا أجرينا الكلام على الوجه الذي رآه الأستاذ فجعلناه : (ولم أذكر ما ذكرت إلا لكوني أعرف منك الكرم ولكن أحببت الخ) والتأمل في سياق الكلام يبين أن لا وجه إلا ما جاء في متن الكتاب .

١٩٩ : ٣ (لم تدر أيتهما تأخذ) . قال : والصواب أيتهما بالنصب وصادق . فالنصب أقر وأرجح وإن يكن للرفع وجه فما قصدته .

في تحقيق النص

أورد الأستاذ تحت هذا العنوان ماآخذ :

ص ٢٦ س ١٠ : (مثل الحراث الذي يثير الأرض ويعمرها ابتغاء الزرع لا العشب) . قال : (فما وجه العمارة في طلب الزرع ؟ الصواب يغمرها أي بالماء) . وأقول : (إن الزرع ضرب من عمارة الأرض لا ريب) وما أحسب الكاتب إلا حاكي الآية القرآنية : (وأثاروا الأرض وعمروها) . ولا يعبر عن سقى الأرض بغمرها : فكلمة يغمرها بعيدة من سياق الكلام هنا .

ص ٣٨ س ٣ : في الحديث عن الجبين : (منوط قبح سرته إلى مريء

بأمعائها) . قال الناقد : وهو كلام متهالك مضطرب : فإ العلاقة بين سرّة الجنين وأمعاء الأم ؟ إلى أن قال : (أما كلمة مرىء فعجبية أيضاً) . وانتهى إلى أن صواب الجملة : (منوط بمعنى من سرته إلى مراق رحمها) .

إن كان الأستاذ يريد أن يغلط الكاتب الذى كتب باب برزويه فليجادله فى التشريح كما يشاء : وإن كان يريد أن فى الكتاب تحريفاً لم نهتد إلى صوابه فلست أرى رأيه . عبارة الكتاب : (منوط قمع سرته إلى مرىء بأمعائها يمص به من طعامها وشرابها وبذلك يعيش ويحيا) وظاهر أن الكاتب يرى أن الجنين يصل بين سرته وأمعاء أمه مرىء أى مجرى للطعام كالمرىء الذى بين خلق الإنسان ومعدته : وأنه يتعدى من طعامها بهذه الصلة . فالكلام بَيِّنٌ معرب عن مراد الكاتب صواباً أم خطأ . وفى نسخة شيخو (منوط من سرته إلى سرّة أمه وسلك السرّة يمص من طعامها وشرابها) . وفى نسخة طيارة (منوط بمعنى من سرته إلى سرّة أمه ومن ذلك المعنى يمصس ويقتبس الطعام) فالفرق بين نسختنا وهاتين النسختين أن سرّة الجنين تفضى بهذا المعنى أو المرىء إلى سرّة الأم أو أمعائها . وعبارة الطعام والشراب تدل على أن الاتصال بواسطة سرّة الأم أو بغير واسطتها ينتهى إلى الأمعاء . وهذا الذى تدل عليه عبارة نسختنا . وأما فرض الأستاذ أن أصل العبارة (منوط بمعنى من سرته إلى مراق رحمها) فندع الكلام فى صحته للأطباء . ومهما يكن رأى الأطباء فيه فلن يجيز الأدباء الأمناء على نشر الكتب أن يحاولوا نص الكتاب إلى العبارة التى يقترحها الأستاذ مع بعدها عما فى النسخ كلها . ولو أبحث لنفسي التصرف فى متن الكتاب لما تركت به عبارة تقبل اعتراض النقاد .

٤٠ : ٦ (وأصبح أرضاً مجهوداً منقوداً) يرى الأستاذ أن كلمة مجهود محرفة عن مجهول ويستشهد بالنسخ الأخرى . وله الحق . فكلمة مجهول أقرب إلى ظن القارئ من كلمة مجهود : ولكنى لم أستحسن تغيير الكلمة لسببين : الأول أن مجهوداً تفقد معنى فى الجملة غير الذى تفقده كلمة

مفقوداً ، وأن كلمتي مجهول ومفقود تؤولان إلى معنى واحد . والثاني أن الكاتب في هذا الفصل وصف الأمور المعنوية بأوصاف تجعل القارئ لا يستغرب أن يوصف الرضا بأنه مجهود كما قال : وكأن القدر أصبح مستيقظاً والوفاء نائماً ، وكأن الكذب أصبح غضاً والصدق قاحلاً ، وكأن الحق وكلى عاثراً والإنصاف بائساً الخ .

٤٤ : ٧ (كالكحل الذى لا يؤخذ منه إلا مثل الغبار) قال : صوابه إلا مثل غبار الميل . وأقول لا يكون هذا صواباً لأن الذى يؤخذ من الكحل ليس غباراً ولكنه يشبه الغبار . وإذا قلنا مثل غبار الميل فقد جعلنا ما على الميل غباراً ، والغرض أن يشبه بالغبار . ثم جعلنا ما يؤخذ من الكحل مثل غبار الميل وهو غبار الميل نفسه فكلمة مثل لغو . والظاهر أن النسخ الأخرى زادت كلمة الميل توضيحاً للعبارة لأن الكحل يؤخذ من المكحلة بالميل . ونسخة شيخو توافق نسختنا . وفي النسخ الأخرى إلا غبار الميل . فالعبارة (مثل غبار الميل) لا توافق العقل ولا النقل .

٧٥ . ١٢ (مثل المكارى كلما ذهب واحد جاء آخر مكانه) قال الأستاذ هي في الأصل ونسخة شيخو ونسخة بولاق : (مثل البغى كلما . الخ) . ثم أخذ على الناشر تغيير الأصل واشتد في هذه المؤاخذه .

وأنا قد بينت الأصل في التعليق ويكون القارئ على بينة مما فعلت . وأما حكمة التغيير التي سألت عنها الأستاذ فيدركها من تأمل فعراف المشبه في هذه الجملة وتبين أنه لا يايق أن يجمع بين طرفي التشبيه هذين في كتاب كهذا الكتاب ينشر في مثل هذه الأحوال .

- ٣ - (*)

ص ٩٥ س ٧ : (إن أرضاً يأكل جُرذاتها مائة منّ من حديد ليس بمستكبر لها أن تختطف بُزاتها الفيسة) . قال الناقد الفاضل : (ابن المقفع - فيما أشعر - لا يقول هذه الكلمة . بل يقول بمستنكر) . ومما يجدر ذكره أن استكبر الشيء بمعنى رآه كبيراً وعظم عنده . قول " منسوب إلى الإمام ابن جنى ولم يقله عامة اللغويين . . . الخ .

أقول : هذا القول جاء في كتب اللغة كثيراً منسوباً إلى ابن جنى وغير منسوب ، وهو مقيس مسموع . وأرى أن (مستكبر) أولى بهذا الموضع من (مستنكر) ، لأن الاستنكار أن يعدّ الأمر نُكراً ، والاستكبار أن يعدّه كبيراً ، ومرجع المعنى في هذه الجملة إلى أنه مستكبر للبراة أن تختطف الفيلة لا إلى استنكار هذا . ثم استعمال كلمة (لها) دون (عليها) أقرب إلى الاستكبار . فإن جاز أن توضع مستنكر هنا فستكبر في رأيي أقرب إلى سياق الحديث وأخصّ في المعنى .

ص ١٠٧ س ٦ (إذا جئني بالليل من غير داء ولا رمى ولا شيء يرتاب به) قال الناقد : فما ذلك الرمي ؟ الصواب : « ولا رمز » وأقول إن الرمي هو الصواب لأن الرمز في أغلب معانيه إشارة باليد أو غمز بالعين أو الحاجب . وهذا مما لا يبين بالليل وإنما أراد الكاتب أن ينبذ إليها شيئاً تعرف به حضوره .

ص ١١٥ س ١٣ وصنّحات أخرى (رأس الخنازير وسيد الخنازير) قال : عندي أنها رأس الخبّازين وسيد الخبّازين . واستدل ببعض النسخ . وأرى أن الخنازير أقرب إلى الصواب لأن دمنه وصف هذا الرئيس بصفات الخنازير . وليس في وصفه بأنه صاحب المائدة ما يجعله خنازيراً ، ثم تسمية رئيس الجماعة سيدهم كما يقال سيد الخنازير أقرب من أن يسمى رئيس الصنّاع

سيدهم فيقال سيد الخبازين . وقد بينت اختلاف النسخ في هذه الكلمة في التعليق الحادى عشر من باب الفحص عن أمر دمنة . وعن هذا التعليق أخذ الناقد روايات النسخ التى استدل بها . ومن غريب ما وقع فى هذا النقل أنى قلت فى التعليق (وفى نسخة شيخو والسريانية) أعنى النسخة السريانية الحديثة فقال الأستاذ فى النقد : (وفى نسخة شيخو السريانية) . وليس لشيخو نسخة سريانية .

ص ١٢٧ س ١٤ : (وأخفت على الشبكة حتى لججت فيها وصويجاتى) ؛ قال الناقد : وإنما هو لحج - أى نشب - وقوله فى هذا سديد جيد ، أرجو أن يكون ابن المقفع أراده .

ص ١٣٣ س ١٥ : (وكان الضيف رجلاً قد جال الآفاق) قال : والفعل جال لا يتعدى بنفسه . والوجه جال فى الآفاق . أقول : والأمر فى هذا حين ، فقد قيل جوال البلاد وجوال فيها ولا يبعد أن يُعدى جال بالتضمين أو ضرب من التوسع .

ص ١٣٩ س ٨ : (وانقلبت ظهراً لبطنٍ وانجمرت حتى دخلت جحرى) . قال : وإنما هى انحدرت - أى نزلت فى سرعة إلى الجحر - أقول : كان هذا وجهاً لو كانت الجملة « وانجمرت فى جحرى » ، ولكنها : « انجمرت حتى دخلت فى جحرى » ، فقد جرّ الجرذ نفسه حتى بلغ الجحر . ولا يازء أن نتصور الجحر فى مكان منخفض ، فنضع انحدر مكان انجَرَ .

ص ١٥٠ س ٧ (إن كان) العدو (بعيداً لم يأمن من معاودته وإن كان متكشفاً لم يأمن استطراده) .

قال : متكشفاً أى بادياً ظاهراً وهى لا تساير الكلام ، والصواب مكتباً أى دانياً الخ .

ورأى أن هذا ليس صواباً . فإن الاستطراد أن ينهزم المقاتل أمام قرنه ليكر عليه ، فهو ضرب من المكيدة يراد به إبعاد القرن قرينه أو نحو هذا . ومعنى الكلام هنا أن الإنسان ينبغي أن يكون على حذر من عدوه فى كل حال ولا يتخدد بالحالات التى يظن فيها العدو بعيداً أو مهزوماً ، فإن رأى عدوه متكشفاً ظاهراً له غير ممنوع منه ، أو متظاهراً بالهزيمة ، فلا يأمن أن يكون هذا استطراداً يريد أن يخدعه به ليكر عليه . فإن وضعنا كلمة « مكتباً » أى دانياً موضع « متكشفاً » اختل الكلام اختلالاً وكان معناه إن رأيت العدو قريباً فلا تغتر بقربه فلعله يريد أن يستطرد لك . وهو كلام متهافت ، لأن اقتراب العدو ليس من أحوال الخداع التى يغتر بها عدوه ، فيقال له : لا تغتر بقربه ، فإنه يستطرد لك . ثم حالة القرب المذكورة بعد هذه الجملة : (وإن كان متكشفاً لم يأمن استطراده ، وإن كان قريباً لم يأمن موافقه)

١٦٦ : ١٥ (فإن الشر يدور حيثما دارت) . قال : هى حيثما دُرت - وليست كذلك فالضمير راجع إلى الطباع المذكورة فى الجملة (أرأيتك لو أحرقتك بالنار كان جوهرك وطباعك تحترق معك ؟ فإن الشر يدور حيثما دارت) .

١٧١ : ٤ (فابتليت ببلاء حرمت على الضفادع) : قال والجملة بهذا الوضع مبتورة ناقصة وتامها (حرمت على الضفادع من أجله) أى من أجل البلاء . وذلك كما فى صفحة ٧٧ عن طبعة بولاق .

أقول هذا الاعتراض وأشباهه يسير على من يريد أن يغير أسلوب الكتاب إلى الأسلوب المألوف المعروف كما فعل الكتّاب بنسخ الكتاب الأخرى : ولكنى أزعم أن أمامنا نصاً آخر جديراً بالبحث وأن أسلوب ابن المقفع

لا يخلو من أثر الفارسية، ولعل هذه الجملة من شواهد هذا التأثير فليس في الجملة الفارسية عائد على الموصول أو الموصوف . لهذا أثبتتها كما وجدتها غير عادل عنها إلى روايات النسخ الأخرى .

هذا إجمال الجواب عما يحتاج إلى جواب مما جاء في المقال الثالث من مقالات الناقد الفاضل . وموعدنا بالجواب عن المقال الأخير العدد الآتي إن شاء الله .

— ٤ —

ص ١٩٥ س ١٥ . (أرادوا إدخال النقص عليك في ملكك) قال الأستاذ : « كلمة النقص ركيكة في هذا المعرض لا يقولها مثل ابن المقفع وإنما هي النقص بالضاد المعجمة » ولست أرى في النقص هنا ركازة . وما كان لي أن أغير الذي أُمّى في أمر لا دليل فيه . وهذا دأبى في تصحيح الكتاب . ولو كان الأمر إلى حيتارى لما اخترت إحدى الكلمتين ضربة لازب .

ص ٢٠٠ س ٩ : (فإنها امرأة عاقلة لبينة حريصة على الخير . سعيدة من الملكات ليس لها في النساء عدل) قال الأستاذ : « وكيف تكون سعيدة مع أن الملك أمر بقتلها الخ . . . ثم هو في معرض التنويه بنحسها ، وليست السعادة خصله أو خلقاً من الأخلاق . والوجه : سديدة الرأى من الملكات التى ليس لها في النساء عدل » . وقد في الحاشية : انظر كَلِيلَةُ وَدَمْنَةُ طبع بولاق — والجواب أنه ما كان لمصحح أمين أن يغير برأيه سعيدة من الملكات إلى سديدة الرأى من الملكات التى الخ . . . وطبعة بولاق وغيرها شواهد على ما جهاه الناشرون المتصرفون بإرائهم في متن الكتاب . ومعنى سعادة الملكة هنا أنها مباركة ميمونة كن عهداً مع الملك عهد سعادة وغبطة .

ص ٢٠٨ س ١١ ، ١٢ (الذى يصنع الطعام وينظفه لسبده) قال الأستاذ أن الكلمة « ينضجه » حرفها الناسخ إلى « ينظفه » . وهو رأى سديد ، وكان ينبغى أن يشار إلى هذا التعليق إن لم يجر تغيير المتن .

ص ٢١٠ س ٥ : (والجرىء الجاهل المقدم على ما ليس له وإن أثلف نفس غيره فى طلب حاجة وشحه) قال : صوابه : ونجحه . وأرى أن الصواب « شحه » يعنى حرصه على ما يطلب . وليس الشح الحرص على ما فى اليد فقط بل منه الحرص على أخذ ما ليس فى اليد وفى حديث ابن مسعود والشح أن تأخذ مال أخيك بغير حقه . وفى حديث ابن عمر : إن كان شحك لا يحملك على أن تأخذ ما ليس لك فليس بشحك بأس .

ص ٢٥٠ س ٣ : (فلما رأوا الأسد قد احتشد فى طلب اللحم وغضب) قال : أرى أنها احتدّ والحدّة تقارن الغضب . أقول بل هى احتشد وكذلك وقعت فى نسخة شيخو . واحتشد الإنسان فى الأمر إذا اجتهد وبذل وسعه فيه .

ص ٢٤٧ س ٤ : (فما الذى يشبه كفّك عن الدماء وتركك اللحم) . كلمة يشبه مقحمة . ولعلها زيادة من المملى للناسخ حين تردده فى الكلمة بعدها — وقد وقفت عند هذه الجملة حين التصحيح وهممت أن أضع مكانها ما فى شيخو : (فما الذى يمسك كفّك عن الدماء) ولكنى وجدت فى آخر الجملة (وتركك اللحم) . وفى شيخو وترك اللحم . وهذا لا يستقيم مع كلمة يمسك . ورأيتها فى نسخة طيارة « فأى شئ يشبه كفك عن الدماء إلخ ... » فأثرت الإبقاء على ما فى نسختنا . وكان يسير أن أغيرها كما غيرتها النسخ الأخرى . ومعنى الجملة : أى سيرة هذه التى لا نرى لها شبيهاً ؟

٢٧١ : ١١ (بفضل قسمه لك وتابّع نعمته عليك) قال : فعلى أى شئ عطف الفعل (تابع) ؟ — رأى أن تصحح الجملة على وجوه مختلفة —

وأرى أن في الجملة نظراً ولكن معناها بَيِّنٌ ، وتابع معطوف على قسمه والضمير في تابع يرجع إلى الله وليست جملة تابع وصفاً للفضل وإن كانت عطفاً على الوصف .

٢٧٥ : ٢ (كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً) قال الأستاذ إنه وجدها في عيون الأخبار (يصوبها) أي يخفضها - وأقول : هو وجه حسن جيد ولكن لم يقع في نسخة من نسخ الكتاب فلم يتوجه الرأي إليه . وهو حري أن يؤخذ به ، وللناقد الشكر .

٢٧٦ : ١٣ (ولم تجدى من الأسف والحزن على شبليك شيئاً إلا وقد كان من كنت تفعلين بأحبابه ما تفعلين يجد مثله أو أفضل منه) قال الأستاذ : وليس يقال حزن فلان حزناً أفضل من حزن فلان . . . والوجه أمثل الخ . ولا أرى هذا وجهاً . وقد بيّنت في التعليق أن الفضل معناه الزيادة . وعندى أن كلمة أفضل أقرب من أمثل في هذا السياق . وإن فسرت أمثل بأنها من مثل بمعنى تكل كما فسرها الناقد .

في التعليقات

جادل الناقد الفاضل في جمل رأيت أن بها أثراً من الفارسية . وقلت إن ابن المقفع لم يسلم من تأثير الفارسية حين الترجمة - وقد رأى الأستاذ أن هذه الجمل أوجهاً في العربية الصحيحة . ولست أريد أن أتناول هذه الجمل بالتفصيل . وحسبي أن أقول إن هذه الصيغ أشيع في الفارسية وأقرب إلى أساليبها ، وقد ذكرتني بالفارسية حين قرأتها . ولعل الذي حفز الأستاذ إلى الجدل في هذه الجمل أنه يرى « ابن المقفع أيقظ من أن يؤثر في بيان العربى الخالص هجئة فارسية ، أو يلتفت في ترجمته هذه الالوة . . . ولست أشاركه هذا الرأي . فلا ريب عندى أن أثر الفارسية يظهر أحياناً في أساليب ابن المقفع وهو أمر يحتاج إلى تفصيل وتبيين ، وعسى أن تتح فرصة للكلام فيه .

وبعد . فقد آثرت الإيجاز فى الرد على الناقد الأديب توفيراً للوقت
وعلماً بأن قليلاً من القراء من يحمل نفسه على تتبع الجدل فى جزئيات كهذه .

تم للأستاذ عبد السلام الشكر بما قرأ وبحث ، ودقق ونقد . وقد دل
نقده على علم وأدب ، نسأل الله له منهم المزيـد ، كما نسأله أن يهـدينا إلى
الساد فى الرأى والقول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

مجموع رسائل الجاحظ (*)

نشره : باول كراوس ، ومحمد طه الحاجري

بقلم : عبد السلام محمد هارون

هذا المجموع النفيس يشتمل على أربع رسائل :

أولها : (رسالة المعاد والمعاش) في الأدب وتدبير الناس ومعاملاتهم .
كتب بها الجاحظ إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دواد . وهي رسالة كبيرة تقع
في ٣٦ صفحة يقول في صدرها : « ولم أزل - أبقاك الله - بالموضع الذي قد
علمت : من جمع الكتب ودراستها والنظر فيها . . فرأيت أن أجمع لك
كتاباً من الأدب جامعاً لعلم كثير من المعاد والمعاش ، أصف لك فيه علل
الأشياء ، وأخبرك بأسبابها . . . » .

ثم يمضي في رسم سياسة حكيمة لمن صنع له هذه الرسالة . وتتجلى لنا
دقة الجاحظ واستكناحه لخفايا الغرائز في فرقه بين الغضب والحزن . ثم يحمل
حملة شعواء على تلك الخلعة التي فرقت بين الأمم والأجيال في كل العصور .
وهي المفارقة بالأنساب . ويسلك بعد ذلك مسلكاً دقيقاً إلى خطأ خلق آخر
يقع فيه كثير من الناس ، فيقول :

« ألاَّ يحدث لك انحطاط من حطَّت الدنيا من إخوانك استهانة به ،
ولا لحقه إضاعة ، ولما كنت تعلم من قدره استصغاراً . بل إن زدته قليلاً
كان أشرف لك ، وأعطف لقلوب عليك . . ولا يحدث لك ارتفاع من

رفعت الدنيا منهم تذلاً . وإيثاراً له على نظرائه فى الحفظ والإكرام .
بل لو انقبضت عنه كان مادحك أكثر من ذامك ، وكان هو أولى بالتعطف
عليك » .

وثانيها : (رسالة كتمان السر وحفظ اللسان) ، وتقع فى ٢٤ صفحة .
ولا تقل فى الروعة عن سابقتها ، ويتجلى فيها اقتدار الجاحظ على الاحتجاج
لما هو بسيله .

هو يتحدث مثلاً عن الدوافع الملحة التى تدفع بعض الناس أن يستعلنوا
ما انطوت صدورهم عليه من السر . ويصور ذلك فى لباقة القصصى الماهر ،
إذ يقول « وكان الأعمش سبي الخلق غلقاً ، وكان أصحاب الحديث يضحجرونه
ويُسومونه نشر ما يحب طيئه عنهم ، فيقبل على شاة كانت له فى منزله .
فيحدثها بالأخبار والفقه ، حتى كان بعض أصحاب الحديث يقول : ليت أنى
كنت شاة الأعمش ^(١) . »

وثالثها : (رسالة فى الجد والهزل) وهى فى ٣٨ صفحة ، يسوقها إلى
محمد بن عبد الملك بن الزيات . وهى كعنوانها أمشاج من فنون فى الجد
وأخرى فى الهزل . ويسرى فيها مثل الروح التى سرت فى رسالة التبريع
والتدوير .

ومما فيها من الطرائف عقده موازنة بين قراءة المستلق وقراءة الجالس .
ويحتج للأولى بقوله فى الكتب : « ورأيت أن أنظر فيها وأنا مستلق ،
ولا أنظر فيها وأنا منتصب ، استظهاراً على تعب البدن ، إذ كانت الأسافل
مثقلة بالأعلى . وإذا كان الانتصاب يسرع فى إدخال الوهن على الأصلاص
ولأن ذلك أبقي على نور البصر . . . » .

ورابعها : (رسالة فصل ما بين العداوة والحسد) . تقع فى ٢٦ صفحة .

(١) انظر ثمار لتتوب لشعابى ص ٢٥ .

يقول في أولها : « أحب الله مدتك بالسعادة والسلامة ، وقرنها بالعافية والسرور . ووصلها بالنعمة التي لا تزول ، والكرامة التي لا تحول . هذا كتاب - أطال الله بقاءك - نبيل بارع فصل فيه بين الحسد والعداوة . لم يسبقني إليه أحد » .

وصدق الجاحظ ، فإن أحداً لم يسبقه إلى هذه الدقة البالغة في تمييز هذين الطبعين . وإن أحداً لم يكتب بعده هذا المعنى . في مثل تلك القوة والبراعة .

١ - هذه الرسائل الأربع لم يسبق نشرها من قبل . فللأستاذين الناشرين فضل السبق إلى نشرها ، وتمكين الأدباء من تناول ما فيها من فضل نارع وخير وفير .

٢ - وقد سلك الناشران منهج النشر العلمي الصحيح . وحرصا أشد الحرص على أمانة النقل وصدق الرواية عما بأيديهما من أصول . وهذا معث رضا ومثار تقدير لكل من يطالع هذا المجموع من رسائل الجاحظ .

٣ - وقد استعمل الناشران طريقة استحدثاها في التعليق على النصوص . وأعدّا لذلك أهبة لا يستهان بها من الأقواس والمعققات . والنقط . والرموز . والنجوم . والاصطلاحات . وهي بلا ريب ضرورية للتعليق والتحقيق . ولكنهما ربطا الجواد خلف المركب . فظهر في طريقتهما (ولا سيما النجوم) كثير من العسر الذي لا يتغلب عليه إلاّ حشد قوى الدربة والرياضة . كما خالفا في ذلك الطريقة المألوفة التي جرى الناشران عليها . واستساغها جمهور القارئ والباحثين . ولعلّ من عذرهما في ذلك رغبة التغلب على مشكلة الورق . ولكن ذلك لا يقوم عذراً إزاء ما ابتدعا من صعوبة .

٤ - خلت هذه الرسائل من الشرح ، ولغة الجاحظ الذى كان يتنسم هواء القرن الثالث الهجرى ، فيها إشارات وعبارات ومثل وشعر يخفى كثير منه على القارئ من الخاصة ، فما بالك بالوسط ؟ الحق أننا فى عصر يفتقر أهله أشد الافتقار إلى من يحسن صلتهم بترائهم القديم ، وينهج لهم السبيل إليه .

٥ - فى الرسائل كثير من الأعلام ، أعلام الناس والبلدان . وهى بحاجة إلى تحقيق وترجمة توضح الجو للقارئ ، وتسعفه بفهم النصوص فهماً كاملاً . ومع ذلك لم يظفر علم من أولئك بترجمة أو بتحقيق . ومما جاء محرفاً منها : « غيلان بن خرشة الضبى » ، (ص ١١٧) إذ كتب محرفاً برسم : « خرشة » . وغيلان هذا كان أعرابياً جافياً به لوثه ، وكان فى أيام زياد ، وله معه حديث طويل سرده ابن قتيبة ^(١) . وروى أبو الفرج ^(٢) أن غيلان ابن خرشة الضبى دخل إلى قوم من إخوانه وعندهم قينة ، فجلس معهم وهو لا يدري فيم هم حتى غنت القينة :

طبيبي داويتما ظاهراً فن ذا يداوى جوى باطنا
فغضب ووثب وهو يقول : السوط - ورب غيلان - يداوى ذلك الجوى !
وخرج من عندهم .

و « خرشة » بالتحريك . أما خرشة فاسم لبلد قرب ملطية من بلاد الروم . غزاه سيف الدولة ، وذكره المتنبي وغيره فى شعره .

٦ - خلت هذه النشرة من الفهارس . ولنا بصدد أن نبين قيمة الفهارس بعد ما وضع للباحثين ضرورتها . وشدة الحاجة إليها . وليست المائة والأربعون صفحة بالقدر المهن الذى يستغنى فيه عن الفهارس .

(١) عيون الأخبار (٣ : ٢٢٢ - ٢٤٦)

(٢) الأغاني (١٢ : ٩٢ طبع السعى)

٧- تضمنت الرسائل آيات قرآنية كثيرة . وقد جرى الناشرون المحدثون تبعاً للسلف على تمييزها عن غيرها من النصوص بتمييز يظهرها . ولكننا وجدنا الآيات الكريمة تجرى مع النص لا يفصلها منه فاصل . بل إن بعض الآيات قد جاء متداخلاً في البعض الآخر ، كما في ص ١٨ س ١٤ - ١٥ : « خذوا حذرکم ، ولا تلقوا بأيديکم إلى التهلكة » ، رسمت هاتان الآيتان على هذا الوضع : خذوا حذرکم ولا تلقوا بأيديکم إلى التهلكة . مع أنهما من سورتين مختلفتين . وكان أولى من التنبيه في أسفل الصفحة أن يفرق بينهما في الرسم . وقد وردت هذه الآية التالية معروفة : « ونحبون المال حباً جماً » إذ رسمت بلفظ « ويحبون » بالياء التحتية . وهو سهو عظيم ما كان أجدر بالناشرين ألاّ يقعا فيه . وقد أجمع القراء على لفظ التاء الفوقية المثبتة لم يشذ منهم أحد^(١) .

بذل الناشران جهداً موفقاً في تصحيح النصوص . ونترك الكلام لهما بقولان : « ومع ذلك بقيت في هذه الرسالة مواضع على فسادها ونقصها ، لم نوفق إلى تصحيحها . ولم نجد العون على إقامة عوجها في أصل آخر ، أو قراءة أخرى . ولكننا آثرنا أن نظهر هذه الرسائل على ما فيها مما فات طوقنا ، فذلك خير من أن تظل حبيسة مقيدة . وما يزال أملنا كبيراً في أن يتاح لنا من الوسائل ما يمهد السبيل إلى تصحيحها ، أو أن نجد من نقد الناقدین ما عسى أن يجاؤ هذه المواضع المغشاة فيها »^(٢) .

وهذه المواضع التي أشارا إليها كثيرة حقاً ، ولعلی استنطعت أن أجلو بعضها :

ص ٦ س ٥ : « اتفقت عليه محاسن الأمم » والصواب : « محاب » جمع « محبة » ويؤكد هذا التصحيح قول الجاحظ في ص ١١ س ١٦ :

(١) انظر سورة الفجر في إتخاف فصلاً الشر . والقراءات الشاذة لابن خالويه .

(٢) انظر صفحة (ي) من المقدمة .

« وهاتان خلتان داخل فيهما جميع محاب العباد ومكارهم » .

ص ١٣ س ٦ : « لموافقتها » صوابه : « لموافقتهما » .

ص ٢٧ س ١٤ : « أنفس العقدة » وجهه : « العُقْد » جمع عقدة .
وهو ما يعتقد المرء من مال ونحوه .

ص ٣٢ س ١٦ : « فلا تستقبلها بالتضجع وتغيب الرأى » أما التضجع
فهو التثجد في الأمر وعدم القيام به . وأما « تغيب » فتحريف . صوابه :
« تغيب » والمراد به الإهمال والتأخير ، مأخوذ من غب الورد : أن تشرب
الإبل يوماً ، ويوماً لا . والمغيب : الشاة تحلب يوماً وتترك يوماً . أما « التغيب »
بالنون في الآخر ، فلم تعرفه اللغة .

ص ٣٢ س ١٨ : « فإن الاعتذار يكسر حمى اللائمة » . لا يقال
كذلك . وإنما هي « حمى اللائمة » وحمى كل شيء : شدته وحدته
وانظر ص ٢ س ٥ .

ص ٣٥ س ١٠ : « إن ضبطت ذلك وقومت عليك نفسك » . الصواب
« قومت عليه » .

وفي ص ٣٥ س ١٤ : « والمولى لكل إحسان » بتشديد لام المولى .
الوجه « المولى » من : أولاه أنعم عليه . ومنه قول أبى الطيب :

وكل امرئ يولى الجميل محبٌ وكل مكان يُنبِت العِزَّ طيبٌ

ص ٣٧ س ٨ : « ولا يأنف شريف أن يقصر دونك » . ولا يخشع عالم
أن يأخذ عنك » . صوابه : « ولا يخشى عالم » .

ص ٣٨ س ١٩ : « لأنه يزِم اللسان ويخطمه » ويشكله ويزبته « ليس
للزبن هنا وجه فالزبن : الدفع . وإنما المراد هنا التقييد والحبس . والوجه :
« يرثه » يرثه يرثه . بالضم : حبسه .

ص ٣٩ س ٩ : « واستعمل فضول النظر فدعت إلى فضول القول »
ليس كذلك . إنما هو تعقيب على ما قبله : صوابه : « واستعمال فضول
النظر يدعو إلى فضول القول » وانظر ما في ص ٥٣ س ٧ .

ص ٣٩ س ١١ : « وجشمه مؤونة الصبر على ستر الحلم والحكمة »
الحلم لا يتكلف ستره . وإنما هو : « العلم » . وما يؤيد هذا التصحيح قوله
في الصفحة نفسها س ٤ : « وتنتج الحكمة والعلم » .

ص ٣٩ س ١٩ : « ثم صرفه في أبواب الباطل والفسق . فوجب عليه
إثم الإنفاق منها » الصواب : « فيها » أى في أبواب الباطل والفسق .

ص ٤٨-٤٣-٤ : « الولوع بكل ممنوع » والضجر بكل محصول » .
ضبطت واو « الولوع » بالضم . وصوبها الفتح . كما أن كلمة « محصول »
محرفة . والوجه : « مبذول » .

ص ٤٩ س ٥ : « وقضى ذلك الأرب وطر » . وصوابه : « وقضى من
ذلك الأرب وطرا » .

ص ٥١ س ١٤ : « تنقب العوام عن أسرار الملوك » وضبطت :
« تنقب » بتشديد القاف المضمومة . صوابه : « تنقيب » مصدر « نقب عن
الأخبار وغيرها : بحث أو أخبر بها »^(١) .

ص ٥٥ س ١١ : « ولو حاجة فيما ادعى . ووقفه لانقطع » . إنما
هى : « وواقفه » . والموافقة : أن يقف معه في حرب أو خصومة^(٢) .

ص ٥٩ س ١٢ : كلمة غارت فجنت حربا عوانا « الصواب :

(١) انظر السان (٢ . ٢٢٦ - ٢٢٩) .

(٢) انظر الحيوان (١ . ٩٢ س ٩ - ٩٢ س ١٠) .

« عارت » بالعين المهملة . وفي حديث عثمان « أنه كان يشتري العير حُكرة ثم يقول : من يربحنى عقلها » ، قال ابن منظور : « العير الإبل بأحماها . فعل من عار يعير إذا سار » . وقال أيضاً : « وقصيدة عائرة سائرة » و « رجل عيار : كثير المحبىء والذهاب في الأرض » .

ص ٦٣ س ٧ : « يحذرك مُصارع البغى » ، الوجه : « مُصارع » بفتح الميم .

ص ٦٩ س ٣ : « وتقريظ الثمر » ، صوابه : « الثمر » بالمشناة : ومبنى الكلام كله على الزرع والنخل^(١) .

ص ٦٩ س ٣ : « تميزوا هذا التمييز » إنما هو : « التميز » .

ص ٦٩ س ٥ : « ومتى صار الحكم للنعجة نسباً ولاكرمة صهراً » . ليس للنعجة هنا مقام ، إنما هى : « للنخلة » والكلام فى المفاضلة بين الزروع^(٢) .

ص ٦٩ س ١٣ : « وليس هذا أول شرك نصبت ، ولا أول كيد أرغته » . ليس كذلك بل هو : « ولا أول صيد أرغته » أراغ الصيد يريغه : طلبه .

ص ٧٠ س ١٥ : « وربت كلمة تدور مع خلقتها ، وتقلب مع جارتها ، وبإرادة صاحبها » . إنما يقول الجاحظ : « وبإزاء صاحبها » .

ص ٧٥ س ١٠ - ١١ : « وإذا تطاول الكد رسخ الزهد » - الصواب : « رُتج الذهب » أى أغلق . ولا وجه لزهد فى هذا المقام .

ص ٨١ س ١٥ : « فلعلنى كنت أعيش بالرفق ، وأتبلغ بحشاشة النفس » .

(١) انظر السطر الأول من هذه الرسالة ص ٦١ .

(٢) انظر السطر الأول من هذه الرسالة ص ٦١ .

الصواب : « بالرمق » . والرمق . بالتحريك : بقية الحياة . كما أن الحشاشة أيضاً بقية الحياة . ومنه قول امرئ القيس (١) :

يوماً المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آل

ص ٨٣ س ١٤ : « والغضبان يشغله الغضب . ويغلى به الغيظ » .
الصواب : « يشغله » من الإشغال . اعتبر هذا بقوله ص ٨٤ س ١ :
« واحترق حتى لا يفهم » وقوله س ٧ منها : « وأذكى ناره واشتعل » .

ص ٨٤ س ٤ : « وليس يصارع الغضب أيام شبابه وغرب نابه شيء إلا صرعه » . ليس يقولها الجاحظ . إنما هي : « إيان » أى وقت .

ص ٨٧ س ٧ - ٨ : « فإني لا أعرف إلا مجازها في الجملة . ولا أحق خاصتها على التحصيل » . الوجه : « على التفصيل » وهو ما يقابل :
« الجملة » .

ص ٩١ س ١٥ : « وطبيعتك هي المسكنة » صوابه . المسكنة » .
والمسكنة . بالضم : ما يتمسك به . وتقابل بها : « الحجة » في السطر السابق .

ص ٩٢ س ٢ : « بما يشيع لك من اسم المتسرع . وبما تضاف إليه من سنف المتبرع » إنما هي « سنف المتترع » بتاءين ، وفي اللسان :
« ترع إلى الشيء : تسرع . وترع إلينا بالشر : تسرع . والمتترع : الشرير المسارع إلى ما لا ينبغي له » .

ص ٩٢ س ٣ : « تكذب قولي . وتفسد خبري » . الوجه : « وتنفذ خبري » والتفنيد : التكذيب . وفي قول الله : « إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون » .

ص ٩٢ س ١١ : « لاستواء الخواطر . ولإيقافها على الإرادة » . إنما هي : « ولاتفاقها » .

ص ١٠٣ س ٥ : « فغلق المأمون واحتدم » . الصواب : « فغلق » بقافين . كما فى الأصل . والقلق : الانزعاج . وهو يجرى مع الهياج والاضطرام الواردين فى النص . وكلمة : « فغلق » التى جاء بها الأستاذان جميلة ، وهى بمعنى غضب واحتد . ولكن ليس ما يدعو إلى اجتلابها .

ص ١٠٣ س ٧ : « يدب عن كتابى » . هي : « يذب » بالمعجمة .

ص ١٠٥ س ١٤ : « والعداوة تخلق وتمل » . إنما هي : « وتبلى » .

ص ١٠٧ س ١ : « وجبه بلخ » بإهمال الكلمة الأولى كما فى الأصل : هي : « وناحية بلخ » .

ص ١٠٧ س ٤ : « وانتفض انتفاض الملبس المطور » صوابه : « الملبس » ، والتغيس النسر فى المجلس أو ورود الماء فيه . وما يخطر فيه من الحيوان والطير يكون ذلك أشد لبرده وانتفاضه .

ص ١٠٧ س ٣ : « أخذته الأرباء وتنفس الصعداء » إنما هي « الأرباء » جمع ربو . والربو : البُهر والشَّج وتواتر النفس .

ص ١٠٨ س ٢ - ٣ عند ذكر الكتب : « ولا يبلغ أقصى علمه آمانيها » . الصواب : « ما فيها » وليس للكتب أمانى .

ص ١١٠ س ١٠ : « وسبباً يستدعى به ألبابهم » . لا يقال كذلك . هي : « يسترعى » بالراء . وجاء فى س ١٣ : « استدعى » صوابها : « استرعى » . وهو مثل قولهم : أرعني سمعك ورأعني سمعك .

ص ١١١ س ١٥ : « من لطيف ما يستدعى به الصدق » . صوابه : « يسترعى به الصديق » .

ص ١١١ - ١١٢ : « لما ساغ له في الناس وانتشر منه » . إنما هي :
« لما شاع له في الناس » .

ص ١١٧ س ١٤ : « وإن اكتسى ثوباً نسيماً » : وليس للنسيب هنا
وجه . والصواب : « ثوباً نفيساً » .

ص ١١٧ س ١٥ : « وإذا تخرق في غناه وقرته » كذا وردت بالقاف .
وإنما هي : « وفرته » بالفاء بمعنى تركته ولم أتعرض له .

ص ١١٨ س ٥ قول النابغة الجعدي :

وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحاً ولا مستنكراً أن نعقرها

جاءت « نعفرا » بالنون بعدها عين وفاء . وهو تحريف . والصواب :
« أن تعقرها » بالتاء بعدها عين وقاف . وقد ورد البيت في مراجع كثيرة ^(١) .

ص ١١٨ س ١٨ (للفند الزماني) :

فلما صرخ الشر وأمسى وهو غرثان

وهو تصحيف عجيب . إنما هو :

فلما صرَّح الشر فأمسى وهو عريان

صرح الشر : بدا وانكشف . وعريه مثل لظهوره ووضوحه
والبيت من مقطوعة حماسية مشهورة . هي ثاني مقطوعة في حماسة
أبي تمام ^(٢) .

(١) انظر منها جمهرة أشعار العرب ١٤٨ طبع بولاق . والإصابة ٨٦٣٣ . والخزانة
٣ : ١٥٢ طبع السلفية . وأمال المرتضى ١ : ١٩٤ .

(٢) حماسة أبي تمام ١ : ٦ . وانظر حماسة البحري ١٤ . وأمال القالي (١ : ٢٦٠) .
والأغاني (٢٠ : ١٤٣) .

ص ١١٨ س ٢١ : « كفف الزق وها » ، الصواب : « وهى » بالياء

ص ١١٩ س ١٥ قول الراجز : « ومن عدا يتقى بالراح » ، هذا تحريف . والصواب : « ومن عديد » كما رواه الجاحظ نفسه فى الحيوان وفى البيان^(١) .

ص ١١٩ س ١٩ : « بقافية تفرى العروق فتحمم » ، إنما هى : « تفرى » نالقاء ، أى تقطع .

ص ١٢٠ س ٩ : « وتتابعوا علىّ تتابع الدبر على مشتار العسل » . الصواب : « تتابعوا » و « تتابع » بالياء المثناة التحتية قبل العين . و الحديث^(٢) : « ما يحملكم على أن « تتابعوا » فى الكذب كما يتتابع الفراش فى النار » . والتتابع : التهافت والإسراع .

ص ١٢١ س ٤ :

أما الحوادث من خلبلك مثل جندلة المراجع

إنما هى : « أبقي الحوادث » . والأبيات قالها معاوية أو تمثل بها فى قصة طريفة رواها ابن قتيبة ، والقالى . والخصرى^(٣) .

هذا بعض ما بدا لى من غوامض هذه المجموعة . ومنعنى خشية الإطالة أن أتم استيعابه .

(١) الحيوان (١ : ٣٥١ - ٣ : ٧٩ - ٨٠) ، والبيان (٣ : ١٩٠) طبع ١٣٤٥ .

(٢) اللسان (٩ : ٣٨٧) .

(٣) عيون الأخبار (٣ : ٥٠) والأمالى (٢ : ٣١١) ورعر الآداب (١ : ٢٦) .

مجلة الأديب(*)

العدد الخاص بأبي العلاء

يقرأ الباحث في كثير من الكتب التي تطرق موضوعاً خاصاً ، فلا يجد فيها تلك اللذة ولا تلك الأصدا المتجاوبة التي تتردد في ثنايا مجلة تنتظم موضوعاً واحداً . ولعل ذلك لتعدد الأقلام التي تتناول بأفكارها وقراءاتها المتباينة ذلك الموضوع وتنظر إليه من زوايا متعددة . وقد جمعت مجلة « الأديب » البيروتية أبحاثاً طريفة حقاً ، منها : « أبو العلاء المعلم » ، و « سر أبي العلاء » و « القرامطة وأثرهم في أدب المعري » و « أبو العلاء المفكر الحر » و « لغة المعري » و « رسالة الغفران ومنابعها » و « فصل من كتاب الأيك والغصون » .

وكان الدكتور إسحاق الحسيني موفقاً في إظهار الرسالة التي اضطلع بها أبو العلاء المعلم ، والنشاط الذي كان يشيعه فيمن حوله من العُلاب والمريدين وأما « سر أبي العلاء » فهو فرض ساقه الأستاذ الخولي ، يذهب إلى أن أبا العلاء إنما منعه من الزواج مانع العجز الطبيعي ، وأن السر إنما يرد « إلى سبب مادي طبيعي لا لزهد ولا لفلسفة » . ولكن كيف نتصور تلك العبقرية المتدافعة المتراحمة ، في تلك الرجولة الناقصة ؟ إن العبقرية الممتازة لم تكن يوماً في ضعف الرجال . بل إنني لأذهب إلى أن أبا العلاء كان من قوة طبيعة الرجل بالمكان الذي يحمله على التقلل من المطعم والمشرب ، ليكفّ عوارم هذا الميل ، ويصير إلى حال من العفة وضبط النفس . وليس فيما ذكره الأستاذ من شواهد الزوم ما ينهض حجة صالحة لدعواه الطريفة .

وقال الدكتور أسعد طلس فى مقاله القيم « القرامطة » : « وأنا مؤمن
أنا حين نعر على كتاب المجالس للمؤيد فى الدين أبى النصر (هو أبو نصر)
ابن أبى عمران داعى الدعاة . . . » . وكتاب المجالس المؤيدية لم يفقد ، فنه
نسخة بالهند أخذت منها صورة مودعة بخزانة جامعة فؤاد الأول . وقد
اقتبست لجنة أبى العلاء بالقاهرة نصاً منه فى كتابها « تعريف القدماء
بأبى العلاء » (القاهرة ١٩٤٤ ص ٣٨٧) .

إننا لنهني « الأديب » بمجهودها البارع . وندعو أدباء مصر أن يوثقوا
من صلتهم بمجلات الأمم الشقيقة . ليتحقق بذلك ما نأمل من توطيد العلاقة
بين الأمم العربية وتدعيم التقارب .

بِسْمِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ عَارُونَ

قواعد الهرموني : علم توافق الأصوات(*)

كتاب جديد يضيف ثروة قيمة إلى خزانة المكتبة العربية ، فإن المؤلفات الموسيقية العربية هي من الندرة بمكان . ولستُ موسيقياً ولا ممن يمتّ إلى الموسيقى بسبب ، إلاّ ما تولع النفس به من حب السماع والشغف به . ولكن هذا الجهد الحلى الذى استطاع به الأستاذ بيومى فى إخراج هذا الكتاب يقتضى تنويعاً بتلك البراعة التى نسج بها كتابه . وتلك الروح التى أوحى إليه أن يضع هذا الكتاب ليغذو الفن الشرقى . وليضيف إلى كنوز العربية نفائس لا يستهان بها . من المصطلحات الفنية التى وضعها أو أحيّاها . وهو إذ يقدم هذا الكتاب بتقديم حسن . يأبى إلاّ أن يجعل للعرب سابقة فى هذا الفن الحديث . وهو علم توافق الأصوات (Harmony) فينقل عن ابن سينا قوله : « التركيب هو ما يحدث بنقرة واحدة تستمر على وترين النغمة المطلوبة التى معها . على الذى بالكل ، أو الذى بالأربعة ، أو الذى بالخمسة وعلى غير ذلك . كأنهما يقعان فى زمان واحد » . ويذكر من تاريخ هذا الفن عند الأوربيين أن الناس قديماً كانوا « يؤمون ساحة البابوات فى الأعياد والمواسم يرتلون وينشدون الأدعية والتهانى . فى جماعات تجمع بين أسنان مختلفة وأجناس متباينة . وأصوات تتفاوت علواً وانخفاضاً . وليناً وقوة . ومرونة وصلابة . وعن هذا الجمع المختلط كان يصدر ما يصدر . فيسمعه السامع فيحسّ فيه انسجاماً . ويلمس معه توافقاً . ومن هنا عنّ للأستاذ هو كبالد فى القرن العاشر أن يوجه نظر المشتغلين بفن الموسيقى إلى هذه الظاهرة والانتفاع بها . فكانت نشأة علم الهرموني . وكان مبدأ الانتفاع بالأصوات المختلفة التى تكوّن مجتمعةً أنغاماً فيها توافق وانسجام » .

وقد أتمَّ الأستاذ المؤلف الجزء الأول من الكتاب في ١٦٢ صفحة تتخللها الرسوم الموسيقية، وعقَّب على فصول الكتاب بمسائل في الموسيقى التطبيقية . وقد لحظت أنه يبدأ هذه المسائل من يسار الكتاب إلى يمينه جرياً على ما هو متبع في المذكرة (النوطة) الأوروبية . وكان أولى به أن يعرب هذه الطريقة بأن يبدأ باليمين . إذ ليست هنالك أية ضرورة فنية لإيثار الطريقة الأوروبية .

إن جهاد المؤلف في هذا الكتاب حقيق بكل حفاوة وتكريم ونهته . كما أنه يستوجب شكر كل من يخدم اللغة العزيزة ويرعاها .

عبد السلام محمد عارون

فلسفة الاخلاق في الاسلام(*)

وصلاتها بالفلسفة الاغريقية

تألف الأستاذ محمد يوسف موسى — مطبعة الرسالة — ٣٠٤ صفحة من القطع
الوسط الطبعة الثانية — نشر دار الكتب الأهلية .

بحث طريف يستهويك حقاً إذ تقبل على قراءته . فأنت تمضي فيه
مضياً ، لأنه عجب . وأنه يجري في سهولة ويسر ، امتاز بهما المؤلف في كتابته
وما يطالع به جمهور قارئيه . وقد وجدت الطبعة الأولى من إقبال القراء
ما دفعه أن يصدر هذه الثانية متضمنة زيادات وتعديلات وتحقيقات قيمة .

وقد بدأ الأستاذ كتابه بفصل إضافي يؤرخ فيه الأخلاق في الجاهلية
والإسلام قبل عصر الفلسفة . واستطاع أن يجد توافقاً بين نظرية سقراط في
أن « الفضيلة المعرفة » وبين قول زهير :

ومن يوف لا يذم ومن يهد قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم

ثم هو يعرض أخلاق العرب مستشهداً بشعرهم وحكمهم ووصاياهم ،
وذلك في إنجاز بود القارئ لو طال . ولكن طبيعة الكتاب لا تحتل الإسهاب
في هذا الوجه . فعسى أن يوفق المؤلف إليه في كتاب خاص يقرن فيه بين
فلسفة البداوة العربية وبين الفلسفات الخلقية الأخرى .

وقد استشهد المؤلف في الكلام على معرفة الخير والشر بقول زهير :

الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من ستر

وفهم منه أنه « يريد أن يجعل استحياء المرء من أمر . ورغبته في ستره ،

أمانة أنه شر» والحق أن زهيراً لم يرد ذلك . وإنما عني أن بين الممنوح وبين الفاحشات سترأ من الحياء ، ولا ستر بينه وبين الخير ^(١) ، ولم يقصد به تقرير مبدأ ، أو تنويعاً بمذهب خلقى .

وقد لمختار الأستاذ ثلاثة من فلاسفة الإسلام يمثلون ثلاث مذاهب مختلفة في المبادئ الأخلاقية ، فسكويه ممثل للأخلاق الفلسفية الصريحة . والغزالي ممثل للأخلاق الفلسفية الدينية ، وابن عربى ممثل للأخلاق المنسبة على التصوف . ورسم صورة عاجلة للحالة العامة في عصور هؤلاء الفلاسفة

بيد أن جعل « مسكويه » ممثلاً للأخلاق الفلسفية الصريحة قد يتضاءل بعض الشيء حينما يتكلم المؤلف على « نزعة التوفيقية » بين ما يختار من آراء وبين ما يناسبها من حكم الدين والشرعية . لأنها كما يقول مسكويه ص ١٠٩ « هى التى تقوم الأحداث ، وتعودهم الأفعال المرضية ، وتعد نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل والبلوغ للسعادة » . فسكويه لا يمثل الأخلاق الفلسفية الصريحة بكل ما يدل عليه هذا التعبير . بل هو ينظر دائماً إلى الدين في الوقت الذى ينظر فيه إلى الفلسفة .

وقد وفق الأستاذ أيما توفيق في الرد على من زعم « أن الضمير لا وجود له في ذاته » وأن الغزالي أغفله فيما أغفل . وساق لذلك أدلة قوية في ص ١٣٨ - ١٤٢ . ولكنه لم يوفق في التعبير عن الغزالي في ص ١٩٤ بأنه يعمل على « انتهاب آراء غيره » فإن للإمام الغزالي احترامه بين المفكرين والباحثين . فليس يصلح أن يقال فيه حين يرتضى رأى غيره أن يقال إنه انتهبه واغتصبه . أو سرقه . كما يفهم من التلميح في ص ١٩٩ وذلك لأن الرأى مشاع مشترك بين الناس . ولأن استعمال الغزالي ألفاظ غيره كلها أو بعضها لا يعد سرقة وانتهاباً . فإن ذلك إنما يصح أن ينسب إلى صغار المفكرين

(١) انظر ديوان زهير بنرح الشتمرى ص ٦٤

المسولين ، لا إلى من لهم دنيا عريضة من الآراء والمبادئ . وكثيراً ما يشتد الوعي والحفظ عند المفكر حتى يكتب الصفحات العديدة من آراء غيره وكلامه . ناسياً أنه كلام هذا المفكر أو ذاك ، وذلك لشدة التباس هذه الآراء بنفسه وتمكنها من قلبه .

وفى كلامه على التفسير المنسوب لابن عربى يقول فى ص ٢٢٣ : « على أن فى نفس هذا التفسير دليلاً مادياً يجعله لغير ابن عربى (قطعاً) ذلك أنه فى تفسير قول الله تعالى فى سورة القصص : « وَاَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنْ الرَّهْبِ » يذكر المؤلف نقلاً عن سمعه عن شيخه المولى نور الدين عبد الصمد . ولا يعنينا هنا ذكر هذا النقل ، إنما الذى يعنينا أن نور الدين عبد الصمد هذا توفى فى حدود عام ٦٩٠ هـ فلا يمكن أن يكون شيخاً لابن عربى الذى توفى عام ٦٣٨ . والأمر بعد هذا لا يحتاج إلى دليل آخر .

وليس هذا دليلاً قطعياً كما ذكر الأستاذ . فإن المتتبع للمخطوطات العربية يلقى كثيراً من الحواشى التى أدخلت فى أصلاب الكتب الأصيلية وخفيت على بعض القارئین . ولست أذهب بذلك إلى أن التفسير لابن عربى ، بل أقول : إن هذا النوع من الاستدلال استثناسى ظنى ، لا قطعى يقينى .

كما أن الأستاذ فى رده على مسكويه ص ٩٢ فى قوله أن التفضل لم يخرج عن شرط العدالة التى هى وسط بين طرفيها المعلومين . وإنما هو « احتياط حازم من صاحبه ليأمن التقصير ويصيب الوسط » قال ناقداً ذلك : « وعتقد أنه لم يصب المحز . قد يكون التفضل احتياطاً فيما يشبهه فيسه العدل . أما فى الأمور التى هى كسائل الحساب فى وقتها وضبطها ، أو التى هى من قبيل الحساب . كشريكين ربخاً مائة من الجنيهات — يريد الدنانير — فرضى أحدهما أن يأخذ لنفسه أربعين فقط . فلا أدري كيف ولماذا يكون الاحتياط ؟ ! » .

وهذا المثل الذى ساقه ليس من الدقة بمكان ، فإن الشركة أيضاً مظنة للاحتياط حين القسمة ، فقد يظن أحد الشريكين أن زميله أولى بالزيادة لما بذل من جهد ذاتى أو معنوى فيما عاد على الشركة من أرباح .

وذكر الأستاذ فى ص ٨٢ تعليقاً على قول مسكويه « فيعف ويشجع ويحكم » بقوله « لعلها من حكم بضم الكاف إذا صار حكيماً » . ولا ريب فى هذا التفسير الذى ذكره ، حتى يستدعى « لعل » وأشباهها .

وفى ص ١٠٨ ذكر من كلام مسكويه : « والشره والحمود » صوابها « الشرّة » بكسر الشين وتشديد الراء المفتوحة ، وهى النشاط . وفى الحديث : « إن لهذا القرآن شرّة ، ثم إن للناس عنه فترة » ، وهى التى تقابل الحمود . لا الشرّة .

وذكر الأستاذ فى ص ١٠٧ المثل العامى : « صديقك يمضغ لك الزلط » . وليس أولى بهذا المقام من المثل الفصيح : « وعين الرضا عن كل عيب كليلّة » .

وذكر أيضاً فى ختام كتابه فهرس المراجع الهامة . مرتبة حسب ورودها فى البحث ، ومما يسترعى النظر أنه جرى على هذه الطريقة أيضاً فى كتابه القيم : « ابن رشد الفيلسوف » . وترتيب هذه المراجع حسب ورودها فى البحث ليس له قيمة فهرسية خاصة ، وكان أولى به أن يرتبها على حروف المعجم ، وهو فاعل إن شاء الله .

وقد ذكر فى ص ٨٧ من مراجعه « الإمتاع » نشر الأستاذ السندوبى ولا ريب أنه يريد « المقابسات » لا الإمتاع .

ثم نعود أدرأجنا إلى عنوان الكتاب فنجد فيه كلمة « الفلسفة الإغريقية » وليس كذلك يقولها العرب . والأجدر أن تجعل « الفلسفة اليونانية »

وبعد فالأستاذ الجليل محمد يوسف موسى حقيق بأن يهنا بهذه (الطبعة الثانية) من كتابه ، حرّى بكل تقدير وتكريم .

الهوامل والشوامل

لأبي حيان ومسكويه (*)

نشرة الأستاذين الدكتور أحمد أمين بك ، والسيد أحمد صقر

- ١ -

من الكتب ما تطالع وجهه فتجدك ماضياً في قراءته مشوقاً أن تتوغل فيه .
وتطوى الصفحة إثر الصفحة حتى تبلغ الغاية .

وكتاب « الهوامل والشوامل » من هذا الطراز الممتع الذي يجتذب أوساط
القراء كما يجتذب الخاصة من العلماء . ولقد شرعت في قراءة الصفحة الأولى
منه فوجدتني في مجلسي هذا قد طالعت زهاء ستين صفحة في متعة جميلة .
وإعجاب عميق :

إعجاب بموضوع الكتاب وأسلوبه : فالكتاب من كتب الحياة الخالدة
التي تعالج مشاكل النفس والاجتماع والأخلاق . تلك المشاكل التي تعرض
للإنسان من حيث هو إنسان . لا تتמיד بزمان ولا بمكان . وكأن تلك المسائل
التي سألها أبو حيان في « الهوامل » وأجاب عنها مسكويه في « الشوامل » هي
أسئلة الأمس . وهي أسئلة اليوم . وهي الأسئلة التي ستعرض للإنسان في
القررون المالية إن قدر لهذا الإنسان أن يعمر بعد اليوم قروناً .

وإعجاب بأسلوب الكتاب : أسلوبه العلمي الذي بنى على الصراحة
والفكير الحر وانطلاق العقل . فالسائل لا يمسه الحجل أن يعترف على
نفسه بأخطائه النفسية والخلقية . والحجيب يستجيب لذلك ويشركه في هذا

الاعتراف ؛ لأن كلاهما إنسان يخطئ ويصيب . وينال من الخير مثل ما ينال من الشر .

وإعجاب بالأسلوب البياني . وناهيك بأبى حيان كاتباً هو أشبه كتاب العربية بأبى عثمان الجاحظ في نضاعة بيانه ، وقدرته على معالجة توافه الأمور في إسهاب جميل وعرض بارع . حتى ليخيل إليك أن ذلك التافه من الأمر قد عاد فيما ترى العين نبيلاً جليلاً . وحسبك بمسكويه صاحب بيان واضح يجمع إلى الوضوح دقة وإحكاماً .

ونظرت في إخراج هذا الكتاب : فوجدت الناشرين قد بذلوا فيه غاية الجهد من العناية والاتصال بالقارئ حتى يتأدى إليه النص أقرب ما يكون إلى السلامة .

وهذه هي المهمة الأولى من مهمات الناشر الذى يكدر ويسعى غاية السعى ليحرر كتابه من رقّ التصحيف والتحريف ، ومن ربة الاستغلاق والغموض .

وقد قلتها بالأمس وأقولها اليوم : إن الناشر الذى يستطيع أن يخرج كتاباً مبرراً من العيب ، سليماً من الخطأ ، لم يخلق بعد ، وما أحوجنا نحن الناشرين أن نتبادل الأنوار في هذا الطريق المظلم ، وأن نتلقى برحابة صدر وإخلاص للعلم ، هذه النقدرات التى يقصد بها خدمة العلم ، وخدمة الثقافة . على أن يكون ذلك فيما بيننا بأسلوب مهذب عفاً بعيد عن أدب العامة ، قريب من أدب العلماء . فهذا هو النقد الذى يرجى نفعه ويخلق جواً صالحاً يقارب بين العلماء ، لا كذلك الأسلوب العتيق البغيض الذى يحاول أن يجعل من العلم ساحة حرب وميدان نضال .

ولست أذيع سرّاً حين أذكر للقارئ أن الذى أشار علىّ بكتابة هذا

التقد لكتاب « الهوامل والشوامل » هو الأستاذ الكبير الدكتور أحمد أمين ، فقد سألتني - حفظه الله - عن رأيي في إخراج الكتاب فأثنت على الجهد والعناية التي ظفر بها هذا الكتاب ، وذكرت أن هناك بعض هنات يقوت أمثالها كل ناشر : فطلب إليّ أن أطلع على بعضها ففعلت ؛ فعزم علىّ في سرور العالم المخلص للعلم أن أنشرها ، إيماناً منه بعظم فائدة النقد وشدة حاجة الناشر والقارئ إليه .

ظهر لي في أثناء قراءتي - وهي قراءة سريعة ساقني إليها جمال الكتاب بعض هنات لا تغض من قيمة العمل فيه . وإليك بعضها :

١ - ص ٧ : ١٦ جاء في الأصل : (وهذه الألفاظ الخمس) فجعلها الناشر « الخمسة » . وليس ما يقتضى العدول عن الأصل ؛ فإنه إنما يعكس العدد مع المعدود إذا تأخر المعدود . وذلك في الأعداد من الثلاثة إلى التسعة . أما إذا تقدم المعدود في ذلك وتأخر العدد فإنه يجوز فيه الأمران : المطابقة وعدمها . جاء في حاشية الصبان على الأشموني في أوائل (باب العدد) - « فلو قدم - أي المعدود - وجعل اسم العدد صفة جاز إجراء القاعدة وتركها كما لو حذف . تقول : مسائل تسع ورجال تسعة . وبالعكس . نقله الإمام النووي عن النحاة : فاحفظها فإنها عزيزة ! » .

٢ - ص ٢٢ : ٧ (ومثال ذلك مزمار فيه ثقب . متى أطلق الإنسان فيه النفس وخرق موضعاً بإصبع إصبع اختلفت الأصوات في السمع بحسب قربه وبعده) . في هذه العبارة نقص وتدريّف . والوجه « وخرق موضعاً موضعاً » . وقد ورد في س ١٩ من الصفحة نفسها « كخرق الصوت بالمزمار في موضع بعد موضع » . وبقرون العبارتين يفهم النقص في العبارة الأولى .

٣ - ٢٤ : ٥ (والأصوات المستكرهة التي ليس لها قبول في النفس كثيرة . ولا عناية للناس بها فتؤلف . وإنما تجدها مفردة بالاتفاق ،

كصريح الباب (. الصواب : « فتؤلف » ، يدل عليه مقابلته بكلمة « مفردة »
ففى الأصوات ما هو مركب مؤلف ، وفيها ما هو مفرد . وقد جاء فى
ص ٢٣ : « سوى أن للتركيب والتأليف تعلقاً بالصناعة كما ضربنا به المثل فى
نظم الخرز ونظم الأصوات فى الموسيقى ، لأن الموسيقى ليس يعمل أكثر من
تأليف هذه الأصوات بعضها إلى بعض » .

٤ - وفى الصفحة نفسها س ١٤ - ١٥ (حتى إنك لا تجد على أديمها
إلا متافئاً إلى فانيها حزينا ، أو هائماً على حاضرها مفتوناً ، أو متمنياً لها فى
المستقبل معنى) . وفى هذه العبارة أخطاء وإهمال ضبط يؤدى إلى لبس .
أما الخطأ فى كلمة « فانيها » والصواب « فائتها » أى ماضيها ، فهو يقرن
بين الماضى الفائت ، والحاضر ، والمستقبل . كما أن وجه الكلام فيما بعد
« أو متمنياً بها فى المستقبل » . وهو ما تقتضيه المزاوجة بكلمة « معنى » ،
وأما الإهمال فإهمال « معنى » لأن تركها بهذه الصورة يؤدى إلى أنها واحدة
المعاني ، وليس ذلك مراداً ، فالوجه أن تضبط « معنى » . والعرب كثيراً
ما يقرنون المتيماً بالمعنى ، أى الذى تيممه الحب وعناؤه .

٥ - ٢٦ : ١٠ - ١٢ (فخطرت خطر ان الفحل ، ومشيت العيرضة
ومررت فى خيلائك . ومضيت على غلوائك حتى أشفقت أن تعثر فى فضل
خطابك) . فهو يشبه بالفعل المختال النشيط الذى قد خلل وشأنه ، لا يرده
راد ولا يكبح جماحه خطام . فهو يعثر فى فضل ذلك الخطام . فالصواب
المتعين إن شاء الله : « فى فضل خطامك » .

٦ - ٣٣ : ١٧ (من ضعفت غريزته . وساء أدبه ، وجرو مقدمه) ،
وإنما هى عبارة عن التهجم والاندفاع فى الحكم . فالصواب « وجرو
مقدمه » بضم الميم . وهو مصدر ميمي بمعنى الإقدام والجرأة ، وهى مبالغة
نظير قولهم : جد جده .

٣٩ - ٧ في نهاية الصفحة (تعرض للجهال الذين غابتهم الانهماك في الطبيعة والحواس ، وطلب ملاذها الكاذبة لا التماس الصحة ، ولا بلوغ السعادة) . لا وجه لنصب الكلمتين ، ولا لبنائهما على الفتح . فليست « لا » هذه لا التبرئة ، وإنما هي « لا » العاطفة ، والكلمتان معطوفتان على الانهماك ، فالوجه فيهما الرفع .

٨ - ٤٥ : ١٣ (وغرض فاعل ذلك احتراز مودة صاحبه إلى نفسه بإظهار مودته له ، ومحبته إياه) ، إنما يقال احتزرت من كذا ، أى توقيته ، وكلمة « احتراز » بمعنى التوقى لا وجه لها هنا ، كما أنها لم تسمع بمعنى الإحراز ، ولو افترضنا صحتها اللغوية لوقفت عقبة أخرى ، هى كلمة : « إلى نفسه » التى توحى بأن صوابها « اجترار مودة صاحبه إلى نفسه » ، أى جرها واجتلابها .

٩ - ٤٧ : ١٧ جاء فى سؤال أبى حيان : (لم حُصِّ الشاب إذا تشايخ ، وأخذ نفسه بالزمالة والمتانة) ، والمتانة : الشدة والقوة ، وليست من صفة الشيوخ ، ولو أراد بها متانة الخلق لصرح وقال : « ومتانة الخلق » ، فليس من المألوف أن يقال شيخ ذو متانة ، وإنما يقال « ذو تأله » أى ذو تنسك وعبادة ، وهى من أخص خصائص الشيوخ ، فالوجه « بالزمالة والتأله » ، وكلمة « التأله » وردت فى بعض مواضع من كلام أبى حيان ، انظر منها ص ١٤٨ .

١٠ - ٥٦ : ٧ - ٨ (هيئات هيئات ! اشتد الالغظ وكثر الغلاط . ورجع كلٌّ إلى الشطط ، وفات الله الفهم والفاهم ، والوهم والواهم) . وفى هذه العبارة أربعة أخطاء . وصوابها : « وفات والله الفهم والفاهم ، والوهم والواهم » ، أى أدرك الناس الغباء فى معرفة الحق أو تصوره ، وفاتهم الفهم الصحيح والتصور الصادق .

١١ - ٥٩ : ١٦ (وليس يمكن أن يتكلم فيه إلا بعد تحصيل جميع المقدمات التى قدّمت له ومُهِدّت له) . والمعروف فى المقدمات أنها هى التى تمهد لما بعدها ، وتكون بين يديه تيسيراً وتسهيلاً .

فوجه الضبط : « التى قدّمت له . ومُهِدّت لأجله » .

١٢ - ٦٠ : ٣ (ولو كان إلى معرفة هذا الموضع طريق غير ما ذكرناه لسلكه القدماء وأهل الحرص على إشاعة الحكمة وإذاعتها ، فإنهم - رضى الله عنهم - ما أسفوا ولا بخلوا ، ولكن لم يجدوا إلى هذا المطلوب إلا طريقاً واحداً فسلكوه وسهلوه بغاية جهدهم) . وليس لعدم الأسف هاهنا وجه ، بل المراد أنهم لم ينقصوا شيئاً من جهدهم ، ولم يبخلوا ببذل مجهودهم فى سبيل العثور على الحقيقة . فالوجه إن شاء الله « ما أشفوا » أى ما نقصوا . وفى اللسان : « يقال شَفَّ الدرهم يشِفُّ ، إذا زاد وإذا نقص . وأشَفَّه غيره يُشِفُّه » .

١٣ : ٦٦ : ١٣ (فإذا اختلفت الجماعة التى تتعاون فيه ، ولم تُصيّر عن رأى واحدٍ ظهر فيه من الخلل والوهن والتفاوت ما يظهر فى غيره) .

الصواب « ولم تُصَدَّر » أى لم يكن منها صدور عن رأى واحد .

١٤ : ٧٤ : ٣ (فإن الحياة المحبوبة والعيش المضبوط) وليست كذلك تقال ، إنما هى « والعيش المغبوط » أى الذى يتمنى مثله لطيبه ونعمته .

١٥ - ٨٤ : ٥ (وما حد الظلم أولاً ؟ فإن المتكلمين ينفكّون فى هذه المواضع كثيراً) . جاء فى الحاشية : (٢) استعمل (ينفك) هنا فى موضع انطلق وأفاض) . وهذا التفسير لا يستقيم . فإن « ينفكّون » هنا مستعملة فى معناها الطبيعى ، أى يختلفون ويفصلون وتباين آراؤهم ولا تتحد . وبهذا المعنى فسر بعضهم قوله تعالى : « لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب

والمشركين منفيين . انظر تفسير أبى حيان ٨ : ٤٨٩ . قال : « والظاهر أن المعنى لم يكونوا منفيين . أى منفصلاً بعضهم من بعض ، بل كان كل منهم مقر الآخر على ما هو عليه » .

١٦ - ٩٧ : ١٣ (فأما الشجاعة فهي استعمال قوة العصب بقدر ما ينبغي) . وليس يقول الحكماء فى اصطلاحهم (قوة العصب) ولا (القوة العصبية) وإنما يقولون (قوة الغضب) و (القوة الغضبية) .

وفى ص ١٥٤ : « وقد ذكرنا أن قوة الغضب ربما كلّت ونقصت عما ينبغي فتكون رذيلة ومنقصة . ولا تسمى شجاعة » وفى ص ٣٢٧ « لأنه يستعمل فيه قوة الغضب والشجاعة » . وجاء فى تهذيب الأخلاق لمسكويه ص ١٩ : « وأنت تكتفى فى تعلم الأخلاق بأنها قوى ثلاث متباينة ، تقوى إحداها وتضعف بحسب المزاج . أو العادة ، أو التأديب . فالقوة الناطقة هى التى تسمى الملكية . وآلتها التى تستعملها من البدن الدماغ . والقوة الشهوية هى التى تسمى بالبهيمية . وآلتها التى تستعملها من البدن الكبد . والقوة الغضبية هى التى تسمى السبعية . وآلتها التى تستعملها فى البدن القلب » .

* * *

- ٢ -

١٧ - ٤٤ : ٩ وردت كلمة (المساوى) مهمورة . والصواب : « المساوى » بالتخفيف . وفى اللسان : « قال : وسألته عن مسائية فقال : هى مقلوبة . وإنما حدها مساوئة . فكرهوا الواو مع الهمز لأنهما حرفان مستقلان ... وقولهم : الخيل على مساويها . أى إنها وإن كانت بها أوصاف

وعيوب فإن كرمها يحملها على الجرى . وورد نحوه في القاموس . وجاء في المصباح : « والمساءة : نقيض المسرة . وأصلها مسواة على مفعلة بفتح الميم والعين . ولهذا يرد الواو في الجمع ، فيقال هي المساوى ، لكن استعمل الجمع مخففاً . وبدت مساويه . أى نقائصه ومعاييه . »

١٨ - ١٢٠ : ١٠ - ١٢ (وفي مثل للعمامة : « فلان مقدد العرس » كناية عن الذى ييخل على نفسه) . والعبارة تنطق بتحريفها . وفي مثل هذا يجدر بالناشر أن ينبه على ارتيابه في النص وألا يدعه يمر بهذه السهولة . وهذه العبارة تحتاج إلى تحقيق طويل . ولا سيما أن مسكويه أشار إلى أن هذه الكناية بنفسها نطق بها أرسططاليس . فهي كناية مشتركة بين العامة من العرب وبين اليونانيين .

١٩ ١٢٧ : ٦ - ٨ (إن النفس ترى عند غيبة المَرَثِيَّات ما تراه من حضورها . وذلك بحصول صورها في الحاسّ المشترك . وهذه حال مجدها الإنسان من نفسه ضرورة لا يُمكنه أن يدفعني عنها) . وهذا تحريف عجيب حقاً . ولا يستقيم عند الفهم . وما الذى يجعل مسكويه يتحدّى الناس جميعاً في هذه المسألة بهذا الأسلوب النائر فيقول لهم : إنكم لا تستطيعون أن تدفعوني عنها ؟ ! الصواب المتعين إن شاء الله : « ضرورة لا يمكنه أن يستغنى عنها » . أى إن استحضار صور المغيّبات من الأمور الضرورية التى لا يمكن الإنسان أن يستغنى عنها لينعم بذاكرته . ولتيم له تفكيره وتصح له أحكامه . وفاقد الذاكرة والتخيل يعدّ فاقد الحياة

٢٠ - ١٤٣ : ١٧ ١٨ (لم صار الحصيف المتمكن والبيب المبرر . يشاور فيأتى بالفلق والداهية حتى يدع الشعر مشقوقاً . والغيث مرهوقاً . فإذا انفرد بشأته وانتصر لنفسه وتعقب غاية منفعه عاد كسراب بقية لا يحلى ولا يمر) فهو يتحدث في شأن الرجل الذى تظهر منه قوة العقل وحصافة

الرأى حينما يستشير غيره فيجد عنده رأياً سديداً عبقرياً . وحكماً صالحاً . ولكنه إذا فكر لنفسه أساء الحكم وأفسد التدبير . والمراد أنه في الحالة الأولى يتغلغل إلى بواطن الأمور وأسرارها فينكشف له من خبيء العواقب ومستور النتائج ما يخفى على غيره . فكأنما هو ينظر بعين الغيب . وهل من الحصافة وعبقرية الرأى أن يشاور الرجل فيخدع مستشيريه ويحمله على أن يكره الغيث ويعيبه ؟ ! فصواب العبارة « حتى يدع السر مشقوقاً ، والغيب مرموقاً » كما أن الصواب في سائر العبارة « وانتصب لنفسه » .

٢١ - ١٦٠ : ٨ - ١١ (وسأضرب لذلك مثلاً . وهو أن مزاج الإنسان لما كان مقارباً لمزاج الفرس وكان بينهما مناسبة ، حصل بينهما قبول من تلك الجهة . فإذا تباعد المزاج حتى يكون منه الغبار والدود والجعل والذباب نفر منه الإنسان وتكرهه) . وأنا على ممارستي لهذا الحيوان دهرًا طويلاً . وطول ما قلبت من أجله الدفاتر والطروس لم أجد من ذكر « الغبار » . فالكلمة محرفة لا ريب يقصد بها ضرب من الحيوان دنيء محقر يناظر الدود والجعل والذباب ويمثلها . وهو « النبار » : جمع نبر بالكسر . جاء في اللسان : « والنبر : القُرَاد ، وقيل النبر بالكسر دويبة شبيهة بالقراد إذا دبّت على البعير تورّم مديتها . وقيل النبر دويبة أصغر من القراد تسمع فينتبر موضع لسعتها ويرم ، وقيل هو الحرقوص . والجمع نبار وأنبار » .

٢٢ - ١٧٥ : ٨ (وما الذى يحلّى به إذا استقصى وما الذى يتخوفه إذا جنح إلى الهوينى) ، وجاء في الحاشية في تفسير كلمة « يحلى » : (في اللسان : « وحلى بقلبي وعيني يحلى . وحلى يخلو خلوة وحلوانا ، إذا أعجبك . وهو من المقلوب . والمعنى يحلى بالعين ») . وهذا التفسير لا يستقيم . فإن المراد ما الذى يظفر به ويفيده ويحصل عليه إذ استقصى ؟ وليس من خلوة في شيء . وإنما هو من قوهم : « لم يحلّ بطائل » . وفي

اللسان : « ويقال ما حليت منه حلياً ، أى ما أصبت . قال ابن برى : وقولهم لم يحلّ بطائل ، أى لم يظفر ولم يستفد كبير فائدة » .

على أن فى العبارة التى نقلها الشارح عن اللسان خطأ فى النقل . والصواب « وحلا يحلو » .

٢٣ - ١٨٢ : ٥ - ٤ (كما يفعل بالخل إذا تركب مع العسل أو السكر فيسمى سَكَنَجَبِيّاً) . ولست أدري أوردت الكلمة على هذه الصورة المخطئة فى الأصل أم هى خطأ مطبعى ، فإننى بحثت فى قائمة الخطأ والصواب - وهى طويلة قد تجاوزت المائة - فلم أجد لها ذكراً . ومهما يكن فإن صوابها « سَكَنَجَبِيّاً » . وقد أشار الشارح إلى صفحة ١٠٥ من مفاتيح العلوم . وقد رجعت إلى هذه الصفحة فلم أجد شيئاً يتعلق بالكلمة . وإنما وجدت إشارة يسيرة إليها فى صفحة ١٠٤ .

والسكنجيين معرب من الفارسية . وأصله فيها (سَكَنَكَبِيّن أو سرَكَنَكَبِيّن) كما فى المعجم الفارسى الإنجليزى لاستينجاس .

وقد أشار إلى المأخذ الثانى داود (فى تذكرة أولى الأبواب) . وإلى الأول أدى شير (فى الألفاظ الفارسية المعربة) . والأول مركب من (سِيكى) و (أُنَكَبِيّن) ، والثانى من (سِرْكا) و (أُنَكَبِيّن) .

و (سِيكى) و (سركا) معناهما الحل . و (أُنَكَبِيّن) معناه العسل .

ويراد به كل شراب حلو حامض يتخذ دواء للصفراء . وهو فى لغة الأطباء من الغربيين : (Oxymel) . وانظر صناعته فى مادة (شراب) من التذكرة ، ومنهاج الدكان ص ٣١ - ٣٢ . ٣٨ - ٣٩ .

وهذا اللفظ لم يذكره صاحب اللسان . وذكر صاحب القاموس

(السكِينج) ، وقال : « دواء معروف » ، وليس هذا بالسكنجبين ، بل هو نبات له صمغ يتداوى به ، ولم يشر إليه الجوالقي ، ولا تكلم فيه صاحب شفاء الغليل . ولكنه ورد استعماله قديماً في كلام الجاحظ ، انظر الحيوان (٥ : ١٤٦) بتحقيق كاتب المقال .

٢٤ - ١٩٦ : ١٦ (حتى تُصْدِرَ عن أمره) ، هذا ضبط غريب ، والوجه (تُصْدِرُ) فإنها من صدر عن الورد وعن الماء وعن البلاد . وفي الحديث : « يهلكون مهلكاً واحداً ويَصْدُرُونَ مصادر شتى » ، قال صاحب اللسان : « يصدرون بعد الهلكة مصادر متفرقة على قدر أعمالهم ونياتهم ؛ ففريق في الجنة وفريق في السعير » ، وأما الإصدار فإنما يستعمل استعمالاً خاصاً في مجاز قولهم للذي يتدنى أمراً ثم لا يتمه : فلان يورد ولا يصدر . فإذا أتمه قيل أورد وأصدر ، وقد سبق نظير هذا في التنبيه رقم ١٣ .

٢٥ - ١٩٨ : ٢٠ (فما يتبع النبوة من التعظيم والتشريف . ونجوع الناس لها بالطبع ، والتماس أهل بيتها مرتبة الإمامة والتمليك - أمر خارج عن حكم العادة) وعقب عليها الشارح بقوله : (في اللسان : « النجعة عند العرب : المذهب في طلب الكلا في موضعه ») .

وإنما يصح هذا التفسير إذا كان النص سليماً ، ولكن النص بعيد عن الصواب ، ويتجه الصواب حينما نتجه بالنقطة العليا من الكلمة إلى جهة اليسار ، وبالنقطة السفلى إلى نحو اليمين لتكون قراءتها « بُخُوع » . والبخوع : الخضوع والطاعة ، وهما المناسبان للتعظيم والتشريف ، وفي اللسان : « ونجوع لى بالطاعة بخوعاً كذلك ، ونجعت له : تذلات وأطعت وأقررت ، وفي حديث عمر رضى الله عنه : فأصبحت مجنبتى الناس ، ومن لم يكن يبغض لنا بطاعة » .

٢٦ - ٢٢٦ : ٧ (فَفَقَّهَتِ الشَّيْءَ) إنما هي « فَفَقَّهَتِ » بكسر القاف .
كما في اللسان والقاموس . وأما « فَفَقَّهَ » فهو فعل الغلبة . من قولهم : فافَقَّهَهُ
في العلم فَفَقَّهَهُ ، أى باحثه في العلم فغلبه فيه .

٢٧ - ٢٧٥ : ٣ (أَوْ لِنَقْبِهِ وَنَبَزِهِ) كذا وردت بسكون الباء .
والصواب « نَبَزَهُ » بفتحها ، والنبز نظير اللقب في وزنه ومعناه . وضبط
هذه الكلمة يخفى على كثير من الأدباء . وأما النبز بالسكون فهو مصدر نيزه
نيزاً كلقبه تلقياً . وقد تكرر هذا الخطأ في الكتاب قبل ذلك في ٢٥٢ : ٢ و
٢٧٣ : ٢١

٢٨ - ٢٧٥ : ٩ (قد مرّ في صور هذه المسائل مستقصى) الصواب
« في صدر » .

٢٩ - ٢٩٠ : ١٣ - ١٤ (كما تفعله الفرس بأول يوم من شهرهم
المسمى « هرمز » . وبآخر يوم المسمى « بانيران ») .

وهرمز اسم لأول يوم من أيام الشهر . وأما « بانيران » بهذا الوضع
فليس بصواب . والصواب « أنيران » ، كما في مروج الذهب للمسعودي
٢ : ٢٠٣ طبع ١٩٤٨ في باب (ذكر أيام الفرس) .

وذكره أيضاً استينجاس في المعجم الفارسي الإنجليزى ص ١١٦ .
فليست « بانيران » كلمة واحدة . فالوجه أن تكتب (« أنيران ») ،
ومما هو جدير بالذكر أن الفرس يجعلون لكل يوم من أيام الشهر الثلاثين اسماً
خاصاً ، فهي ثلاثون اسماً ذكرها المسعودي ، وليست سبعة تكرر في كل
أسبوع كما هو المعهود عند كثير من الأمم .

٣٠ - ٣٠٥ : ٥ - ٦ (فإنما يدرك المبصر بآلة ذات طبقات ورطوبات
وقصبة مجوّفة ذاتية من بطن الدماغ) . الصواب « دانية » أى قريبة .

ولا وجه للكلمة « ذاتية » هنا ، وليس لورودها في جو آخر في سطر ١٢ من الصفحة علاقة بهذا الموضع .

٣١ - ٣١٠ : ٥ (وكذا الأمر إذا ورد أخذ بالْمُخْنَقِ وسدَّ الْكَفَّظَمِ) .
وهذا ضبط لم يقل به أحد . إنما هو « بِالْمُخْنَقِ » . وَالْمُخْنَقُ بضم الميم وفتح
الخاء وتشديد النون المفتوحة : موضع الخناق ، وهو الحبل الذي يُخْنَقُ به .
وفي اللسان : « وموضعه من العنق مخنق بالتشديد ، يقال بلغ منه الخنق .
وأخذت بمخنقه . أى موضع الخناق » . وأنشد صاحب اللسان لأبى النجم :

* والنفس قد طارت إلى الْمُخْنَقِ *

وأنشد الجاحظ في الحيوان ٣ : ١٣٥ لجابر بن حنى التغلبي :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا

لتخدمَ لَيْسَى أمَّه بموفق

فقام ابنُ كلثوم إلى السيفِ مغضباً

فأمسك من ندمانه بالخنقِ

٣٢ - ٣٣١ : ٢ - ٣ (لأنَّ عَرْضَه كان في ذلك الأمر نفسُ الحركة
والرياضة) الصواب « نفس الحركة » .

٣٣ - ٣٥٤ : ٦ (إن منافع الجبال ووضعتها على بسيط من الأرض
كثيرة جداً) . الصواب « ووضعيها » أى ومنافع وضعها . أما عطفها على
« منافع » فلا يستقيم .

٣٤ - ٣٦١ : ١ - ٢ (وهذه جهات لكل مطلوب فإذا عرفت جهة
جُهِلت أخرى . وليس يغنى العلم بأحدها عن الأخرى) . الصواب :
« بإحداها . أى بإحدى الجهات .

٣٥ - ٣٦٣ - ٣٦٤ (فيحصل من القسمة أربعة) . وهى :

وحى ناطق مائت .

وحى غير ناطق غير مائت .

وحى ناطق غير مائت .

(وحى غير ناطق مائت) . الصواب : « مائت » بالرفع .

٣٦ - ٢٦٧ : ٩ (وهيهات . ذلك العلم عميق البحر على الفلك) .

وقد أشير فى الحاشية إلى أنها فى الأصل « على الفلك » ولا وجه للعدول عن الأصل . و « على » هنا ليست حرف جر ، وإنما هى صفة مشبهة على وزن فعيل . مثل غنى وشقى ، والعلى هو العالى الرفيع . ومنه مأخذ « على » العلم المشهور .

٣٧ - ٣٣٩ : ١٧ - ١٨ (ما الفرق بين العرافة والكهانة . والتنجيم والطرق . والعيافة والزجر ؟) ، وقد نبه فى الحاشية إلى أن الكلمة فى أصلها « والجزو » . وتصحيح الجزو بالزجر بعيد جداً فى فن التصحيح . والصواب « والحزو » بنزع نقطة الجيم فقط لتصير حاء مهملة . فهذا هو التصحيح المتعين . وفى اللسان : « أبو زيد : حزونا الطير نخزوها حزواً : زجرناها زجراً . »

٣٨ - ٣٤٢ : ٣ (لأن هذه الأشياء الأربعة) هى فى الأصل : « الأربعة الأشياء » . ولا وجه للعدول عن الأصل ما دام مستقيماً صالحاً .

هذه بعض تحقيقات وتصحيحات واستدراكات لقراءة هذا النص النادر الممتع . الذى يهنا الناشران الكريمان عظيم التهنية بما أحسنا تقديمه إلى الأدباء .

ولست أدع القلم قبل أن أشيد كما أشاد الأدباء جميعاً بهذه الروح الرياضية العلمية التي دعا إليها أستاذنا الجليل الدكتور أحمد أمين بك ، الذي لبّيت دعوته في إعجاب لأنقد كتابه في المجلة التي يشرف على تحريرها ، كما أنوه بتركه لى الحرية كاملة أن أكتب ما أشاء ، في حدود هذه الروح الرياضية العلمية التي يجب أن تسود منذ اليوم نقادنا المعاصرين .

فلم يُعد النقد الأدبي كما كان بالأمس تجريحاً وتشهيراً بالمنقود ، بل آن أن نصطنع الجدل فيما يمسُّ أقدار الأدباء وكرامتهم العلمية، فإن العثار أمر يعرض للأدباء جميعاً . لا يرتاب في ذلك إلا مغتر ، أو ذاهب العقل . أو متهافت النفس . وأمر النقد لا يعدو أن يكون معاونة ومجادلة في الرأي ، أو مشاركة في التهديى إلى الصواب . والنقد أبداً خادماً للعلم ، وليس ضرباً هيناً من فنون الهجاء . وإنما هو فن رفيع يتأتى إليه الأديب في خالق سمح ، وخطاب كريم .

حول ديوان الشريف المرتضى

٣٥٥ - ٤٣٦

تحقيق وشرح الأستاذ رشيد الصفار النحوى

بقلم عبد السلام محمد هارون

الأستاذ بكلية دار العلوم

- ١ - (*)

كنت ممن تأدب قديماً بأدب المرتضى . وكنت أصطحب أماليه المسماة بالغرر والدرر ، وأرجع إليها بين الفينة والأخرى ، ولا تزال هذه الأمالى منى على طرف الثمام . مرجعاً هاماً من أصول الأدب واللغة والتفسير والحديث ، وسائر ألوان الثقافة العربية الخالدة .

وكنت أقرأ شيئاً من شعره منشوراً بين شتى المراجع . وهو نادر قليل . ولم أكن أعلم باليوم الذى يظهر فيه ديوانه الجبار على يد عالم أديب فاضل من أدباء العراق . هو الأستاذ رشيد الصفار . والأستاذ الصفار جدير بكل تقدير . لأنه بذل جهداً صادقاً فى أن يرى النور هذا الديوان الكبير . ولم أكن أتوقع أن ينهض بهذا العبء الأدبى رجل هو فى زمرة المحامين فيستقل به ولا ينوء بحمله . ولكنى ألفتته فيما بعد يضطلع بحمله ويظهره عملاً هو أقرب ما يكون إلى الكمال .

والشريف المرتضى هو أبو القاسم على بن أبى أحمد الحسين بن موسى

ابن محمد بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليه السلام .

وأخوه الشاعر الشريف أبو الحسن محمد الرضى (٣٥٩ - ٤٠٦) .

وأبوهما أبو أحمد الحسين الملقب بالطاهر ذى المناقب . لقبه بذلك الملك بهاء الدولة البويهى . وكان أبو أحمد زعيم الطالبين وإمامهم وزعيمهم . وهو الذى رثاه أبو العلاء المعرى بقصيدته :

أودى فليتَ الحادثات كَفَافِ مالُ المسيفِ وعُزْبُ المستافِ

يقول فيها :

ويحق في رزء الحسين تغير الـ حرسين بله الدرّ في الأصدافِ

وقد عاصر الشريف المرتضى أربعة من الخلفاء ، وهم : المطيع وقد توفى هذا الخليفة والمرتضى لم يتجاوز الثامنة . ثم الطائع الذى استمرت خلافته إلى سنة ٣٧١ . ثم القادر الذى استمر فيها إلى سنة ٤٢٢ . ثم ابنه القائم وهو آخر من عاصره المرتضى منهم .

كما عاصر من دولة البويهيين بهاء الدولة . وأبناءه : شرف الدولة ، وسلطان الدولة ، وركن الدين جلال الدولة . ثم أبو كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة . وكان المرتضى وثيق الصلة بهاء الدولة البويهى . وكان شعره وشعر أخيه الرضى ينشدان في مجالس بهاء الدولة . وليس يخاف أن دولة البويهيين كانت موثلاً للشعراء والأدباء . ومجالاً فسيحاً لتناحهم الفنى الذى يلتقى عندهم كل إكبار وإعزاز وتقدير .

وعاصر الشريف المرتضى من العلماء الأدباء أستاذة العلامة المفيد^(١)

(١) هو الفقيه محمد بن محمد بن النعمان العكبرى البغدادى . الملقب بالشيخ المفيد . المكنى بأبي عبد الله ، وابن المعلم . وقب له شيخه على بن عيسى الرمانى بالشيخ المفيد .

الذى قرأ عليه هو وأخوه الرضى الفقه والأصول ، وكذلك الشاعر ابن نباتة السعدى ، وهو أبو نصر عبد العزيز بن عمر السعدى وقد درساً عليه اللغة ، كما تتلمذ المرتضى على أبى عبيد الله المرزبانى فى الشعر والأدب . وأكثر من الرواية عنه فى الأمالى .

ومن عاصره : أبو إسحاق الصابى . وهلال بن المحسن التنوخى ، وعلى ابن المحسن التنوخى ، وأبو الحسن السمسى تلميذ أبى على الفارسى . وكانت وفاة المرتضى لخمسة بقين من ربيع الأول سنة ٣٤٦ هـ ببغداد حيث صلى عليه ابنه فى داره ودفن بها . ويروى أنه قال عند وفاته :

لئن كان حظى عاقبى عن سعادتى

فإن رجائى واثق بحلم

وإن كنت فى زاد التقية والتقى

فقيراً فقد أُمسيتُ ضيفاً كريم

حياته العلمية :

وللمرتضى مؤلفات ومصنفات أربت على السبعين مؤلفاً فى فنون شتى من فروع الثقافة الإسلامية . وقد اختلف الناس فى نهج البلاغة ، أهو من جمعه ، أم من جمع أخيه الرضى ^(١) ؟ .

ومما يجدر ذكره أن الشريف المرتضى كان من القوَّام بأُمور دار العلم فى بغداد التى كانت تعد أعظم مدرسة للعلوم والآداب ، وكان فى مدرسته الخاصة نحو ثلاثين ألف جزء .

(١) ابن خلكان ١ : ٣٣٠ .

وكانت له في داره مدرسة خاصة تعهد بكفاية طلابها مئونة العيش ومطالب الحياة ، إذ وقف عليها قرية من قراه تنفق موارد على قراطيس الفقهاء والتلاميذ الذين كانت تجري عليهم الجرايات الشهرية ، كالشيخ الطوسي الذي كان يجري عليه اثني عشر ديناراً في كل شهر .

ولا غرو في ذلك ، فقد قدر المؤرخون دخله من أملاكه الخاصة بأربعة وعشرين ألف دينار في العام . كما ذكروا أنه كان يمتلك من القرى والضياح نحو ثمانين قرية بين بغداد وكربلاء ، ينساب فيما بينها نهر حُفّ بالأشجار وارقة الظلال ، ما بين مزهرة ومثمرة . وقد أبيحت للسابلين والعابرين ثمارها وقطوفها .

وكان المرتضى يذهب مذهب الشيعة الإمامية . في قولهم بتوحيد الله عز وجل وعدله ، وامتناع صدور الظلم منه ، وأن الخلود في النار إنما هو للكفار خاصة . وأن ارتكاب الكبيرة من أهل المعرفة والإقرار لا يخرج من الإسلام . وأن الأئمة اثنا عشر . أولهم : علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وآخرهم : محمد بن الحسن المهدي المنتظر ، وهم جميعاً معصومون .

وليس بصحيح أن المرتضى كان معتزلياً أو رأساً في الاعتزال ، كما يتضح عند التحقيق . إذ لا يمكن الجمع بين كثير من الآراء التي تقال هنا وهناك .

وكان رحمه الله علماً في المناظرة متكلماً . يسترعى إعجاب حاضري مجلسه . وقد سئل عنه أبو العلاء المعري بعد أن حضر مجلساً من مجالسه . فأجاب :

يا سائل عنه لما جئت أسأله

فإنه الرجل العاري عن العار

لو جئته لرأيت الناس في رجلٍ
والدهر في ساعة . والأرض في دارٍ

وذكر بعض الإمامية أن المرتضى أول من بسط كلام الإمامية في الفقه ،
وناظر الخصوم . واستخرج الغوامض . وقيّد المسائل . وفي ذلك يقول :

كان لولاي غيضاً مكرع الفقه . حقيق المدى بحر الكلام
ومعان تشطّ لطفاً عن الأف . بهام قربتها من الأفهام
ودقيق الحقتّه بجليل . وحلال خلصته من حرام

وكان المرتضى رجل دين . يضع الدين في المقام الأول . وأنت تلمح
في أماليه أنه يضع مسائل التفسير والحديث في صدر كل مجلس من مجالسه .
ثم يستطرد منها إلى الأدب والشعر واللغة ومسائل العربية والنقد . وهذه
الخاصة تمتاز أماليه عن نظائرها من أملى العلماء والأدباء .

حانب من أخلاقة :

كان المرتضى سمحاً جواداً . مبسوط اليد فئض الكرم . ويدكرون أن
يهودياً أفلس في مجاعة شديدة . فاحتال ليحصل على القوت ، فحضر يوماً
مجلس المرتضى . فستأذنه أن يقرأ عليه شيئاً من علم النجوم ، فأذن له وأمر
له بجائزته تحرى عليه كل يوم . فقرأ عليه برهة ثم أسلم على يده .

ومن مشهور القصص في ذلك ما رواه التبريزي : أن أبا الحسن على
ابن أحمد القالي^(١) كانت له نسخة من جمهرة ابن دريد غاية في الجودة .
فدعته الحاجة إلى بيعها . فاشترها الشريف المرتضى بستين ديناراً ،
وتصفحها فوجد بها أبياتاً بخط القالي المذكور :

(١) بسطه إلى مائة (مائة) من بلاد خوارستان .

أَنِسْتُ بِهَا عَشْرِينَ حَوْلًا وَبَعْتُهَا
 لَقَدْ طَالَ وَجَدِي بَعْدَهَا وَحِينِي
 . وَمَا كَانَ ظَنِّي أَنِّي سَأْبِعُهَا
 وَلَوْ خَلَدْتَنِي فِي السَّجُونِ دِيُونِي
 وَلَكِنْ لَضَعْفٍ وَافْتِقَارٍ وَصِيَّةٍ
 صِغَارٍ عَلَيْهِمْ تَسْتَهْلُ شَتُونِي
 فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقِ عِبْرَةٍ
 مَقَالَةٍ مَكُوتِ الْفُؤَادِ حَزِينِ :
 « وَقَدْ تَخْرُجُ الْحَاجَاتُ يَا أُمَّ مَالِكٍ
 كَرَأْتُمْ مِنْ رَبِّ بَيْنَ ضَمِينِ » (١)

فَرَجَعَ النُّسخةَ إِلَيْهِ وَتَرَكَ الدَّنَانِيرَ .

وَعَلَى حِينٍ نَجَّدَ أَخَاهُ الشَّرِيفَ الرُّضَى طَمُوحًا نَزَّاعًا إِلَى الْخِلَافَةِ مَمْنِيًا نَفْسَهُ
 بِهَا . وَيَقُولُ فِي ذَلِكَ مَخَاطَبًا نَفْسَهُ :

هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ كَرَمَتْ مَغَارِسُهُ وَطَابَ الْمَوْلِدُ
 أَوْ مَا كَفَاكَ بِأَنْ أَمْلِكَ فَاطِمَةَ وَأَبُوكَ حَيْدَرَةٌ وَجَدُّكَ أَحْمَدُ

نَلَقَى الشَّرِيفَ الْمُرْتَضَى مَصْرُوفًا عَنْ هَذَا الْمَطْمَعِ . مَشْغُولًا بِالْعِلْمِ
 وَالدَّرْسِ . زَاهِدًا فِي بَهْرَجِ السُّلْطَانِ وَزَيْفِ السِّيَاسَةِ . ذَامًّا لِلدُّنْيَا رَاغِبًا عَنْهَا :

وَحُبُّ بَنِي الدُّنْيَا الْحَيَاةَ مَسِيئَةٌ

بِهِمْ : ثَلَاثَةٌ فِي النَّفْسِ أَعُوزُ سَدُّهَا

(١) البيت قديم . وقد صممه شعره كما صممه قبله كثير من بطر سبط الأتلي ٣ ٨٩

تخفّف من أزوادها ملء طوقه

فهان عليه عند ذلك فقدّه

ويقول :

قل للذى راح بعزّ واغتدى يسحب منه مطرفاً مورداً

صنيع من يطمع أن يخلداً جمعت ما لا بد أن يبدداً

إن لم يزل في يومه زال غداً يا جامعاً لغيره محتشداً

نضدت مالاّ هل نضدت أملاً سيان من سار يجرّ العدداً

ومن يزلّ واحداً منفرداً كلاهما مفارق ما وجداً

المرتضى الشاعر :

لم يحظ المرتضى في الشعر بمثل شهرة أخيه الشريف الرضى . فقد عرف الرضى بالشعر ، وارتضاه الأدباء ورووا له . وسارت قصائده . ونبع منها الكثير . ولا كذلك الشريف المرتضى . الذى لم يواته الحظ في الشهرة .

ولعل مرجع ذلك إلى كثرة أعدائه وحساده . ولعل مرجعه أيضاً إلى أنه كان مكثراً ، والإكثار قد تفارقه الجودة . كما يظهر لمتصفح ديوانه . أن الطابع العلمى والحرص على إظهار المقدرة اللغوية واتساع الأفق العلمى . كل ذلك جعل شعره في مستوى لا يستهوى جمهرة الأدباء مثل ما يستهويهم شعر أخيه الرضى .

كما أن سمات الحزن . ومظاهر الشكوى والتبرم التى تسود شعره . بما كان يتعرض له من فتن العامة والطعام . أفقدت شعره ضوء البهجة التى يطلبها الناس في الإنتاج الفنى .

وكذلك إجلال تلاميذه له ، وحرصهم على رواية آثاره الدينية والعلمية ؛
لما له من إمامة دينية مرموقة . صرفهم ذلك عن أن ينشطوا لرواية شعره
فأصابه بعض الحمول .

وليس معنى ذلك أن يخرج المرتضى من جلة فحول الشعراء ، فهو
لا جرم شاعر فحل له وزنه ومقداره .

وكان الشريف المرتضى حريصاً على إظهار براعته في النظم واقتداره ،
متوجهاً إلى إبراز سيطرته على القوافي الصعاب غير المألوفة ، فهو يقول في
قافية الثاء :

قفا بى على تلك الطلول الرثاث
مُحِينَ بنسج المعصيرات الموأكثِ
ولا تسألا عن اصطبارِ عهدتما
فقد نانَ عني بانتهاك الحوادث
كأن فؤادى بالنوى لعبت به
نيوب ليوثٍ أو مخالب ضابث
أجول في الأطلال نظرة عابثٍ
وما أنا حزناً واشتياقاً بعابث
كأنى وقد سارت مطىً حدوجهم
ألاطمُ موج اللبسة المتلاطتِ
وفى قافية الخاء :

أبى يعصِبُ الغاؤون ما فى عيابهم
ويططخنى بالشر من هو ملطخ

ولو شئتُ أضحي بين داري وبينهم
تسأطُ بعيد للمطايا وبرزخُ
كأنى مقيم بين قومٍ أذلة
أميمُ رزايا . بالجنادل يشدخُ
ولى مهجة لم يبق إلا طولها
ترشُّ بأنواع الهموم وترضخُ
وفى قافية الزاى :

إن كنت ترغب فى الثوا هذه الدنيا عزيزا
فاحذر منى الأطماع أن تُغنى بها أو أن تحوزا
لا تُرعِها سمعاً فـ نَّ لها القعاقع والأزيرا
كم آمن أضحي المصط ح بها وقد أمسى الحريرا
أين الذين على التـ ع تبوءوا الوطن الحجيرا
سحبوا وراءهم الجيو ش وطالما سحبوا الخزوزا

وفى قافية الغين :

أقولُ لها لما التقينا على منى وأبرزها ذاك الخيمار المصبغُ
وأبدت صدودا لم يكن عادة لها وقد يتجنى فى الهوى المتمرغُ
لقد خان من أدنى الحال إليكم ومان علينا فى المقال المبلغُ
شغلنا وأنتم فارغون ولم يعج على ذى اشتغالٍ دهره المتفرغُ

كأنى أشكو الحب شكوى مجممٍ

فتى صل عن وادى البلاغة ألتغ

وشعر المرتضى ذو قيمة تاريخية عظيمة ، فقد كان المرتضى على صلة
برجال دهره . وكان معنياً بتسجيل كثير من المناسبات التاريخية ، فبذلك
يعد شعره سجلاً فسيحاً الجنبات ، مرآة صادقة للعصر الذى كان يحياه .

وللشريف المرتضى مجال واسع فى مدح الخلفاء والوزراء والأشراف ،
ولم يكن يسترفد أو يستجدى بشعره . فقد كان ذا ثراء عريض وسعة
فى العيش .

وهو حين يمدح الخلفاء ويمجدهم يذكر فى شعره أنه من عشيرة
الخليفة ، وأن الأرومة الهاشمية جمعت بينهما ، فكأنه إنما يمدح الخليفة ليفخرو
بنفسه . يقول فى مدح الخليفة القادر :

وأنا الذى ينمى إليك ولاؤه أبدا كما ينمى إليكم مولدى
ويقول فى تعزيتة له عن ولده :

فخراً بنى عم الرسول فأنتم
أزكى المغارس فى الأنام وأطيب
إرث النبى لكم ودار مقامة
والوحي يتلى بينكم أو يكتب
والبرد فيكم والقضيب وأنتم
أدنون من أغصانه والأقرب

وأخوه الشريف الرضى كان ينهج هذا المنهج فى مدح الخلفاء ،
إذ يقول لخليفة القادر :

عطفاً أمير المؤمنين فإننا فى دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبداً كلانا فى المعالى مُعروق
إلا الخلافة ميزتكم فإنى أنا عاطل منها وأنت مطوق .

- ٢ -

المراثى فى شعر المرتضى :

ونستطيع أن نتبين من ثنايا شعره أنه كان رجلاً جَمَّ الوفاء ، يدلّ على ذلك كثرة المراثى التى رثى بها أهله وأصدقائه ، ومن تربطه بهم صلة القرابة أو النسب ، بل نجد له مراثى فى أقوام مجهولين ، كقوله يرثى صديقاً له لم يذكر اسمه :

نادِ امرأ غيَّبَ خلف النقا
فكم فتى ناديتُه ما وعى
وقل لمن ليس يرى قائلاً
بأى عهد دبّ فيك البلى
وكيف دُلّيت إلى حفرة
يمحوك محو الطّرس فيها الثرى
يقول فيها :

وكيف أسلاه وبى صبوّة
أم كيف أنساه وفيه الهوى
كان كنارٍ أضرمت وانظفت
أو يارقٍ . ما لاح حتى انجلى
أو كوكب ما لحظت نورَه
فى أفقه العينان حتى خوى

وقوله يرثي صديقاً آخر :

ألا يا لقومي لا عتنان النوائب
وللغصن يرمى كل يومٍ بشاذب
وللناس : إما ظاعن حان يومه
وإما مقيم لاجتراع المصائب

يقول فيها :

خليلي قوماً فاندبا من بقربه
لهوت زماناً عن سماع النوادب
وبا لهفتي منه على دى مودة
برىء الأديم من قروف المعائب
سبي بالودّ الصحيح وأقربى

وصاحبي الأدنى إذا ازور صاحبي

ويبدو أن الشريف كان قد نصب نفسه شاعراً اجتماعياً يقول الشعر
في المناسبات الخاصة والعامة . واستمع إليه يعزّي القاضي أبا القاسم العسكري
عن ولده له توفى غريقاً ، إذ يقول :

إنّ هذا الزمان يأخذ منّا

كلّ يومٍ خيارنا والخيارا
وأعزّاؤنا إذا لم يفوتوا
نا صغاراً فاتوا وماتوا كبارا

وفيهما :

إنما المرء طائر سكن الوكـ

ر قليلاً مهجّراً ثم طارا

فطوال السنين بعد تقصّر
ونفاد ما كنّ إلا قصارا
أى بدر لم ينتقص بمحاق
بعد أن كان للعيون ستارا
وظلام ما جاء غبّ صباح
ملأ الأرض كلها واستارا
ثم هو يسلك إلى تعزيتة سبيل الدين ، ويذكره في ذلك بحشية الله ،
ويرجيه ثوابه :

واضطرب مؤثرا تفرّ بثواب
لا تُضعفه بأن صرت اضطارا
لا تشكّنّ بالذى قسم الأء
مار فالله قسم الأعمار
واصح كي تدرك الثواب فكل ال
ناس في هذه الخطوب سكارى

وهذا ولد آخر لعميد الرؤساء أبى طالب يسقط عليه السقف فيقصي
صريعاً ، فلا يجد الشريف مندوحة عن رثائه ، إذ يحسن عراه بقوله :

ما أساء الزمان فيك الصنيعا	فاشكر الله سامعاً ومطيعا
أخذ الله واحداً ثم أبى	لك ممن تهوى وترجو جميعا
فهب الحزن للسرور ولا تُد	ر على ما مضى وفات دموعا
ما لنا تجزع ولو أنه كا	ن لحوشيت أن تكون جزوعا
قد شكرنا يداً تجافت عن الأص	ل وإن جئت الغصون فروعا

وقوله :

والمصيبات لا يصبن سوى الأخ
يار منّا إذا ولجن السربوعا
وإذا لم يكن سوى الموت فالما
ضى بطيئا كمن يموت سريعا

ويموت مؤدب ولده فيرى من الحق عليه أن يرثيه بقوله :

إن كان غيبك التراب الأحمر
وحلت مرثا لا يزورك زور
فلقد جزعت على فراقك بعد ما
ظنّوا بأننى عنك جهلاً أصبر

ثم ينساق في تيار الزهد والتصوف إذ يقول :

خذ بالبنان من الحياة فإنما
هو عارض متكشف متحسر
ودع الكثير فإنما لهمومه
جمع النضار إلى النضار مبدّر^(١)

وكأنما ظل الحياة على الفنى
ظل أتاح في الهجير مهجّر

ثم يذكر أن حرمة الأدب تقوم مقام حرمة النسب ، وأن أصله الأعجمي

(١) النضار . الذهب . والمبدّر : الذى يجمع المال بدرأ . والبدرّة : مقدار من المال يوضع
في كيس . قبل عشرة آلاف درهم . وقيل غير ذلك .

لا يُزرى به : فإن للأعاجم المثقفين فضلاً يعلو بهم على كثير من العرب
الذين لم ينهلوا من معين العلم :

إن لم تكن من عنصري وأرومتي
فلحرمة الآداب فينسا عنصري

أو لم تكن للعرب فيك ولادة
فالمعربون كلامهم بك بصروا

ما ضر شيئاً من نَمته أعاجم
ولديه آداب الأعراب تسطر

ولكم لنا عرب الأصول تراهم
عُمية عن الإعراب لم يستبصروا

ومن أشهر مراثيه رثاؤه لأخيه الرضى . وكان الرضى أصغر سنّاً منه
بأربع سنوات ، وقد جزع المرتضى لوفاته جزعاً شديداً ، لم يستطع أن ينظر
إلى أخيه في السياق . ولا محمولا على أعناق الرجال ، أو يشهده وقد دلّى
في قبره وأهيل عليه التراب : لم يطاوعه قلبه ، ولم يطاوعه شديد حبه لأخيه ،
ففرّ من كل أو لئلك إلى مشهد موسى بن جعفر ، وتكفل بالصلاة عليه ودفنه
الوزير فخر الملك .

وقد ذكر المرتضى هذا الوزير في هذه المراثية التي يستعلن فيها انكساره
وضعفه ، وحيرته القاتلة ، وإظلام الدنيا في عينيه . وتراكم الهموم عليه
في قسوة وعنف :

قُدنى إليك فقد أمنت شِماسى
وكفيت منى اليوم صدق مراسى

ولقيتني متخشعاً لا يرتجى
 نفعى ولا يُخشَى العشيّة باسى
 أسرى بلا هادٍ بكل مَضَلّةٍ
 وأجوب مظلمةً بلا مقياس
 وأزود عن قلبي الهمومَ كأننى
 أحمى أسود شرى عن الأخياس
 وبذكر أنه كان يخشى قديماً ذلك اليوم الذى يشهد فيه مصرع أخيه ،
 وأن فجيعته به أفقدته الصبر والعزاء ، ولم يستطع معهما المصابرة والمخالدة :
 ما زلت أحذر وردّها حتى أتت
 فحسّوتها في بعض ما أنا حاسر
 راديتها فلقيتُ منها ضحرةً
 صماء من جبل أشمّ الرأس
 ومطلتها زمنًا ولمّا صممت
 لم يثنها مطلى وطول مِكاسى
 ومنعتها دمعى فلمّا لم تجدْ
 دمعاً تحدّر أوقدّت أنفاسى
 ثم يابى أن يترك فخره بأرومته الشريفة ، واعتراه بدوحته العريقة :
 ومصيبة ولبّت على سُرُج الهدى
 آل النبي حفائر الأرماس
 ثلّموا بها بعد التمام كأنّما
 ثلّموا بجذع الأنف يوم عطاس

ويسجل أن أخاه مات قصير العمر ، إذ لم يتجاوز السابعة والأربعين .

واهاً لعمرِكَ من قصير طاهرٍ

ولربَّ عمرٍ طال بالأرجاس

ثم يذكر ما كان من وفاء فخر الملك . ومن نيابته عنه في القيام بحق أخيه الذى لم تمكنه رقة قلبه من أن يقوم به :

من مبلغ فخر الملوك بأننى

للفضل من نعماه لست بناس

شردت عني كرهها من غمة

وعدلت لي الإيحاش بالإيناس

إن كان فرعى قد مضى وبقيت لي

فالفروع مسدول على الآساس

ولئن رُزيتُ فقد محوت رزيتي

بيديك محو النقص من قرطاس

وهو لا ينسى أن يرثي فخر الملك نفسه بمرثية يقول فيها :

فجعت بمشيع السغبات جوداً

وناقع غلة الهيم العطاش

وهتاب اللهى في يوم سلم

وصراب نكلى يوم الهراش

تعلغل حبه في أم رأسى

وخاض وداده منى مشاشى

وأفرشني القنادَ أَسَى عليه
 فليت لغيره كان افتراشي
 وكأرثي أخاه الرضى رثى أختأله بمرثية تنطق بأنها قيلت في عقيلة من
 العقائل . يقول فيها :

فله أعوادٌ حملن عشيّةً
 خبيثةً بيت لا يرى سوء طارقهُ
 على الكرم الفضفاض لُطَّت ستوره
 وبالبر والمعروف سدّت مخارقهُ
 وليس به إلا العفاف وما انطوت
 على غير ما يرضى الإله نمارقهُ
 قيام سواد الليل يندى ظلامه
 وصوم بياض اليوم تحمى ودائقهُ
 عدتني كما شئت . وما شئت أنها
 فدتنى . ولا كان الذي حُمّ سابقهُ
 ولو أننى أنصفتُها من رعايتي
 وقابلته رزاء بما هو لائقهُ
 لأكرعت نفسى بعدها مُكرع الردى
 تُصاحبه حزناً لها وتُغابقه
 ولتلاميذ المرتضى كذلك نصيب من شعر المناسبات . فهو يقول في رثاء
 نلميذ له يدعى التبانى :

قد كنت فينا جدلاً محققاً مدققاً

ما فاتك العلم ولا ضللت فيه الطريقاً
لحقت ما طلبته كم طالب ما لحقها

مراثى الحسين عليه السلام :

أما الوفاء الكبير الذى كان يحيط بمشاعره إحاطة تامة ، ويستثير كوامن
لواعجه ، الوفاء المقرون بالصدق ، فقد صاغه غرراً من قصائده يقولها
الفينة بعد الفينة ، يبت فيها كامن حزنه ، وكامل إجلاله لجده الحسين بن على
رضى الله عنهما ، وهو الأصل الذى انبثقت منه الدوحة الكبرى للعلوين :

وتعد هذه المراثى من أصدق شعره وأروع ، إن لم تكن أصدق
وأروع :

أُسْقَى نَمِيرَ الْمَاءِ ثُمَّ يَلْدَى لى

ودوركم آل الرسول خـلاء

وأنتم كما شاء الشتات ، ولستم

كما شئتم فى عيشة وأشاء

تذادون عن ماء الفرات وكارع

به إبل للغادرين وشاء

تنشرون منكم فى القواء معاشر

كأنهم للمبصرين مـلاء

ألا إن يوم الطف أدمى محاجراً

وأدوى قلوباً ما لحن دواء

هذه اللوعة الصارخة تتبعها لوعة أخرى ، وغضبة مدوية لآل البيت

وهل لى سلوان وآل محمد

شربادهم ما حان منه ثواء

تُصَدِّدُ عن الرُّوحَاتِ أَيْدِي مطيهم
 وَيُزَوِّي عَطَائِي دُونَهُمْ وَحِيَاءُ
 كَأَنَّهُمْ نَسْلٌ لَغَيْرِ مُحَمَّدٍ
 وَمِنْ شَعْبِهِ أَوْ حِزْبِهِ بَعْدَاءُ
 ثُمَّ يَفِيضُ دَمْعُهُ وَيَثُورُ مَا كَانَ سَاكِنًا مِنْ حَزَنِهِ فَيَقُولُ :
 دُعُوا قَلْبِي الْخَزُونَ فَيُكَيِّمُ يَهْيِجُهُ
 صَبَاحٌ عَلَى أَخْرَاقِكُمْ وَمَسَاءُ
 فَلَيْسَ دَمْعِي مِنْ جَفَوْنِي وَإِنَّمَا
 تَقَاطِرُنْ مِنْ قَلْبِي فَهَنٌ دَمَاءُ

وفي يوم (عاشوراء) ، وهو اليوم المشؤم الذي شهد مصرع الحسين^(١) ،
 تعاوده الذكريات ، التي يسجلها شعره في روائع الكلم ؛ ويستعلن الحداد
 في قوله (٢) :

إِنَّ يَوْمَ الطِّفِّ يَوْمَ كَانَ لِلدِّينِ عَصِيَا
 إِنَّهُ يَوْمٌ نُحِيبُ فَالْتَزِمُ فِيهِ النُّحْيَا
 عَطَتْ تَامُورُكَ وَاتْرَكَ مَعْشَرًا عَطَّوْا الْجِيُوبَا^(٣)
 وَاهْجَرَ الطَّيِّبُ فُلْمَ يَةِ رَكُّ لَنَا عَاشُورَ طِيْبَا
 لَعَنَ اللَّهُ رَجَالَا أَتْرَعُوا الدُّنْيَا غَضُوبَا
 سَالَمُوا عَجْزًا فَلَمَّا قَدَرُوا شَتَا الْخُرُوبَا
 رَكَبُوا أَعْوَادَنَا ظَلَمَ أَوْ مَا زَلَمْنَا رَكُوبَا

(١) كان مصرع الحسين في يوم عاشوراء سنة ٦١ وهو ابن ٥٨ سنة .

(٢) صنع هذه القصيدة سنة ٤٢٩ .

(٣) العط : الشق . والتامور : القلب . أو حبة القلب .

ثم يصبُّ جام غضبه على قاتليه ، ويتكهّن بالعاقبة الطوبى لآل البيت :

طلبوا أوتار بـ	عندنا ظلماً وحُوباً
ورأوا في ساحة الطِّ	فَ وقد فات ، القليبا ^(١)
قد رأيتُم فأرونا	منكم فرداً نجيباً
أو تقياً لا يرأى	بتقاه أو لبيبا
كلما كنار عوساً	للورى ، كنتم عُجوباً
في غدٍ ينضب تـ	ارُّ لكم فينا نضوباً
ويعود الخلق الر	ثُ من الأمر قشيباً
والذى أضحي وأمسى	ناكباً يُضحى نكيباً

وفي يوم عاشوراء من السنة التالية للعام الذى قال فيه هذه المراثية نجده يقول مراثية أخرى مطلعها :

يا خليلي ومُعِيني	كلما رمت النهوضا
داوٍ دائي أو فعُدني	مع عوَّادى مريضاً

يقول فيها :

قد أتى من يوم عاشو	راء ما كان بغيضاً
دع نشيجي فيه يعلو	ودموعي أن تفيضاً
إنه يومٌ سُقينا	من نواحيه مضيضاً
هزل الدين ومن في	ه وقد كان نحيضاً ^(٢)

(١) القليب : البئر ، أراد بها قليب بدر ، إشارة إلى هزيمة أسلافهم في غزوة بدر .
(٢) النحيض : الكثير اللحم . والنحض : اللحم نفسه . والقطعة الضخمة منه تسمى نخضة .

وهو في ذلك لا يزال يتوعد المغتصبين :

قل لقوم لم يزالوا في الجهالات رُبُوضا
غَرَّهمُ أنهمُ سا دوا وما شادوا بعوضا
في غدٍ بالرَّغمِ منكم سَرَدُون القروضَا
سوف تلقون بناءً لكم طال تقيضا
وقبأباً أنتمُ فيها وهادأً وحضيضا

ولا تزال ذكرى عاشوراء ماثلة له بكل سبيل ، إذ يقول في مرثية أخرى :

يا يوم عاشوراء كم أطردت لى أملاً
قد كان قبلك عندي غير مطرود
أنت المرتق عيشي بعد صفوته
ومولج البيض من شبي على السّود

ويقول في يوم عاشوراء في السنة الخامسة والثلاثين بعد الأربعمائة ، مصوراً غدر القاتلين :

قد غدرتم كما علمتم بقومٍ لم يكن فيهمُ فتى غدارا
ودعوتهم منهم إليكم مجيباً كرمأً منهمُ وعودا نضارا
أمنوكم فما وفيتم وكم ذا آمنٌ ، من وفائنا ، الغدارا
وأتوكم كما أردتم فلما عاينوا عسكرياً لهم جرّارا
وسيوفاً طووا عليها أكفأً وقناً في يمينكم خطّارا
علموا أنكم خدعتم وقد يخدع مكرأً من لم يكن مكارا

ويقول ناعياً على عمر بن سعد بن أبي وقاص ، الذي قاد الحملة ضد أصحاب الحسين عليه السلام في كربلاء ، بأمر عبيد الله بن زياد :

ويح ابن سعدٍ عمرٍ أنه باع رسول الله بالنّز
بغى عليه فى بنى بَنِيهِ واستلّ منهم أنصل المكر

وتلح عليه الذكري فى قصيدة أخرى يقول فيها :

فكم أجرى لنا عاشورُ دمعاً وقطع من جوانحنا النّياط
وكم بتنا به والليل داجٍ نُمِيط من الأذى ما لن يماط
يسقينا تذكّره سماماً ويولجنا توجعه الوراط
وهو فى رثائه الحسين عليه السلام ما يبرح يندّد بنى أمية ويقذفهم
بعبارات التهديد والإيعاد :

فقل لبنى حربٍ وفى القلب منهم
دفائن تبدو عن قليل وتظهرُ

ظننتم ، وبعض الظن عجزٌ وغفلة
بأنّ الذى أسلفتمُ ليس يذكر

وهيهات تأبى الخيل والبيض والقنا
بجارى دمٍ للفاطميين تُهدر

ولستم سواءً والذين غلبتم
ولكنّها الأقدار فى القوم تقدر

وإن نلتموها دولة عجرفيّة
فقد نال ما قد نال كسرى وقيصر

ويدعو عليهم فى قصيدة أخرى :

فلا حُدَيْتْ بكم أبداً ركاب
ولا رفعت لكم أيدي سياتا

ولا رَقَعَ الزمان لكم أديماً
ولا ازددتم به إلا انحطاطاً
ولا عرفت رءوسكم ارتفاعاً
ولا ألفت قلوبكم اغتباطاً
ولا غفر الإله لكم ذنباً
ولا جزتم هنالك صمراً
ويفخر عليهم في قوله :

فقل لبي حربٍ وإن كان بيننا
من النسب الداني مرائر تحصف^(١)
أف الحق أنا محرجوكم إلى الهدى
وأنتم بلا نهج إلى الحق يعرف
وإنا شبين في عراض دياركم
ضياء . وليل الكفر فيهن مسد
وإنا رفعناكم فأشرف منكم
بأفوق هامات الأعزة مشرف
وها أنتم ترموننا بننادل
لها سحب ظلمائها لا تكشف
لنا منكم في كل يوم وليلة
قتيل صريع أو شريد مخوف
فخرتم بما ما كنتمه وأنتم
سيمان من الأموال إذ نحن شسف

(١) المرائر : الحال . محصف : يعمل . كناية عن القراية الوصفة .

وما الفخر يا من يجهل الفخر للفتى
 قيصر " موشى أو رداى مفوف
 وما فخرنا إلا الذى هبطت به الـ
 ملائكة أو ما قد حوى منه مصحف

* * *

هذه هى أهم المعالم البارزة فى شعر الشريف المرتضى . وهى أصدق
 شعره تعبيراً عن قلبه ، وما يضطرم فى زواياه من مشبوب العواطف .
 وما يختلج فيه من تيارات نفسية عارمة .

أما شعره فى الشيب والشباب فهو مما يذكره له النقاد والمؤرخون ، حتى
 ليصح أن يذكر فى الرعيل الأول من الشعراء الذين عاجلوا القول فى هذه
 المعانى ، وأسهبوا فى تقديم الصور البيانية لها تين الظاهرتين الرائعتين .

ولسنا بحاجة إلى عرض شىء من هذه الصور . فقد تضمنها كثير من
 مطاوى ديوانه ، كما ساق جمهرتها فى كتابه « الشهاب » ، فى الشيب والشباب .
 الذى طبع فى الجوائب سنة ١٣٠٢ .

وللشريف شهرة خاصة فى ذكر الطيف ، وفى ذلك يقول ابن خلكان :
 وإذا وصف الطيف أجاد فيه . وقد استعمله فى كثير من المواضع .

وهو مع ذلك لم يسرف فى تناوله بصوره الشعرية مثلما صنع فى الشيب
 والشباب . وقد ضمن كثير أمته كتابه « طيف الخيال » الذى طبع فى القاهرة
 سنة ١٣٧٤ وفى بغداد سنة ١٣٧٧ .

وموعدنا للكلام على تحقيق هذا الديوان فى المقال التالى إن شاء الله .

- ٣ -

قصة نشر الديوان :

لم يكن نشر ديوان الشريف المرتضى - فيما يرى الناشر - بالأمر المعتاد ، بل هو أمر تسبقه مقدمات ، ويتقدمه خيال وطيف أحلام .

يقول الأستاذ الصفار في مقدمته الطريفة :

« قبل عشر سنوات ، وفي إحدى الليالي الحالمات طاف على طائف في منامى لا زلت أتخيلّه ، شخصاً ربّع القامة ، نحيف الجسم أبيضه ، مشرباً بسمرة خفيفة مستملحة ، ذا لحية كثة وخط الشيب أكثرها ، وعمامة سوداء حسن متعجّرها ، وقلنسوة في اللون مثلها . جلّلته الهيبة العلوية ، ووسمته السمات الهاشمية ، فأضفت عليه حشمة ووقارا .

أقبل علىّ ثم قعد إلى جنبي - وأراني في مكتبي أترقب شيئاً أو أتوقع أمراً - ناولني كتاباً لف في منديل . كأنّه مهدي إليّ ، أخذته مبتهجاً فرحاً . ولشدّ ما يبهجني ويسرني اقتناء الكتب ومطالعتها ، وبالأخص المخطوط منها .

لم تمض على صبيحة تلك الليلة الحاملة الممتعة بضع ساعات ، حتى وافاني أحد معارفي - وأنا في مكتبي - وهو رجل عرف بمعاونة الكتب النادرة والتحف النفيسة ، فتناولني كتاباً لف بمنديل كما رأيته في رؤياي وقال لي : خذ ضالتك . فتحتّه فإذا مكتوب على أول صفحة في طغرائه . . . » .

ثم يمضي السيد الصفار في صفة تحقيق تلك الرؤيا التي رأى ؛ ويمضي في مقدمته ذاكرة أنه عرض عمله على العلامة الدكتور مصطفى جواد الذي كان له فضل أي فضل في أن يخرج الديوان على هذا الوضع الذي ظهر للناس . . .

وقد صُدّر هذا الديوان بثلاث مقدمات ، أولاها للسيد العالم العراقي الأستاذ محمد رضا الشيبى . وقد تضمنت هذه المقدمة بحثاً عميقاً تمّ عن علم غزير وإطلاع واسع ، تناولت سيرة المرتضى من شعره ، حيث وضح السيد فيها سيرة المرتضى مع معاصريه من رجال الدولة على اختلاف منازلهم وتباين مشاربهم ، كما تناولت مأساة الخليفة الطائع الذى أجبر على التنازل عن الخلافة ، وأخذ خطه بذلك التنازل ليستخلف بعده القادر بالله ، وذلك فى أيام بهاء الدولة الديلمى . وتناول كذلك الشريف المرتضى (الشاعر العالم) .

وتلى هذه المقدمة مقدمة الدكتور مصطفى جواد . ينوه فيها بالديوان . ثم تغلبه طبيعة المؤرخ فيكتب تحقيقاً فى مدفن المرتضى . ذهب فيه إلى أن الشريف المرتضى دفن فى داره . وأن التربة المجاورة لمشهد الإمام موسى ابن جعفر المعزوة إلى الشريف ليست له ألبتة . ثم يكتب تحقيقاً دقيقاً فى تعيين الموضع الذى كانت فيه دار الشريف .

والمقدمة الثالثة لتحقيق الديوان ، وفيها ترجمة مستفيضة للشاعر ولأسرته ، وذكر سماته الخلقية والخلقية ، وكلمة فى خزائن كتبه الخاصة وولوعه بجمع الكتب . وبيان شيوخه ، وعقيدته ومذهبه الكلامى . ومذهبه فى الفقه والأصول . واجتهاده ومسلكه فى تحليل الأخبار وتأويلها ، وبراعته فى المناظرة وعلم الكلام ، وعلمه باللغة وغريبها . وبيان فلسفته . ورأيه فى النفس وعدم تجردها . وقوله فى المنامات والأحلام ونفيه نسبتها إلى النفس . ورأيه فى المنجمين . وذكر ما كان بينه وبين أبى العلاء المعرى من محاورات فلسفية عميقة ، وبيان منزلته الاجتماعية والسياسية . وبيان معاصريه وأصحابه من الخلفاء والملوك . والوزراء والنقباء والأمراء والعلماء . ثم ذكر تلاميذه . ثم وفاته ومدفنه . وبيان عقبه ونسله . ثم بيان مؤلفاته وفهرس كتبه التى أُرست على السبعين ، والقول فى شاعرية المرتضى وديوان شعره ، ثم الكلام نسخ الديوان .

وهذه المقدمة الأخيرة كما ترى ، تعد دراسة جامعة للشريف المرتضى .
تتضح بها شتى جوانب حياته الاجتماعية والسياسية والعلمية . وهى جديرة
بالثناء العظيم . لما بذل المحقق فيها من جهد . وما أظهره من قدرة على البحث
والتحقيق .

وقد اعتمد المحقق فى إخراج ديوانه على مخطوطات ثلاث : هى نسخة
السماوى ، ونسخة الشيبى . والنسخة الهندية . وقد وصف هذه النسخ فى دقة
وعناية كاملة .

ولكن الذى يؤخذ على الأستاذ الناشر . أنه خرج على المؤلف فى التحقيق ،
وجانب الأصول المراجعة فى النشر .

١ - فهو قد ضم إلى الديوان الأصيل وفى أثنائه ، جميع ما عثر عليه
من شعر المرتضى فى المراجع المختلفة . أعنى كتب الشريف المرتضى نفسه .
كالشهاب فى الشيب والشباب . وطيف الخيال . وكذا ما عثر عليه فى كتب
أخرى . مثل مناقب ابن شهو آشوب . وكشكول البهائى ^(١) . وأنوار
الربيع . وغيرهما مما لم يذكر فى أصول الديوان .

وهذا بلا ريب عدوان على الديوان . فإن ديوان أى شاعر من الشعراء
إنما هو الكمية المعينة التى رواها الرواة له إن كان هو لم يعن بجمع شعره .
أو التى ارتضاها الشاعر من شعره وأجاز روايتها إن كان قد عنى بجمع شعره .

ونحن نعلم أن كثيرًا من الشعراء المعاصرين وغير المعاصرين لا يثبتون
فى دواوينهم من الشعر إلا ما ترضاه أنفسهم وتطمئن إليه قلوبهم . ولذلك نجد
ديوان شوقى ليس هو كل شعره . بل إنه طرح منه كثيرًا . ولم يعترف
بالبعض الآخر

(١) كذا . يريد كشكول البهاء المسمى . وهو محمد بهاء الدين العاملى . انظر الكشكول، مل
ص ٢٣٥-٢٣٦ وغيرها طبع سنة ١٣٠٢ .

ونعلم أيضاً أن الشريف المرتضى قد صنع ديوانه بنفسه . وقرأ شعره عليه كما يفهم من دراسة الأصول المخطوطة التي وصلت إلينا . ومعنى ذلك أن ديوان المرتضى صار محدوداً بما رسم . لا يجوز أن يضاف إليه إضافة لم يرتضيها .

ونحن إذا أخذنا بروح التسامح إضافة بعض الأشعار المنشورة في كتابيه : الشهاب ، وطيف الخيال ، على ما في ذلك من مخالفة فنية ، فإننا نرى في إضافة ما وجد من الشعر في غيرهما من الكتب عدواناً علمياً على الديوان . إذ أن هذا الضرب من الشعر هو في موضع الريبة لا يصح أن يطمئن إليه الناشر اطمئناناً علمياً كاملاً . وكان أجدر به أن يفرد في نهاية الديوان باباً مستقلاً .

٢ - كما أن الناشر قد جانب الترتيب الأصيل للديوان . الذى يظهر أنه روعى فيه التدرج التاريخي ، فعمد الناشر إلى ترتيب القوافي على حروف الهجاء غير مقيد بترتيبه الأول ، ذلك - كما يقول - « تسهيلاً للمراجعة وتشويقاً للمطالعة » .

وكان يستطيع أن يبقى الترتيب الأصيل كما هو . ويترك هذا التسهيل الذى يعنيه لمهمة الفهرس . كما يفعل الناشرون في إخراج الدواوين القديمة ، فهم لا يتصرفون هذا التصرف الذى يخالف الطريقة العلمية في النشر .

ثم هو نفسه قد اعترف بأن هناك فرقاً بين ما قاله المرتضى في الصبا وما نظمه في الكهولة والكبر ، ولكنه فرق غير كبير ^(١) . فهما يكن من فرق فإنه موجب للمحافظة على نظام الأصل وترتيبه .

هذا مجمل ما يلحظه المتتبع لمنهج النشر . وهناك أخطاء أخرى في المنهج في تحقيق النص وأدائه وتفسيره نذكر بعضاً منها :

(١) المقدمة ص ١٤٢ .

١ - في المقدمة :

في ص ٤٧ : « ولعل قوله كآثرته مصحّف عن كآثرته (بالشين) ،
والمكاشرة هي المجاورة . تقول جارى مكاشرى أو بجذائى يكاشرنى » !
وصوابه « مصحّف عن كآثرته بالسين والمكاسرة هي المجاورة .. إلخ » .
يقال هو جارى مكاسرى . أى كسر بيتى إلى جنب كسر بيته ^(١) .
وفي ص ٨٩ : « يتولد منها دابة بجلدها تمس الأيدى (كذا) » .
وقد ارتاب الأستاذ الصفار بحق في كلمة « تمس » ولم يعرف وجهها .
ووجه قراءتها « تَمَشَّش » بالشين ، أى تمسح . ومنه المَشَّوس للمندبل
الذى تمسح به الأيدى . ومنه قوله امرئ القيس :

نَمَشَّشَ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَّا

إذا نحن قمنا عن شواء مضهَّبٍ

٢ - في الجزء الأول :

في باب الهزرة المفتوحة رسم الحقيق كل همزة مفتوحة بعد ألف متلوة
بالألف فيكتب مثلاً بكاء (بكاء) . وشاء (شاء) . وإخاء (إخاء) .
وهذا مخالف تمام المخالفة للكتابة المألوفة .

في ص ١٧ : « أنت أولى بهم بناحية الفضل » . صوابه : « أولى منهما
بناحية الفضل » .

وفي ص ٢٣ : « طيوال هذا التدانى » . وهذا من الأخطاء الشائعة .
صوابه « طَوَال » بفتح الطاء . أى طول مدته . وقد تكرر هذا الخطأ في
ص ٣٠٠ من الجزء الثالث .

(١) انظر السان (كسر) .

وفى ص ٣٢ :

وبها على أكوار ناجية نصّ المنازل عنّي الركبُ
 هي في أصل الديوان « تطس الجنادل » فجعلها المحقق اعتماداً على
 مصطفى جواد « نصّ المنازل » وقال في تخريج هذا : نصّصت فلاناً . إذا
 استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده . فالركب قد نصّ أهل
 المنازل عن الكلمة .

وهو تفسير عجيب . والقدرة على فهمه أعجب . وما في الأصل أقرب
 إلى الصحة . وصوابه « تطسّ الجنادل » ، من وطس الشيء يطسه وطساً :
 دقّه . ومنه الوطيس : المعركة ، لأن الخيل تطسّها بحوافرها . ومنه قول
 عنّرة :

خطارة غبّ السرى مواراة
 تطسّ الإكام بوخذ خنّف ميسم

وفى ص ٣٣ فسر المحقق قول المرتضى :

حيث استرثت كل محكة من عتقه وتزابل الشعبُ
 بأن الشعب هو الصدع . والوجه أن يفسّر بأنه الاجتماع والصلاح
 والشعب من ألفاظ الأصداد . وما ذكرته هو المناسب لما في صدر البيت
 ومثله قول الطرماح :

شتّ شعب الحى بعد التمام وشجاك اليوم ربع المقام

وفى ص ٤٣ :

إن يكن شخصك استمر به التأ . . . فى الفؤاد قريب
 وجاء فى التعليق أن موضع النقط كلمة محرفة لم يند إلى معناها ، وهى

« فحببك » . وكلمة « فحبُّبِكِ » واضحة المعنى . أى فحبِّي إياكِ . وليس في الأمر تحريف ولا كلمة محرفة .

وفي ص ٦٠ :

شربت خليط الود منهم ومحضه

فلست أبالي أن سقوا غيري الضربا

ويفسر الضرب بأنه العسل الأبيض . ووجهه « الصِّربا » بالصاد المهملة ، وهو اللبن الحقيق الحامض .

وفي ص ٦١ : « لا يكهم الدهر غربها » . صوابه « الدهر غربها » ، أى لا يكهم طول الدهر .

وفي ص ٦٤ : . تخال بين من كلب ذآبا ، وفسر الذآب بقوله : . أشبه بأن يكون مصدر ذئب يذأب إذا صار كالذئب دهاء وافتراساً . ووجه « ذئاباً » جمع ذئب ، وهو من أساليب التجريد البلاغية المعروفة .

وفي ص ٧١ قول المرتضى :

وهو في الفردوس لما قيل قد حل الجبوبا

ويفسر الجبوب بأنه جمع الجب . وهو الحفرة . والصواب في ضبطه « الجبوبا » بفتح الجيم ، وهى لفظ مفرد ، معناه الأرض والتراب ، وليس في اللغة « جبوب » بضم الجيم جمعاً للجب . والميت إنما يجعل في حفرة واحدة .

وفي ص ٨١ : « خرواق إلى الاراداء كل حجاب » صوابه : « الإراداء » . أى الإهلاك . من أرّده يردّه .

٣- في الجزء الثاني :

ص ٣٥ : « يركوا طريق الدين فينا مقمرآ » . صوابه « تركوا » .

وفى ص ٦٩ :

ولانى ممن لا تحطُ ركابُهُ على البلد النابى المُجَلَّة بالحَسَرِ

وسبقُ لهذا البيت فى الشرح أعاجيبُ من التفسير . وأن المجلة من الجَلَّة . وأن الحسر الانكشاف كأنحسار الماء عن الأرض وانحسار الشعر عن الرأس . مع أن تقويم البيت من واقع الأصل - كما يقولون - هو من اليسر بمكان . والصواب كما يفهم من الجمع بين نسخ الديوان : « على البلد النابى المَحَلَّة بالحرِّ » أى لا تحط ركابه على البلد الذى ينبو بالرجل الحرِّ . وهو معنى مألوف فى أشعارهم .

وفى ص ٨٦ عنوان هو « وقال فى الغزل ، وذلك لأبيات ، فى الحكمه » أولها :

لا تكشفنَّ عيوبَ الناس ما استترت

فكاشفُ العيبِ - من هم على خطر

وفى ص ١١٤ :

طواها السُّرى طى الحرير على البلى

فهنَّ قسيَّ ما لهنَّ معاجسُ

والحرير فى هذا الوضع لا وجه له . وإنما هو « الجريز » أى الحبل عني أنها صارت ضامرة كالحبال المفتولة .

وفى ص ١١٤ أيضاً :

بضرب كما اختارت شفار مَنَاصِل

وطعن كما شاء الكهى المداعسُ

وقد فسر « مناصل » فى الأصل بأنه جمع منصل . وهو السيف .

مع أن الكلمة في الأصول الخطوطة « شفار مناضل » والمناضل : المحارب
المقاتل . وهو الذى يساير ويناسب ، الكى المداعس » . فلا وجه لتغيير
هـ في الأصل . بل لو كان في الأصل : « قناصل » لوجب تصحيحه بمناضل
فهذا من التصحيح الذى جانبه التوفيق .

وفى ص ١٣٠ :

وتصدعوا وهو المنى عن فبره صدع السدوس
وجاء في تفسيره : والسدوس أصله السديس أى المؤلف من ستة أجزاء
فيكون وصفاً للجنة المركبة من ستة أجزاء . وهو تخريج عجيب وتكلف
مجهد وتحميل للألفاظ ما لا تحتل . وإنما هى « السدوس » بعينه . وليس
أصلها السديس ولا غيره . ومعنى السدوس الطيلسان . وشق الطيلسان وشق
البرد ونحوهما من الثياب . من التعبير الشائعة في الشعر العربى .

وفى ص ١٤٧ :

إلى كم دا التتابع واتمادى وكه هذا التصامم والتعاشى
وفسر « التعاشى » بأنه التستر ! وإنما هو « التعاشى » بالعين المهملة .
أى تكلف العشا . وهو ضعف البصر ، يرى المتعاشى من نفسه أنه أعشى
وليس به . وذلك ليتوافق مع « التصامم » . وهو تكلف الصمم . ومن نظائره
قول الحارث بن حلزة في معلقته :

فأتركوا الطيخ والتعاشى وإما تتعاشوا ففى التعاشى الداء

وفى ص ١٤٨ :

فجعت بمشيع السعيات جوداً
وناقيع غلة الهم العطاش

وضبطت « السَّغَبَات » بفتح السين والعين . وقيدت في التفسير بأن
السَّغَبَات الجوعات . وإنما هي « السَّغَبَات » جمع سَغَبَةٍ . وهي الجائعة
وفي ص ١٧٨ :

فلا حُدَيْتَ بكم أبداً ركاباً

ولا رُفِعَتْ لكم أبداً سياط

والوجه فيه : « ولا رَفَعَتْ لكم أيد سياطاً » ليستقيم إعراب البيت

وفي ص ١٩٧ :

فلا معصم فيه سوارٌ معطَّنْ

ولا مفرق يعلوه تاجٌ مرصع

وفسر تفسيراً عجيباً بأن (المعطَّنْ) هنا معناه الملبوس . وأصل العطن
مترك الإبل ومريض الغنم . وهو تخريج ساذج . والصواب فيه إن شاء الله
« سوارٌ معطَّنْ » . وعطف السوار والسوار المعطَّن من الألفاظ الكثيرة
التداول في الشعر العربي يصفون به انحناء النهر وتقوس الذنب ونحو ذلك .

وفي ص ٢١٦ :

في غُلْمة نبدوا الفرار وهاجروا

في مطمع العليا كل تودّع

صبطت (غُلْمة) بالضم . وفسرت بأنها شهوة الضراب والقتال !
وأن هذا الضراب من ذلك الضراب ! وإنما هي « في غُلْمة » جمع غلام .
كما يقال « في فِتْية » . فهذا خطأ في الضبط وفي التفسير . وضبطت أيضاً كلمه
« تودّع » ، بأنها (وداع البعض للبعض الآخر) ، والصواب معناه أنهم
تركوا الدعة والرفاهية ، لانغماسهم في الحروب وخوضهم للغمار .
فالتودّع هنا من الدعة لا من الوداع .

٤- في الجزء الثالث :

في ص ٣٦ :

من اللاتني يُسْغِين النِّطَاقَ هَضْمَةً

ويمشين بإبطحاء خيرشاً جحود

وفي هذا البيت أخطاء : أولها : « من اللاتني » صوابه « من اللاء » وذلك ليستقيم الوزن . و « خيرشاً » صوابه « خُرساً » جمع أخرس وخرساء . و « جحولها » صوابه « حجولها » جمع حجل بالكسر . وهو الخلخال . وخرس الحجل كناية عن ضيقه لضخامة الرجل . وهو كناية عن المدانة . ومثله قول الآخر :

• براقة الجيّد صموت الخَلْخَل •

أى الخلخال . ومن العجب أن الكلمة كانت في الأصل « خرساً » ورجع المحقق أنها مصحفة عن خيرشاً التي أثبتّها مكان الصواب وقال في تفسيرها : « خيرشاً جوفاء من الحرشء بكسر الخاء وهو كل شيء أجوف فيه انتفاخ » !!

وفي ص ١٦٩ :

« وخير تلادى الذى لا أجْمُهُ . صوابه تلادى » لأنه من المثني المضاف إلى ياء المتكلم كما تقول أبوى وأخوى . والصواب أيضاً « لا أجْمُهُ » من أجْمَ المال : جمعه وكثره .

وفي ص ١٩١ :

بهتز فوقهم . وقد طرخوا . نَعَام أو نَشَامْ

صوابه « نَعَام » والثغام . كسحب . نَس . ومثله النشام .

وفى ص ٢٧٣ :

ولم تك إلا مثل قبسة قابسٍ

ونغبة كُدْرٍ ما ارتوت من أوامها

وقد فسر الكدر بأنه الذى فى لونه كدرة . وهو تفسير غير مباشر .
وإنما يقول الشعراء « الكُدْر » يعنون بها القطا . وحسب القطا مثل للقيلة .

وفى ص ٢٧٥ :

فى فتية جابوا الدجى إلى الضحى جوب الأدم

وجاء فى الحواشى : « والأدم من الإبل التى شربت جلودها بسمرة » .
وليس الأمر كذلك وإنما هى الأدم بالتحريك . أو الأدم بضمين ، جمع
أديم وهو الجلد . يعنى أنهم يشقون أديم الليل حتى يتكشف لهم عن الضحى
مشرقاً . كما يشق جلد الدابة فيتكشف عما تحته من حمرة اللحم والدم . وهذا
معنى لهم يتداولونه . وهو بالغ غاية الروعة فيما قال المفسرون فى قوله تعالى :
« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » كأن الليل دابة يشق جلدتها ويسلخ عنها
فتبدو حمرة الشفق بعد ذلك كما يبدو ما تحت الجلد من حمرة قاذية .

وفى ص ٣٣٠ :

قل للذى رقت أمواله يده

يُغْنِي مُوَيْلَكَ مُغْنِي مَال قَارُونَ

صوابه « يَفْتِي مُوَيْلَكَ أَى مَالِكَ الْقَلِيل .

وفى ص ٣٦٠ :

أرني العجائب يا أباهَا فكَبَخَصَ عيني أن أراها

فسر البخص بأنه لحم نائى تحت الجفن . وهو تفسير غير موفق . وإنما

البخص هنا مصدر ، يقال بخص عينه يخصصها بخصاً ، إذا قلعها مع شحمتها : يقول : رويتها والعمى سيّان . فهذا هو وجه التفسير .

وفي ص ٣٧٥ قصيدة أولها :

يا حامل الكأس ناوِلني مُشْعِشَةً

لم تَقْرُ همّاً ولا بخلا بواديها

وإثبات هذه القصيدة في قافية الياء خطأ محض ، وإنما موضعها قافية الهاء . والذي قرره علماء القافية أنه إذا سكن ما قبل الهاء أصلية كانت أو زائدة أو مضاعفة لم تكن إلا رويّاً^(١) . فالأصلية كوجه وشبهه ، والزائدة نحو : سجاياها . وفيه ، وعليه ، ولديه . والفتاة . والحياة . والمضاعفة نحو : مياها وجباها . فهذا كله رويّة الهاء .

وفي ص ٣٧٨ تكرر هذا الخطأ بإثبات نحو هذه القصيدة في قافية الياء . وهي الأبيات التي أولها :

يا خليلي أراك من شغف الحـ ب خليا وأنت تلحى عليه

فهذه في قافية الهاء لا قافية الياء .

هذه تصحيحات ظهرت لي إثر قراءة سريعة عابرة ، أحببت أن أسهم بها في تقويم ديوان الشريف المرتضى . وفي الديوان كثير أمثال هذه . ومن زعم الكمال لنفسه فقد ظلم نفسه . وجلّ من لا يسهو ومن له العصمة وحده .

ومع هذا إن القارئ لهذا الديوان يرى نفسه إزاء عمل ضخم ومجهود نبيل ، يستوجب صاحبه الحمد والثناء . ويستأهل الإجلال والتقدير ، ، ،

(١) انظر حاشية المصنّف على لكان في ص ٨٩ .

دراسة نقدية حول تحقيق كتاب التمثيل والحاضرة

تحقيق الاستاذ الدكتور عبد الفتاح الحارو

بقلم : عبد السلام محمد هارون

أما أبو منصور الثعالبي : فهو : عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي ،
الأديب المعروف بوفرة الإنتاج وخصب التأليف ، وعظم قدر مؤلفاته التي
جاوزت الثمانين ، وطبع منها : « كتاب الإعجاز والايجاز » سنة ١٨٩٧م ،
و « الأمثال والتشبيهات » سنة ١٣٢٧ هـ ، و « ثمار القلوب » سنة ١٣٢٦ هـ ،
و « خاص الخاص » سنة ١٩٠٨ م . و « سحر البلاغة وسر البراعة » سنة
١٣٠١ هـ . و « رسالة فيما جرى بين المتنبي وسيف الدولة » في ليبسك
سنة ١٨٤٧ م . و « سر الأدب في مجارى كلام العرب » في إيران
سنة ١٢٩٤ هـ و « الفرائد والفلاذ » في دمشق سنة ١٣٠١ هـ ومصر سنة
١٣٠١ هـ . و « غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم » في باريس سنة ١٩٠٠ م ،
و « فقه اللغة وسر العربية » ، وقد طبع في باريس ومصر وبيروت ،
و « الكناية والتعريض » في مصر سنة ١٣٢٦ هـ ، و « لطائف المعارف » في
مصر سنة ١٩٦٠ م . و « اللطائف والظرائف » في بولاق سنة ١٢٩٦ هـ ،
و « المبهج » في مصر سنة ١٣٢٢ هـ ، و « مرآة المروءات » في دمشق سنة
١٨٩٨ م ، و « مكارم الأخلاق » في بيروت سنة ١٩٠٠ م . و « من غاب
عنه المطرب » في بيروت سنة ١٩٠٠ ، و « المتخيل » في الإسكندرية
سنة ١٣٢١ هـ ، و « نثر النظم وحل العقد » في دمشق سنة ١٣٠٠ هـ ومصر

١٣١٧ هـ . و « يتيمة الدهر » وهو أشهر كتبه . وقد طبع في دمشق سنة ١٣٠٣ هـ . ثم في القاهرة عدة طبعات . و « بواقيت المواقيت » في بولاق سنة ١٢٩٦ هـ .

وقد أحسن محقق الكتاب صنعاً بسرد أسماء كتبه المخطوط منها والمطبوع . والذي لم يبق منها إلا اسمها التاريخي . مبيناً المراجع التي سجلتها والمطابع التي أخرجت بعضها . وإن كان قد فاته بعض ما ذكرت فيما سبق .

وكان الثعالبي من بيت اشتغل أهله بحرفة خياطة جلود الثعالب . فنسبوا إلى تلك الصناعة . وعمل في أول دهره معلماً للصبيان . فأكسبته تلك الحرفة صبراً وأناة . كما دللنا على ما كانت عليه حاله في بدء الأمر من رقة وعسر . ولكنه استطاع بذكائه وطموحه أن يستظل بظل ولادة عصره وملوكهم ، فضمه بلاط الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير أمير الجبل وخراسان . وألف له كتابه « المبهج » .

واتصل بكهف الأدباء في عصره كما يقولون . الصاحب ابن عباد . وله ألف كتابه « لطائف المعارف » . كما مد بسبب إلى الأمير خوايل مشاه : وصنف له كتابه « الملوكي » . وبسبب آخر إلى وزيره أبي عبد الله الحمدوني وصنف له كتابه « تحفة الوزراء » .

وعقد صلته بالبيت الميكالي . فكان صديقاً للأمير أبي الفضل الميكالي . الذي أتاح له أن يقتحم دار كتبه . وأن ينتفع بكل ما فيها ليتمكن من تأليف كتابه المشهور « فقه اللغة » . فاستطاع بفضل وحذقه أن ينتفع بهؤلاء القوم في تشييد ذلك الصرح العلمي . وأن يفتح لنفسه وللعلم دنيا عريضة فسيحة الجنات .

وشهد له بالفضل من معاصريه أبو اسحاق إبراهيم بن علي الحصري

صاحب « زهر الآداب » و « جمع الجواهر » . وانتفع بآثاره ومؤلفاته .
وكذلك تلميذه أبو الحسن البخري صاحب « دمية القصر » . كما شهد له
بعد ذلك أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري « ٥٥٧ » ، وأحمد بن
محمد بن خلكان « ٦٨١ » وأبو الفداء « ٧٣٢ » . وابن شاكر الكتبي
« ٧٦٤ » . وابن كثير « ٧٧٤ » . وابن العماد الحنبلي « ١٠٨٩ » .

أما كتابه « التمثيل والمحاضرة » فهو رائعة من روائعه . قدمه إلى الأمير
شمس المعالي قابوس بن وشكير . بعد أن كان قدم له من قبله كتابه
« المبهج » . فلقى المبهج من الرواج والاستنساخ ما طار به في الآفاق .
يقول الثعالبي في مقدمة التمثيل :

« وما زال العبد يريد أن يشفع ذلك الكتاب - يعنى المبهج - بما يحفظ
معه عادة الخدمة . ويقضى به حق ولى النعمة . . إلى أن استظهر بشعار
الدولة أنماها الله تعالى - على عمل ما يتشرف بالاسم العالى . من كتاب
في التمثيل والمحاضرة . إسلامي جاهلي . وعربي عجمي . وملوكي سوقي .
وخاصي عامي . يشتمل على أمثال الجميع . ويضم نشر ما يجري مجراها من
الفاظهم . ويتضمن ما يأخذ مأخذها من فرائد النثر وقلائد النظم . وفوائد
الحدود ونوادير الهزل » .

ولا يعرف قدر هذا الكتاب إلا من اطلع فيه . وعرف مقدار الجهد
الذي أنفقته الثعالبي في جمعه وتصنيفه . فقد جمع « عيون الأمثال من القرآن
والتوراة والإنجيل والزبور . وجوامع كلم الرسول والصحابة والتابعين .
وعيون أمثال العرب والعجم . ونتاج الخلفاء . وفقر الملوك والوزراء .
ونكت الزهاد والحكماء . وتمعن محدثين والفقهاء . وحكم الفلاسفة والأطباء .
وعرر البلغاء والشعراء . وملك الحنّان والظرفاء . وطُرف السؤال والغوغاء .
وما يختص به كل طبقة من هؤلاء . وما تنفرد به كل فرقة من الدهاقين

والتجـر . وسائر أهل الصناعات المتباينة الأقدار . وما يُمَثَّل به من الشمس والقمر والنجوم والآثار العلوية . والدمر والدنيا . وضروب الجمادات وأنواع الحيوانات . وصنوف الأدوات والآلات .

فالكتاب ضخـم المادة ، عزيز الفائدة . لا يكاد يستغنى عنه أديب . والفرصة التي أتاحها الأستاذ المحقق عبد الفتاح محمد لـحلـو « لقراء العربية . بإخراجه هذا الكتاب في هذا الثوب السابغ . تستوجب شكره والثناء عليه . بعد أن تنتزع الإعجاب الصادق بالجهد الذي بذله في تحقيق الكتاب على مخطوطاته الثلاثة ومقابلة نصوصها . وتخريج تلك النصوص تخريجاً معقولاً على مراجع أصيلة كثيرة . وترجمة ما يحتاج إلى ترجمة من الأعلام الكثيرة الواقعة فيه . ترجمة موجزة مشفوعة ببيان مصادر ها . تم القيام بعمل الفهارس الفنية التي تكشف الروايب المتعددة هذا الكتاب الضخم الذي بلغت صفحاته ٦٠٠ صفحة .

وحيثما تفضلت « المحلة » بأن طلبت مني كتابة نقدية لبعض ما يظهر من كنوز التراث العربي أحجمت بادئ الأمر واعتذرت إليها . لأنني لا أجد من الوقت ما يسمح لي بهذا العمل الجليل ، لأن وقتي منـدول في عمل آخر مثله . وهو معاناة الكشف عن كثير من هذا التراث .

واكن « المحلة » عاودت الكرة على . فكتبت « اليوم » هذا التقديم والنقد لأحيي به زميلاً جديداً في فن نشر التراث . أعتقد أن هذا العمل الذي بدأ به هو باكورة طيبة تبشر حقاً بمستقبل مرموق .

وأستميح الأخ الأستاذ « عبد الفتاح الحلـو » لأعرض عليه هذه النصويـات السريعة التي نتجت عن قراءة سريعة لم تتجاوز ليلة واحدة .

١ - ص ٩ س ٨ ورد هذا الشطر :

• قد يصلح الله أمام السارى •

وأشير في الحاشية إلى أنه في نسخة « قد يصبح » . وهذه الأخيرة هي الرواية الصحيحة . وهو من رجز مشهور أوله :

لن يُسَبِّقَ الله على حمار ولا على ذى مِيعَةٍ مُطَارٍ
أو يَأْتِيَ الحَيْنُ على مقدارٍ

الحيوان ٣ : ٤٦١ . والبيان ٣ : ٢٧٨ . وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ١٢٥ . وزهر الآداب ٩٩٥ . ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٢٥ .

٢ ص ٤٢ س ٢ (لقيه بدهن أبى أيوب . وهو المرزبانى ، وكذا ورد « المرزبانى » في فهرس الكتاب ٥٦٨ : وصوابه « الموريانى » نسبة إلى قرية « موريان » من نواحي خوزستان . قال ياقوت : « إليها ينسب أبوأيوب الموريانى وزير المنصور . واسمه سليمان بن أبى سليمان بن أبى مجالد . وقتله المنصور » . وقد أجمعت على هذه النسبة كتب التاريخ .

٣ - ص ٥١ س ٧ ورد بيت الأفوه الأودى :

وصروف الدهر فى إطباقها خلقة فيها ارتفاع وانحدار

وأشير في التخريج بهامش الصفحة إلى نهاية الأرب ٣ : ٦٢ . صواب ٣ : ٦٣ . وقد ورد في نهاية الأرب « حلقة » وكلاهما خطأ . والصواب « خلفه » بالفاء كما في ملحق نسخة الشنقيطى من ديوان الأفوه ص ٩ نقلاً عن الحماسة البصرية . والمراد بالخلفة ما يخلف غيره . وبه فسر قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ اللَّيْلَ سَلِيلًا وَانْشَارَ خَلْفَةً ۚ ﴾ . أى هذا خلف من هذا . يذهب هذا ونجىء هذا . وكل شىء نجىء بعد شىء فهو خلفه . انظر اللسان (خلف ٤٣٤) .

٤ : ص ٥٩ س ٣ ورد « المثقَّب العبدى » مضبوطاً بفتح القاف المشددة . وهذا خطأ يقع فيه كثير من الناس . وصوابه « المثقَّب » بكسر القاف . وقالوا : إنما سُمِّيَ بذلك لقوله :

ظهري بكيلةٍ وسدكن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

انظر له الاشتقاق لابن دريد ٣٢٩ بتحقيق كاتبه وابن سلام ٢٢٩ والخزانة ٤ : ٤٢٩ والشعر والشعراء ٣٥٦

٥ : ص ٧٨ س ٢ ورد هذا البيت لصالح بن عبد القدوس :

فإذا ارعوى عاد إلى جهله كذى الضننى عاد إلى نكسه

صوابه « إذا ارعوى » كما في طبقات الشعراء لابن المعتز ٩٠ ، وتاريخ بغداد ٩ : ٣٠٣ ، ونهاية الأرب ٣ : ٨٢ لا ص ٧٩ كما ورد خطأ في الحاشية .

٦ : ص ٨٢ س ١ ورد هذا الشطر بهذا الضبط :

« شغل الحلى أهله أن يعارا »

وصوابه ضبطه « شغل الحلى أهله » . قال الميداني في مجمع الأمثال : « أهل الحلى . احتاجوا أن يعلقوه على أنفسهم ، لذلك لا يُعبرونه » .

٧ : ص ٩٢ س ٥ :

ولا ذنب للعود الدمارى إنما يحرق من دلت عليه لوائحه

مسدلاً عما في الأصل . وهو « للعود القمارى » . إن دللت . وما في الأصل هو الصواب . أى « القمارى » نسبة إلى « قمار » بفتح القاف ويروى بكسر ها . قال ياقوت : « موضع بالهند ينسب إليه العود » . وفي القاموس مادة « قمر » : « وكقظام : موضع منه العود القمارى » . وقد جاء البيت على الصواب في ٢٨٧ .

٨ - ص ٩٨ س ٧ ورد هذا البيت للبحرئى :

والأرض لولا العداة واحدة والناس لولا الفعل أفعال

وردد فى ص ٢٥٢ س ١٥ « لولا العداة » . وصوابهما « العداة » كما فى ديوان البحرئى ٢ : ٩٢ : يقال عذيت الأرض تعذت عداة : طابت تربتها وكرمت . ويقال أرض عذبة وعداة . أى طيبة التربة كريمة المنة ليست بسبخة .

٩ - ص ١٣٧ س ١٠ : بهرام كور . صواب كتابته بالعربية « بهرام جور » كما فى نسخة ب . وهو بهرام جور بن يزدجرد . الملك الرابع عشر من الملوك الساسانية ، قال المسعودى فى التنبيه والإشراف ص ٨٨ « وهو الذى نشأ عند ملوك الحيرة ، وبُنئ له الخورنق . . وكان فصيحاً بالعربية ، وله بها شعر صالح » . وانظر الحيوان ١ : ١٤٠ . وكتابتها بالجاف الفارسية غير مألوف فى كتابة علماء العرب .

١٠ - ص ١٥٨ س ٢ « الكلام الحسن من مصائد القلوب » . الهمز فى مصائد ليس بصحيح ، إذ لم يسمع الهمز فى جمع مفعلة إلا فى كلمتين : هما « معاش » وقد قرأ بها نافع من السبعة . والكلمة الثانية « مصائب » . انظر اللسان « عيش » . وجاء فى اللسان (صيد) : « وجمعها مصايد بلا همز ، مثل معاش جمع معيشة » .

١١ - ص ١٨٤ س ١٥ ورد قول جرير : « أنا لا أبتدى ولكن أقتدى » . وفى نسختين من الأصول : « ولكن أعتدى » . وهذا الأخير هو الصواب كما فى الحيوان ٣ : ٩٩ . ٤٧٠ . والبيان ٣ : ١٦٥ . يقول : إنه لا يبتدى بالهجاء ، ولكنه إذا رد على هاجيه هجاءه اعتدى عليه إرهاباً له . وربما نظر فى ذلك إلى قوله تعالى : ﴿ فاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾ .

وكذا ورد في العقد الفريد ٥ : ٢٩٦ برواية : « ولكني معتد » قال ابن عبدربه : يريد أنه يسرف في القصاص .

١٢ ص ٢١٤ س ١١ ورد قول العرب : « كل شيء مهة ومهاة ما حلا النساء وذكرهن أي إن الحر يحتمل كل شيء حتى يأتي ذكر حرمه . ومعنى المهة اليسير » .

وصوابه : « مَهَةٌ وَمَهَاهُ » بالهاء في كل منهما كما في اللسان « مه » قال ابن منظور : « والهاء من مهة ومهاه أصلية ثابتة . كالهاء من مياه وشفاه .

١٣ ص ٢١٤ س ٧ ورد هذا النص : « أدبه الليل والنهار من لم يؤدبه والداه .

وليس هكذا . إنما هو بيت مشهور في حكاية سائرة معروفة :

من لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار

١٤ — ص ٢٥٣ س ١٢ ورد هذا النص في صورة النشر « إذا قطعنا علماً بدا علم . . وإنما هو شطر من رجز معروف في ديوان جرير ص ٥٢٠ . وأنشده المبرد في الكامل ٣٠١ . ٤٥٦ . ٥٤٦ . ٧٣٨ من طبعة ليبسك . وقبله :

أقطن من شعلان أو وادي خييم

على قِلاصٍ مثل خييطان السَلَمِ

طُوبَتْ بصونُها طيُّ الأَدمِ

بعد انفضاخ البدن واللحم الزيم

١٥ — ص ٢٥٤ س ١٢ ورد هذا النص على أنه شطر بيت :

« جد فقد تنفجر الصخرة بالماء الزلال »

وإنما هو بيت كامل من مجزوء الرمل للعديس بن الأحنف . أشده ابن
الشجرى فى حماسه ص ٢٦٤ . وقبله :

يا شبيهه البدر فى الحسب بن وى بـعـد المـنـال

١٦ - ص ٢٥٥ س ٢ - ٣ ورد قول العرب : « إن ترد الماء بماء
أكيس » . صوابه « أن ترد » بفتح همزة أن . ولا عبرة بضبطه فى أمثال
الميداني ١ : ٢٩ بكسر الهمزة . فإن إعرابه لا يستقيم .

١٧ - ص ٢٦٦ س ٦ ورد قول أبى نواس :

أيةُ نارٍ قدحُ القـادح وأىُ جدٍ بـنـع المـارح

صوابه « أية نار » . و « أى جد » . بالنصب فيهما .

١٨ - ص ٢٩٣ س ٣ « الرمح رشاً المنية » . والرشأ : الظبي . ولا وجه
له . وصوابه « رشاء » . والرشاء : الحبل الذى يتوصل به إلى الماء . وفى نحو
هذا المعنى قول عنتره :

يدعون عنتر والرماحُ كأنها أشطان بئرٍ فى لبان الأدهم

١٩ - ص ٣٠٤ س ٧ « صَفِرتُ لَحمٍ وطابى » . صوابه « صَفِرتُ » .
وجاء فى اللسان فى تفسير قول امرئ القيس :

وأفلتَهنَّ عـِلبـاءُ جـريـضاً وأو أدركتهُ صَفِـرَ الوطاب

وقيل : معناه أن الخيل لو أدركته قتل فصفرت وطابه التى كان يقرى
منها . وطاب لبنيه . صَفِـرَ الوطـب من اللبن . أى خلا .

٢٠ - ص ٣٠٦ س ٨ ورد هذا النص على أنه نثر . وهو « كل امرئ
فى شأنه ساع » . وإنما هو شطر بيت لأبى قيس بن الأسلت الأنصارى ،
من قصيدة فى المفضليات ٢٨٤ مطلعها :

قالت ولم تقصِدِ لِقِيلِ الحَنّا مهلاً فقد أبلغتَ أَسْماعى
وصدره :

« أَسْعَى عَلَى جُلِّ بَنَى مَالِكِ »

٢١ - ص ٣٢٠ س ٤ ضبط هذا النص بهذه الصورة : « لَا تُكَائِلُ
بِالْدَمِ » . وصوابه « لَا تُكَائِلُ بِالْدَمِ » . وهو جزء من بيت لبنت بهدل
ابن قِرْفَةَ الطائى . من أبيات فى الحماسة ٢١١ . ٢١٣ بشرح المرزوقى .
وتمامه :

فَيَقْتُلُ جَبْرًا بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَاءٌ وَلَكِنْ لَا تُكَائِلُ بِالْدَمِ

أى سقطت المكايلة فى الدماء منذ جاء الإسلام . فلا يقتل بدل الواحد
إلا واحد . شريفاً كان أو ضيعاً . وورد هذا البيت فى اللسان « كيل »
محرفاً .

٢٢ - ص ٣٢٠ س ٨ - ١٠ « إِلَى حَتْفَى مَشَى قَدَمَى . الْعَامَةِ : أَرَى
قَدَمَى أَرَأَقَ دَمَى . فَلَانِ يَغْسِلُ دَمًا بِدَمِ » على أنه نثر . وكلمة « العامة » يجب أن
تؤخر بعد البيت . لتكون عنواناً لقولهم فيما بعد « فَلَانِ يَغْسِلُ دَمًا بِدَمِ » .
والبيت معروف فى أمثلة علماء البلاغة للجناس . وهو لأبى الفتح البسى فى
معاهد التصيص ٢ : ٧٥ - وينشدون بعده أخاه له :

فَكَمْ أُنْقِدْتُ مِنْ نَدَمٍ وَلَيْسَ بِنَسَافَى نَسَمَى

٢٣ - ص ٣٢١ س ١٦ : « أَتَتَكَ بَخَائِنُ رَجُلَاهِ » . صوابه « بَخَائِنُ »
بالحاء المهملة . والخائِنُ الخالك .

٢٤ - ص ٣٣٦ س ١ لكل أناس فى بغيرهم خير ، صوابه « خَيْرِ »
والخير . بالفهم : المعرفة والعلم . وهو مثل يضرب فى معرفة كل قوم

بصاحبهم . انظر البيان للمحافظ ١ : ٢٣٨ و ٣ : ٣٠٠ . واللسان « جمل » .
وأمثال الميداني ٢ : ١١٤ - ١١٥

٢٥ - ص ٣٣٦ س ١٩ « صدقنى سنّ بكره » . صوابه « صدقنى »
بتخفيف الدال . يقال صدقت القوم ، أى قلت لهم صدقاً . ويروى :
« سنّ » بالنصب وبالرفع أيضاً . وانظر أصل المثل فى أول باب الصاد من
أمثال الميداني ، وكذا فى اللسان « صدق » .

٢٦ - ص ٣٣٧ س ٣ « كانت عليه كراعية البكر » بالعين المهملة .
صوابه « كانت عليهم كراعية البكر » كما فى ثمار القلوب للثعالبي نفسه
ص ٢٨٢ وأمثال الميداني ٢ : ٧٨ .

ويقال أيضاً « كراعية السقب » يعنون رغاء بَكر ثمود حين عقر الناقة
قُدار بن سالف . والراعية هنا بمعنى الرغاء . يضرب فى التشاؤم بالشيء .

٢٧ - ص ٣٤٣ س ١٣ « هما كحمارى العبادى » . صوابه « العبادى »
بكسر العين وتخفيف الباء . نسبة إلى العباد . وهم قوم من أفناء العرب نزلوا
الحيرة . وكانوا نصارى . منهم عدى بن زيد العبادى . قالوا : كان
للعبادى حماران قليل له : أى حماريك شر ؟ قال : هذا ثم هذا ! !
انظر ثمار القلوب للثعالبي ٢٩٢ والميداني ٢ : ٩٧ .

٢٨ - ص ٣٥٥ س ٧ « أحبُّ أهل العلم إلى كلبهم الطاعن » وكلمه
« العلم » هنا مقحمة . وصوابه « أحبُّ أهلى » كما فى الحيوان ١ : ٢٥٩ . وفى
عيون الأخبار ٢ : ٨١ « الكلب أحبُّ أهله إليه الطاعن » . وفى أمثال الميداني
١ : ١٨٣ « أحبُّ أهل الكلب إليه الطاعن » . قال : وذلك أنه إذا سافر ربما
عطبت راحلته فصارت طعاماً للكلب ، يضرب للقليل الحفاظ كالكلب يخرج
مع كل طاعن .

٢٩ - ص ٣٥٧ س ١ « روعى جعارُ وانظرى أين المفر » وورد في اللسان « جعر » : « روعى جعار » ، وكلاهما محرف ، صوابه : « رُوعى جَعَار » كما في اللسان « روع » وأمثال الميداني ١ : ٢٦٤ ؛ وجعار كقطام : اسم للضبع .

٣٠ - ص ٣٧٠ س ٩ « ليس قطا مثل قطا . ولا المرعى في الأقوام كالراعى » وإنما هو بيت من الشعر لأبى قيس بن الأسلت الأنصارى في المفضليات ٢٨٥ وأمثال الميداني ٢ : ١١٦ واللسان « قطا » . وصواب إنشاده :

ليس قطاً مثل قُطَيٍّ ولا الـ مرعى في الأقوام كالراعى

هذه عجالة لبعض ما عزي من صواب بعض الأخطاء أقدمها مشاركة في تصحيح هذا الكتاب .

وقد فات الأستاذ المحقق . ولعل له عذراً في تخرج بعض الناشرين من إلحاق بيان للأخطاء المطبعية الواقعة في الكتاب . وهو تخرج لا يقره العلم ولا دقة الأداء - أقول : فاته أن ينبه على الأخطاء المطبعية الواقعة في الكتاب . وليس هذا من المغتفر في كتاب كهذا الكتاب مفعم بالنصوص والضبط .

وأما فهرس الكتاب فهى وافية حقاً ، ولكن بعضها عولج معالجة غير منظمة . وهو فهرس القوافى . ومن رجع إلى طريقتى الأخيرة في إخراج فهرس القوافى أمكنه أن يدرك منهجها التنظيمى الميسر ، الذى أشرت إليه في كتاب « تحقيق النصوص » ص ٧٧ .

وأما فهرس « أنصاف الأبيات » فقد اختلطت فيه أنصاف الأبيات بأشطار الرجز . وأصبح الباحث حائراً بين الفهرسين . وكان من الميسور

عزل هذه عن تلك . كما أن من المؤلف أن ما عرفت قافيته ألحق بفهرس القوافى ومزج به ، فيصبح مدار تلك الفهارس منحصرأ بين فهرس قوافى الشعر وفهرس قوافى الرجز ، وفهرس الصدور التى لم تعرف أعجازها ، وهو ما نظن الأستاذ المحقق فاعله إن شاء الله فى الطبعة المقبلة .

كما أن فهرس الموضوعات كان من المستحسن أن يرتب ترتيباً هجائياً مفصلاً . وهو أمر ليس بالعسير أيضاً .

إنى لآمد يدى مصافحاً لازميل الأستاذ « عبد الفتاح الحلو » الذى لم يسعدنى الحظ بلقياه حتى اليوم ، مهنتاً له بعمله هذا العظيم ، راجياً له دوام التوفيق فيما هو بسبيله من جهاد صادق . وكفاح نبيل .

حول ديوان البحترى

بقلم : عبد السلام محمد هارون

تقديم :

عندما ظهر « ديوان البحترى » فى أحدث طبعاته بتحقيق الأخ الأستاذ حسن كامل الصيرفى ، أعجبنى ذلك . ودفعنى إلى أن أقرأه فى عناية وحرص . وأحببت كذلك أن أنال شرف المشاركة فى خدمة هذا الديوان الذى لم يحظ من قبل بمثل هذه العناية الفائقة التى اضطلع بها الأستاذ الصيرفى .

فكتبت فى ذلك طائفة من المقالات فى مجلة « المحلة » التى يشرف عليها صديق الأستاذ الكبير : يحيى حقى .

وقد أفسح لى الأستاذ حقى مجالاً واسعاً لأقدم ببعض نماذج من التصحيحات والتحقيقات . فظهرت فى خمس مقالات صدرت فى خمسة أعداد متتالية من نوفمبر سنة ١٩٦٣ إلى مارس سنة ١٩٦٤ . وكان فى النية حينئذ أن يتصل القول . لكن عوائق وشواغل جمة منعتنى من استكمال ما كنت بسيله .

وقد أعجبت بالروح العلمية التى بدت من الأخ الأستاذ الصيرفى عندما ظهر المقال الأول . وسجلت ذلك فى صدر المقال الثانى .

والذى طاتى تسجيله هو مبادرته الأخ الصيرفى عند انتهاء المقالات الخمس إلى مخاطبتي مكرراً لإعلانه لحرصه عما كتبت . والاعتباط بما قدمت لأنه يعلم تمام العلم أنى لم أرد بما كتبت إلا الخير . ويعلم أيضاً أنى شريك له فى خدمة هذا التراث . وأن كل الناس يخطئ ويصيب . والعصمة لله وحده .

وقد طلب إلى كثير من الأدباء . أن أنشر هذه المقالات في رسالة خاصة
تيسيراً للانتفاع بها والرجوع إليها . فأجبت ملتصقاً بجمعها في هذه
الرسالة . وأضفت إليها مقالاً سادساً . ذكرت فيه ما عنى لي بعد ذلك من
استدراكات وتصحيحات لم تنشر من قبل . وهذا كله في نطاق الجزء الأول
من الديوان .

ومن الله التوفيق

مسرح المدينة } في ٢٩ من المحرم سنة ١٣٨٤
١٠ من يونية سنة ١٩٦٤

- ٩ - (*)

لعلَّ أقدرَ الناس على فهم الشعراء هم الشعراء أنفسهم . لأنهم يجرون
معهم في مضمار واحد . ويسبحون في محيط تتحد مياهه وإن اختلفت
أغواره .

وكان مما صنع الله للبحر أن يتولى أمر شعره رجلٌ شاعر بالفطرة
وبالصناعة ، وهو الأخ الفاضل حسن كامل الصيرفي . وقد قرأت له من
شعره قديماً وتلوت له حديثاً . فما شئت من ديباجة صافية الأديم . وقول
بسلس في الإنشاد ، ويسرى كالماء سهولة ويسراً .

وعلمت قديماً أنه معنىً بشعر البحرى ، يرصد له المخطوطات ، ويعالج
من أجله الأسفار والمجلدات ليجلو من شعره . ويكشف من إشاراته التاريخية
والأدبية ، ويبدل من الجهد ما عبّر عنه بقوله :

« وقطعت من عمري سنوات حرمت نفسي خلالها من الراحة ، يصحبنى

حين أصطاف . وبلازمنى حين أشتو ، ويقضّ على ليلات غموض " في بعض شعره أريد أن أزيح خفاءه أو بعض خفائه ، ويشغل فكرى أياً ما تحريف فيه ، فأغدو وأروح مقلباً الرأى على كل وجه . لأقيم عوجه وأرده إلى استوائه » .

وقد رجع الأستاذ الصيرفى في تحقيق نسخته إلى ثمانية عشر مخطوطاً ومطبوعاً من نسخ الديوان ، منها ثلاث نسخ مطبوعة ، إحداها بالجوانب سنة ١٨٧٢ والثانية في بيروت سنة ١٩١١ بشرح الشيخ رشيد عطية . والثالثة في القاهرة بمطبعة هندية سنة ١٩١١ بتصحيح الشيخ عبد الرحمن البرقوى . وقد ذكر أوصاف المخطوطات الخمسة عشر في مقدمة الديوان

وهذا عمل مرهق مضمّن . وإذا عرف القارئ أن تلك النسخ تختلف اختلافاً بيناً في ترتيب القصائد وعددها ، وعدد أبياتها ، واختلاف رواياتها . وهو الأمر الذى يحتاج إلى جهد مضمّن ويقظة ناصبة . علم مقدار العنت الذى لاقاه . والصعوبة التى ذللها بصبره وجلده .

وقد قام الأستاذ الصيرفى بترجمة أعلام الديوان . وبياد إشارات التاريخية . وتعيين تاريخ كل قصيدة ومقطوعة بما يستحق معه كامل الإعجاب وعظيم التقدير .

وحينما ظهر هذا الجزء الأول من الديوان بتحقيق الأخ الصيرفى بادرت إلى اقتنائه وقراءته . فقد كنت دهرأً من المولعين بشعر البحترى وإدماار قراءته . فكانت تلك الجلوة التى ظهر فيها حافظاً لى على معاودة قراءته ودراسة شعره فى ظل هذا التحقيق العلمى . هذا التحقيق الذى حالفه الصبر والدأب والأمانة . ومحاولة الوصول إلى الكمال .

وأشهد لقد وفق الأخ الصيرفى أيما توفيق . وأشهد لقد بذل أقصى وسعه ولم يرضن بشىء منه .

وقد لحت فى أثناء قراءتى بعض المآخذ التى لا يكاد يسلم منها محقق ، فأخبيت أن أضيف إلى تحقيقه جانباً من جهدى المتواضع . لأشاركه شرف الإسهام فى خدمة شعر البحرى .

وأعلم تمام العلم أن صدره أرحب من أن يضيق بإسداء بعض إشارات وتنبيهات من أخ مخلص لأخيه . عسى أن يكون فيها استدراك لما مضى ، ونفع لما يستقبل من بقية أجزاء الديوان إن شاء الله .

بعض المآخذ فى المقدمة

ص ٢٢ س ٩ وكذا ص ٢٣ س ١ وردت كلمة « البحائى » . بفتح الحاء وإهمال تشديدها ، والصواب تشديد الحاء كما فى أنساب السمعاني الورقة ٦٦ قال : « هذه النسبة إلى البحّاث . وهو لقب لبعض أجداد المنتسب إليه . وفيهم كثرة . منهم أبو جعفر محمد بن إسحاق بن على البحّائى » وهو العلّام الذى تصدى له الأستاذ المحقق .

ص ٣١ س ٥ نجد أن المحقق يرجع جميع القصائد الغزلية لبحترى إلى مرحلة الصبا . وهى الحقة التى جعل نهايتها سنة ٢٢٠ هـ . أى حين كان الشاعر فى السادسة عشرة من عمره . على أساس أن ميلاده كان فى عام ٢٠٤ هـ ونجده فى أثناء الديوان يطبق هذه القاعدة على كل قصيدة غزلية فيجعل تاريخها سنة ٢٢٠ هـ . وكأنّ البحرى لم ينطق لسانه بالغزل إلا فى هذه السنة السعيدة وهو أمر عجيب حقاً لم نسمع بمثله . فلم يحدثنا التاريخ أن شاعراً لم ينطق بشعر فى الغزل إلا فى سنة معينة من سنى صباه . بل سمعنا وشهدنا شعراء كثيرين استفاض غزفهم وتشبيهم فى جميع سنى حياتهم . بل فى عصر الشيخوخة والفناء . وقد تغزل شوقى وتغزل الجارم وهما فى سن عالية . وفى عمر متقدم .

ص ٥٢ س ٧ يذكر الأستاذ أنه جمع بين طريقة المستشرقين في مراجعة النصوص وإثبات اختلاف الروايات ، وطريقة العرب الأقدمين في الشرح والتعليق .

ولم يقل أحد إن مراجعة نصوص المخطوطات ، وإثبات اختلاف الروايات طريقة ابتدعها المستشرقون ، وإنما هي عربية صميمة ولدت مع التأليف العربي ، ولازمته إلى عصوره المتأخرة . ولعله أراد طريقة المستشرقين في نشر النصوص عن طريق المطبعة ، فإن كان قد أراد ذلك ، ولا إخاله يعنى غيره ، فإنه كان من الأجدر به أن ينص على ذلك ، لئلا يظن من به مرض أن للمستشرقين كل الفضل في ذلك . كما يبدو من عموم عبارته .

بعض المآخذ في الديوان وشرحه

وهي ضروب . منها ما هو في متن الديوان ، ومنها ما هو في تفسيره ، ومنها ما هو في منهج الطباعة .

١ - ص ٥ البيت ٣ :

لا تأمرننى بالعزاء وقد ترى أثر الخليط ، ولات حين عزاء

ورد في تفسيره أن الخليط هو « الشريك » . وهذا معنى من معانى الخليط ولكن ليس مراداً هنا . فليس المراد به الشريك في ملك أو سكن ، أو شرب أو تجارة . بل المراد بالخليط القوم الذين خالطهم وعاشروهم ، وفيهم من يهواه ويصحب به . كما تفهمه لغة الشعر .

٢ - ص ١٩ البيت ٥٥ :

فإذا ما رياحُ جودك هبَّتْ صَ ار قولُ العذَّالِ فيها هباء

ووجه كتابته أن ينتهى الشطر الأول من البيت بكلمة « هبَّتْ » وتكون « صَارَ » كلها في الشطر الثانى . والقصيدة من بحر الخفيف .

٣ - ص ٢٩ البيت ١٥ : « والجلود أجمع ساعة من وائه » كان ينبغي أن يفسر « الواء » لغرابته . والواء هو الوأى ، وهو الوعد . ومثله الرء بمعنى الرأى . وقد أولع البحرى بالقلب فى كثير من ألفاظ شعره .

٤ - ص ٣٠ البيت ٤ و ص ٨٤ البيت ١٤ وردت كلمة « سؤدَد » بفتح الدال الأولى . والوجه فى مهموز هذه الكلمة هو ضم الدال « سؤدُد » كما فى اللسان والقاموس . فإن أردت فتح الدال لم تهمز فقلت « سودَد » . ولك فى هذه الثانية ضم الدال أيضاً « سودُد » . وأما المهموزة فيتعين ضم دالها .

٥ - ص ٣١ البيت ٩ :

بأبى أنت كم تُرامى بأمرى خِلْفَةُ الدهر صَبِيحُهُ وَمَسَاوُهُ
والوجه « كم تُرَامَى » بفتح التاء والميم ، يعنى أن الدهر يختلف عليه بأحداثه ورزاياه ويترامى بأمره ، وهو لا يجد معيناً له على الدهر سوى ممدوحه . وما ورد فى الشرح من قوله « رامى الشيء : دافعه » لا وجه له فى هذا الحال .

٦ - ص ٣٢ البيت ٣ : « وطال ثواؤُهُ فى دِمْنَتِيهَا » ، فسر الثواء بأنه « البقاء » .

وصواب التفسير أن يقال : الثواء : إطالة الإقامة .

ومنه قول الحارث بن حلزة :

« رب ثاورٍ يمل منه الثواء »

٧ - ص ٣٧ البيت ٣ : وردت كلمة « المدبر » عارية عن ضبط الباء بالتشديد والكسر ، كما وردت « سماك » غير مهموزة ، وبذلك صار البيت ناقص الضبط مشوّه الكتابة .

٨ - ص ٤١ البيت ١٥ ورد في تفسيره أن مهلهل بن ربيعة زوج إحدى بناته لمعاوية بن عمرو .

وصوابه « بن عمرو » كما في جمهرة الأنساب لابن حزم ص ٤١٣ من تحقيق كاتبه .

٩ - ص ٤٤ البيت ٥ جاء في قوله « ما أن يكون لديك » ، وصوابها « ما إن » وهي إن الزائدة لتوكيد النفي .

١٠ - ص ٤٧ البيت ٢٥ : « هو البحر الذي حدثت عنه » . ما هكذا يقولها الشعراء . ووجه ضبطها « حدثت عنه » بتوجيه الخطاب إلى عموم المخاطبين كما ورد في قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

وذا البرة الذي حدثت عنه به نُحْمَى ونحْمَى الملجئينا

وضبط العرب لهذا التعبير بالخطاب . إشارة إلى أن أمر الممدوح معروف متعالم . يتحدث به الناس ويقضى به بعضهم إلى بعض ، فلا يكاد أحد من المخاطبين يجهله .

١١ - ص ٤٧ البيت ٢٧ .

أنا بكر ببيت بناء طُولٍ من الإحسان ليس من البناء
وصوابه « طَوَّل » بفتح الطاء . وهو الفضل والقدرة . والعلو على الأعداء .

وفي الحديث : اللهم بك أحاول وبك أطاول : مفاعلة من الطول بالفتح . وهو الفضل والعلو على الأعداء .

١٢ - ص ٤٧ البيت ٢٨ : « على رغم الحواسد والعداء » . ضبطت « العدا » بفتح العين . ولا وجه له بهذا الضبط . وإنما هو « العدا » بكسر العين أو صمها . فهو مما مدّه الشاعر .

١٣ - ص ٤٧ البيت ٣٥ : ورد كلمة « سُنُوك » بضم السين .
وصوابها « سِنُوك » بكسر السين . جمع سنة بفتح السين ، لا يكون غير ذلك . وتغير حركة السين من الفتح في المفرد إلى الكسر في الجمع مما جعل النحويين يعدونه ملحقا بجمع المذكر السالم .

١٤ - ص ٤٧ البيت ٣٦ :

وإنَّ وسيلتي وأجلَّ مَنْى إليك بحقَّ أصحاب الإساء

و « مَنْى » تحريف ، صوابه « مَنَى » بالتاء من قولهم : متَّ إليه بحق القرابة ، أى توسَّل إليه به . وفي القاموس في تفسير المت أنه « التوسَّل بقرابة » .

١٥ - ص ٤٨ البيت ٣٨ ، ٣٩ « الإعتلاء » و « الإبتداء » . لا تكتب الهمزة بالقطع ، وإنما تقطع في النطق فقط عند الضرورة . والوجه أن يشار إلى ذلك بوضع الكسرة بدلها . وقد تكرر هذا في مواضع كثيرة من الديوان ، منها ص ٨٣ البيت ٤ و ص ٨٤ البيت ٨ و ص ٨٨ البيت ٥ ،

١٦ - ٥٤ البيت ٥ :

وكنت وأروى والشبابُ علالةُ

لِنَشْوَانٍ من سكر الصبابة أو نشوى

وهو بيت مستقل المعنى ، وصوابه « كَنَشْوَان » بالكاف . ونحوه قول البحترى نفسه في القصيدة التالية لهذه القصيدة :

وكنت وكانت ، والشبابُ علالةُ :

كَنَشْوَانٍ من خمر الصَّبابة أو سكرى

١٧ ص ٥٥ البيت ١٨ : له سطواتٌ ما تهرُّ وما تعوى ،

وصواب ضبطه « ماتهَرُّ وماتُعَوَّى » أى لا يجروا أحد على مقاومتها ، كما يفهم من إشارة عبث الوليد ص ٢٩ ، وإن كان صاحب اللسان قد ذكر فى مادة (نبح ص ٤٤٩) : « ويقال فى مثل : فلان لا يُعَوَّى ولا يُنبح . يقول : من ضعفه لا يعتدُّ به ولا يكَلِّم بخير ولا شر » . فكأنَّ هذه العبارة من عبارات الأضداد ، تقال للقوى المقتدر ، كما تقال للضعيف المستضعف .

١٨ - ص ٥٦ البيت ٢٢ :

نُحْمَلُ بينَ البَدَرِ سعداً وبينه

إذا ارتاح للإحسان أيهما أضو

و « تمثل » لا وجه لها هنا ، وصوابها « نُحْمِلُ » بالنون ، وبالياء بعد الميم كما ورد فى نسخة ١ من الديوان وكما فى طبعة مصر ١ : ١١ و ٢ : ٣٢٦ (إذ وردت هذه القصيدة مكررة فى طبعة مصر) . يقال : ميل بين الأمرين تميلاً أى رجَّحَ بينهما ووازن . وفى اللسان (ميل) : « والتميل بين الشيئين كالترجيح بينهما » . وتقول العرب : إني لأميل وأمايل بينهما أيهما أفضل .

١٩ - ص ٥٦ أيضاً البيت ٢٥ :

سُقِينَا بِسَجَلِيهِ وَكَانَ خَلِيفَةً

من الغَيْثِ ، إِنْ أَسْقَى بِرَيْقِهِ أَرَوَى

وجعلت « أروى » بين أقواس ، إشارة إلى أنها علم من الأعلام . وليس كذلك ، وإنما « أروى » هنا فعل ماض هو جواب الشرط قبله . أى إن سَقَيْهِ سقى مشبع مرو . ولعل سبب هذا السهو أن « أروى » وردت فى مطلع هذه القصيدة ، وهو :

لنا أبداً بثُّ نعانیه من « أروى »

و « حَزَوَى » وكم أدنئك من لوعه « حَزَوَى »

٢٠ - ص ٥٧ البيت ٣٧ :

أَسِفْتُ لَغَضَّاتٍ مِنَ الْحُسْنِ شَارَفَتْ
لِذُعْرِ الْفِرَاقِ أَنْ تَغْيَرَ أَوْ تَذَوَى
وصواب الضبط « أَنْ تَغْيَرَ » أى أن تتغير ، بحذف إحدى التاءين .

٢١ - ص ٥٨ البيت ٢ :

فَوَادٍ هُوَ الْحَرَّانُ مِنْ لَاعِيجِ الْجَوَى
إِلَى كَبِيدٍ جَمٍّ تَبَارِيحُهَا حَرَى

هكذا ورد ضبط البيت دون زيادة ولا نقصان ، وهو يشيع فيه النقص الذى يحمل على الشك فى القراءة . والوجه أن ترسم كلمة « فَوَادٍ » بالهمز ، و « الْحَرَّانُ » و « حَرَى » بتشديد الراء .

٢٢ - فى ص ٥٨ البيت ٣ : « فَلَا دَمْعَةٌ تُرْقَا ، وَلَا مَقْلَةٌ تُكْرِى » .
ووجه ضبطه « تُرْقَا » بفتح التاء لتتلاءم مع أختها « تُكْرِى » ، وإن كانت « تُرْقَا » بضم التاء صحيحة سليمة . ولكن للشعر لغة ينبغى رعايتها . يقال رقاً الدمع رقناً : جف ، وأرقاه الله تعالى .

٢٣ - ص ٦٠ البيت ١١ :

مَوَارِسَ صَرَعَى مِنْ تَوَامٍ وَفَارِدٍ
وَأَرْسَالُ خَيْلٍ فِي شَكَايَتِهَا عَقَرَى

وصوابها « عَقَرَى » بالقاف . كما ورد فى النسخ : ح ، ي ، ل . وهو جمع عقير . يقال عقر الفرسَ والبعيرَ بالسيف عقرأً : قطع قوائمه . وفرس عقير : معقور . وخيل عقرى . وأنشد فى اللسان (عقر ٢٦٩) ومعجم البلدان (سلى) :

بِسِلَّى وَسِلِّيرَى مصارع فتية

كرام وعقرى من كمت ومن ورد

٢٤ - ص ٦٠ أيضاً البيت ١٣ « تولّت خطوب الحرب مقبلة ترى »
وفى هذا القول تناقض ، فإن التولى معناه الإدبار ، كما فى قول الله :
« عبّس وتولى » . وكيف يجتمع التولى مع الإقبال ؟ ! إنما هى « توالّت »
أى تتابعت . توالّت الخطوب تواليا : تتابعت .

٢٥ - وفى ص ٦١ البيت ٢ :

المؤثر العُلَيّا على حظّه

والحظُّ كلّ الحظ فى العُلَيّا

ولغة الشعر ولغة البحترى هى « العُلَيّا » تُقال بالمد وبالقصّر ، ومنه شعر
العباس بن عبد المطلب :

حتى احتوى بيتُك المهيمنُ من

خندفَ عُلَيّا تحتها النُّطقُ

وقول البحترى نفسه فى الديوان ٤٤٤ :

يسمو بكفٌّ على العافين حانية

تهمى وطرف إلى العُلَيّا طماح

وقوله أيضاً فى الديوان ٥٣٣ :

وشيدّها حتى استحقَّ تراثها ولا يرث العُلَيّا من لا يشيدها

وقول البارودى أخيراً :

ومن تكن العُلَيّا همّة نفسه فكل الذى يلقاه فيها محب

وفى اللسان (علا) : « والعلياء : كل مكان مشرف » . وفيه أيضاً :
« والعليا اسم للمكان العالى ، وللفعلة العالية على المثل » .

٢٦ - وفى ص ٦٣ البيت ٨ :

وكم لطخ الأحيّة من ثجير تبيت صُحاتهم عنه سكارى

وفى تفسيره : « الشجير مكان التراب المختلط بالسبخ » .

ولا أدرى من أين جاء هذا التفسير . والمعروف فى « الشجير » أنه ما بقى
من عصارة العنب ، أو هو ثفل كل شىء يعصر .

٢٧ - وفى ص ٦٨ البيت ٤ : « جمعت خُلَّتَيْن : حسناً وليناً » بضم
الخاء فى « خلتين » . والخلة بالضم : الصداقة والمحبة ، وهى الصديق والحبيب
أيضاً ، ومنه فى الكتاب العزيز « لا يَبِيعُ فيه ولا خُلَّةٌ ولا شفاعَةٌ » . وليس
هذا مراداً ، وإنما هى « الخلة » بفتح الخاء بمعنى الخصلة تكون فى الرجل ،
يقال : فيه خلة صالحة وخلة سيئة ، والجمع خلل ، ومنه فلان كريم
الخلل ، أى الخصال .

٢٨ - وفى ص ٧٣ البيت ١٤ :

وتركته « بالحبل » ثم طلبته

« بخليج بارق » حيث عزَّ المطلب

وليس هذا فى مألوف الكتابة ، والمألوف : « الحبل » ، و« خليج
بارق » بوضع الباء فى خارج الأقواس .

٢٩ - وفى ص ٧٤ البيت ٢٧ :

ولحربة « الإسلام » حين يهزّها

هول يُراع له النِّفاق ويُرهَبُ

وصواب ضبطه « ويرهب » بالبناء للمعلوم . كما أنه لا وجه لوضع كلمة « الإسلام » بين الأقواس .

٣٠ - وفي ص ٧٥ البيت ٣٧ :

ما إن ترى إلا توقد كوكب

في « قوميس » قد غار فيه كوكب

وقال الشارح : « والأصول أجمعت كلها على أنها قونس بالنون ولكن الثابت في معجم البلدان قومس بكسر الميم ، وهو كورة كبيرة واسعة في ذيل جبل طبرستان ، اجتاز بها أبو تمام في طريقه إلى نيسابور » .

وهذا كله تخيل يرمى إلى أن « قومس » اسم بلد . وهو غير صحيح . إنما هو « قونس » كما ورد في جميع أصول الديوان . والقونس : أعلى بيضة الحديد التي يلبسها الفارس فوق رأسه . شبه لمعان السيوف واضطرابها وهويها فوق قوانس الحديد بتوقد الكواكب وانطفائها . وهو نحو قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا

وأسيافنا ليل تهوى كواكبها

هذا إلى أن ضبط « قومس » اسماً للبلد بفتح القاف خطأ أيضاً . والصواب صمها مع كسر الميم . كما أن كلمة « جبل طبرستان » غير سليمة أيضاً . وصوابها « جبال طبرستان » . كما في معجم البلدان الذي نقل الأستاذ المحقق منه النص .

٣١ - ص ٨٢ البيت ٣٣ :

* ينسبك جود الغيث جودهم »

والوجه ضبط « جود » الأولى بالنصب .

٣٢ - ص ٨٦ البيت ٣٠ :

ترة من أنامل ظنن يحري ن على الخابطين جرئى الشعاب

جاء فى تفسيره أن الخابط السائر فى الليل على غير هدى . وهو معنى صحيح ولكنه ليس مراداً ، بل المراد بالخابط هنا طالب المعروف . والخبط : طلب المعروف ، يقال خبطه يخبطه خبطاً ، واختبطه . ومنه قول زهير فى ديوانه ٥٣ واللسان (خبط) :

وليس مانع ذى قربى ولا نسب

يوماً ولا خابطاً من ماله ورقاً

كما يقال لمعطى المعروف خابط أيضاً وإن يكن غير مرادٍ هنا . ومنه قول علقمة :

وفى كل حى قد خبطت بنعمة

فحقّ لشأسٍ من نّداك ذنوب

وجاء فى تفسير الشعاب أنها الطرق والمعاطف . والطرق والمعاطف لا تحرى . بل يقال فى تفسيره إن الشعاب جمع شعب . وهو مسيل الماء فى بطن الأرض . كما ورد فى القاموس وغيره .

٣٣ - ص ٨٧ البيت ٣٦ :

مين جعاد الأكف غير جعادٍ وغضاب الوجود غير غضاب

ورد فى تفسيره « جعد اليد . أى يخل . غير جعاد . أى غير منقبضين على المساوى والمقابح » .

والناظر فى البيت يرى أن البحرى جمع بين نعتين خيلين ونعتين آخرى من نعوت الأخلاق . أما الخيليان فقد وضع « جعاد الأكف » إزاء

« غضاب الوجوه » وهذا يقتضى أن تفسر الجعاد بأنها القصيرة ، وقصرها يستدعى وصفها بالبخل . كما أراد بغضاب الوجوه كراهة المنظر وبشاعة الخلقة .

وأما الوصفان الآخران فهما قوله « غير جعاد » . وهو يعنى بذلك غير الأنبياء الأجواد . فالمراد بالجعد فى لفظه الثانى هو السخى الجواد . ومنه قول كثير يمدح بعض الخلفاء :

إلى الأبيض الجعد ابن عاتكة الذى

له فضلُ ملك فى البرية غالبُ

ويقابله « غير غضاب » . أى هم لا يقدرّون على السطوة والغضب ، لضعفهم وتهافتهم .

وأحب أن أنبه هنا إلى أن كلمة « المساوى » الواردة فى الشرح مما يخطئ فيه كثير من الأدباء ، وصوابها « المساوى » بدون همز . فإن العرب لم تهمز هذا الجمع ، كما فى اللسان والقاموس والمعجم الوسيط (سواً) . ومنه قول العرب : « الخيل تجرى على مساويها » يضرب للرجل يستمتع به وفيه من الخصال المكروه . وجاء فى المعجم الوسيط ص ٦٢ : « المساوى المعائب والنقائص . لا تهمز . قيل لا واحد لها ، وقيل واحدها سوء على غير قياس » .

٣٤ - وفى ص ٩٥ البيت ٣٤ وردت كلمة « العليا » بضم العين . وصوابها بفتح العين كما سبق فى التنبيه بالرقم (٢٥) .

٣٥ - وفى ص ١٠٠ البيت ١٥ :

صريح الخيل والأبطال أغننى عن الهجئات والخلط المشوب

فسرت « الهجئات » بأنها القبيحات المعيبات . ووجه التفسير أن يقال

إن المهجنات جمع هجنة . بضم الهاء وسكون الجيم ، وهى اللؤم ودناءة الأصل . والمهجين : اللثيم ، والعربى وُلد من أمة . وقد هجن . ككره . هجنة وهجانة وهُجونة .

• • •

أخطاء مطبعية

لما بعض ما ظهر لى من المآخذ فى المائة الصفحة الأولى من الجزء الأول من الديوان . وهذا الجزء فى ٦٣٨ صفحة غير المقدمة .

كما أن هناك بعض أخطاء مطبعية أشير إلى أهمها فيما يلى :

ص ١١ فى تفسير البيت ٤٨ « أى يسرها بالدرع » : صوابه « يسترها »

ص ٤٩ فى تفسير البيت ٤ « وعد بن الرعلاء » : صوابها « عدى »

ص ٦٥ البيت ٥ « بقاء نفسى » هى « بقاء نفسى » .

ص ٨٠ فى تفسير البيت ٢٠ « أدبن طائجة » : صوابه « طائجة » .

ص ٨٢ فى تفسير البيت ٢٢ « جندب » : « هز وجندب » : صوابه

« هو جندب » .

ص ٨٦ البيت ٣٣ « اقتِسَام » : هى . اقتسام .

ص ٨٨ فى تفسير البيت ٧ « أنه ودد » : صوابها « أنه ردد » .

ص ٩٠ البيت ٣ « وحزم خثُول » : صوابه « خثُول » بضم الخاء

ص ٩٧ فى تفسير البيت ٣٤ « صدور البيوب » : صوابها « صدور

البيوت » .

ص ٩٧ فى تفسير البيت ٣٨ « احتبطت » : هى « احتطبت » .

ص ١٠٠ فى تفسير البيت ١٦ « جمعه قوارح » : هى « جمعه قوادح »

— ٢ — (*)

كنت على إشفاق وحذر حينما تناولت القلم لأكتب مقالى السابق .
 فلما أعرف أن القيام على العلم يقتضى صاحبه أن يهذب من نفسه ويصقلها .
 ما استطاع التهذيب وما استطاع الصقل . ومما عرفناه فيما قرأنا أن يكون
 القائم على العلم حرباً أشد الحرص ألا يصل منه إلى غيره فى مجال العلم ،
 صديقاً كان أو غير صديق ، ما يؤذى نفسه أو يلمس شعوره ، فخشيت
 ألا أكون مستولياً على هذا الخلق . وقالت لى النفس : إنه مهما يكن لك من
 ثقة بصديق فقد يجد الصديق فى بعض القول الصالح ما يتأوله على غير القصد
 الذى عنيت ، وقالت لى النفس : لا عليك أن تترك القول لغيرك ليتولى هو
 ما أردت أن تتولاه .

ويبدو أن نفسى لم تصدقنى فى ذلك تمام الصديق . ويبدو أن نفس صديقى
 الأستاذ « حسن كامل الصيرفى » تسمو فوق القمة التى رأيت فيها ، فقد بادر
 حينما علم بوصول مقالى الأول إلى « المحلة » إلى مخاطبتى ، معلناً غبطته
 وسعادته . شاكرًا ما عدّه هو صنيعاً أقدمه إليه وأخصه به . طالباً مزيداً
 من القول فيما بدأت .

ولا يسعنى الآن إلا أن أضعف له الشكر إضعافاً . وأن أنوه بفضل
 البارع . وخلق العلمى الفاضل .

وهأنذا أتابع بيان بعض التصحيحات والتنبيهات لما جاء فى طبعة
 الديوان :

٣٦ — ص ١٠١ البيت ٢٤ :

تصوب فوقهم خرق العوانى

وغاب الخط مهزوز الكعوب

وخرق العوالى ، وهى أعلى الرماح أو أسنتها . يحار فيها الفهم .
فليس من المعروف أن تصوب المقاتلة خرقاً تجعلها فى رماحها . وماذا عست
أن تفعل تلك الخرق ؟ ! وإنما هى « حِزَقُ العوالى » بالخاء والزأى . وهى
جمع حِزَقة ، وهى الجماعة من كل شئ ، حتى الريح .

وأنشد فى اللسان :

غَيَّرَ الْجِدَّةَ مِنْ عِرْفَانِهَا
حِزَقُ الرِّيحِ وَطُوفَانُ الْمَطَرِ

ومنه بيت عنتره المشهور :

تَأْوَى لَهُ حِزَقُ النَّعَامِ كَمَا أَوَتْ

حِزَقُ يَمَانِيَّةٍ لِأَعْجَمَ طِمْطِمْ

أى جماعات النعام . وقد وردت هذه الرواية الصحيحة فى نسخى ب .
ك من أصول الديوان .

٣٧ - ص ١٠١ البيت ٢٩ :

إِذَا آدَ الْبَلَاءُ تَحْمَلُهُ
عَلَى دَفَتِيْ مَوْقَعَةٍ رَّكُوبِ

فسرت « الموقعة » بأنها الخفيفة الوطاء . ولا أدرى من أين هذا
التفسير . وإنما هذا التفسير للموقعة بكسر القاف المشددة ، وليس هذا
اللفظ مراداً ، كما ليس معناه مراداً . أما « الموقعة » المرادة ، وهى بفتح
القاف المشددة ، فهى الدابة بظهرها آثار الدبر . لكثرة ما حمل عليها
وما رُكبت ، فهى ذلول مجرَّبة ركوب .

٣٨ - ص ١٠٢ البيت ٣٣ :

أَخَافُ عَلَيْهِمَا إِمْرَارَ مَرْعَى

من الكلاء الذى علفاه موبى

و « علقاه » لا وجه لها . وإنما هي « علقاه » بفتح العين لا كسر ها .
بالقاف لا بالفاء ، كما ورد في نسخة في حواشى الديوان .

و « العلقى » : شجر تدوم خصرته في القبط ، وله أفنان طوال دقاق .
ولا خير فيه . كما في المخصص لابن سيده ١١ : ١٦٤ .
والعلقى مذكر . فإن الألف فيه للإلحاق كما يقول أهل العربية .

٣٩ - ١٠٣ البيت ٤٢ :

فلتسهم السديدُ أحبُّ غيبُ

إلى الرأى من السهم المصيبِ

والسديد والمصيب سيار . فلا وجه للمفاضلة بين متماثلين ومتكافئين .
والوجه هو « الشريد » . كما جاء في رواية مروج الذهب ٤ : ٢٤ . وهذا
المعنى هو المناسب للبيت الذى قبله . وهو :

تناس ذنوب قومك إن حفظ

لذنوب إذا قد من من الذنوب

٤٠ - ص ١٠٥ البيت ١٠ وردت فيه كلمة « ويحزنى » . والضبط
الأعلى « ويحزنى » من الثلاثى . وبه قرأ جمهور السبعة في قوله تعالى :
« إني ليحزنى أن تذهبوا به » . وانفرد نافع بقراءة « ليحزنى » . انظر
إتحاف فضلاء البشر ٢٦٣ .

٤١ - ص ١٠٥ البيت ١٦ :

لقيت به حد الزمان فقله

وقد يتلهم العصب المهند في العصب

حاء في تفسيره : العصب : السيف . والعصب الثانية : الضرب
يتلهم يتكسر حرفه .

ووجه تفسيره أن العضب السيف القاطع فى الموضع الأول وفى الموضع الثانى أيضاً . ولا يسمى السيف عضباً حتى يكون قاطعاً . جعل البحرى ممدوحه أقوى من الدهر ومن سطواته ، فهو قهار لما يأتى به الدهر من أحداثه . وضرب لذلك مثلاً بالسيف القاطع الذى يكسر مثيلته من السيوف القاطعة إذا تلاقيا فى الثرب .

فصواب التفسير فى « يثلم » هو « يكسر غيره » لا « يتكسر حرفه »

٤٢ - ص ١١٤ البيت ١٦ « حين خلّوا مداه » . صوابه « خلّوا » أى تركوا مداه وتجاوزوه .

٤٣ - ص ١١٤ البيت ٢٢ فى نعت ممدوح :

يُشْهَدُ الأَنْسُ حين يُشْهَدُ فينا

ويغيب السرورُ حين يغيبُ

صوابه « يُشْهَدُ الأَنْسُ حين يُشْهَدُ فينا » . أى يحضر الأَنْسُ حين يحضر فينا . يقال شهد يشهد . أى حضر . وهو ما يقابل غاب يغيب . فهو يقرن حضور الأَنْسُ والسرورُ وغياهما بحضور ذلك الممدوح وغيايه . وهذه لغة مطردة للبحرئى . منها قوله فى ص ٢٠٣ .

وعبدكُ أحظته لَدَيْكَ نصيحة

وأرضاكُ منه مشْهَدٌ ومَعِيبٌ

وقوله فى ص ٢٠٣ :

فعاد بنو العبّاسِ عمَّ محمد

وشاهدُ عزّ الناسِ فيهم وغائمه

وقوله فى ص ٢٢٦ :

إذا اقتصرت على حكم الزمان فقد
أراك شاهد أمر كيف غائبه

وقوله فى ص ٢٤٤ :

ترداد أكر وملة أبوته إذا اعتزى شاهداً إلى غيبه

وقوله فى ص ٢٥٤ :

أوحشت مذ غبت قوماً كنت أنسهم
إذا شهدتهم فاشهد ولا تغيب

وفى ص ٣٧٢ :

لئن خس حظ الغائبين لقد زكت
حظوظ الشهود من نذاك وجدت

وفى ص ٦٠٢ :

إن عار فهو من الناهة منجيد
و عاب فهو من المهابة شاهد

٤٤ - ص ١٢٣ البيت ٦ ، حسن الأتى ، فسرت الأسمى بأنها « التأسى والتعزى » ، وصواب التفسير أن يقال : « الأسمى : جمع أسوة ، وهو ما يتأسى به الحزين ، أى يتعزى »

٤٥ - ص ١٣٠ البيت ٢ :

وموت الحقوق فسلا يأسر
يرد علمى ولا راع

وصواب ضبطه « وموت الحقوق » بالجرّ . عطفاً على « غَنَوَى » فى البيت قبله . وكذا « فلا يائس » بالتنوين . وقيل البيت :

لعمرك ما العجيبُ العاجِبُ

سَيَسُو غَنَوَى نه حاجِبُ

٤٦ - ص ١٣٣ البيت الأول : ورد اسم القرية « جُلُلْتَا » بضمّتين . وصواب ضبطها « جَلُلْتَا » بفتح الجيم وضم اللام الأولى ، كما فى معجم البلدان والقاموس (جبل) حيث نصّا على هذا الضبط بالحروف . لا بالقلم . وورد فى آخر هذه الصفحة أن الخجّام هو الخلاق . وهو سهو . وسأقول فيه بتفصيل فى التنبيه رقم (٥٣) .

٤٧ ١٣٧ البيت ٢١ : « عند حدّ الحادثات ، صوابه : جيدّ الحادثات » بكسر الجيم ، أى اشتدادها . كما سقطت ألف « الذى » الواردة فى هذا البيت .

٤٨ ص ١٣٩ البيت ٣ .

وما كان مَوْلَاهُ وقد سامه الرَّدَى

بمتَّئِدِ البُقْيَا ولا لِسَيْنِ القَلْبِ

وسرت البُقْيَا بأنّها ما يبقى من الشئ . وأذا لا أحقّ هذا التفسير ، ولو صحّ لما كان مراداً . فإنّ المراد بالبُقْيَا هنا الإبقاء على غيرك ورحمتك إياه . ومثله الرعيا من الإرعاء على الشئ . يقال : أبقيت على فلان . إذا أراعيت عليه ورحمته . والاسم البُقْيَا . قال اللّعين المنقرى :

و بُقْيَا عَلَى تَرْكِنَايَ

ولسكن حِفْتِمَا صَرَدَا نَسَالِ

٤٩ - ص ١٤٢ البيت ٢ :

فَقُلْتُ لَمَّا أَتَى دَهْيَاءَ مُعْضِلَةً
أُبْلٍ وَجَدْتُ مَتَى أَحْدَثَتْ ذَا النَّسَا

أدركت الريبة الشارح في عجز هذا البيت وقال « ولعل وجهه الصحيح .
أبن وحدد » . وهذا الوجه الذى ذكر ، أسلوبه ينتمى إلى عصرنا هذا ،
ولا إخال البحرى يسبق عصره هذا السبق الظاهر . ولا غبار على نص هذا
البيت ، فإنه تهكم ضاحك بهذا المهجو الذى ادعى نسبته فى قضاة ، يقول له
البحرى : أنفق وأخلف من هذا النسب المزعوم ما استطعت ، فلن تجد من
يرى صدقك فى هذا الزيف ، ولن تحصل منه على طائل ، فإنه كخيال النائم
الذى يرى نفسه ذا ثراء عريض ، ينفق منه ذات اليمين وذات الشمال ، وهو
لا حقيقة فيه .

ونحو هذا التعبير مألوف عند الشعراء . ومنه قول ابن مقبل فى اللسان
(عور) :

فَأَخْلَفُ وَأَتْلَفُ إِنَّمَا الْمَالُ عَارَةٌ
وَكُلُّهُ مَعَ الدَّهْرِ الَّذِى هُوَ آكِلُهُ

٥٠ - ص ١٥٩ البيت ٩ : « ولم تجد للعزل » . صوابه « للعذل » من
العذل ، وهو اللوم .

٥١ - ص ١٦٧ البيت الأول :

قِصَّةُ التَّلِّ فَاسْمَعُوهَا . عَجَابَةٌ
إِنْ فِى مِثْلِهَا تَطُولُ الْخِطَابَةُ

فيه مأخذان : المأخذ المطبعى تحوير الباء فى « الخطابة » إلى ياء والقصيدة
بائية ، وأما اللغوى فإن « الخطابة » بفتح الخاء لا غير .

٥٢ - ص ١٦٧ البيت ٤ :

أَحْفِرُوا التَّلَّ يَا « يَا بَنِي عَبْدِ الْآعَدِ

لِي » . وَأَثِرُوا سُخُورَهُ وَتُرَابَهُ

و صواب كتابته :

أَحْفِرُوا التَّلَّ يَا « بَنِي عَبْدِ الْأَعْلَى ،

وَأَثِرُوا سُخُورَهُ وَتُرَابَهُ

يحذف « يا » المكررة ، ووصل همزة الأعلى لا قطعها ، لضرورة الوزن . وكتابة « الأعلى » جميعها في الشطر الأول من البيت . وهو من بحر الخفيف .

٥٣ - ص ١٦٨ البيت ٦ ورد في تفسير « المحاجم » أنها أدوات الخلاقة . ومثله ما ورد في ص ١٤٣ « وقد كان حجاجاً ، أى حلاقاً » .

والصواب أن « المحاجم » أدوات الحجامة . وهى القوارير التى يجمع فيها الدم بعد أن يمتصه الحجاج بشفه أو نحوه . وفى حديث الصوم : « أفطر الحاجم والمحجوم » أى تعرضاً للإفطار . أما المحجوم فللضعف الذى يلحقه من خروج دمه فربما أعجزه عن الصوم . وأما الحاجم فإنه لا يأمن أن يصل إلى حلقه شئ من الدم فيبتلعه . ومنه المثل : « أفرغ من حجّام سابط » قالوا : كان يعبر الأسبوع والأسبوعان فلا يدنو منه أحد ، فعندها يخرج أمه فيحجمها ليرى الناس أنه غير فارغ . وما زال ذلك دأبه حتى أنزف دمها هائت فيجأة

و المحاجم أيضاً : المشارط التى يجرح بها المحجوم ليمتص دمه .

و الحلاق غير الحجام . فالأول لتحليق الشعر : والآخر لاستنزاف الدم . « إضافة عمل الحلاق إلى الحجام لا يصح معه أن يقال لما يستعمله الحلاق من

أدواته « محاجم » . بل هى مسميات خاصة لها أسماءها . فلا يقال للمقص
محجم . كما لا يصح أن يقال للمشط محجم . لكن الحلاق إذا زاول الحجامه
مع عمله صح أن يقال له حجام . وإن قصر عمله على الحلق لم يصح أن يدعى
حجاماً . وكذلك الحجام إن لم يزاول الحلق لم يصح تسميته حلاقاً . فالتعميم
فى تفسير الحجام بالحلاق لا سند له فى اللغة ولا فى الاستعمال .

٥٤ - ص ١٦٨ البيت ٨ :

حالدٌ لا سقى الإله صدهُ

فبنوهُ اللثامُ شائوا الكِتَابَه

ورد فى تفسير الصدى أنه العطش . وهو تفسير صحيح ولكنه ليس مراداً .
فالصدى هنا طائر تزعم العرب أنه يخرج من رأس الميت فيصيح على قبره :
اسقونى اسقونى ! ! وهو الهامة أيضاً . ومنه قول ذى الإصبع :

بنا عمرو إلا تدعُ شتى ومنقصتى

أضربك حيث تقول الهامة اسقونى

والذى يعين هذا المعنى الجاهلى قصة الأبيات التى ورد فيها . وذلك أن
هؤلاء المهجوين . وهم بنو ثوابه وكان جدّهم حجاماً . وبنو عبد الأعلى
وكانوا من نسل صائد سمك - تنازعوا على ميراث تلّ من التلال وتلاحوا فى
ذلك . فصور البحترى تنازعهم والحكم بينهم فى هذا النزاع بهذه الصورة
الساخرة :

قصةُ التلّ فاسمعوه عجايبه

إنّ فى مثلها تطول الخطابه

ادعى التلّ فرقتان تلاحوا

آل عبد الأعلى وآل ثوابه

حَكَمَ الحاكمُ الجُنَيْدِيُّ فيهم

بصوابٍ . فلا عدِمنا صوابه

احفروا التل يا بنى عبد الاعلى

وأثيروا تضوره وترا به

إنَّ وجدتم فيه شيباك أبيكم

كنتمُ دونَ غيـركم أربابه

أو وجدتم محاجما إن حفرتم

زال شكُّ العصاة المرتابه

فبدتْ جُونة من الخوصِ فيها

آلة الشيخ وهو جدُّ امانه

خالد لا سقى الإله صـداه

فبنوه اللثامُ شانوا الكتانه

٥٥ ص ١٧٠ البيت ٦ : جَدَمَها . وصبطها بالفتح صحيح . ولكن

الأوفق أن تصبط بالكسر وهو الضبط المشهور . أو أن يجمع بين الضبط

٥٦ - ص ١٧١ البيت ٧ . ما كان إلا مكافاة وتكرمة . ، صبطلت

راء « تكرمة ، بالضم . وصوابها : « تكرمه » بكسر الراء كما هو في المعاجم ،

وكما هو قياس المصادر في نحو التجربة وانتدكره ، وقد كثر تنبيه العلماء على

خطأ التجربة والتجارب بضم الراء . وقال ابن خالويه في ليس من كلام العرب

ص ٥٢ : « ليس في كلام العرب مصدر على وزن تفعلة - يعنى نضم العين

إلا حرفاً واحداً . قال الله تعالى : ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ . »

٥٧ - ص ١٧٢ البيت ٢٤ فى قصيدة مديح :

فلا تهمّ بتقصير ولا طبع

ولو هممت نَهَاكَ الدِّينُ والحسبُ

وصط « تهم » بهذا الضبط معناه النهى لذلك الممدوح . وهو لا يتناسب مع مقام المدح . والوجه « فلا تهم » بالرفع ، بصيغة الإخبار لا بصيغة الإنشاء . أى فأنت لا تهم بذلك ولا يجوز تحذرك .

٥٨ - ص ١٧٦ البيت الأول « وعقلك المستهترِ الزاهب » وضبط « المستهتر » بكسر التاء خطأ شائع . والصواب فتح التاء . من قولهم : استهتر فلان بالتي . إذا ذهب عقله فيه وانصرفت همه إليه حتى أكثر القول فيه بالباطل . انظر اللسان (هتر) .

٥٩ - ص ١٨١ البيت ٢٩ :

ويُحجَب فيكم عَدُوهُ وهو بارزٌ

تُناجُونَهُ بالعيى من غير حاجِبٍ

وكلمة « بالعيى » لا وجه لها فى هذا الحال . ويتعين أن تكون « بالعين » لتتم الصناعة فى البيت فى انضمام الحاحب إليها على ما فى « الحاحب » من التورية . فإن المراد به واحد الحجاب الذين يحجبون الولاة والأمراء . أى تناجون ذلك الممدوح بأعينكم لا يحجبكم حاجب . يذكر سهولة الإذن على ذلك الممدوح . وأنه ليس ممن يحتجب .

٦٠ - ص ١٨٣ البيت ٥٠ :

يُحرقُ تحريقَ الصواعق أُنْهِبَتْ

برعدٍ وَيَنْقُضُ انْقِضَاضَ الكواكبِ

فسرت « ألهمت » بمعنى تابعت . والتتابع إنما يكون معنى لألهم بالناس .
للفاعل . يقال ألهم الفرس : اجتهد في عدوه وتابع جريه . ويقال أيضاً
ألهم البرق : تتابع . وإلهابه : تداركه بحيث لا يكون بين البرقتين
فُرجة . وإلهابه في قول البحري من ألهمه المتعدى . أى استحثه وراد من
اشتعاله وضرامه . يشير إلى أن الرعد يثير الصواعق ويضاعف من وقعها

٦١ - ص ١٨٧ البيت ٢٧ « متقسم الأحشاء » . صوابه « متقسم
الأحشاء » كناية عن اضطرابه . وهو كقولهم : متقسم القلب . وكأن انحدرى
أراد أنه فلم يمكنه الشعر . ويقال أيضاً : أصبح فلان متقسماً : أى مشترك
الخواطر بالهموم . وقد تقسمته الهموم . انظر أساس البلاغة (قسم) .

٦٢ - ص ١٨٧ البيت ٢٩ :

ثكلتك كفرة أتت بك فجرة

إلا اجتنب العارص الخبوة

وصوابه « أتت بك فجرة » أى عن سبيل الفجور . ينعت أم هذا الرجل
بالفجور . كما أن « إلا » صوابها « ألا » بالفتح . أى هلا . وهى التحضيض
مثلها . و « ألا » ، هذه تخفى على كثير من الأدباء مع كثرة استعمالها في
النصوص القديمة بمعنى التحضيض . أما « إلا » الاستثنائية الواقعة في نحو هذا
الأسلوب فإنما ترد بعد أفعال القسم الطلبي والاستعطافى . نحو أقسمت « لمك
إلا ما فعلت كذا » ونشدتك الله . وعمرتك الله . ومنه قول الأحوص :

عمرتك الله إلا ما ذكرت لنا

هل كنت حارثنا أباً ذى سلم

فالعمل قبلها في صورة الموجب وهو منى في المعنى . والمعنى : ما أسألك
إلا كذا . فهو من قبيل الاستثناء المفرغ . انظر الخزانة ١ : ٢٣ بولاق

وفيهما أيضاً أن الفارسي كان يضبط «إلا» في بيت الأصوص بالفتح ، يجعلها للتحضيض . فهذا هذا .

٦٣ - ص ١٩٢ البيت ٢٣ :

فإذا يَغْرُ الحائنين وقد رأوا
ضرائب ذاك المشرقيّ المُجْرَبِ

مسر « الحائن » بأنه الأحمق . ولا بأس به . والأوفق أن يفسر بالهالك ؛
فهؤلاء الأعداء هلكى لا جرم . ما دام سيف الممدوح مُصلّتا فوق رقابهم .
وفي أمثالهم : « أئتلك بحائنٍ رجلاه » . والحسين : الهلاك . وأنشد :

وما كان إلاّ الحين يوم لقاءها
وقطعُ جديدِ حبلها من حبالكا

وكانَ البحترى ينظر بعين إلى قول الحارث بن حنظلة :

وفعلنا بهم كما علم الله

—هـ— وما إنّ للحائنين دماء

قال ابن الأنبارى : « معناه من عصى فقد حان أجله ، وذلك أنه يحى
يُغير فيخاطر بنفسه . وإذا قُتل فليس له من يطلب بدمه » .

وفسرت « الضرائب » بأنها جمع الضريبة ، وهى حد السيف ، وليس
هدا مراداً أيضاً . فإنه يحذرهم ما حاق بأمثالهم ممن تناوله سيفه بالضرب .
فالضريبة : المضروب بالسيف . ومنه قول جرير في ديوانه ٢٩١ :

فإذا هزرتَ قطعتَ كلَّ ضريبةٍ
ومضيتَ لا طَبِيعاً ولا مَبْهُوراً

وقبله ما قال طرفة :

أخي ثقةٍ لا ينثنى عن ضريبةٍ
إذا قيل مهلاً قال حازمه قد

وجاء في ديوان البحترى نفسه ص ٢٠١ :

وكنت منى تجمع يمينيك تهتك الـ
ضريبةً أو لاتُبَق للسيف مضرب

وفى ص ٢٢٣ :

ولم يلفَ عضوٌ منه إلا ضريبةً
لأبيضٍ مأثورٍ تُهاب مضارب

هذا بعض ما عنَّ لى من تصحيح لما وقع من سهو فى المائة الثانية من صفحات الديوان ، وجل من لا يسهو . وقد اقتضت دقة أسلوب البحترى أن أبسط القول فى ذلك بسطاً ، ليشترك معى القارى فى تضوىء الصواب وتعزيزه .

وفيما يلى تصحيح لبعض أخطاء الطبع :

ص ١٠١ البيت ٢٧ « الثَّرَّار » ، صوابها « الثَّرَّار » .

ص ١٠٥ الحاشية (١٥) « خفيف الهمزة » ، هى « خفف الهمزة »

ص ١١١ البيت ٣٢ « تَأْتَيْتَهُ » ، هى « تَأْتَيْتَهُ » .

ص ١١٢ البيت الأول « سَكَنْتُ » : هى « سَكَنْتُ » .

ص ١١٢ الحاشية (١) « الثريا » ، هى « الثريا » .

ص ١١٤ البيت ١٩ « حَقُّ » ، هى « حَقُّ » .

ص ١١٨ البيت ٦ « والكُتُب » . هـ « والكُتُب » بالثاء .

ص ١٢٧ فى مقدمة القصيدة « أحد أبنيها » هـ « أحد أبياتها » .

ص ١٣٦ البيت ١٦ « وأرس العين » . هـ « ورأس العين » .

ص ١٣٨ الحاشية (٣٥) « موهبا » . هـ « مواهبا » .

ص ١٥٢ البيت ٢٦ « الوداع » . هـ « الوداع » .

ص ١٥٥ البيت ١٤ « أنظر » . هـ « انظر » .

ص ١٥٧ البيت ٥ « جَمُّ » . هـ « جَمُّ » .

ص ١٦٠ الحاشية (٢٥) « بن أود » ، هـ « بن أدد » .

ص ١٧١ البيت ٢٣ « منكِر بدع » . هـ « منكِر بدع » .

٣ — (*)

٦٤ . ٢٠١ البيت ٣٩ :

و كنت منى تجمع يمينك تنهيك

ضريبة . أو لا تُبقِ للسيِّف مضرباً

فسرت « الضريبة » بأنها موقع الضرب من الجسد . والوجه أن الضريبة كل ما يضرب بالسيِّف كما سبق فى التنبيه رقم ٦٣ . ثم فسر الشارح اليمينين بقوله : « يمينيك : يدك وسيفك . ولعله يريد جعل يديه يميناً » .

وصدر هذا التفسير لا قائل به ، وعجزه صواب ولكنه منقوص فى عبارته . صوابه ، جعل كلتا يديه يميناً . أى إن يمينه كيساره فى القوة

والفتك . وهذا التفسير الأخير متعين ، وليس تفسيراً احتمالياً ، وله إشارة تاريخية دقيقة إلى « ذى اليمينين » طاهر بن الحسين ، وإلى المأمون على خراسان ، قالوا : سمى بذلك لأنه ضرب شخصاً فى وقعته مع على بن ماهان قائد الأمين فقدّه نصفين ، وكانت الضربة بيساره ، فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتآ يديك يمين حين تضربه .

وقد أشار إلى ذلك الأستاذ المحقق فى حواشى ص ٢٠٨ . وانظر له تريح الطبرى ١٠ : ١٤١ . ١٥٥ .

وفى طاهر هذا يقول عمرو بن بانه :

يا ذا اليمينين وعين واحد

تقصان عين ويمين زائد

٦٥ - ص ٢٠٢ البيت الأول :

تُخَطِّى اللىالى مَعْشَرًا لَا تُعَلِّمُهُم

بشكوى ويعتل الأمير وكاتبه

وضبط الكلمة الأولى لا يستقيم . فليس ثى العربية خطاه بخطيه بمعنى تجاوزه وإن كان مألوفاً فى عاميتنا المعاصرة . وإنما يقال تخطاه ، واختطاه فوجه ضبطه « تَخَطَّيْ » أى تتخطى . بخذف إحدى التاءين . وصواب الكلمة الأخيرة « وكاتبه » بضم الباء .

٦٦ - ص ٢١٠ البيت ٢٧ :

فحائن الزنج مُجْمَعٌ هربا

إن كان ينجو بحائن هربه

فسر الحائن بأنه الأحمق ، والصواب أنه الهالك . وانظر التنبيه رقم (٦٣) .

٦٧ - ص ٢١٠ البيت ٢٨ :

لا يأمن البرّ مُفْضِيًا كَنْفٌ

منه . ولا البحر طامياً حَدْبُهُ

فسر الكَنْف بأنه الظل . وإنما الكنف الناحية والجانب . وأكناف
الجبال والوديان : نواحيها . أراد البحرى : لا يأمن الهاربُ البرّ على اتساع
نواحيه وجوانبه . وتفسير الكنف بمعنى الظل لا يكون إلا فى الحجاز ، تقول .
هو فى كنف الله وفى كنف فلان ، أى فى ظلّ رعايته وحفظه . فليس الظل
ظلاً مادياً كما يقولون . وإنما هو ظلّ معنوى . وفى اللسان : « وفلان يعيش
فى كَنْف فلان » . أى فى ظله » . وفى أساس البلاغة . فى الحجاز : « وتقول
فى حفظ الله وكنفه » .

٦٨ - ص ٢١٣ البيت ٣ :

أفى كلّ يوم كاشحٌ متكَلِّفٌ

يُصْبُ عَلَيْنَا أَوْ رَقِيبٌ نُرَاقِبُهُ

وضبط « يَصْبُ » ضبط واهن . والوجه « يُصَبِّ » إشارة إلى أنه
مصيبة يرمى بها . وفى التنزيل العزيز : « فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ » .
ومنه قول القائل :

صبينا عليها ظالمين سياطن

فطارن بها أيدي سراعٍ وأرجل

وفى أساس البلاغة : صَبَّ الذئب على الغنم . قال أبو النجم يعنى الصقر
مرّ القضا صَبَّ عليه أجدره .

٦٩ - ص ٢١٥ البيت ٢ :

إذا نَكَرَ الفراشَ يَشُو حديثه

تَضَاعَلْ مُطَرِّيه وَأَطْنَبَ عائبه

فسر الفراش بأنه الذى ييسط الأمر ويكشفه . وهذا إبعاد فى التفسير .
ولعل سببه عدم نص المعاجم المتداولة على هذه الكلمة بمعنى الخادم الذى
يتعهد فراش البيت وأثاثه . وهذا معروف فى لغة الحضارة العربية قديماً .
وجاء فى رسالة ذم القواد للجاحظ - وهى مما أقوم بنشره الآن - : « سألتُ
أطال الله بقاءك محمد بن داود الطوسى عن مثل ذلك ، وكان فراشاً .
فقال : لقيناكم فى مثل صحن بساط . فما كان إلا بقدر ما يفرش الرجل بيتاً
حتى تركناهم فى أضيق من منصّة . فقلناهم ، فلو سقطت مخدّة ما وقعت
إلا على رأس رجل » .

ويريد البحرى التشيع فى هجو المستعين . فيذكر أن مساويه متعارفة
مشهورة بين من يلود بخدمة . وهم أدرى الناس بمبازله ومجونه .

وما لنا نذهب بعيداً والبحرى نفسه يقول الكلمة بهذا المعنى فى هجاء
مماثل لهذا . وهو هجاء كتب ابن حميد فى ص ٢٨٨ من الديوان :

إذا غُلِقة الفراش شكّت عجنه

بكينا لذلّ الدّين والكُفر راكبه

٧٠ - ص ٢١٦ البيت ٢٥ .

وقد سرّنى أن قيل وَجْهٌ مُسرِعاً

إلى الشّوق نُحدّى سَفْنَه وركابه

ويبدو لأول وهلة أن هذا الضبط نكلمة . وجه « ضبط صحيح . ولكن
ليس كل صحيح صالحاً . فإن ملاسبات هذا البيت ونأليه ، وهو قوله :

إلى كَسَكِرَ خلفَ الدجاج ولم تكن

لتنشب إلاً فى الدجاجِ مخالِبُهُ .

بدل على أنه هو الذى اختار لنفسه هذا الاتجاه ، وأنه لم يوجِّهه أحد ، وإنما أثر فى قراره ذلك السريع أن يلجأ إلى مواطن الدجاج ليقضى نَهَمَتَه فى المآكل التى صورها البحرى فى قوله فى هذه القصيدة :

ثَقِيل على جَنَبِ الثريد ، مراقبٌ

لشخص الخِوانِ يبتدى فيوائِبُهُ

والوجه فى هذا الضبط « وَجَّهَ » بالبناء للفاعل . وفى اللسان : وتقول « وَجَّهُوا إِلَيْكَ وَتَوَجَّهُوا » . وجاء فى أمثالهم : « أينما أوجَّهْ ألقى سَعْدًا » ، معناه أين أتوجَّه . وجاء فى سيرة ابن هشام ٧١٩ جوتنجن : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وَجَّهَ راجعاً : آيُونَ تائبُونَ » . ونظير هذا الفعل قولهم : قَدَّمَ بمعنى تقدَّم ، وبَيَّنَّ بمعنى تبين .

٧١ - ص ٢٢٠ البيت ١٤ :

فلا أرض إلاً ما أفاءت رماحُ

ولا غنم إلاً ما أفاءت مقابِ

وفى الشرح : « أفاءت : أظلمت » .

وهذا التفسير لا وجود له ، والمعروف فى معنى الظلُّ فاء ، وفيّاً وتفيّاً ولم يرد « أفاء » فى معنى الظلِّ ، والصواب أن « أفاءت » هنا بمعنى أتت به غنيمةً ، كأنَّ أموالَ الأعداء وأرضيهم كنت فى الأصل ملكاً له ثم رجعت إليه ، ردتها رماحُه إليه . وعبرة القصر هنا تفيد اتساع رقعة الأرض التى يملكها الممدوح حتى كأنها الدنيا بأسرها ، فلا أرض إلا وهو مستول عليها وفى الكتاب العزيز : « ما أفاء الله على رَسُوْلِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى » ، وفيه أيضاً : « وما أفاء الله على رَسُوْلِهِ مِنْهُمْ » .

٧٢ - ص ٢٣٠ البيت ٢ :

وفى الربيع إذا استمتعت منه غنى
عن حاكّةٍ فى طراز السّوس والطّيبِ

جاء فى تفسيره : « الحاكّة : النسيج » . وإخال المراد « عمّال النسيج » .
فإن كان هذا هو المراد كان خطأ أيضاً ؛ لأن النسيج لا يكون مصدر النسيج ،
ولأن مصدرها النّسج ، أما النسيج فهو الثوب المنسوج . فالصواب أن
الحاكّة هنا جمع الحائك . كالباعة جمع البائع . والحائك : النساج ، ويقال
فى جمعه أيضاً « حَوَاكَة » بترك الإعلال ، كما فى اللسان .

٧٣ - ص ٢٣١ البيت الأول والثانى :

مُعَاد من الأيام تعذينا بها
وإبعادها بالإلف بعد اقترابها
وما تُملأُ الآماقُ من فيضِ عبرة
وليس الهوى البادى لفيض انسكابها

فهو يشكو الأيامَ وما تفعله ، فوجه الضبط فى البيت الثانى : « وما تَمَلَأُ
الآماقَ » . أى وملؤها الآماق بالعبرات .

٧٤ - ص ٢٣٢ البيت ١٣ :

سيرديك أو يُتَوِيك أنّك مُخْلِسٌ
إلى شُقّةٍ يُبْلِكُ بَعْدُ مَا بَهِتَا

وموضع الكلام هنا كلمة « مُخْلِس » إذ فسرت بأنها من « أخلص
الرأس ، أى ابيضّ شعره . ولعله يشير إلى أن بياض الشعر سبيل إلى السفر
البعيد . وهو الموت . أو لعله اشتقه من الخالسة ، وهى التعجيل » .

فكأننا لو قلنا فى تفسير بيت البحرى : سيهلكك أنك أشيب إلى شقة ،
صح هذا الأسلوب وهذا المعنى ! لكن هذا لا يستقيم ، لأننا لا نجد على هذا
المعنى متعلقاً للجار والمجرور ، وهو « إلى شقة » . كما أن المخالصة بمعنى التعجيل
أو الإخلاص بمعنى التعجيل ، لا وجود له فى اللغة .

ووجه الرواية « مُحْلِسٌ » بالحاء المهملة . وقد تكفل الآمدى بتفسيره
فى قوله الذى نقله الأستاذ المحقق ، ونصّه : « والمعنى أنك متهيئ للرحيل ،
ومتخذ حلساً يوضع تحت الرحل » .

كما أن الأستاذ المحقق قد أطال القول فى البيت التالى لهذا ، وهو :

وهل أنت فى مَرْمُوسَةٍ طال أخذُها

من الأرضِ إِلَّا حُفْنَةٌ من ترابها

وأشار إلى مقابر ملوك المصريين ، وإلى ابن طولون . وليست المرموسة
إلا المقبرة مطلقاً . لأنها تُرْمَسُ أى تُغَطَّى بالتراب .

٧٥ - ص ٢٣٣ البيت ٩ :

وعى مجدّها عن أن يتّضيع سِوامُها

وحفظٌ على الماضين مثل اكتسابها

وردت كلمة « سوامه » مكسورة السين ، والصواب فتحها . وصواب
ضبط سائر البيت « وحفظ عُلَى الماضين مثلُ اكتسابها » بإضافة حفظ إلى
« عُلَى » . وهى من إضافة المصدر إلى مفعوله كما يقولون . والعُلَى : جمع
العُلَى ، أى الصفة العُلَى .

٧٦ - ص ٢٣٩ البيت ٢ وهو فى هجاء :

بُغَاءٌ يعود على نفســــه

وشؤمٌ يَعُودُ على صاحبه

وصواب ضبطه « بَغَاء » بكسر الباء . وفى التثنية العزيز :
« ولا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ » . أما البغاء بالضم . فهو مصدر بغى
الرجل ضالَّته ، أى طلبها . وأنشد الجوهري :

لا يَمْنَعَنَّكَ مِنْ بَغَا

ءِ الْخَيْرِ تَعَقَادُ التَّمَائِمِ

ومن الواضح أن هذا المعنى ليس مراداً .

٧٧ - ص ٢٤٠ البيت ٣ :

لا تَنْفُذُ الْقُوْتَ إِلَى غَيْرِهِ

كَأَنَّمَا نَضْمَرُ لِحَلْبِهِ

صوابه « لا يَنْفُذُ الْقُوْتُ » بدليل الرواية الأخرى : « لا يَصِلُ الْقُوْتُ » .
وقبل البيت ، وهو فى هجاء أبى خالد :

ونحن أضياف أبى خالد

نَهْمُ بَيْنَ الْقَصْرِ وَالرَّحْبِ

يقول : لا يتعداه القوت إلى غيره ، يخصُّ نفسه بالطعام ويمنعه
ضيوفه ، بخلاً منه عليهم .

٧٨ - ص ٢٤١ البيت ٧ :

رَأَيْكَ فِى قَارِبٍ يُرِيدُكَ أَنْ

تَنْصُرَ أَحْشَاءَهُ عَلَى قَرَبِهِ

جاء فى تفسيره : « القارب : الطالب الماء ليلاً » : وهذا لا غبار عليه .
ثم جاء بعده : « القرب بالفتح : البئر القريبة الماء . وكذلك سير الليل يورد
الغد » . وصدر هذا التفسير لا داعى له ولا دخل له فى توضيح المعنى ، كما
أن صواب « بالفتح » هو « بالتحريك » و « يورد » هو « لورد » .

٧٩ - ص ٢٤٣ البيت ٢٤ :

يُنْزِلُ أَهْلَ الْآدَابِ مِزْلَةَ السَّ——

أَكْفَاءِ إِنْ شَارَكُوهُ فِي أُدْبِهِ

صوابه: « أن شاركوه » أى لمشاركتهم إياه فى أدبه . وليس المراد هنا الشرط ، بل التعليل وبيان السبب .

٨٠ - ص ١٤٥ السطر الأول . وردت كلمة « نوبُخت » بضم باء « بخت » وكذا تكرر هذا السَّهْوُ فى ص ٢٤٩ و ٢٥٢ . وصوابه « بخت » بفتح الباء . كما هو فى لفظه الفارسى ، وكما أدخلته العرب فى كلامها بلفظه وبمعناه فى جميع استعمالاته . وهو الخط . وانظر وفيات الأعيان ١ : ٣٥٨ فى ترجمة (على بن أحمد بن نوبخت) حيث نصَّ على ضبطه .

٨١ - ص ٢٤٦ البيت ٦ :

أَوْ تُدْنِيْنَهُمْ نَوَازِعُ فِي الْبُرَى

عُجِّلْ كَوَارِدَ الْقَطَا الْمَسْرُوبِ

جاء فى تفسيره : « البرى : جمع البرة : كل حلقةٍ من سوار وقراط — صوابه قرط — وخلخال . والبرة بالفتح : التراب » .

وهذا التفسير لا يستقيم ، فليس لتلك الإبل أسورة ولا قِرَطة ولا خلخال ، فهذا إنما يكون تفسيراً للبرة إذا كانت فى نعت المرأة ، أما برة الإبل فهى حلقة من فضة أو نحاس تجعل فى أنف البعير ، ويُجعل فى تلك الحلقة زمام البعير . وبذلك يتحكم راكمه فى ضبط قياده ، لشدة إحساس البعير بجذب أنفه بالزمام . يقال من ذلك ناقة مُبْرَاة ، أى جُعِلَ فى أنفها البُرّة . وفى حديث سلمة بن سحيم : « إن صاحباً لنا ركب ناقة ليست بمُبراة فسقط » ، يعنى ليس فى أنفها برة . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « غَرَّرَ

بنفسه » ، أى خاطر بها . إذ لم يجعل لناقته برة تضبط سيرها . فالبحترى يقول : إنها إبل تامّة الأداة .

كما أن « البرة » الواردة فى ختام التفسير صوابها « البَرى » بالتحريك . وهى التى تفسّر بالتراب ، ومنه فى الدعاء على الرجل : بفيه البَرى ! !

ثم جاء فى التفسير : « النوازع : النجائب التى تجلب إلى غير بلادها » . وهذا إنما يصح تفسيراً للنزاع لا للنوازع . فإن النوازع من الإبل هى التى تنزع إلى وطنها فى شوق وحنين . وليس هذا المعنى ولا ما قبله مراداً بصرف النظر عن صحة مطابقة تلك المعانى لتلك الألفاظ . بل المراد بالنوازع هنا التى تنزع أى تسرع فى سيرها . يقال : نزعت الخيلُ : جرت طَلَقاً . وأنشدوا فى هذا قول النابغة :

والخيل تنزع قُبّاً فى أعنتها

كالطير تنجو من الشؤبوب ذى البردِ

ويروى « تَمَزَع » أى تمرّ مرّاً سريعاً . على أنه يحتمل أن يكون معناه فى بيت البحترى أنها من سرعتها كأنها تنزع براها من كثرة جذبها .

وفى الشرح أيضاً : « عَجُلٌ : جمع عجلاء » ولا يصح هذا . فإن « عَجَلَاء » لا تقولها العرب . وإنما تقول « عَجَلَى » ، وهى لا تجمع على عجل أيضاً . وإنما العُجُلُ هنا : جمع عَجُول ، وهى من الإبل التى تَعَجَلُ فى جيئتها وذهابها جزعاً . كما فى اللسان والقاموس .

٨٢ - ص ٢٤٨ البيت ٢٥ :

نُشِرَتْ عطاياه فصيرن قبائلاً

لقبائل - من زَوَرِه - وشعوب

وقد جعل الأستاذ الشارح كلمة « زَوْرَه » بين خطين ، كأنها اعتراض لبيان السبب ، وقال فى تفسيرها : « الزور : الزيارة » . والصواب أن « زوره » ليس اعتراضاً . وإنما هو متصل بما قبله تمام الاتصال على سبيل الوصف له ، أى لقباثل من زواره . فإن الزور هنا ليس مصدرأ بمعنى الزيارة كما ورد فى تفسير الشارح ، وإنما هو مصدر سى به الزُّوَار ، والزور بمعنى الزائر يقال للواحد والجمع ، والمذكر والمؤنث ، بلفظ واحد . قال الطرمّاح :

حُبَّ بِالزَّوْرِ الذى لا يرى

منه إلاّ صفحةً أو لم

وقال الآخر فى نسوة زور :

ومشيهنّ بالكثيبِ مَورُ

كما تهادى الفتَيَاتُ الزَّوْرُ

٨٣ - ٢٥١ البيت ١٠ فسر « المثيب » بأنه « المجزى على العمل » ولا يقال أجزاء على عمله ، وإنما يقال جزاء جزاء ، وجزاه مجازاة . قال تعالى : « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ » . وقال : « وهل نُجَازِي إلا الكَفُورَ » . وأما الإجزاء فإنما يكون فى قيام شىء مقام آخر وإغنائه عنه . يقال : أجزى كذا عن كذا ، وأجزى عنه مُجْزَى فلان ومُجْزَاتِه .

٨٤ - ص ٢٥٤ البيت ١٢ :

وإن فصدت ابتغاءَ البُرءِ مِن سَقَمٍ

فَقَدْ أَرَقْتَ دماً يَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ

وقبله :

إلاّ تكن ملكاً تُثْنَى تحيَّته

فإنك ابنُ ملوكٍ سادةٍ نُجِبِ

قال الشارح : « الكلب : الأذى والشر » . ولم أجد هذا التفسير . وإذا وجد ولو على سبيل المجاز فإنه ليس مراداً . وإنما الكلب هنا هو داء الكلب الذى يعترى الكلب ويعترى من بعضه من الناس . وفيه إشارة إلى ما يزعم قدامى العرب من أن دماء الملوك تشفى من داء الكلب . وقد وردت فى ذلك نصوص كثيرة ، سرد بعضها الجاحظ فى صدر الجزء الثانى من الحيوان ، منها قول أبى البرج :

بُناة مكارم وأساءة كَلَم
دماؤهم من الكَلَبِ الشفاء

وقول ابن قيس الرقيات :

عادنى النكس فاشتفيت كما
تَشْفَى دماء الملوكة من كَلَبِ

وقول الكميت :

أحلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكم يُشْفَى بها الكَلَبُ

٥٨ — ص ٢٥٥ البيت ٦ فى صفة الموتى :

هُجُودٌ لَمْ يَسَلْ بِهِمْ حَقٌّ
وَلَمْ تُقَلِّبْ لَصَجَّتْهُمْ جُنُوبٌ

ورد فى الشرح : « ولعله أراد لم يتقرب ، من وسل يسل » . وهذا من وجهة الصحة اللغوية لا بأس به إن قرئت « يَسِلْ » . فقد جاء فى المعجم الوسيط : « وسل فلان إلى الله يسيل وسلا : رغب وتقرب » . ولكن هذا المعنى ليس مراداً ، بل المراد السؤال ، كما فى التفسير الآخر للشارح حين لم يجزم بأحد المعنيين مع وجوب الجزم بمعنى السؤال . ويرشحه لذلك نظرة

البحترى قارئ القرآن إلى قوله تعالى : « يسألونك كأنك حفي عنها .
والحفي : المعنى بالشئ المستقصى في السؤال عنه . كما في اللسان وغيره في
تأويل الآية الكريمة . وقال الجوهرى : الحفي : العالم الذى يتعلم الشئ
باستقصاء . وورود الباء موضع « عن » بعد سأل مألوف معهود . وفي
الكتاب العزيز : « فاسأل به خبيراً » . سأل سائل بعذاب واقع أى عنه .
وفي اللسان أيضاً : « يقال خرجنا نسأل عن فلان . وبفلان » .

٨٦ - ٢٥٦ البيت ١٤ :

وأصفحُ للبللى عن ضوء وجه
غنيتُ يروغنى منه الشُّحوبُ
ورد البيت مجرداً من التفسير . مع ما له من قدر . فإنه جعل أصلاً
أخذ منه المتنبي قوله :

ومُغضٍ كان لا يُغضى لخطبٍ
وبالٍ كان يُفكير في الهزالِ

وذلك في صفة الموتى . يقول البحترى في رثاء ذلك الغلام : كيف يتفق
أن أسمح للبللى أن يمتد إلى وجه ذلك الغلام في مماته ، مع أنى بقيت زماناً أرتاع
أن أرى بادرةً من بادرات الشُّحوب تمتد إليه في حياته . يعجب لذلك
التناقض ، كما أن المتنبي يعجب لحال الميت البالى كيف رضى بالبلى مع أنه
كان يرتاع من الهزال الذى هو أخفُّ وقعاً من الموت .

فلفظ « غنيتُ » معناه عشت دهرًا وأقمت . ومنه قوله تعالى : « كَذَانٌ لَمْ
يَغْنَوْا فِيهَا ، أى لم يقيموا فيها .

وجاء في شرح العكبرى للمتنبى : « غدوت يروغنى » ، وهى رواية
فاسدة على ما بها من بريقٍ لامع . فإنها بذلك لا تكون مأخذاً للمتنبى أخذ منه
معناه . كما لا تتساق مع البيت قبله ، وهو :

أُنْسَى مَنْ يَدَكَّرْنِيهِ أَنْ لَا
 نَدِيدَ يَنْوِبُ عَنْهُ وَلَا ضَرِيبُ
 وَأَتْرَكَ لِلثَّرَى مَنْ كُنْتُ أَخْشَى
 عَلَيْهِ الْعَيْنَ تُؤْمَى أَوْ تَرِيبُ
 فَإِنَّهُ يَصُورُ شَعُورَهُ بَعْدَ مَوْتِ الْمَرْتَى . وَمَا كَانَ مِنْ شَعُورِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ :

— ٤ — (*)

٨٧ - ص ٢٥٧ البيت ١٧ :

مُلِطٌ بِالطَّرِيقِ وَلَيْسَ يُصْغَى
 لِأَنْجِيَةِ الطَّرِيقِ وَلَا يَجِيبُ

جاء في تفسيره : « ملط : من أَلَطَ قبره . أى لَزَقَهُ بالأَرْضِ » .

وهذا التفسير من القاموس ، وصواب نصه « أَلَزَقَهُ » . وإذا صح هذا
 المعنى مراداً للبحرَى يجب أن يضبط « ملطاً » بفتح اللام لا بكسرها . على
 أننى أخشى أن يكون فى بعض نسخ الديوان « مُلِطٌ » من الإلطاظ ، وهو
 اللزوم والإقامة . يقال : أَلِطَ بِالْمَكَانِ وَالظَّاءِ عَلَيْهِ : أَقَامَ . وكثيراً ما توصف
 القبور وسكانها بالإقامة ، لأنها لا تفارق مكانها . ومن ذلك قول مُتَسَمِّ بْنِ
 غَويرة :

فَقَالَ أَتُبْكِي كُلَّ قَبْرِ رَأَيْتَهُ
 لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ الثَّلَوَى وَالْدَكَاذِكِ

وقول بعض بني أسد في الحماسة ٨٦٥ بشرح المرزوقي :

بكى على قتل العِـدانِ فإنَّهم
طالت إقامتهم بـيـطن بـرامِ

وقول النابغة في الحماسة بشرح المرزوقي ٩٠ :

بعد ابن عاتكة الثاوي على أبوي
أَمْسى بـيـلدةٍ لا عَمٌّ ولا خالِ

وقول قراد بن غويّة في الحماسة ١٠٠٥ :

ودلّيت في زوراء يُسْفَى تُرابُها
على . طويلاً في ثراها إقامتي

٨٨ - ص ٢٦٠ البيت ٤ :

نَشَدْتُكَما اللهُ أَنْ تَدْفَعَا

ذِمَامِي . وَأَنْ تَنْسِيَا وَاجِبِي

وفسره الشارح بقوله : « وَأَنْ تَنْسِيَا بِمَعْنَى أَلَّا . إِذْ يَجُوزُ حَذْفُ لَا » .

وهذا تفسير صحيح وواجب . ولكن كان من الأولى أن يوجه هذا التفسير إلى قوله « أَنْ تَدْفَعَا » . لأنها هي السابقة . ومعناها على حذف « لَا » أيضاً . أي أَنْ لَا تَدْفَعَا ذِمَامِي . ويكون في تفسيرها اكتفاء عن تفسير تاليتها . لأن المعطوف يتبع المعطوف عليه لا العكس . وذكر صاحب المغني ٢ : ١٧١ أن حذف « لَا النافية » يطرّد في جواب القسم إذا كان المنى مضارعاً . نحو « تَاللهُ تَفْتَتُوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ » . ويقلُّ مع الماضي .

وَنَشَدْتُكَ هُنَا بِمَعْنَى سَأَلْتُكَ بِاللّهِ وَاسْتَحْلَفْتُكَ بِهِ .

٨٩ - ص ٢٦١ البيت ٢ :

وأيامُ الشَّبَابِ معقَّباتُ

على إبداءِ آثامِ المشيبِ

وقبله :

أمرودُ لنا زمنُ الكُثيبِ

وغرَّةُ ذلك الرِّشَاءِ الرِّيبِ

وصوابه « معقَّباتُ » بالنصب على الحال وبكسر القاف المشددة لا فتحها : فليس « أيام الشباب معقبات » كلاماً مستأنفاً ، وإنما « أيام » معطوفة بالرفع على « زمنُ » ، و « معقبات » في موضع الحال من أيام لا مرفوعة على الخبر .

والمعقَّبات - بكسر القاف المشددة : التاليات . يقال : ذهب فلان وعقب فلان بعده . كما يقال عقب عليه : كرّ ورجع . وفي التنزيل العزيز : « ولّى مدبراً ولم يعقب » . وعقب تعقيباً ، إذا أغبر عليه فحرب - أى سلب ماله - فأغار على الذى كان أغار عليه فاستردّ ماله .

فهذا هذا . وأما « إبداء » فصوابها « أبداء » بفتح الهمزة ، وهو جمع بدء . وأبداء من لغة البحترى ، انظره يقول فى ديوانه ٢٧٩ :

مثل ابن بسطام الذى شُرُفَتْ

أبداؤه ثم تُمَّتْ عُقبُهُ

والأبداء : الأوائل كما رأيت ، يعنى جدوده . وآثام المشيب - منها بياض الرأس - والضعف . ووهن الجسد .

٩٠ - ص ٢٦١ البيت ٣ .

إِذَا ابْتَسَمَتْ تَأَلَّقَ عَارِضَاهَا

عَلَى ضَرْبٍ يُصَفَّقُ فِي ضَرْبٍ

وقال الشارح : « يصفق : يحول الشراب من إناء إلى غيره ليصفو » .
وهذا التفسير هو الذى اقتصر عليه صاحب القاموس . ولكن المراد بالتصفيق
هنا المزج ، كما فى اللسان . وبه فسر قول حسان المشهور :

يَسْقُونُ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ عَلَيْهِمْ

بَرَدَى يَصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسِلِ

ونحوه قول المرار فى المفضليات ص ٩٠ :

لَوْ تَطَعَّمَتْ بِهِ شَبَّهَتْهُ

عَسَلًا شَيْبَ بِهِ ثَلِجٌ خَصِرٌ

وليس يصح معنى التحويل فى مثل قول حسان ومثل قول البحترى .
فالمراد فى قول البحترى أن رُضابها كأنه العسل ممزوجاً بالضرب ، أى الثلج .
وفى قول حسان : يسقونهم ماءً بردى ممزوجاً بالرحيق السلسل . ولا تحويل
من إناء إلى إناء فيهما كما رأيت .

٩١ - ص ٢٦١ البيت ٤ :

مَتَى يُوشِكُ غُرُوبُ الشَّمْسِ يُرَدِّدُ

سَنَاهَا مِنْ سَنَا تِلْكَ الْغُرُوبِ

وقبله :

إِذَا ابْتَسَمَتْ تَأَلَّقَ عَارِضَاهَا

عَلَى ضَرْبٍ يُصَفَّقُ فِي ضَرْبٍ

فسرت « الغروب » الأخيرة بأنها الدموع . مع أنه لم يسبق لها ذكر ،
كما أن الجوّ كله جو ابتسام وفرح وبشر . ولم نجد من شعراء العرب من يجعل

الدموع مثلاً فى الإضاءة والإشراق . وإنما الغروب ها هنا غروب الأسنان ،
وهى ماؤها ولمعانها ، وهو المثل المعروف فى الإضاءة والإشراق . ومنه قول
سُويد بن أبى كاهل فى المفضليات ١٩١ :

حُرَّة تجلو شتيتاً واضحاً
كشعاع الشمس فى الغيم سطع

يعنى ثغرها تجلوه بالسواك . وقال آخر :

أحاذر فى الظلّماء أن يستشفّنى
عيون الغياريّ فى وميض المتصاحك

وقال غيره :

كأنّ ابتسامَ البرقِ بينى وبينها
إذا لاحَ فى بعض البيوتِ ابتسامُها

٩٢ - ص ٢٦٢ البيت ١١ :

إلى ابن أبى محمد استقلت
بنا قصْدَ السُّرى ، مِيلَ السُّروبِ

وفى تفسيره : « السُّروب : ذهاب الرجل على وجهه ، وتوجه الإبل
للرعى » .

وصوابه : « مِيلَ السُّروب » بدليل قوله « استقلت » ، أى ارتحلت .
والميل ، بالكسر : جمع أميل وميلاء . والميلاء من الإبل : المائلة السنام ،
كما فى اللسان . والسروب : جمع سرب بالفتح ، وهى الإبل . وفى اللسان :
« السَّرَب : المال الراعى ، أعنى بالمال الإبل . وقال ابن الأعرابى : السرب
الماشية كلها . وجمع كل ذلك سُرُوب » . وفى القاموس : « السرب :

الماشية كلها » فالمراد بالقصد الإرادة ، وإن كان ظاهر لفظها يوحى بالقصد بمعنى الاستقامة . ليشاكل فى الصنعة بين الاستقامة والميل .

٩٣ - ص ٢٦٢ البيت ١٥ ، ١٦ :

وكان . وكنت . والحالان شتى

بمستنٍ بالإثابة أو مُنيبٍ

غريبٌ بحجةٍ ، وغريبٌ أرض

فما أكدى الغريبُ على الغريبِ

وصواب « منيب » هو (منيب) كما هو ظاهر . فالمثنى بالإثابة هو البحرى . والمثيب الذى أثنى عليه هو الممدوح . وصواب ضبط « غريب » هو « غريب » بالنصب فى الموضعين ، على الخبر لكان وكنت فى البيت قبله . فكان الممدوح غريباً فى سجاياه التى لا يدانيه فيها غيره فى كرمه وجوده ، وكان الممدوح غريباً عن أرضه وأهله .

٩٤ - ص ٢٦٣ البيت ٢٤ :

له فى مارج النار انتساب

بأمّاتٍ نقيّاتٍ الجيوبِ

سراةُ الإنس والجنانِ أدّت

إلى جوذرٍ ، نجدتها و . بيبي

و « جوذر » و « ييب » : جدان من أجداد الممدوح . وصواب « نجدتها » هو « نجدتها » بالنصب ، أى أدّت إليهما النجدة والشجاعة والمضى ، أى أورثتهما منهما ذاك .

٩٥ - ص ٢٦٤ البيت ٣ بقوله لصديقٍ له جفاه وتغير عليه :

زرت رفهاً فأخلق الوصلُ بالوص

لـ كما يُخلقُ الرداء القشيبُ

وفسّر « الرفه » بأنه « لين العيش وطيبه » . وأى معنى فى هذا يناسب
الجفاء والتغبر والاستغناء ؟ ! وإنما تستوجب الصداقة طول الزيارة والحرص
على المطاولة فيها . وأصل الرفه أقصر الورد وأسرعهُ ، يقال : شربت الإبل
رفهًا ، أى شرباً قصيراً . قال لبيد يصف نخلًا نابتة على الماء :

يشربن رفهًا عراكًا غير صادية
فكلها كارعٌ فى الماء مغتمرُ

أى يشربن قليلًا قليلًا ، لاستغنائهن عن الماء ، لنباتها عليه . وجاء فى قول
البحترى فى سنيته المشهورة :

وبعيدٌ ما بين واردِ رفهِ
عللِ شربه وواردِ خمسِ

ووارد الخمس يشرب كثيرًا لشدة عطشه بعد أيامه الثلاثة التى انقضت
بعد شرب اليوم الأول . ولتزوّد فى يومه الخامس لما يستقبل من الأيام .

٩٦ — ص ٢٩٦ البيت ٧ فى مدح رجل :

أبيضُ ، لاقوله بمفتعدٍ
فينا ولا فعله بمجنوبٍ

جاء فى تفسيره : « المفتعد : المحتبس . والمجنوب : المبعد » . وليس أحد
من هذين المعنيين مرادًا ، وإنما المفتعد المركوب . يقال افتعد الدابة ونحوها :
اتخذها مركبًا له . وأما المجنوب فهو الدابة التى تساق إلى جنب الراكب .
وهذا كناية بارعة عن سرعة قول الممدوح وفعله ، بحيث لا يستطيع اللواق
بهم فيركب أو يُجنبا .

٩٧ ص ٢٦٨ فى ديباجة القصيدة رقم ٩٠ :

« وقال يمازح أب عمران الحلبي ، وكان ممضياً إلى رجل من المراززة في
قطيعة الربيع فاحتبسهما » .

صوابه : « وكانا مصياً » .

٩٨ - ص ١٧٥ البيت ١٣ :

فداؤك مُقْرِفٌ من آل زيدٍ

مُوَلَّى الخير مُقْتَبِلَ الشبابِ

ووجهه « مقتبلُ الشباب » بالرفع ، لتَمَّ المقابلة بين التولى والإقبال .
والنصب على الظرفية . أى فى اقتبال شبابه . لا بأس به أيضاً ، فالأولى أن
يضبط بالوجهين أو يهمل الضبط . دفعاً للتحكم فى النص .

١٠٠ - ص ٢٧٥ البيت ١٥ وهو بيت فيه فحش أضربت عن إيراده
هنا . ولكن جاء فى تفسير . الترائب « فيه أن التريبة « العظمة من الصدر
وأعلاه ، ولم ترد « العظمة بمعنى الواحدة من العظم فى معاجم اللغة صغيرها
وكبيرها . قديمها ومحدثها ، وإنما يقال « العظم » للواحد والجمع ، فهو
اسم جنس كالتراب لا يقال فى واحدة ترابة . وانظر المعجم الوسيط .

١٠١ - ص ٢٧٦ البيت الثانى . وردت الكلمة الأولى فيه ناقصة النون
المنفتوحة فى أولها ! !

١٠٢ - ص ٢٧٩ البيت ٢٦ :

ينقاد طوعاً له إذا حشَدَتْ

عليه تلك الأشياءُ تَجْتَذِبُهُ

ولا أدرى معنىً للأشياء . وجاء فى الحاشية أنها فى نسخة : « الأشياء » .
وهذا هو المتعين فى النص ، كما فى طبعة مصر .

١٠٣ - ص ٢٧٩ البيت ٢٩ :

من يتصرّع في إثر سكرمة
فدأبه في ابتغائها دأبه

وفي التفسير : « يتصرّع : يتواضع » . وصواب لفظهما « يتضرع »
بالضاد المعجمة . وتفسير التضرع بالتواضع لم يقل به أحد ، وإنما التضرع
التذلل والتعرض لطلب الحاجة ، والمبالغة في السؤال والرغبة ، كما في اللسان
والقاموس . وفي الكتاب العزيز : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية » . وفي
الحديث : « خرج متبذلاً متضرعاً » .

١٠٤ ص ٢٨١ البيت ٤٩ :

يَتَّبِعُ تَأْمِيلَهُ الثَّرَاءُ كَمَا
أَتَّبَعَ غُزْرًا مِنْ دِيْمَةٍ عُسْبُهُ

فالعشب الناجم عن غُزْر الديمة وكثرة وبلها مقابل للثراء الناجم عن
تأْمِيل الممدوح ، فغُزْر الديمة وتأْمِيلُ الممدوح كلاهما سريع في إحداث
أثره . وفي الكتاب العزيز من صورة ذلك : « فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت
وربت وأنبت من كل زوج بهيج » . فكان ينبغي توحيد الفعلين في الضبط ،
فيقال في الأول « يَتَّبِع » من أَتْبَعَه بمعنى تبعه وأدركه . وليس هذا الضبط
بغريب على لغة العرب ، فهو ظاهرٌ في عجز بيت البحرى نفسه ، ومنه قوله
تعالى : « فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ » . أى تبعه فأدركه . ومثله : « ثُمَّ أَتَّبَعَ
سَبِيًّا » .

١٠٥ - ص ٢٨٢ في ديباجة القصيدة « يمدح أبو صالح » وهي

« أبا صالح » .

١٠٦ - ص ٢٩٠ البيت ١٢ :

غضبان تجلّى عن وقائع سيفه
عكراتُ حُمُسٍ في الحديد غضابٍ

أما « تجلّى » فصوابها « تجلّى » من الإجلاء . وقد فسّرت
« العكرات » بأنّها « الكرّات في الحرب بعد الفرار » ، والأوفق أن تفسّر
العكرات بالجماعات العظيمة . وأصل العكرة : القطيع الضخم من الإبل .
والعرب تشبّه الأبطال بالفحول ، ومنه قول ربيعة بن مقروم في المفضليات
: ١٨٣

بنو الحرب يوماً إذا استلأموا
حسبتهم في الحديد القروما

جمع قَرَم ، وهو الفحل من الإبل . وقول عمرو بن الأسود في
الأصمعيات ٧٩ :

والجمع من ذُهِلَ كأنَّ زُهاءهم
جُرْبُ الجمال يقودها ابنا شعْمٍ

وفى حديث الحارث بن الصمّة : « وعليه عَكَرٌ من المشركين » ،
قال في اللسان : « أى جماعة » .

و « حُمُسٍ » صوابها « حُمُسٍ » بالتنوين .

١٠٧ - ص ٢٩١ البيت ١٩ :

وأيتَ إعطاء الدنيئةِ دونهم
إنَّ الأبيَّ لأنَّ يُعيَّرَ أبِ

المألوف في « الدنيئة » أن يقال بالتسهيل ، أى « الدنيّة » . ولم تقع عيني
عليها فيما قرأت في مثل هذا الأسلوب إلا مسهلة ، ومن أقدم نصوصها قول

عمر في حديث الحديبية : « عَلَامَ نُعْطَى الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا » . أى الخصلة المذمومة . على أنها وردت بالتسهيل في طبعة مصر من الديوان . وكذا ينبغي أن ينبه على روايتها في نسخ الديوان .

١٠٨ - ص ٢٩٢ البيت ٣٠ :

شَهِدْتُهُ يَوْمَ الْهِنْدُوَانِ وَلَمْ تَكُنْ

لَتَبِيعَهُ بِالْيَوْمِ فِي دَوْلَابِ

وجاء في تفسيره : « الهندوان : السيف الهندواني المنسوب إلى الهند . وهى نسبة شاذة . والهندوان : نهر بين خوزستان وأرجان » .

ولم أجد أحداً يقول إن الهندوان هو السيف الهندواني ؛ ولا علاقة بين الكلمتين ، كما أنه لا وجه لإثبات صدر هذا الكلام على افتراض صحته . لأن كلمة « الهندوان » في بيت البحري لا تعنى إلا هذا النهر الذى بين خوزستان وأرجان . ثم إن الأصح في ضبط اسم هذا النهر هو « هِنْدُوَان » بكسر الهاء لا بضمها كما ذكر صاحب القاموس ، فإن ياقوتاً . وهو البُلْدَانِيُّ الْحُجَّةُ ، أوردَها بعد « هِنْدَمَنْد » التى نصّ على كسر هائها . ثم أورد « هِنْدُوَان » وقال « بضم الدال وآخره نون » فاكتفى بضبط الهاء في السابقة عن ضبطها في اللاحقة ، كما هو دأبه ، ثم أورد بعدهما « هِنْدِيْجَان » و « هِنْزِيْط » كلاهما بكسر الهاء .

١٠٩ - ص ٢٩٤ البيت ٧ :

رَفَعْتُ مِنَ السَّجْفِ الْمُتْنِيفِ ، وَسَلَّمْتُ

بَأَنَامِلٍ فِيهِنَّ دَرَسُ خِضَابِ

جاء في تفسيره : « الدرس : الطريق الخفى » .

وليس من هذا مأخذه ، وإنما أصله من الدَّرْس والدَّرْس ، بمعنى

الثوب الخَلَقَ . أى سَلَّمَتْ بأناملَ فيهن بقايا خضاب قد درس وأخلق
كما يخلق الثوب . وهو كما يقولون من إضافة الصفة إلى الموصوف .

١١٠ - ص ٢٩٥ البيت ١٧ :

نَصَرَ السَّمَّاحَ عَلَى التَّلَادِ وَلَمْ يَقِفْ
دُونَ الْمَكَارِمِ وَقَفَّةَ الْمِرْتَابِ

ووجه ضبط « وَقَفَّةَ الْمِرْتَابِ » بكسر الواو ، على إرادة الهيئة لا المرة .

١١١ - ص ٢٩٧ البيت ٣٢ :

فَكَأَنَّمَا الْبَحْرُ اسْتَجَاشَ يَمِينَهُ
فَقَضَى بِهَا أَرْبَاءَ الْآرَابِ

وواضح سقوط : « من » قبل « الْآرَابِ » .

١١٢ - ص ٣٠١ البيت الأول :

يَا أُمَّتَا أَبْصِرْنِي رَاكِبُ
يَسِيرُ فِي مُسْحَفِيرٍ لَاحِبٍ

ولست أذكر هذا البيت لأنصرَّ على خطأ فيه ، بل لأعزِّزَ صواب
ضبطه . أعنى ضبط « رَاكِبُ » بمنع التنوين ، بناءً على أن البيت مصرع ،
تبعث فيه العروض الضرب . والتصريع : جعل عروض البيت في مثل وزن
ضربه وقافيته ويقع فيه من الإقواء والإكفاء والإيطاء والسناد والتضمين ما يقع
في القافية . كما في العمدة لابن رشيق ١ : ١١٦ .

ويجب في عروض البيت المصرع أن تمنع من التنوين . كما في قول
امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ
بسقط اللوى بين الدخول فحوملٍ

وبيت البحرى هذا فيه مع التصريح إقواء باختلاف الحركات ،
ونظيره من المصرع الذى فيه إقواء ما أنشده الزجاجى من قول بعضهم :
ما بال عينك منها الدمع مُهراقُ
سمّاً فلا غاربُ منها ولا راقى

— ٥ — (*)

١١٣ - ص ٣٠١ البيت ٢ حكاية لقول امرأة عفيفة تعرض لها رجل :

مازلت أحتو التُّرْبَ فى وجهه
طوراً ، وأحمى حَوَزة الغائبِ

جاء فى تفسيره ما معناه : وتعنى بالغائب هَنَّاها .

وهذا تفسير غير صالح . وإنما تعنى بالغائب هنا زوجها . الذى تأبى
عليها عفتها وتصورها أن تخونه فى غيبته .

١١٤ - ص ٣٠٤ البيت الأول فى هجاء رجلين « صوتُ العُروب » .
وفى تفسيره : « العروب : كالعربات مفردا : عربة . وهى سفن رواكد
كانت فى دجلة ، وكانت عبارة عن طواحين قائمة على هذه السفن ، ! !

ولست أتكلم فى غرابة هذا التفسير . وإنما الغريب حقاً أن تجمع العربية
على العروب . فإن هذا لا يكون . وصواب الكلمة « الغروب » بالغين
المعجمة المضمومة وهى الدلاء العظيمة . واحدها غَرَب . شبه الصوت

الذى يخرج من هذا المهجو بصوت الدلاء حين يفيض ماؤها في صوت متقطع
متتال شنيع .

١١٥ - ٣١١ البيت ٩ :

ولو زُرْتُكُمْ في اليوم سَبْعِينَ مرَّةً

لَكُنْتُ كَذِي فرخٍ على الفرخ غائبٍ

ومن الواضح أن صوابه « عن الفرخ غائب » . أى كذى فرخ غائبٍ
عن فرخه . فهو يشعرُ أبدأً بالحنين إليه .

١١٦ - ص ٣١٢ البيت ٢٥ :

فما أنْ له إلَّا إلى مَذاهِبٍ

تَكُون ولا إلَّا إليه مَذاهِبِي

صوابه « فما إنْ له » بالكسر . و « إنْ » هذه هي الزائدة لتأكيد النفي
مثلاً في قول النابغة :

ما إنْ أَتَيْتُ بشيءٍ أَنْتَ تَكْرَهُه

إِذْ نَ فلا رَفَعْتَ سَوطِي إلى يَدِي

وصواب ضبط « مَذاهِبٍ » بحذف التنوين من هذه العروض المصْرَعَة
بأنى اعْتَرَاهَا الإِقْوَاء كما سبق القول في التصحيح رقم ١١٣ .

١١٧ - ٣٣٤ البيت ٤٧ :

ولو سَمِعَ الدَّهْرَ العَتَابَ بِمَنْطِقِ

لَأَوْجَعْتُهُ مِنْى بِحَدِّ المَعَاتِبِ

فيفهم من هذا أن « الدَّهْرَ » منصوب على الظرفية . وصوابه « الدهرُ »
على أنه فاعل ، أى لو كان الدهر مما يَسْمَعُ العَتَابَ بالمنطق أى الكلام .
لعَاتِبْتُهُ عَتَاباً مَوْجِعاً .

١١٨ - ص ٣٣٦ البيت ٦٩ فيه « وَلَوْ أَحْرَمَ الله » . صوابه « وَلَوْأَ »

بفتح الواو .

١١٩ - ص ٣٣٩ البيت ١١ :

فما تزيدُ على إلمامةٍ خُلُسٍ
بأحمد بن عليٍّ ثم تنقلبُ

صوابه : « خُلُس » جمع خُلُسة بالضم . وهى النهضة والفرصة .

١٢٠ - ص ٣٤٢ البيت ٣٢ :

هذا ولئيك مستجيراً عائذاً
ببذرارك من زمنٍ حديدٍ المِخلَبِ

صوابه : « ببذرارك » بالفتح . وفى اللسان : « الذرى بالفتح : كل ما استترت به . يقال أنا فى ظل فلان وفى ذراه ، أى فى كنفه وسره ودَفْته . وفى أساس البلاغة : « وأنا فى ذرى فلان وفى أذرائه » .

١٢١ - ص ٣٤٣ س ٧ - ٨ فى كتاب البحرى إلى صديق له : ولولا
أن ترك فى موضع المعاتبة جفاءً وداعية إلى القطيعة » .

من الواضح أن هناك كلمة ساقطة بين « ترك » و « فى موضع » .
ولعلها « العتاب » أو « المعاتبة » .

١٢٢ - ص ٣٤٤ البيت ١٤ :

إذْ أنا فى عُنْفوانٍ منزلةٍ
تُكرمنى مرةً لها العربُ

جاء فى تفسيره : « العنْفوان : حدة الشئ » .

ولست أحقُّ هذا التفسير . وفى القاموس : « وعنْفوان الشئ بالضم
وعُنْفُوهُ . مشددة : أوله أو أول بهجته » . ومثله فى اللسان : « عنْفوان

الشيء : أول بهجته . وكذلك عنفوان الشباب » . وفيه أيضاً : « وفي حديث معاوية : عنفوان المكرع ، أى أوله » .

أما ما جاء في اللسان من قوله : « وعنفوان فُعْلُوَان من العنف ضد الرفق » فهو تفسير صرفي ، لا لغوي ، وذلك لتعيين أصل المادة التي أخذ منها هذا الوزن . لا أنه تفسير معنوي للكلمة ، بدليل أنه قال بعد ذلك : « ويجوز أن يكون الأصل فيه أنفُوَان ، من ائتنفت الشيء واستأنفته إذا اقتبلته » . وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس : « فأما العنفوان فأول الشيء ، يقال عنفوان الشباب ، وهو أوله . فهذا ليس من الأول — يعنى العنف الذى هو خلاف الرفق — إنما هذا من الإبدال وهو أن العين مبدلة من همزة ، والأصل الأنفُ ، وأنف كل شيء : أوله » .

وعلى هذا فليس العنفوان من معنى العنف والخذّة في شيء . كما يفهم من كلام الأقدمين . فالمراد بالكلمة في قول البحترى هو أول بهجة المنزلة وطيبها ، لاحدّة المنزلة وعنفها .

١٢٣ - ص ٣٤٥ البيت ١٧ :

حتى إذا ما الزمانُ أعوصَ بى

والدهرُ فينا لصرفه ثوبُ

وفي تفسيره : « أعوص بى : أدخل على من الحجج ما يعسر الخروج منه » .

فأى حجة يدخلها الزمان على المرء فيعسر عليه الخروج منها ؟ وما هى الحاجة بين الإنسان وزمانه ؟ وإنما هو من قولهم : أعوص به أى أنزل به ما يعتاص عليه ، أى يصعب عليه الخلاص منه . يعنى نوائب الدهر ونوازله التي لا مخلص منها .

١٢٤ - ص ٣٤٥ البيت ٢٨ :

تمنئى نبعه مغرسة

لا قاح شأنها ولا قلب

وفى تفسيره « القاح : الدودة التى تنخر الشجر ، وقد جعلها صفة للشجرة . القلب هى القلب بسكون اللام ، وهو نزع قلب الشجرة . وقد حرك الشاعر اللام » .

وعبارة « وقد جعلها صفة للشجرة » لا تؤدى معنى واضحاً . ثم إن الدودة لا يقال لها « القاح » ، وإنما هى « القاحه » بالتاء ، كما فى اللسان والقاموس . وأما « القاح » فعناه الأكال يقع فى الشجر ، أى التأكل . والقاح أيضاً : الصدع والشق فى العود . فهذا هذا . وأما القلب بالتحريك فهو جمع قلبته ، وهى العلة والداء ، وأصلها العلة تُقلب لها الدابة فيُنظر إليها .

١٢٥ - ص ٣٥١ البيت ٩ :

ولكم مقلة لذات دلال

مقلتنى بالود وهى غروب

وفى تفسيره : « الغروب : النازحة » .

ولم أجد هذا التفسير ، وصوابها « عذوب » . يقال عذب عن الشيء : كف وأضرب ، فهو عاذب وعذوب . ومنه قول حميد بن ثور :

إلى شجرٍ ألى الظلال كأنها

رواهب أحرمن الشراب عذوب

والعذوب فى هذا البيت جمع عاذب ، ويقال أعذبه عنه : منعه . وفى حديث على : « أعذبوا عن ذكر النساء أنفسكم » ، أى : امنعوها .

١٢٦ - ص ٣٥٢ البيت ٢٦ ، ٢٧ :

نفحاتٌ يُعِدْنَ بعدَ شِماسٍ
ريّضَ الدّهر وهو عَوْدٌ رَكوبُ
لعيون الخطوبِ « بعدَ شِماسٍ »
ولقلب الزمان منها وجيبُ

وفى الشرح : « ما بين القوسين ظاهر أنه تكرار من البيت السابق ،
والمقابلة فى البيت تقتضى أن يكون : لعيون الخطوب منها خشوع ، أو ما فى
معناه » .

وفى الحق أنه تكرار ولكنه بصورة أخرى ، وهو تكرار متعمّد من
البحترى ، إيغالاً منه فى الصنعة التى يحرص عليها كما حرص عليها شيخه
أبو تمام . وصواب ضبط ما فى البيت الثانى « بَعْدُ شِماسٍ » أى لعيون
الخطوب بعد ذلك شِماسٍ ، فهى نافرة هاربة بعد الذى رأت من نفحات
الممدوح وفيض معروفة ، فالخطوب لا تَطُور طَوَارَ من مسّة الممدوح
ينفحةٍ منه .

١٢٧ - ص ٣٥٢ البيت ٣٠ :

وذُراه فيه الحميمُ سواءُ
حين يعصوه والتّزييعُ الجنيب
وصوابه « ذَرَاه » بفتح الذال أى جانبه وكنفه ، كما سبق الكلام عليه
فى التنبيه رقم ١٢٠ . ولذا قال بعده « فيه » ولم يقل « فيها » . فهذا واضح .

١٢٨ - ص ٣٥٤ البيت ٤٢ :

تَقَرَّ هاتى وتلك هَبَّةٌ رَأَى
يُخْطِئُ المشرقى وهى تصيبُ

صوابه ، تفرّ بالفاء . من الفرى . وهو القطع . يصفه بالرأى
القاطع المصيب .

١٢٩ - ص ٣٥٧ البيت ٣٢ :

مع شوقٍ إليك تقدح في القلب

— ب عقابيلُ بثّةٍ وندوبُ

وإنما هي « بثّة » بالإضافة . والبث : الحزن . والمرض الشديد .
والعقابيل : بقايا العلة والعداوة والعشق . جمع عُقبول وعُقبولة أيضاً .

١٣٠ - ص ٣٦٥ البيت ٢٠ : « أصادق وعِداتى » ، صوابه « عِداتى »
جمع عاد . وهو العدو ، مثل قاض وقضاة . أما العِدات فيجمع للعِدّة
بمعنى الوعد . فإن أردت كسر العين قلت عِدّى بالقصر لا غير ، وإن أردت
إدخال الهاء قلت عُدّة في وزن قضاة .

١٣١ - ص ٣٦٤ البيت ٢٤ :

فالآنَ إذْ ناصبتُ أعنانَ العُـلـلـا

ورقيتُ منها أرفعَ الدرجاتِ

و (ناصبت) تحريف طبع . صوابه « ناصيت » . وجاء في الشرح :
« ناصيت الشيء : جذبته وقبضت ناصيته » ، ولا يقال قبضته إلا في أخذ المال
ونحوه ، أو في معنى خلاف البسط . يقال قبضت المال ، ويقال أيضاً : قبضت
يدى . وأما الإمساك بالأشياء فيقال قبض عليها وبها . فهذا هذا .

والمأخذ الآخر أن هذا تفسير أوّل لا يقال إلا فيما جاء على الحقيقة .
وأما في هذا البيت فهو مجاز ، فوجه تفسيره أن يقال ناصيت بمعنى باريت
وساميت كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها : « لم تكن واحدة من نساء

النبي صلى الله عليه وسلم تناصني غير زينب » ، فإذا قيل في تفسيره : تناصني تقبض على ناصيتي . كان هذا قولاً فاسداً محالاً .

١٣٢ - ص ٣٦٦ البيت ٣١ :

ومن المتعاشر أقدمونَ ومُحدثٌ

طَرَفُ النَّبَاهَةِ رِيضُ الْمَسْعَاةِ

والصواب ضبط « محدثٌ » بفتح الدال . بمعنى الحديث . والبحترى يفخر في هذه القصيدة بمجدّه الذي رفع الأذان بمنج ، والآخر الذي قاد طيئاً للروم ، وغيره الذي قاد وقعه الجسر . فيعني البحترى أن من الناس من هو على عرق من المجد ونباهة الشأن . سرى إليه ذلك من قديم عن آبائه وأسلافه . ومنهم محدث المجد والنباهة . وشتان ما بينهما .

ومن الحق أن المعاجم لم تذكر الكلمة بهذا الضبط لهذا المعنى . ولكن الفتح هو الضبط المعروف في هذه الكلمة لكل جديد أو طريف . ومنه قولهم « الشعراء المحدثون » .

ولعل أقدم ما عرف من نصوصه حديث : « إياكم ومحدثات الأمور » وهو ما لم يكن معروفاً في كتاب ولا سنة ولا إجماع . وأما « المحدث » بالكسر فيشتمل على معاني سوء يكاد يكون أكثرها إسلامياً : فهو الزاني ، وهو من فعل أمرأ يستوجب الوضوء أو الغسل ، وهو فاعل الجرهم العظيم . وهكذا .

١٣٣ - ص ٣٧٦ البيت ٣ (فتكحُ) . صوابه « فتكحَ » بالنصب لتقدم النى عليها . والغاء للسببية .

١٣٤ - ص ٣٧٧ البيت ٣ :

إذا لُبِنِي أَلَامَتُ فِي صَنِيعٍ
أَحَالَاتُ بِالْمَلَامِ عَلَى الْوُشَاةِ

فسرت « ألام » بمعنى لام ، وهو معنى صحيح ، ولكنه ليس مراداً هنا ، بل ألام هنا بمعنى فعل ما يستحق من أجله اللوم . ومنه في الكتاب العزيز : « فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ » . وفي المثل : « رَبَّ لَا أُمُّ مُلِيمٌ » . أى مستحقٍ لِللَّومِ بسوء ما صنع . وقال الآخر :

تُعَدُّ مَعَاذِرًا لَا عَذْرَ فِيهَا
وَمَنْ يَخْذُلُ أَخَاهُ فَقَدْ أَلَامَا

وفيما يلي صواب بعض أخطاء الطبع :

ص ٢٧٥ الحاشية (١١) « والثقال » صوابه « والثفال » .

ص ٢٧٨ البيت ١٥ « يُرَى » ، وهى « يُرَى » .

ص ٢٧٨ البيت ١٨ « مَذْمَمَةٌ » ، وهى « مُذْمَمَةٌ » .

ص ٢٧٩ البيت ٢٥ « قَطْبُهُ » ، هى « قُطْبُهُ » .

ص ٢٨٢ البيت الأول « أَوْ أَبَاهُ » . هى « أَوْ آبَهُ » .

ص ٢٨٤ البيت ١٦ « وَحَزَمٍ مُجْرَبٍ » ، هى « وَحَزَمٍ مُجْرَبٍ » .

ص ٣٣٦ البيت ٦١ « سِنَامٌ » ، هى « سَنَامٌ » .

ص ٣٣٨ الحاشية (٢) « إِتَابٌ » . هى « اتَّابٌ » .

ص ٣٥١ البيت ١٦ « وَأَخْلَاءُ : عَزَمَتِي عَنْتْرِيسُ » ، هى « وَأَخْلَاءُ عَزَمَتِي عَنْتْرِيسُ » .

ص ٣٥٣ البيت ٣٤ « الْجُنُوبُ » ، هى « الْجُنُوبُ » .

ص ٣٥٥ البيت ٦ « نِيَّةُ عَزْبَةٍ » ، هى « نِيَّةُ غَرْبَةٍ » .

ص ٣٦٤ الحاشية ١٦ « عسرت » ، هي « تحسرت » .

ص ٣٧١ الحاشية (١٧) « أزمّت سنن الطريق » هي « لزمت سنن الطريق » .

* * *

هذه بعض تصويبات وتعليقات عنّت لى إثر قراءتى لهذا العمل الضخم الذى قام به أخى وصديقى الأستاذ المحقق حسن كامل الصيرفى ، لم أشأ أن أسترسل فى سرد جميعها : لأنها نماذج لأمثالها ، ولأن إطالة القول مهما يكن فيها من متاع ونفع فهى بعرض إملال .

* * *

وإن أكن قد بدأت المقال باستعلان إعجابى بهذا الجهد الموفق ، وبهذا الخلق العلمى النادر ، فإنى أختمه كذلك بتهنئتى للعالم الفاضل الأستاذ الصيرفى ، زاده الله توفيقاً وعوناً فيما هو بسبيله من هذه الخدمة الجليلة للتراث العربى .

= ٦ =

(هذا المقال السادس لم يسبق نشره)

١٣٥ - ص ٣٧٧ البيت ٤ :

وما وعدت وشيكاً من نوال

فنطلبُ عندها نُجج العِداتِ

وصوابه « فنطلبُ » بالنصب أيضاً ، كما سبق فى التنبيه رقم ١٣٣ .

١٣٦ - ص ٣٧٨ البيت ١٠ :

لقد صدّقَ المنقَّبُ عن حديثي
بُدْوَى للأعداى وانصلاى

صوابه « المنقَّب » بالنصب . يعنى أن بدوّه وانكشافه للأعداى قد
صدقَ المنقَّبَ عن حديثه . يقال صدّقَه ، أى قال له الصدق ، كما يقال
صدقَه الخبر . ومنه المثل السائر : « صدّقنى سينّ بكره » .

١٣٧ - ص ٣٧٨ البيت ١٥ :

سَوَائِرُ مِنْ سِيَّامِ الشَّعْرِ تُصَمِّى
إِذَا جَعَلَتْ تَشِيدُ بِهَا رُوَاى

صوابه « تشيد » من أشادَ الرباعى . يقال أشاده ، وأشاد به ، أى
أشاعه ورفع ذكره . وأمّا شاد يشيد ، فعناه طلاه بالشيد ، وهو
الخص والملاط .

١٣٨ - ص ٣٧٨ البيت ٢٠ :

* لإذلال الأعزّة من عِدَاتى *
صوابه « عِدَاتى » كما سبق فى التنبيه رقم ١٣٠ .

١٣٩ - ص ٣٧٩ البيت الأول :

سُقْيَاً لِمُحَلِّسِنَا الَّذِى آنَسْتَهُ
وَاهِئَاً لِمُحَلِّسِنَا الَّذِى أَوْحَشْتَهُ

والسُقْيَا بضم السين صحيحة ذاتها . يقال سقاه يسقيه سقياً ، والاسم
السُقْيَا . ولكن العرب لم يستعملوا فى الدعاء إلاّ المصدر المفتوح السين ،
يقولون : سقياً له ورعياً ! ! أى سقاه الله ورعاه . ويقولون من فعله :
سقاه ورعاه ، بالتضعيف ، أى قال له : سقياً ورعياً .

وأما ما ورد في قول البحترى نفسه ص ٤٧١ في البيت ٥ :

بنى قشِيرٍ أَلَا سُقِيَا لِمُضْطَهَدٍ ؟

بنى قشِيرٍ أَلَا سُقِيَا لِمُلْتَاحٍ

فهو بالضم صحيح . لأنه ليس دعاء . بل المراد به اسم المصدر ، أى ما يُسْقَى ، يقول : أليس للمُضْطَهَد والمُلْتَاح ما يُسْقَاه !! فهو طلب على طريقة التمنى ، وليس دعاء كالضرب السابق الذى التزم العربُ في سيّنه الفتح ، لأنه مصدر نائب عن الفعل كما يقولون .

١٤٠ - ص ٣٨٢ البيت ٢ :

يُضَاعِفُ فِيهِ الْإِلَهُ الثَّوَا

بَ لِلصَّابِرِينَ لِلصَّابِرَاتِ

وينبغى إثبات الواو بين الكلمتين الأخيرتين من البيت .

١٤١ - ص ٤٠١ البيت ١٠ :

لَا يَحْسَبُونَ قُبُورَهُمْ فِي غُرْبَةٍ

وَلَوْ أَنَّهَا مَضْرُوحَةٌ بِالزَّأْبِجِ

جاء في تفسيره : « الزأبج (غير مهموز) : جزيرة . . . إلخ » .

وكان الأوفق أن يقال : « الزأبج هنا مهموز ، وأصله بغير الهمز » فقد همزه البحترى للقافية ، ليفرّ من ألف التأسيس التى إذا قرئ بها البيت عابته بسناد التأسيس ، لأنّ قافية القصيدة غير مؤسسة . ومطلع هذه القصيدة :

لم يبقَ في تلك الرسومِ بمنعجٍ

إمّا سألتَ معرَّجٍ لمعـرَّجٍ

١٤٢ - ص ٤٠٤ البيت ٤ : « كالسَّمْع » . جاء في تفسير السَّمْع

أنه « سيع إفريقى بين الذئب والضبع » .

أما أنه بن الذئب والضيع ، فلا غُبار عليه . وأما أنه إفريقي فهذه متابعة لخطأ ظاهر . فالسمع يعرفه العرب من قديم الزمان في باديتهم الأسيوية ، ويتناولونه في أشعارهم تناولاً ظاهراً . وفي صفحتين من صفحات كتاب الحيوان للمجاط نجد هذه النصوص :

قال سَهم بن حنظلة :

كالسمع لم ينقُب البيطارُ سرَّته

ولم يدجِه ولم يغمزْ له عَصَباً

وقال سُور الذئب :

هو سِمع إذا تمطرَ شيئاً

وعُقَابٌ يَحْثُهَا عِيسَارُ

وقال تأبط شرا :

مُسْبِلٌ بالحىِّ أحوى رِفْلُ

وإذا يَعْزُدُو فِسمعْ أزلُ

وقال آخر :

* تلقى بها السَّمعَ الأزلَ الأطلسا *

يصف باديةً من بواديهم .

واشتقاق اسمه في العربية واضح تمام الوضوح ، قالوا في أمثالهم :
« أسمعُ مِن سِمع » . وقال الشاعر :

تراه حديدَ الطَّرفِ أبلجَ واضحاً

أغرَّ طويلَ الباعِ أسمعَ مِن سِمعِ

فالقول بأنه إفريقي قولٌ غير صحيح ، تبع فيه الشارح معجم المعلوف ،
وكم ذا به - على جلالة قدره - من الأخطاء .

١٤٣ - ص ٤٠٦ البيت ٥ فى مدح البحترى لشعره :

قوافى كالسَّلام تفوقُ حُسناً
نجومَ اللَّيل تُوقدها الدَّيْلجى

وفى تفسيره : السَّلام بكسر السين : شجر مر . واحدته سلامة . وهو كذلك جمع السلمة . وهى الحجارة .

وهذا المعنى الأخير هو المتعين . وكان ينبغى أن يقتصر عليه فى الشرح ، لأنَّ القوافى المتينة تشبَّه بالصخر المنحوت . لا بالشجر المرّ . ومن ذلك ما جاء فى طبقات ابن سلام ٤٠٨ فى قصة الأخطل حين حمله بشر ابن مروان أن يحكم بين جرير والفرزدق . فقال الأخطل : « الفرزدق ينحت من صخر . وجرير يغْرِف من بحر » .

ومن هذا المعنى قوله :

عَلَى نَحْتِ القوافى من معادنها
وما عَلَى إِذَا لم تَفهم البقرُ

كما تشبَّه القافية بالسَّنان فى متانته واستواء حدّه أيضاً . ومنه قول عبيد ابن معاذ فى الحماسة ٦٧ بشرح المرزوقى :

وقافيةٍ مثل حَدِّ السَّنا
نِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مِنْ قَالِها

١٤٤ - ص ٤٠٧ البيت ٤ :

وعسى عُصِيْبِيَّةٌ مُمَحْلُونٌ

من الرِّاحِ صِرفاً ومُـزوجةٌ

وفيه فسادٌ فى اللفظ ، إذ لا يُستقيم أن يُقال « عُصِيْبِيَّةٌ » فإنه لا يُعرف

لها مكسّر تصغّر عليه هذا التصغير الذى لا يكون إلا لاسم على فاعلة معتل اللام كما قالوا فى تصغير داهية : دويهية .

وصوابه « عَصْبِيَّة » كما هو واضح فى طبعة هندية ، وهى تصغير « عصابة » بمعنى الجماعة ، لا « عَصْبَة » : فإن العَصْبَة إنما تصغّر على « عَصْبِيَّة » بتخفيف الياء .

ومن هنا يجب تصحيح ما جاء فى شرح الديوان أيضاً : إذ فيه « عصبية : تصغير عصبه ، أى جماعة » . فصوابه « عَصْبِيَّة » بتشديد الياء : تصغير عصابة أى جماعة » ٥

١٤٥ — ص ٤١٠ البيت ١٨ :

وفى على بمواعيده
ولم ينقصه بأخراج

وجاء فى تفسيره أن الأخراج : « جمع الخراج » .

ومن الحق أن الخراج قد سمع جمعه على أخراج ، كما سمع جمعه على أخارج وأخرجة ، كما فى لسان العرب . ولكن كيف يُتصوّر أن مملوحاً يبنى بما وعد من عطاياه ثم ينقص ما أعطى عن طريق جباية الخراج ؟ ! والمملوح هنا قائد حرب لا علاقة له بجباية الخراج .

فالأوفق ما ورد فى أصلين من أصول الديوان — هما : ح ، ل — « بإخداج » . فإن الإخداج هو النقص ، وهو الذى يتناسب مع قوله « لم ينقصها » أراد أنه أدّى إليه مواعيده كاملة لم يتناولها بأى نقص كان . ومنه قولهم : أخدج الرجل صلاته ، أى نقصها . وفى الحديث : كل صلاة ليست فيها قراءة فهى خِداج » ، أى ناقصة . وجاء فى قول البحترى ص ٤١٧ :

أخو العزم لم تصدر عزيمة رأيه
بمقتضب من عاثر الرأى مُخدَج

١٤٦ - ٤١٢ البيت ١٣ :

لما تضاربَ بالزَّحفين قُطْرُهما
فضاربٌ بغيرار السَّيفِ أو واجٍ

جاء في تفسيره : « الواجى : الرجل لا نفع به » .

وهذا تفسير منتزع من مادة (وجى) انتزاعاً . وإنما « واج » هنا من
مادة (وجأ) المهموزة ، من قولهم : وجأه بالسكين وغيرها « وجئا » ،
إذا ضربه . وهو المناسب هنا للضرب بغيرار السيف ، ومنه قول عبد الرحمن
ابن حسان بن ثابت :

فكنتَ أذلَّ من وتدٍ بقاعٍ
يشججُ رأسَه بالفهرِ واجى
أصله « واجى » كما في اللسان (وجأ) .

١٤٧ - ص ٤١٧ البيت ١٤ :

أخو العزم لم تصدر عزيمة رأيه
بمقتضب من عاثر الرأى مُخدَج
فسر « المقتضب » بأنه الشيء المقتطع .

وهذا هو أصل معنى المادة . ولكن المراد بالمقتضب هنا هو الرأى
المرتجل الذى لم ينجم عن إعدادٍ وتهئية ، من قولهم : اقتضب الحديث
بوالشعر والخطبة : تكلم به من غير تهئية وإعداد له .

١٤٨ - ص ١٤٧ البيت ١٨ :

قَنِعْتُ عَلَى كُرْهِهِ وَطَاطَأْتُ نَاطِرِي

إِلَى رَنْتَقِ مَطْرُوقٍ مِنَ الْعِيشِ حَشْرَجٍ

و «كُرْهِهِ» يصح أن تضبط أيضاً بفتح الكاف بمعنى الإكراه ، ولو ترك ضبطها أو ضبطت بالضبطين معاً لكان أوفق وأبعد عن التحكم في الضبط .
وفسر «الحشرج» بأنه كوز رقيق يبرد فيه الماء ، والنقرة في الجبل يصفو فيها الماء .

ولا وجه لإيراد المعنى الأول لاستحالته هنا ، كما لا وجه لإيراد الثانى لعدم ملاءمته ؛ فإن المطروق الماء الذى طُرِق وكدّرهُ الشاربةُ ، والبحترى يعنى الماء الكدر ، لا ريب فى ذلك .

وإنما المراد بالحشرج هنا شبه حِشْيٍ تجتمع فيه المياه .

١٤٩ - ص ٤٢٠ البيت ٨ :

تَأْبَى فُؤُوقُ لَتَدُوْبِرْهَا

فَنَكَبَ عَنْ قَصْدِهَا وَانْعَرَجَ

وفى تفسيره «تأبى : تلبث على المكان وتأبى» .

وبالجمع بين النص وتفسيره نقطع بأن هناك تحريفاً مطبعياً فى «تأبى» وأنها محرفة عن «تأبى» . لكن صواب كتابته مع ذلك «تأبى» بالألف فى آخره ؛ لأن هذا هو المتبع فى كل فعل قبل ألفه الأخيرة ياء ، كما فى : يحيا ، استحيا ، تزيّا ، أعيا . لا يصح كتابتها بالياء ، اتباعاً للقاعدة التى ذكرتها . وانظر المطالع النصرية ١١٨ .

١٥٠ - ص ٤٢٧ البيت ١٠ :

مَلِيُونُ أَنْ تُسْقَى الْبِلَادُ غِيَاثُهَا

بَأَوْجُهُمْ حَتَّى تَسِيلَ فُجَاجُهَا

وجاء فى شرحه : « مليون : مليون ، جمع الملىء ، وهو الغنى المقترن » .

وإنما المراد بالملىء هنا الثقة الجدير بالشئ . نقول : هو ملىء بكذا ، أى جدير به .

١٥١ - ص ٢٢٧ البيت ١٢ :

تربعتُها فازداد ظاهر حسنُها
وأضعِفَ فى لحظ العيون ابتهاجُها
صوابه : « تربعتُها » بتوجيه الخطاب إلى الممدوح .

١٥٢ - ص ٤٣٠ البيت ٣ :

ما أنسَ لا أنسَ ما عُمِرتُ قولتُها
والنقصُ بالرحل والأنساء محدوجُ
ثم زاد الشارح : « ولعل الصحة فى رواية البيت : والنص بالرحل والأنساء محدوج . يقال نص المتاع جعل بعضه فوق بعض » .
وكلاهما غير متَّجه . ويتعيَّن أن يكون صوابه « والنقصُ » بالنون المكسورة فى أوله والضاد المعجمة فى آخره . والنقصُ : البعير الذى أنضاه السفر . كأنَّ السفر قد نقصَ قوَّتَه فأهزله . والأثنى منه نِقْضة . قال روبة :
إذا مَطَّونا نِقْضةً أو نِقْضاً »

واخذوج : الذى وُضِعَ عليه الحدج . وهو مركب من مراكب النساء نحو المتودج والمحفّة . وكان العرب يؤثرون حمل نساءهم على ضعاف الإبل وإناثها . إشفافاً منهم عليهن .

١٥٣ - ص ٤٤٣ البيت ٦ :

أثنى عليكِ فإنتى لم أخفَ أحدًا

يلحى عليكِ وماذا يزعمُ اللاحى

والسَّهْوُ فى « يَلْحَى » : فإن العربَ لا تعرف هذا الفعل . إنما تقول
لحاه يلحوه لحواً فهو ملحوظ . إذا شتمه . وهذا واوى . وتقول أيضاً لحاه
يلحاه لحياً فهو ملحى . إذا شتمه أو لامة وعنقه . وهذا يائى .
فوجه ضبط الفعل « يَلْحَى » لا « يَلْحَى » .

١٥٤ - ص ٤٤٨ البيت ١٠ ، ١١ :

فإلاً ننهاهم عن تورّد نفسه

تقلّب غادٍ فى رضاهم ورائح

وإلاً أعدوا بأسه وانتقامه

لكبش العدو المستميت المناضح

وصوابهما : « فألاً » و « وألاً » . وهى ألأ التحضيضية بمعنى هلاً .

وقد سبق نظير هذا التصحيح فى التنبيه رقم ٦٢ .

١٥٥ - ص ٤٥٧ البيت ٧ :

وأرتنا خدأ يَرَّاحُ لهُ الورْدُ

دُ . ويشتمه جنى التفاح

وما هكذا تقل . إنما هى (يَرَّاحُ له الورْدُ) . يقال راح للأمر يَرَّاح
رَوْحاً وراحاً وراحةً ورياحه . إذا أشرق له وفرح به . وأخذته له خفته
وإريحية .

ومنه قوله :

إلَّ الخبل إذا سالت بهسرته

وترى الكريم يَرَّاح كالختال

وقول الآخر :

وزعمت أنك لا تَرَّاحِ إلى النِّسَا
وسمعتَ قِيلَ الكاشحِ المتردِّ

وقول أمية بن أبي عائذ الهذلي :

تَرَّاحِ يـداهُ بمحشورةٍ
خواظي القِداحِ عِجافِ النِّصَالِ

١٥٦ - ص ٤٦٤ البيت ٧ :

فكان يُريدُ نصحاً وهو مُصْبٍ
على غشٍّ كأطرافِ الرماحِ

و « مُصْبٍ » على هذا من أَصْبَى . ولا يقال أَصْبَى على الشيء ، إنما يقال أَصْبَتِ المرأةُ . إذا كان لها صبيٌّ ، وَأَصْبَتَهُ المرأةُ : دعتَه إلى الصِّبَا ، وَأَصْبَى فلانٌ عِرسَ فلانٍ . إذا استمالها . وَأَصْبَى القومُ : دخلوا في الصِّبَا .

وهذا كله بعيدٌ عن المراد . والصواب : « مُصْبٍ » بالضاد المعجمة ، من قولهم : أَصْبَى فلانٌ على داهيةٍ وأُصْبِأ . أى أسرَّها وكتَمَها . يقال من المهموز ويقال من المنقوص .

١٥٧ - ص ٤٧٦ البيت ٢ :

وإذا برزْنَ من الخُدُورِ سَفَرْنَ عن
هَمِّكَ من وردٍ ومن تَفَّاحِ
صوابه : « سَفَرْنَ » بفتح الفاء . يقال سَفَرَتِ المرأةُ تَسْفِرُ ، وأسفرت تَسْفِرُ : كشفت عن وجهها .

١٥٨ - ص ٤٧٦ البيت ٨ :

لأُخْبِرَنَّكَ عَنْ بَنَى الْجَرَّاحِ
وَعِتَادِهِمْ مِنْ سُودَدٍ وَسَمَاحِ

وفى هذا الضبط سهوان :

أحدهما أَنَّ الْعِتَادَ ، إنما هو بفتح العين لا كسرهما . وهو الْعُدَّةُ
والشئ الذى تَعِدُّهُ لِأَمْرٍ ما وَتَهَيَّئُهُ لَهُ ، لا يقال إلا بالفتح . وفى حديث
صفته عليه السلام : « لكل حالٍ عنده عِتَادٌ » . أى ما يصلح لكل ما يقع
من الأمور .

والآخر : أَنَّ السُّودَدَ المَهْمُوزَ لا يقال إلا بضم الدال . كما سبق فى
التنبيه رقم (٤) .

١٥٩ - ٤٩٢ البيت ٦ فى هجاء الخاقانى :

جَمَادٌ مِنْ الْبَرْدِ لَمْ يَنْحَلِّلْ
وَنِيٍّ مِنْ الْبُلَّةِ لَمْ يَنْطَبِخْ

وجاء فى تفسيره : « البله : جمع بلهاء : الناقة لا تنحاش من ثقل
كأنها حمقاء » .

وفى رواية « البله » . وفى تفسيرها هذا التفسير مجال للقول : فإنَّ
البحرئى يقول فى الشطر الأول من البيت : إنَّ ذلك المهجَّو بسبب بَرْدِهِ لم
ينحلَّ ما به من جمود . فماذا يتوقع منه فى الشطر الثانى من البيت ؟

المتوقع أن يقول : إنه نِيءٌ لم ينطبخ . وذلك لعلته أخرى مماثلة للعلته
الأولى . وهى ما جبل عليه ذلك المهجَّو من بلادة وثقل . فصواب رواية
البيت « من البُلْد » . وهى الرواية التى أوردها أبو العلاء المعرى فى عبث
الوليد ص ٧٧ وقال فى تفسيرها : « البُلْد قاييل فى الاستعمال الأول ولكنه فى

القياس مطّرد ؛ يقال بليد بينُّ البُلْد ، كما يقال عظيم بينُّ العُظْم ، وقريب بينُّ القرب . « فهذا هذا .

وأما رواية « البُلْه » فلا تستقيم ، وتفسير البُلْه بأنه جمع بلهاء على فرض صحة رواية البُلْه . بعيد جداً ؛ فإن البحترى يتحدث في هجاء رجل ، فالأولى أن يكون جمع « أبله » على ما يكون في تلك الرواية من إخلالٍ بنسج البيت وتلاؤم بُنيانه .

١٦٠ - ص ٤٩٢ البيت ٦ :

غداً يَحْرُمُ الماءُ القُرَاحُ وتَسْتَوِي

وجوهٌ من اللذات مُشْجِيَة الفَقْدِ

و « القُرَاح » بضم الحاء من أخطاء الخاصة ، وصوابه « القَرَّاح » بفتح القاف كسحاب ، وهو الماء الخالص . وفي اللسان : « وفي الحديث : جِلْفُ الخبزِ والماءِ القَرَّاح . هو بالفتح : الماء الذي لم يخالطه شيءٌ يطَّيب به ، كالعسل والتمر والزبيب . »

ورواية « تَسْتَوِي » بعيدة الحجاز .

على أن الرواية الغالبة التي أثبتتها المحقق في الحواشي ، وهي رواية « وتقتدى » رواية سليمة لا غبار عليها ، على أن تضبط « مشْجِيَة » بالنصب .

والبيت تصوير لما يحدث في شهر رمضان من إمساك عن الرغائب واللذات . وقبله :

ومّا دَهَى الفتيانَ أَنَّهُمْ غَدَوْا

بآخر شعبانٍ على آخر الوردِ

١٦١ - ٤٩٩ البيت ١١ في مدح الحسن بن مخلد :

المُفتدَى ومُلوكُ العجم خاضعةٌ

لفرعه المعتلى فيهم ومَحْتَدِه

وما هكذا يقال في صفة الممدوح ، إنما هو « المُفتدى » . أى الذى يفتديه الناس إعزازاً له وحباً .

ونصب « خاضعة » لا وجه له ، إنما هى « خاضعة » بالرفع .

ومما يذكر أن الحسن بن مغلد كان من أصل فارسى .

١٦٢ - ص ٥٠٠ البيت ٢٠ :

يأْيُهم السَّيِّدُ المَجْرِي خلائقَه

على سوابِقِ عُلَيَّاهِ وسُودَدِه

صوابه « عُلَيَّاهُ وسُودُدِه » . انظر للكلمة الأولى التنبيه رقم ٢٥ وللثانية التنبيه رقم ٤ : ١٥٨ .

١٦٣ - ص ٥٠١ البيت ٢ :

وأبيها وإن تَفَاحَشَ وَهَى

في هَوَاهَا ، واحتلَّ منها جليدُ

وكذا وقعت الرواية في طبعة هندية ص ٢٠٨ وغيرها من النسخ .

والجديد لا يحتلّ ، وإنما يحتلّ . أى يلحقه الوهن والخلل . فالوجه

رواية سائر النسخ : « واحتل منه جديد » . أى وهن جديدُ الهوى وأدركه الضعف والانحلال . وقبل البيت . وهو مطلع القصيدة :

نَفِستَ قُرْبَها عليك كُنودُ

والقريب الممنوعُ منك بعيدُ

١٦٤ - ص ٥٠٦ البيت ٤٢ :

وإذا قيات القوافى تَهَاوَى

رجزٌ من بيوتها وقصيدٌ

وجاء فى تفسيره : « الرجز بحر من بحور الشعر » .

والمقابلة فى البيت تقتضى أن يكون الرجزُ هذا اللونَ من الشعر الذى يقابل القصيد . وهذا الضرب يأتى من مشطور الرجز ومنهوكه . ومن مشطور السريع . ومن منهوك المنسرح .

فمثال مشطور الرجز قول العجاج :

الحمد لله الذى استقلتِ

بإذنه السماءَ واطمأنتِ

ومثال منهوكه :

يأليتنى فيها جندعٌ

أخْبُ فيها وأضامعٌ

أفودٌ وطفاء الزممع

ومن مشطور السريع قول رؤبة :

ونحن أبقى من جبال الأوتادُ

على مُلَمَّات الزمانِ الهدَّادُ

ومن منهوك المنسرح قول هند بنت عتبة يوم أحد :

صبراً بنى عبيد المارِ

صبراً حمالةً الأدبارِ

صرباً بكلِّ بتارِ

وليس من المتعين أن يكون ما صنع من بحر الرجز رجزاً . فقد يكون قصيداً ، فن ذلك مثال العروضيين :

دار لسلمى إذ سلمي جارة
قَفَرًا ترى آياتِها مثلَ الرُّبُرِ
وقوله :

القلب منها مستريحٌ سالمٌ
والقلب منى جاهدٌ مجهودٌ

١٦٥ - ص ٥٠٨ البيت ٧ :

كفى فقد أماء عن حرّ الهوى

حدث أطلّ من الهواء البارد

ولست أنى صواب كلمة « أطلّ » . ولكنها ليست أولى بالإثبات .
فإن الحدث الشديد لا يُطلّ ، فِعْلٌ مَنْ يحدث نفسه بشيء ثم يرجع عنه ، ولكن الأحداث الشديدة تُظِلُّ إظلالاً وتشمل . وتكنف مَنْ تنزل به من كل جانب وتحيط به . وهى الرواية التى حملتها نسخة « ل » .

والعرب تقول : أظلتى الشيء . أى غشيتى . وبه فسّر ثعلب قوله تعالى : « إلى ظلّ ذى ثلاث شُعَبٍ » . قال : معناه أن النار غشيتهم . وفى التنزيل العزيز : « فأخذهم عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ » لأن الله تعالى بعث غمامة حارة فأطبقت عليهم وهلكوا تحتها . وأروع العبارات الموجهة لهذا المعنى قوله تعالى : « لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل » .

١٦٦ - ٥٠٨ البيت ٩ :

ضحكت فأبكت عين كل ممّوه

متجمل تحت الضرب الجاهل

وفسّر « الممّوءة » بأنه موضع ذو ماء .

والممّوءة في البيت ليس موضعاً ، بل هو السحاب تبكى عيونهُ ،
وصواب ضبطه أيضاً « ممّوءة » بكسر الواو المشددة . يقال ممّوءت السماء :
أسالت ماء كثيراً . كما يقال ممّوءة السحاب الوقائع ، انظر اللسان (موه) .

ويقال ممّوءة الموضع : صار فيه الماء . قال ذو الرمة :

تميمية نجدية دار أهلها

إذا ممّوءة الصّمان من سبيل القطر

ف ضبط « الممّوءة » بفتح الواو لا وجه له . وتفسيره بتلك العبارة كذلك .
وأما « متجمل » فرواية عجيبة . وصوابها « متحمل » بالخاء المهملة
وكسر الميم المشددة . أي متحمل للماء .

١٦٧ - ص ٥٠٩ البيت ٣ :

ومعاصر المشيب يغدو فيستخ

للق من عيشنا الذي نستجد

وفي بعض النسخ : « ومعاصر » .

وكلاهما غير مستقيم . وصوابهما « معاصر » بالغين المعجمة . يقال
غاصر الماء يغض غيضاً ومعاصراً ، أي نقص ، أو غار وذهب . يعني
النقص والتغير الذي يكون عند المشيب . وهو نقص الشباب وغوره
وتوليّه .

١٦٨ - ص ٥١٥ البيت ١٤ :

إن تقرضاً ففضاء لا يريث وإن

وهبتهما فقبول الرّقد والصفد

و « القَبُول » بضم القاف لا بأس به . وإن كان الأعلى في الضبط « القَبُول » بفتح القاف . ولقد ذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : « لم نسمع العرب تضم القاف في قَبُول ، وكان القياس الضم لأنه مصدر مثل الدُخُول والخُرُوج » . ثم قال أبو عمرو : « ولم أسمع بحرف آخر في كلام العرب يشبهه » . انظر الطبري ٦ : ٣٤٤ في تفسير قوله تعالى : « فتَقَبَّلْهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ » . وأجاز الفراء والزجاج ضم القاف . كما في تفسير أبي حيان ٢ : ٤٤١ .

وحكى في اللسان عن ابن الأعرابي : « قبلت الهدية أقبلها قَبُولاً وقَبُولاً » .

١٦٩ - ص ٥١٩ البيت ١٧ :

سَمَا بالخَيْلِ أرسالاً لِسِمَا

فَين شُوسٍ إلى الداعي وقودٍ

وجاء في تفسيره : « الشوس : جمع الأشوس . وهو الجريء على القتال . القود : السهلة القياد » .

أما تفسير الشُوس بهذا فلم أره من قبل ، والمعروف أن الأشوس هو الذي ينظر بمؤخر العين تكبراً واستعلاء . أو غيظاً . أو الذي يرفع رأسه تكبراً ه ينظر بمؤخر العين تكبراً واستعلاء . أو غيظاً . أو الذي يرفع رأسه تكبراً ه وكذلك تفسير القود على هذا الوجه ليس صحيحاً . وإنما هو جمع أقود وقوداء . وهو من الخيل : الطويل العنق : وقد قودَ قوداً .

وأما ضبط « وقود » في مثل هذا التعبير ، فالذي استقر عليه الوضع في الكتابة المعاصرة التي لا تضبط فيها الكلمات ضبطاً كاملاً أن يهمل ضبط واو العطف . لأنها كلمة مستقلة معروفة الضبط . وأما الواو التي من صلب الكلمة نحو « وقودُ النار » فضبطها مستحسن إن لم يكن واجباً .

١٧٠ - ص ٥٣٤ فى البيت ٣٥ :

* غَمَاغِمٌ أَصْوَاتٍ وَجَرَسُ تَقَارُعٍ *

وقد فسر « التقارع » بأنه « التطاعن بالرماح » .

وليس كذلك فإن التقارع هو المضاربة بالسيوف يقرع بعضها بعضاً :

وجمهور مادة (قرع) يرجع إلى الضرب .

وفى مقاييس اللغة لابن فارس : « القاف والراء والعين . معظم الباب

ضرب الشيء . يقال قرعت الشيء أقرعه : ضربته . ومقارعة الأبطال : قرع بعضهم بعضاً . . . إلخ :

وفى اللسان : « والقراع والمقارعة : المضاربة بالسيوف ، وقيل مضاربة

القوم فى الحرب . وقد تقارعوا » . ولم يقل أحد من اللغويين إن التقارع التطاعن بالرماح .

والرماح لا يضرب بها ، وإنما يطعن بها . وقالوا : الضريبة : المضروب

بالسيف . وقالوا أيضاً : الضريبة : كل شيء ضربته بسيفك من حى أو ميت :

وقالوا فى فروقهم اللغوية : الطعن بالرمح . والطعن بالقول . وبعضهم

يقول : يطعن بالرمح ، ويطعن بالقول .

١٧٢ - ص ٥٣٤ البيت ٤٣ :

هُمْ عَوْضُوا مِنْ نَعْمَى إِذْ وَتَرْتُهَا

بِأَيْدٍ يَرْدُ الْفَائِتَاتِ مَدِيدُهَا

وصوابه « وَتَرْتُهَا » بالبناء للمجهول . وهى بمعنى سلبتها أو نقصتها .

١٧٣ - ص ٥٣٥ البيت ٥ :

إِذَا سَادَ شِيْبَانُ بْنُ ثَعْلَبَةَ ارْتَضَتْ

رِئَاسَةً عَلَى الْبَيْتِ يَفْرَعُهَا مَجْدًا

و « الرئاسة » بكسر الراء والهمز لا تعرفها اللغة ، وإنما تعرف « الرئاسة » بالتسهيل ، و « الرئاسة » بفتح الراء والهمز لا غير ، كما هو ثابت في المعاجم الأصيلة .

وقد ورد هذا السهو أيضاً في ص ٥٨٥ في البيت ١٩ فليصحح .

١٧٤ - ص ٥٣٥ جاء في التعليق على البيت الثاني وهو :

جرى فحوى سبق المحيدّين وادعا

وأعطى فما أعطى قليلاً ولا أكدى

عبارة « الذى بخل فى العطاء » . وصوابها : « أكدى : بخل فى العطاء » .
وقد جاءت على هذا الصواب عند التعليق على البيت الثالث ، وهو :

ولم يُبدر إفضالاً على متطلب

فواضله إلاّ أعاد الذى أبدى

وليس فى هذا البيت الثالث ما يقتضى هذا التعليق الذى أثبت فى حواشيه .
والوجه فى كتابة « أبدى » هذه أن تكتب « أبداً » كما فى المطالع النصرية ١٢٢ لأنها مسهلة عن أبداً . وفى الكتاب العزيز : (إِنَّهُ يُبْدَى وَيُعِيد) .
١٧٥ - ص ٥٣٨ : « وقال يهجو بنى جعفر النَّمِرِيّين » هكذا ورد ضبط كلمة « النَّمِرِيّين » . وإنّما النسبة الصحيحة إلى قبيلة النَّمِر : « نَمَرِيّ » بفتح الميم كما جاء فى نص اللسان . وجاء فى همع المواعع ٢ : ١٩٥ : « إذا نسبت إلى فَعِيل بفتح الفاء وكسر العين ، أو فَعِيل بكسر الفاء والعين ، أو فَعِيل بضم الفاء وكسر العين فتحت العين من الثلاثة ، كنَمِر ونَمَرِيّ . وإِيل وإِيْلَى ، ودُئِل ودُؤْلَى » . ثم نقل عن أبى حيان قوله : « ولا أعلم خلافاً فى وجوب فتح العين فى نحو نمر وإبل ودئل ، إلاّ ما ذكره طاهر القزوينى فى مقدمة له أنّ ذلك على جهة الجواز ، وأنّه يجوز فيه الوجهان » .

وفى هذا يقول ابن مالك :

وأولِ ذا القلب انفتاحا . وفَعِل
وفَعِلُ عَيْنُهُمَا افْتَحَ وفُعِلُ

١٧٦ - ص ٥٤٥ البيت ٦ :

ما كان لى جَلَدٌ فيودى إنَّما
أودى غداةَ الطاعنين تجلدى

صوابه « فيُودى » بكسر الدال وفتح الياء . وأودى معناه هلك وفى .
يقول : لم أخلقَ ذا جلد حتى يقول الناس : قد أودى جلده ، وإنما
تجلدت . أى تصنعت الجلدَ وتكلفته . فأخففتُ فيما تصنعتُ وحاولتُ
قَسَرَ نفسى عليه .

١٧٧ - ص ٥٦٩ البيت ٢ :

أَقْسِمُ الظَّنَّ فيه أننى تَخَطَّى الـ
رَمْلَ من « عالج » وأننى تَهْدَى

وصوابه « أَقسِمُ » من القَسَم لا من الإقسام . كما ينبغى ضبط « الظن »
بالنصب « الظَّنَّ » فإن الكلمة مهملة الضبط فى النسخة وعدم ضبطها يوقع فى
لبس . يقول : أضحت ظنونه مقسمةً ، مما ساوره من الشك فى ذلك .
وتقول العرب : قسم فلانُ أمره : لم يدر كيف يصنع فيه . وقال عدى
ابن زيد :

ظِنَّةٌ شُبِّهَتْ فأمكنها القَسَمُ
م فأعدته والخيرُ خبيرُ

١٧٨ - ص ٥٧٠ البيت ١٣ :

وإذا القوم لم يرَاحُوا لقُربى

كان لى عنهم مَرَّاحٌ ومغْدَى

ووجهه « لم يرَاحُوا » بفتح الياء ، كما سبق توضيحه فى التنبيه رقم ١٥٥ :

١٧٩ - ص ٥٧٨ البيت ٢٤ :

وأشكرُ نعمةً لك باطلاعى

على أنَ الوفاءَ اليومَ مُودٍ

جاء فى تفسيره : « المودى : المهلك » ، وصوابه « المودى الهالك » ،
من قولهم : أودى ، أى هلك . ومنه قول أبى ذؤيب :

أودى بنى فاعقبونى حسرة

بعد الرقاد وعبرة لا تقلعُ

وقول أبى العلاء :

أودى فليتَ الحادثاتِ كفافِ

مالُ المُسيِّفِ وعنبرُ المُستافِ

١٨٠ - ص ٥٨٠ البيت ٥ :

وبالسَّجورِ من ثعلٍ بن عمرو

صناديدُ من الفتيانِ صيِّدِ

وضبط « ثعلٍ » بكسر اللام ضبط صحيح . فإنه ليس ممنوعاً من الصرف .
وفى اللسان : « وبو ثعلٍ : بطن ، وليس بمعدول ، إذ لو كان معدولاً
لم يصرف » . فلا يحسب الحسب أن الشارح أخطأ فى هذا . بل هو على الصواب
وإنما النسب فى ضبط « صيِّدٍ » . فإن روى التمهيدة « ضموم » . وأولها :

أشَرِّقُ أُمَّ أَعْرَبَ يَا سَعِيدُ
وَأَنْقُصُ مِنْ زَمَاعِي أُمَّ أَزِيدُ

١٨١ - ص ٥٨٨ البيت ٤ :

بئس المُرَجَّى للفتاةِ يَصُونُهَا
والمُرْتَجَّى لِصِلَاحِ أُمِّهِ فَاسِدِ
ينبغي ضبط « المُرَجَّى » بتشديد الجيم المفتوحة ، وأما « المُرْتَجَّى »
فصوابه « المُرْتَجَّى » بفتح الجيم .

١٨٢ - ص ٥٩١ البيت ١٢ :

فَهِىَ الشَّمْسُ بِهَجَةٍ . وَالْقَضِيبُ
غَضُّ لِينًا . وَالرَّثْمُ طَوْقًا وَجِيدًا

صوابه « طَرْفًا وَجِيدًا » : فإن المرأة تشبه بالظبي في عينه وجيده . وليس
للظبي طوق كالحمّام فتشبه به المرأة . على أنه قد ورد في كلام الشارح :
« الطرف العين » . وجاء بهذا اللفظ الصحيح في طبعة مصر من الديون .

١٨٣ - ص ٥٩٥ البيت ٣٧ :

عَبْدَ شَمْسٍ شَمْسُ الْعَرِيبِ أَبُونَا
مَلَكَ النَّاسَ وَأَصْطَفَاهُمْ عَيْيِدَ

هكذا ورد ضبط « الْعَرِيبِ » ولم ترد « الْعَرِيبِ » بمعنى العرب ،
وإنما ورد « الْعَرِيبِ » بهيئة التصغير للعَرَبِ . وفي لسان : « الجوهري :
الْعَرِيبُ : تصغير الْعَرَبِ » . وأنشد لأبي الفندي :

وَمَكْنُ الضَّبَابِ طَعَامُ الْعُرَى
بِ لَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُ الْعَحِمِ

ثم قال : « صغرهم تعظيماً ، كما قال : أنا جُدَيْلُهَا المَحْكُوكُ ،
وعُدَيْقُهَا المَرْجَبُ » .

١٨٤ - ص ٦٠٢ البيت ٥ :

أَسْقَى مَحَلَّتَكَ الغَمَامُ . ولا يَزَلُ

روضُهَا خَضِرٌ ونورُ جاسدُ

وفى تفسيره : « الجاسد : اللاصق » .

وأى حُسْنٍ فى هذا ؟ ! إنما الجاسد : المشبه بالجاسد ، وهو اللدم
اليابس . شبهه به فى حمرة .

وقد تكرر هذا الخطأ فى تفسير البيت ٩ من صفحة ٦٢٣ .

١٨٥ - ص ٦٠٤ البيت ٥ :

مِنْ كُلِّ أَهَيْفٍ مُرْهَفٍ

أو أَجِيدِ اللَّبَّيْنِ أَغْيَدِ

وفى تفسيره : « اللب واللبة : المنحر . وموضع القلادة من الصدر » .

ولا وجه لهذا التفسير هنا . ونص البيت محرّف . صوابه « اللَّبَّيْنِ »
مثنى لبّيت . واللّبتان : صفحتا العنق . وهما اللتان توصفان بالجيد .
أى الطّول .

وأما اللّب وموضع القلادة من الصدر فليس يصفه العرب ولا غير
العرب بالطّول .

ومما ورد فى ذلك قول ابن دريد : وأنشده الزجاجى . فى أماليه ٧٠ من
تحقيق كاتبه :

أَعْنِ الشَّمْسُ عِشَاءً كَشَفَتْ تِلْكَ السُّجُوفُ

أَمْ عَنِ الْبَادِرِ تَسْرَى مَوْهِنًا ذَاكَ النَّصِيفُ

أُم على لَيْتَيْ غزالٍ عُلِّتْ تلك الشُّنُوفُ

١٨٦ - ص ٦٠٧ البيت ٧ :

غادتك منها غداةُ السَّبْتِ مؤذنةٌ

بنيَّةٌ ، وأشَقُّ الكرهِ ما غادى

وفي البيت ما يسمى في مصطلح علماء البلاغة « التجريد » . يقول :
غادتك منها ، أى من تلك الحبيبة ، فى تلك الغداة ، مؤذنةٌ بنيَّة . والتَّيَّةُ
والنَّوى : الوجه الذى ينويه المسافر من قُرب أو من بُعد .

فصواب ضبطه « غداةُ السَّبْتِ مؤذنةٌ » . وقبل البيت :

ما حقُّنا من سليمى أن تَقْضِرَ لنا

بالبدل منعاً وبالإدناء إيعاداً

١٨٧ - ص ٦١٢ البيت الأول :

تمادى اللائمون وفى فسؤادى

جَوَى حُبِّ يَلْجُ به التمدادى

وضبط « يَلْجُ » لا يستقيم ، وله صوابان : « يَلْجُجُ » بكسر اللام ،
فيكون فعله من باب ضرب يضرب ، و « يَلْجُ » بفتح اللام . فيكون من باب
سمع يسمع . والضبط الأخير ورد فيما أنشده صاحب اللسان :

وما العفو إلا لامرئ ذى حفيظة

متى يعفُ عن ذنب امرئ السَّوءِ يَلْجَجِ

وأما « يَلْجُ » بضم اللام فلم تُسمع ولم تُقَسَّ : لأن قياس المضاعف
اللازم أن يكون مضارعه مكسور العين كقولهم : شدَّ يَشِدُّ ، وفرَّ يَفِرُّ ،
ورقَّ يَرْقُّ .

١٨٨ - ص ٦١٥ البيت ٢٢ :

كالسيف يكسر متْنُهُ

قَصَرَ العِدَى وبُسِير حَسَدُهُ

وفى تفسيره : « القصير : أصل العنق » .

والقصير جمع لا مفرد . فالصواب أن يقال : « القصير : جمع قصرة . وهى أصل العنق » . ويشبه بالقصر بمعنى أصول الأعناق ما غلظ من أصول أجذاع النخل فيقال لها قَصَرَ أيضاً . وبه فسّر ابن عباس قوله تعالى : « إنَّها ترمي بشرِّ كالْقَصَر » فيمن قرأ هذه القراءة .

١٨٩ - ص ٦١٩ البيت ٣ :

فوقفتنا على الطلول يفيض اللؤلؤ

لؤلؤ الرطب من عيون صوادٍ

صواب كتابته : « يفيض اللؤلؤ » .

١٩٠ - ص ٦٢٠ البيت ٩ :

مكلم الخضر لى فصيرنى به

سدك عيناً على عيار البلاد

ليلة بالشأم . ثُمَّت بالأهـ

سواز يوماً . وليلة بالسواد

وفسّر « العيار » فى البيت الأول بما نصّه : « عيار الشيء : ما جعل نظاماً له يقاس به ويسوى » .

وليس هناك مدخل للخضر عليه السلام فى هذا العيار . وإذا لحظنا أن

الحضر كان معروفاً بكثرة التجوال ، يضرب به المثل فى ذلك . وللعامة فى ذلك خرافات وأكاذيب ، يزعمون أنه جوال فى الأرض مغيب الشخص عن الأبصار . حتى إنه ليكون فى أقصى المشرق وعند منتهى العمارة . وفى منقطع التراب ومسقط الشمس من آخر المغرب ، فى وقت واحد . كما فى ثمار القلوب للثعالبي ٤١ - ٤٢ .

أقول : إذا لحظنا ذلك تعين أن يكون المراد بالعيار هنا مصدر عار يعير عياراً : ذهب فى الأرض منفلاً هائماً . ومن ذلك ما قالوا : رجل عيار : كثير الهجاء والذهاب فى الأرض . وربما سمي الأسد بذلك لتردده ومجيئه وذهابه فى طلب الصيد . قال أوس بن حجر :

ليث عليه من البردى هيرية

كالمرزباني عياراً بأوصال

وهذا المعنى يفسره البيت التالى : أنه ينطلق ما بين الشام والأهواز والسواد .

وفى البيت الثانى ينبغى أن تضبط « ليلة » بالنصب على الظرفية فى موضعيتها . بدليل نصبه « يوماً » مثلتها على الظرفية .

١٩١ - ص ٦٢٢ البيت ٧ :

وما الناس إلا واجد غير مالك

لما ينبغى ، أو مالك غير واجد

وإنما يقال ينبغى فيما يحسن بالمرء ويستحب له . يقال ينبغى لك أن تفعل كذا . وما ينبغى لك أن تفعل كذا . وفى الكتاب : « ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دنك من أولياء » .

فصوابه : « لما ينبغى » . وابتغى الشيء : طلبه . قال تعالى : « يبتغون فضلاً من الله ورضواناً » . لقد ابتغوا الجنة من قبل .

وهذه الرواية الصحيحة ثابتة في طبعة مصر من الديوان .

١٩٢ - ص ٦٢٩ البيت ٢٢ :

خَطِلَ اليدين إذا تَفَرَّقَ في النَّدى

جَمَعَ العُلَا فيمَا يُفِيد وَيُفِيدُ

وساق الشارح أنه في بعض النسخ « خَطِلَ اليدين » أى بالطاء . وفسر هذا بقوله : « يقال رجل خطل اليدين ، أى خَشِنَهما » .

ومن الحق أن هذا التفسير مستمد من نصر القاموس في معانى « المَخْطَلِ » . إذ يقول : « ومن الثياب والبدن : ما خَشُنَ وغلظ » . لكن اللغويين يفسرون « خَطِلَ اليدين » حينما يكون نعتاً للكريم تفسيراً خاصاً . لأنه كناية خاصة ، ففي اللسان : « ويقال للجواد من الرجال خطل اليدين بالمعروف ، أى عجِلَ عند الإعطاء . الجوهري : رجل جواد خَطَلُ » ، أى سريع الإعطاء » .

فالخطل هذا مأخوذ من الخطل بمعنى الخفّة والسرعة . لا من الخطل بمعنى الخشونة والغلظ . وشتان ما بينهما .

١٩٣ - ص ٦٣٦ البيت ٣١ وما بعده :

لَتَفَنَّنَتْ في السَّكَّاتِ حَتَّى

عَطَّلَ النَّاسَ فَنَّ عَبْدُ الْحَمِيدِ

في نظامٍ من البلاغة ما شـ

لَكَ امْرُؤٌ أَنَّهُ نَظَامُ فَرِيدِ

وبديع كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّالِ

حَكُ في رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ

مشرقٌ في جوانبِ السَّمْعِ ما يُخْذُ

لَمِيقَهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيدِ

صوابه « وبديعٍ » عطفاً على « نظام » . و « مشرقٍ » بالجرّ نعتاً للبديع .
فإن البحرى يتكلم في معارض كتابه الممدوح - وهو محمد بن عبد الملك
الزيات - ما بين نظامها . وبديعها . ومعانيها التى نعتها بقوله فى البيت ٣٨ :

ومعانٍ لو فصلتُها القوافى

هَجَّتْ شِعْرَ جَرَوَالٍ وَايِيدِ

فهذا كله معطوف على « نظام » .

١٩٤ - ص ٦٣٧ البيت ٣٦ :

مُسْتَمِيلٌ سَمِعَ الطَّرُوبِ الْمَعْنَى

عن أغانيَّ « زُرْزُرٍ » و « عَقِيدٍ »

وإنما هى « أغانيَّ » بكسر الياء . لأنه مع منعه من الصرف قد أضيف إلى
ما بعده . والمنوع من الصرف إذا أضيف أو حلتى بأل لم يجر بالفتحة .
وإنما يجر بالكسرة . كما هو معروف .

* * *

وأما بعد فإنى أرجو أن يكون فيما أثبت فى هذا الكتاب نفع لمن أراد ،
وتبنيه لمن طلب مجانية الزلل . وأكثر ما ذكرته فى هذا الكتاب من
تصحیحات وتوجيهات . إنما هو علاج لأخطاء كثير آ ما يقع فيها الخاصة
من الأدباء . مهسا توقوا من الزلق السهو . وتنبوا مواقع الخطأ .

والعصمة لله وحده

حول ديوان البحترى

للأستاذ : حسن كامل الصيرفى (*)

الحمد لله العلىّ القدير ؛ الذى قدّر لى أن أشهد من مظاهر التقدير الخالص .
يوجّه لىّ فى كل مكان من كل بلد للعمل الذى قُتُّ به فى تحقيق هذا الديوان ،
والمنهج الذى ارتضيتُهُ فى هذا التحقيق . ما عوّضنى عما بذلتُ من جهد
وما أنفقتُ من عمر لأنهض بهذا الواجب .

والشكر بعد الله ، الذى أعاننى على ذلك جلّت قدرته ، إلى العلماء
الأجلاء الذين أشادوا بما صنعت فى هذا الباب ، والذين أبدّوا من سديد
الرأى ما استلهمتُ منه الصواب . وإنى لأشكر بخاصة الأخ الكريم العالم
المحقق الأستاذ عبد السلام محمد هارون على ما قدّم لىّ فى مقالاته التى
نشرها منذ سنوات فى « المحلّة » وجمعها بعد ذلك فى كتابه « حول ديوان
البحترى » من ثناء أرجو أن أكون دائماً أهلاً له ، وما عنتى به نفسه من
استقصاء الجزء الأول من الديوان .

وأشهد أنى قد أفدت كثيراً من ملاحظته وتوجيهاته — وهو الرجل
الذى تمرّس بهذا الفنّ قرابة الأربعين عاماً — فكان لهذه الطبعة حظٌّ من
التصويب على ضوء ما أثار نقده .

على أننى قد احتفظت برأىى فى بعض ما نقده الأستاذ الجليل من مثل :

١ قول الشاعر فى صفحة ٣٧٦ « من يتصرّع » وقول الأستاذ هارون :
صو به ا يتصرّع » .

(*) نشر الأحم الحفيل - حسن كامل لصيرفى ردد هذا عن نقدى به فى إيماز ، وذلك فى
مقدمه الطبعه الثانيه من ديوان ابهترى تى بدأ فى إصداره سنة ١٩٧٢ .

والشاعر قد استعمل هذه الصيغة أكثر من مرة في قوله في البيت ٩ من القصيدة ٥٠٠ (صفحة ١٢٤٦) والكلمة الأخيرة فيه تؤكد أنها :

أَمِنَّا أَنْ تَصْرَعَ عَنْ سَمَاحٍ
وَلِلْأَمَالِ فِي يَدِكَ اضْطِرَاعُ

وفي البيت ٢٢ من القصيدة ٥٠٥ (صفحة ١٢٦٥) :

لَمَرَّ عَلَيْنَا غَيْمُهُ وَهُوَ مُثْقَلُ
فَعَرَجَ فِينَا وَبَنَاهُ وَتَصَرَّعَا

وفي البيت ١٤ من القصيدة ٧٠٣ (صفحة ١٨٤٣) :

يَتَصَرَّعَنَّ لِلرَّجَاءِ دُؤُورُ الْ
غَيْمِ ، وَالْوَدْقُ خَارِجٌ مِنْ خِلَالِهِ

ولقد فسرناها جميعها بمعنى التواضع والتساقط . وانظر كلام الآمدى في الموازنة (١ : ٣٨٤ طبعة دار المعارف) .

٢ - لفظة « العُروب » : جمع « عُرْبَة » ، وهى سفن رواكد كانت فى دجلة ، وكانت عبارةً عن طواحين قائمة على هذه السفن .

قال الأستاذ هارون : « ولست أتكم فى غرابة هذا التفسير . وإنما الغريب حقاً أن تُجمع العُرْبَة على العُروب ، فإنّ هذا لا يكون . وصواب الكلمة « العُروب » بالغين المعجمة المضمومة وهى الدلاء العظيمة . . » .

ونقول إن هذا الجمع للعروب قد كان متداولاً . ذكره الشابشتى فى « الديارات » (٤٥ طبعة أولى) حيث قال وهو يتكلم على « دير مر جرجس » على شاطئ دجلة : « والعُروب بين يديه » .

وهذه الصيغة ذكرها ابن الرومي في شعره أيضاً (ديوانه ١ : ٥٤٨) :

وجاوزنا قُرَى بَعْدَادَ حَتَّى

دَلَلْنَ عَلَيْكَ أَصْوَاتُ الْعُرُوبِ

وإن كان محقق الديوان المرحوم الشيخ محمد شريف سايم قد جعلها « العُرُوب » وقال : « وفي الأصل العُرُوب بالعين المهملة ولا معنى له . فأصلحناه (الغروب) » وقال في تفسيره : « حتى دلان عليك أصوات الغروب . أى إلى أن أرشدنا إليك الأصوات التى تعلو عند مغيب الشمس (أى أذان المغرب) أو الأصوات التى تحدث من الدلاء العظيمة التى يستقى بها الماء على السانية (الشادوف) . ولعل ذلك كان يفعل على شطوط دجلة عند سامرا » .

ويذكر الأستاذ كوركيس عوَّاد في شرحه للديارات أن « العروب » أى الطواحين كانت شائعة في العراق والجزيرة وبعض ما جاورها من البلدان . ويرتقى استعمالها إلى ما قبل الإسلام . وظلَّت معروفةً حتى المائة السادسة للهجرة ، ثم قلَّ استعمالها . مُحيلًا إلى مقال للأستاذ ميخائيل عوَّاد عن « العُرُوب في العراق » نشر في « الرسالة » مجلد ٨ سنة ١٩٤٠ العدد ٣٦٠ ص ٨٩٤ - ٨٩٦ .

٣ - أخذ علينا تفسيرنا في صفحة ١٤٣ للحجَّام بأنه الحلاق . وقال : « والحلاق غير الحجَّام . فالأول لتحليق الشعر ، والآخر لاستنزاف الدم ، وإضافة عمل الحلاق إلى الحجَّام لا يصح معه أن يقال لما يستعمله الحلاق من أدواته محاجم . . . » ثم قال : « فالتعميم في تفسير الحجَّام بالحلاق لا سند له في اللغة ولا لاستعمال » .

ونقول : إن البحرى نفسه قد استعمل ذلك في هجوه لصاحب بريد مُضَرَّ فقال في القصيدة ٨٠٩ (صفحة ١٢٣٥) :

الآنَ أُنْقِنْتُ أَنَّ الرِّزْقَ أَفْسَامُ
لَمَّا تَقَلَّدَ أَمْرَ الْبُرْدِ حَجَّامُ

ثم قال :

فجاءهُ بَتَقَارِيضٍ وَمُرْهَقَةٍ
من المَوَاسِي لها في الخَلْقِ إِحْكَامُ

والخلق : هو إزالة الشعر . والتقاريض : المقصات .

ونجد في كتاب « لباب الآداب » (٨٥) خبراً أن الحسن بن عليّ دعا « حجّامه ليسوى من شاربه » .

وجاء ذكر « أبى حرملة الحجّام » في تاريخ الطبرى بهذه الصيغة (٩ : ٤٥٣ دار المعارف) . وورد في كتاب « الذخائر والتحف » وفي كتاب « الديارات » باسم « أبى حرملة المزّين » .

وكلنا يذكر حتى الثلاثينات من هذا القرن . كان يؤديه حلاق الصحة من أعمال الفصد وخلع الأسنان .

٤ — أخذ علينا عند ذكر بيت البحترى في (صفحة ٥١٩) :

سَمًا بِالْخَيْلِ أَرْسَالًا لِسِيمًا
فَيْنَ شُوسٍ إِلَى الدَّاعِي وَقُودِ

تفسيرنا للشّوس بأنه جمع الأشوس . وهو الجرىء على القتال الشديد . والقُود بأنها السهلة القياد .

وقال : « أمّا تفسير الشّوس بهذا فلم أره من قبل . والمعروف أن الأشوس هو الذى ينظر بمؤخر العين تكبراً واستعلاء أو غيظاً ، أو الذى يرفع رأسه تكبراً » .

وقال : « وكذلك تفسير القود على هذا الوجه ليس صحيحاً ، وإنما هو جمع أقوَد وقَوْداء . وهو من الخيل : الطويل العنق » .

ونقول إن تفسير الأشوس كما ذكرناه منقول عن اللسان (٧ : ٤٢٢ سطر ٧ طبعة بولاق) .

والتفسير الذى جاء به الأستاذ الجليل لكلمتي « الشوس » و « القود » صحيح لا غبار عليه . ولكنه لا يناسب الموقف هنا ، وإنما الذى يناسبه تفسيرنا : حيث يذكر البحرى أن ممدوحه كان يرقى بخيله فى إرسال متتابعة إلى مقر قيادة سيما الطويل حاكم أنطاكية لينقض بها عليه . فلو أن الخيل كانت تنظر بمؤخر العين تكبراً لتدهورت من هذا الجبل إلى سفحه ، ثم هو يصفها بأنها كانت سهلة القيادة تجيب دعوة الداعى إلى القتال فلا تحزن .

ولعل الأخ الكريم يوافقنى على أن التفسير الآخر ينطبق على الخيل إذا كانت فى موقف عرّض لا موقف حرب .

* * *

هذا بعض مما أردت أن أذكره فى مناسبة الصبغة الثانية . أم ملاحظات أخى العام المحقق الحجة فقد كانت هادياً لى صوّبت ما جانبى التوفيق فيه على ضوءها . والعصمة لله وحده — شاكرًا للأخ الكريم جميل عنايته وتفضله بما قدّم ، حفظه الله . ومستزيداً منه ومن غيره من العلماء الأجلاء ما يهدينا إلى وجه الحق .

وبعد . فهذه هى الصبغة الثانية أقدمها ، وأنا أرجو أن يقدر الله لى أن أقدم طبعة ثالثة بإذنه تعالى تكون أقرب إلى الكمال الذى أحاول أن أبلغ أعتابه .

* * *

ثم كتب في ص ٢٧٤٥ من الديوان وهو الجزء الخامس مصدرآ
(الملاحظات) كتب يقول :

« أخذ علينا الأخ العلامة الأستاذ عبد السلام هارون في كتابه « حول
ديوان البحترى » ص ٤٤ ضبطنا لاسم نوبخت بضم الباء في تقديم القصيدة ٨١
ص ٢٤٥ : وذكر أن الصواب فتح الباء . وقال : « تكرر هذا السهو في
ص ٢٤٩ ، ٢٥٢ . »

ونقول : إن الضبط الذى أثبتناه من واقع النسخة (أ) التى بدأ كتابتها
بمدينة تبريز في شهر رمضان سنة ١٤٢٤هـ على بن عبد الله الشيرازى ، وختمها
في صفر سنة ١٤٢٥ وهو رجل فارسى دقيق الضبط . فهو يضبط « نوبخت »
في كل المواضع التى جاءت منها في الديوان بضم الباء .

وبهذا الضبط جاء هذا الاسم في « شرح ديوان ابن الرومى » الذى اعتمد
محققه المرحوم الأستاذ الشيخ محمد شريف سليم « على رجل فارسى اسمه
ذبيح أفندى بهروز . وقد أشرنا إلى هذا في تعليقنا على القصيدة ٧٠٢ ص ١٨٣٨ .

ونعود فنكرر هنا شكرنا الذى أثبتناه في مقدمة الطبعة الثانية للأخ الكريم
على ما أفدنا به كثيرآ من ملاحظاته وتوجيهاته . وهو الذى تفرس بهذا الفن
من التحقيق لترائنا الخالد وأدى له أعظم الأيادى . وبلغ به القمة .

ما هو جدير بالتسجيل أن الأستاذ العلامة حسن كامل الصيرفى أهدي إلى طبعته الثانية لديوان
البحترى بعبارة يقول فيها : « يسعدنى أن أقدم إلى . . . الأستاذ عبد السلام محمد هارون هذه
الطبعة الجديدة من هذا الديوان التى هيأ لها نقده المذهب الرصين صحة وقوة ، مع خالص محبتي » .

البَابُ الثَّالِثُ

بَيِّنَ الْأَدْبَاءَ وَالْعُلَمَاءَ وَبَيَّنِّي

نظرة في كتاب الحيوان للجاحظ(*)

رد على نقد

بقلم شارح الحيوان

اطلعت على ما كتب الأستاذ الأديب حسن السندي في العدد ٤٤٧ من صحيفة الدستور .

وفي الحق أن الأستاذ السندي قد درب بأدب الجاحظ ، ولقن كثيراً منه وأنه أمضى في ذلك سنين طويلة ، أفاد فيها خبرة وعلماً ، واكتسب فضلاً ومعرفة .

وما أردت بكلمة « رد » غرضاً فيه معنى الشخصية أو المناجزة ، فلست أجعل ذلك من دأبي ، ولست أراه من الأدب ولا من خلق العلم في شيء .

ولقد سرني من الأستاذ أن يقول في شأنى : « فقلت مالى ولصاحب هذا الاسم فما على إلا أن أنظر في عمله ... » الخ . فقد أعجبني هذا التجرد الذى يدل دلالة بيّنة على أنه كان مخلصاً في قوله ونقده وأنه لم ينظر إلى الشخص بل نظر إلى العمل ، وذلك ما حدا بى إلى أن أثبت مع وجه الحق ، فيما أشار إليه في مقاله .

- ١ -

قال الأستاذ : « فن ذلك ما جاء في ج ١ ص ٣٩ وهو يصف الكتاب حيث يقول : ومن لك بروح هندی ، وبفارسی یونانی ، وبقدیم مولد ،

(*) نشرت في صحيفة الدستور المصرية بتاريخ ١٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٥٨ هـ وأول جريدة سنة ١٩٣٩ م .

وبميت ممتّع . فلقد ضبط - يعينى - كلمة (ممتّع) بتشديد التاء المفتوحة . وهذا ليس بصواب . والحق أنها بكسر التاء ليكون ممتّعاً ... » الخ .

وقد تجنى الأستاذ السندوبى على كلمة « صواب » فحذفها ما لا تستطيع حمله . ولو أنه قال « الأرجه » أو « الأوفق » لكان بذلك مرضياً للحق الذى يريده .

والأستاذ تدرس بكلام الجاحظ ، وعرف طريقه فى المزاوجة والمقارنة بين الألفاظ والعبارات . وهو هنا أراد المقابلة بين النقيضين : فالروى الأحمر يقابله الهندى الأسود ، واليونانى ذو الفلسفة العقلية . أمامه الفارسى ذو الفلسفة الروحية ، والقديم يواجهه المولد المستحدث ، وكذا أراد بكلمة « ممتّع » بفتح التاء المشددة ، ذلك الذى متع بالحياة الذى له أجل خصالها ، وهو الإفهام والحديث إلى الناس .

فردا يحدثنى الموتى وتنطق لى

عن علم ما غاب غنى منهم الكتب

* * *

تعلمن أن السدواة والقلم

(تبقى) ويفنى حادث الدهر الغم

انظر الجزء الأول ص ٩٥ . ٩٦ .

- ٢ -

قال الأستاذ : « وفى هذه الصفحة ضبط كلمة الشكل بكسر الشين المشددة والصواب فتحها . وكذلك ضبطها بهذا الخطأ فى صفحات عدة » .

وأنا أعرف أن الأستاذ الجليل من أصحاب المكتبات العامرة ، وأن أمامه على مكتبه « القاموس المحيط » وأنه يستطيع أن يحرك دفتى الجزء الثالث فىرى

في مادة (ش ك ل) أن الشكل بكسر الشين ليس خطأ ولا تحريفاً ، بل هو في أسطم الصواب وصميمه .

وفي قول الأستاذ إنَّ الشين مشددة خروج عن المألوف في ضبط الكلمات ، إذ ليس تشديد الشين إلا أمراً عرضياً استدعاه دخول (أل) . والأعرف أن يقول : « بكسر الشين » .

- ٣ -

ووجه الأستاذ نقداً إلى في بيت تأبط شرّاً ص ٦٣ .

لتقرعنَّ على السن من ندم

إذا تذكرت يوماً بعض أخلاق

أخذ على أني ضببت الفعلين في هذا البيت بصيغة مخاطب المذكر ، أى بفتح عين « لتقرعن » وتاء « تذكرت » . وقال : « والصحيح أنَّ الخطاب موجه إلى مؤنث ، فيجب أن يضبط بكسر العين والتاء من الكلمتين » وأشار إلى ما في المفضليات ص ٣ .

وإني لأرجو الأستاذ - حفظه الله - أن يتدارك ذلك الضبط الذي أشار به ، وأن يرجع إلى فتح العين والتاء في طبعته المقبلة للمفضليات . وفق ما صنعت أنا في ضبط البيت ، فإنَّ قباه :

تقول أهلك ما لا لو قنعت به

من ثوب صدق ومن بز وأعلاق

عاذلتى إنَّ بعض اللوم معنفة

وهل متاع وإن أبقيتيه باق

إنتى زعيم لئن لم تتركوا عدلى
 أن يسأل الحى عنى أهل آفاق
 إن يسأل القوم عنى أهل معرفة
 فلا يخبرهم عن ثابت لاق
 سدّد خلالك من مال تجمعه
 حتى تلاقى الذى كل امرىء لاق

فهو قد قال : « لئن لم تتركوا عدلى » وقال : سدّد خلالك « ولم يقل :
 « لئن لم تتركى عدلى » ولا « سدّدى خلالك من مال تجمعيته » .

فواضح أنه توجه بعد البيت الأول إلى مخاطبة الذكور وأفرادهم .
 فما يقال من أنه بعد ذلك رجع إلى خطاب « العاذلة » أمر ينفر منه ذوق الأديب
 وتأباه جزالة الشعر ، ويضيق معه حلاوة النظم .

= § =

قال الأستاذ : وفى ص ٧٠ قال الجاحظ : « واللسان يصنع فى جوبة الفم
 وفى خارجه » فجعل المصحح كلمة جوبة بالياء بدل الباء ثم قال : والصواب
 جوبة بالجيم والباء » .

وفى هذا الاعتراض شيثان . أما أحدهما فإننى لم أجعل كلمة « جوبة »
 بالياء بل هى جاءت فى الأصل « جوية » بالياء التحتية ولم أحدث فيها تبديلا ،
 وتركتها كما هى ، واعتورنى الشك فقلت فى أسفل الصفحة : لعلها « حوية »
 بمعنى الاستدارة .

والآخر أن التصحيح الذى أشار به الأستاذ ضعيف الساقين . فهو يريد
 أن يجعلها (جوية) بالموحدة ، بمعنى الحفرة . فما يقول الآن إذا قلت له :

إن الكلمة في أصلها سليمة لا تحتاج إلى تصحيح ، وإن (جَوَّية) بالياء التحتية (تصغير الجوة ، والجرة هي - كما في اللسان - بطن الشيء وداخله ؟ ! فالجوية بالتصغير . بمعنى بطن الشيء أليق بقول الجاحظ : (وفي خارجه) .



قال الأستاذ : وفي ص ٨٠ يقول الجاحظ :

(وها هنا كتب هي بيننا وبينكم . مثل كتاب إقائيس . ومثل كتاب جالينوس ومثل المجسطي ، مما تولاه الحجاج) .

ثم أخذ علىّ أني ضببت كلمة (الحجاج) بكسر الحاء بمعنى الحاجة والمجادلة . وقال : (الصحيح أن المراد بكلمة (الحجاج) هنا هو الحجاج ابن يرسف بن مضر . من أكابر النقلة والمترجمين في عهد هارون والمأمون .

وأقول للأستاذ : ما ذكرت جائز . وليس ما يدفعه . ولكنه لا يمنع صحة ما ذهبت إليه . وفرق بين أن يكون للكلمة وجه واحد لا تحتمل غيره . وبين أن يكون لها وجهان تصح بهذا وتصح بذلك . وخاصة إذا تقاربت الأسباب والعلل .

فللأستاذ السندوني وجه جيد في أن يكون المراد بكلمة (الحجاج) ذلك الترجمان العظيم الذي كان أحد جماعة وكل إليهم الخليفة المأمون جلب كتب من بلاد الروم ثم أمرهم بنقلها إلى اللسان العربي . ثانیهم وثالثهم ابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة .

ولكن هذه الكتب التي ترجمت لم يتركها العرب كما هي . ولم يقبلوا ما فيها دون أن يحتكموا فيها إلى روحهم الشرقية وعقلهم العربي . فكان جدال وكان حجاج ، وكان انتصار وكان توهين ، وكانت مذاهب تنشر ومذاهب تطوى ، وكان القوم من نشاط فكري ونهيم عقلي . وكانوا أمام

العامة مضطرين إلى أن يبرروا ما فى تلك الكتب من مخالفة ظاهرية أو حقيقة لروح الدين :

فكتاب المحسطى الذى ألفه بطليموس . وترجم إلى العربية : صحح المأمون كثيراً من حساباته وأقيسته لمحيط الأرض والدرجة الأرضية ، وناقشه مناقشة دقيقة ولم يتركه كما هو :

وكتاب إقليدس يقول القفطى فى شأنه :

(وقد عنى به جماعة رياضيي يونان والروم والإسلام . فمن بين شارح له ومشكل عليه ، ومخرج لقوائده) .

وكذلك كثير من الكتب اليونانية كان يشرحها القوم ويتجادلون فيها ويتخاصمون .

أليس يكون هذا حجاجاً ومجادلة ؟ ! وفى أى شىء يكثر الحجاج والمجادلة . إن لم يكن فى كتب الفلسفة وشبهها ؟ !

- ٦ -

وقال الأستاذ : وفى ص ١٣٠ جاءت كلمة معاوية :

(ما استهتر به أحد إلا رأيت ذلك فى منتهى أى قوته . قال :

(فجعل المصحح كلمة ما استهتر : ما اشتهر . والصواب ما أثبتناه . لأن الاستهتار الولوع بالشىء) .

وأقول لحضرته ثانياً : إنى لم أجعلها « اشتهر » بل هكذا جاءت فى الأصل ، وليس ما يمنع صحتها ، وليس هناك ضرورة ملحّة تدفعنا إلى التبديل ما كان المعنى مستقيماً واضحاً . ولو أبجنا هذه القاعدة فى كثير من التوسع ، لثكرت معالم الكتب وضاعت أصولها . وجئنا بذلك على المكتبة العربية ، وعلى الأمانة التاريخية .

وما شؤّه كثيراً من الكتب المطبوعة إلا جرأة ناشريها على التغيير ، واستجابتهم إلى كل فكرة سريعة طارئة ، تخيل إليهم أن الصواب كل الصواب في التغيير والتبديل .

- ٧ -

وفي ص ١٤٧ يقول الأستاذ : إني جعلت قول الجاحظ : « ولا يقبض عليه بكفه » : « ولا يقبض عليه بكفه . » وأقول له ثالثة : إني ما جعلتها كذلك ، بل كذا جاءت بالأصل « بكفه » ولم أحدث فيها تغييراً . ولا مانع يمنع من صحتها ووجاهتها أيضاً . والقبض بالكف أولى وأعرف من القبض بالفلك . فالجاحظ يريد أن يقول : إن كل عظم يقع في كف الكلب فعند الكلب ثقة بأنه سوف ينفته ويرضه بقوة أنيابه وشدة فكيه .

وهي عبارة قوية تدل على ثقة الكلب بمقدرته أكثر من الكلمة التي أراد الأستاذ أن يوجه العبارة بها .

- ٨ -

وقال الأستاذ فيما وجهت به العبارة التي وردت في ص ٣٥٨ : « فلا يستطيعون الرجوع حمية واتقاء » والتي نبهت في أسفل الصفحة أن الكلمة الأخيرة منها لعلها « إبقاء » . إن هذه المحاولة من محاولة خاطئة ، وإن الصواب (أنفا) .

وأقول للأستاذ : إن « أنفا » وجيهة جيدة . و (إبقاء) أيضاً وجيهة جيدة . والمراد بها أن يبقوا على أنفسهم وعلى كرامتهم أن تذلل وتمتهن برجوعهم إلى بني عمهم وتعرضهم لظلمهم وعدوانهم .

وفي توجيهي أيضاً الحرص على الهنزة الأخيرة في الكلمة أن تضعي . مع ثبوتها في النسخ المطبوع عنها الكتاب .

- ٩ -

ومهما يكن من نقد الأستاذ السندوبى وهو الأديب الكبير ، فلا جرم أنه أملاه عليه خلوص الطوية . وصدق الغيرة وحب الإنصاف .

وإنى لأشكره صادقاً مخلصاً على حسن ظنه . وما أولانى من تقدير وعلى تنبيهه القيم فى ضبط كلمة « رخص » بضم الراء . فإن هذا مما غاب ويغيب عن كثير من الأدباء .

وأملى أن أقرأ نقده للجزء الثانى ثم ما بعده وأتمكن من الانتفاع به . فذلك أحب الأشياء إلى نفسى . وقد سبقت إلى توضيح هذه الرغبة ، أى رغبة النقد والإصلاح ، وطالبت بها كبار الأدباء فى ص ٤٠٣ من الجزء الثانى من الحيران .

وقد كتب إلى حضرة العلامة شيخ المحققين الأب انستاس مارى الكرملى طائفة من التوضيحات القيمة . نشرت بعضها فى صلب الكتاب ، كما سيكون فى المستدرك العام الذى سيلحق بالجزء السابع مجال لتوضيحات كبار الأدباء وتوضيحاتهم مضافة إلى توضيحاتى الخاصة واستدراكاتى ليقرب هذا الكتاب . الذى عبث به عوادى الأيام ، أشد القرب من الصحة والوضوح .

وإنى أحب فى الإصلاح أن يكون إصلاحاً قاطعاً . فأما الاحتمالات والتوقعات فميدان يجرى فيه الدخيل والأصيل ، والواغل والكريم .

وفى سبيل الحق تتسع الصدور وتنسى الأشخاص . ويذكر العدل والإنصاف .

عبد السلام محمد عارون

كتاب الحيوان للجاحظ

(الجزء الرابع) بتحقيق عبد السلام محمد هارون

نظرات فيه للتحقيق (*)

بقلم الأب أنستاس مارى الكرملى

- ١ -

بلغنى كتابك (الجزء الرابع من كتاب الحيوان) مع رسالتك الكريمة ، فدهشت مما رأيت ووقفت عليه ، إذ رأيتك تسعى سعيًا حثيثًا فى التحقيق والإمعان فيه ، على وجه لا يقاربك فيه أحد من المشتغلين بمثل شغلك من أبناء هذا الشرق الأدنى . فأهنتك بهذا الفوز العظيم المبين ، وبالقصبة التى انتزعتها فى حلبتك وأنت بهذا الإهاب الغض .

والإنسان — مهما بلغ من التفوق فى الدراية والعرفان — يحتاج إلى الإيغال فى ذلك التفوق ، لأن آفاق العلم تمتد وتتسع بقدر ما يُمعَن فى مناحيها . وأنا أبوّب ملاحظاتي أبواباً على الأوجه الآتية :

١ - أغلاط الطبع

ورد فى صفحة ٢٠٦ س ٥ ما يصلح بهذا الوجه : وعفى عليها .
وفى ٢٥٦ : ٩ من جُحره — و ٢٥٢ : ٣ أرقم — و ١٣٥ : ٢٥ والرُها

(*) نشرت هذه البحوث فى مجلة (الثقافة) السنة الثانية سنة ١٣٥٩ هـ ت ١٩٤٠م فى خمسة أعداد هى : العدد ٩٥ (٢٠ رمضان - ٢٣ أكتوبر) . والعدد ٩٨ (١٢ من شوال - ١٢ نوفمبر) . والعدد ١٠٠ (٢٦ من شوال = ٢٦ نوفمبر) . والعدد ١٠٢ (٦ من ذى القعدة = ١٠ من نوفمبر) . والعدد ١٠٣ (١٧ من ذى القعدة ١٧ من ديسمبر) .

أو والرهاء وتسمّى اليوم أرفنا ، والترك يكتبون خطأ : أوفنا . - ٣٧٨ : الألاعيب ٣٣٧ : ش ٢ راجز آمن ساكنى - ٤٣٥ الحجّاج - ٤٢٤ ساطيع الغُبّار . ٢٤٦ الدهّان . - ٢٨ : ١٣ بهامش - ٨٩ - ٩ أصحاب ابن النواحة (راجع ص ٣٧٨ : ٩) - ٤٠٣ قلّى مكانه لأنه كرمى .

٢ - أغلاط الضبط

١٠١ الأسبور . وفيها لغات قديمة . الأسبور بالشين المعجمة ، والصبور بالصاد ، والأصبور وهى اللغة الشائعة اليوم فى البصرة . وراجع ما كتبناه فى المشرق ٢ : ٩٢٧ . - الترسّئوج . الأصل فيها الطرسئوج بالطاء كما فى البرهان القاطع ، وهو معجم فارسى ونُقِلَ إلى التركية أيضاً ، ويسمى بالتركية تكور بالغى وسماه ابن البيطار الطرسئوج . وفى نسخة الترسئوج بالتاء المثناة الفوقية . وفى نسخة أخرى سرستوج ، وباليونانية تريغلا Trigla ، ووردت مطبوعة تريغلا بالفاء وهو غلط ، وبمعجمة الأندلس المُل ، والصواب المُول ، وصحفت الكلمة تصحيّفات عدة مختلفة ، فى محيط المحيط للبستاني يرشّئوك . وقد نقلها عن فريتغ الألمانى ولم ينبه عليه كما هى مألوف عادة . وقال النافقى : الطرسّئوج . ويقال ترسّئوج (وراجع معجم دوزى فى ترستوج) . ووردت فى كتاب البلدان لابن الفقيه طبع أوربة ١٠ : برسّئوج . وفى حياة الحيوان : طرسئوج أو طرسوج . وراجع ما كتبته فى المشرق قبل ٤٢ سنة . أى فى المشرق ١ : ٤٤١ . وفى معجم كتب البلدان لابن الفقيه بحث دقيق نفيس فى اسم هذا السمك ، فليراجع فإنه لا يستغنى عنه الباحث المتروى فى ما يكتب .

١٠٢ والبرد . ليس بالبرز لعنم وجوده البتة فى البصرة لأنه ليس من القواطع . والصواب البرزّم لوجوده فى نهر البصرة ، ومعروف بهذا الاسم إلى يومنا هذا وإن لم تذكره كُتُبُ القوم . والبرزّم من السمك القواطع .

١٠٣ : ١٢ تشرين . اختلف اللغويون في ضبطه . فمنهم من فتح الأول
 لاعتبارهم إياها على وزن تفعيل من المصادر العربية ، ومنهم من كسرها كما
 في محيط المحيط ولسان العرب (في تشر) ، وفي القاموس : تشرين
 بالكسر ، اسم شهر بالرومية (كذا . والكلمة إيرامية) وهما « تشرينان » .
 وكذلك في التهذيب للأزهري ، فالكسر أشهر من الفتح . وفي ١٠٦ : ٩
 الخُلْد . — وفي ١٢٩ مارماهى . ضَبَطُوهَا بكسر الراء كما في معجم بالمر
 خطأ . والفرس جميعهم ضبطوها بإسكان الراء وهى من (مار) أى حَيَّة ،
 و (ماهى) أى سمكة . والاسم المشهور اليوم في بغداد بل في العراق كله
 (مَرْمَرِيَج) وذكرها ابن البيطار (مَارْمَاهِيَج) وضبطت في نسخة باريس
 بإسكان الراء ، وفي طبعة مصر : « مارماهيح هو السليناج المعروف بالنون »
 قلت : وصواب هذه السِّلِينِيَّاح . بحاء مهملة في الآخر وهو من أسمائه في
 العراق ، أى بسين ولام ونون وباء موحدة تحتية وألف وحاء مهملة . —
 وراجع ما كتبناه في المشرق ٣ : ٦٣ إلى ص ٦٥ . وفي ص ٤٤٥ : صارت
 لهم خراطيمَ (لا خراطيمُ بالرفع) . لأنَّ معناها تحوَّلت الآئِفُ فصارت
 خراطيمَ . — و ص ١٨٥ ، قوله : وإذا كان ذلك ، لا غبار عليه .
 ولا حاجة إلى (كذلك) . والمعنى هو : إذا كان الأمرُ ذلك . — وفيها :
 ويتبخر باللبان كدُّ خَنان ، بالضم . وبالكسر خطأ . — ٣١٣ الذئب (بالهمز
 وبالياء لغة ضعيفة) — ٣١٨ الشَّكْل وبالكسر غلط . — ٣١٤ ، ٣٢٠ وفي
 غيرهما : تستمرى بالهمز هو الفصيح .

٣ — أغلاط الصرف

٢٥٥ : ١٠ أظافِرُهُ . كان يحسن أن ينسبه على أن (الأظافر) لا يقال
 إلا في الشعر لإقامة الوزن . وإلا فهو خطأ ، والعوام المصريون والسوريون
 مغرمون به دون العراقيين . فإن جميعهم يقولون : أظافر . بياء قبل الآخر .
 ٥٧ : ٢٢ ثلاثة مواضع — ٦٨ : ١٩ وفي ش ص ٣٠٢ مُعْجَمِي

استينجاس وریتشاردسن : وهذا تعبير مولد لا تعرفه لغة القرآن . وقد أولع به المعاصرون واستعمله صاحب تاج العروس والمصباح وغيرهما من اللغويين في إيراد شروحاتهم لبعض الكلم . ولو فكروا قليلاً لعدلوا عنه . لأن معناه أن لاستينجاس معجمين ولریتشاردسن أيضاً معجمين . إذ قد يكون للمؤلف الواحد تأليفان . فالعطف يكون على المضاف لا على المضاف إليه : فكأنك تقول : معجمى استينجاس ومعجمى ریتشاردسن . والصواب معجم استينجاس وریتشاردسن .

٦٩ : ٢٦ كذا جاء . والصواب : وكذا جاء ، أو : وهكذا جاء ، أو : وجاء - وفي ١٥٦ خضراء ، وفي ١٧٦ ملساء . والصواب خُضْرًا ومُلْس . لأن أفعل رهْؤْنَهَا فَعَلَاء إذا كان نعتاً لا يحىء الجمع إلا على فُعَل كقفل . ذكوراً وإناثاً ، وذلك إذا دلَّ أَفْعَل على لون أو عيب أو حلية يقال : رجال سود وسُمِرَ وبِيض . ونساء سود وسمِرَ وبِيض . وليالٍ بِيض وسود وأيام بِيض وسود . ألم تلاحظ أن الجاحظ قال مُلْس في أول س من ص ٢٧٥ : ويكاد جميعُ كُتَّاب مصر يركبون متن هذا الغلط . وقد صحَّحه مجمع فؤاد الأول للغة العربية على إلحاحى على أعضائه .

وفي ١٠١ الدجلة ليس بغلط . إنما هى لغة ضعيفة . وقد وردت باللام مراراً لا تُحصى في نزهة الجليس ، ولم ترد مرة واحدة مجردة منها . وقال ابن الوردي :

إن للدجلة ماء لم تصل مصر إليها

وقولك « الدجلة » وإدخال « ال » على دجلة خطأ ، فإن المعرفة لا تُعرَّف (كذا) ، كلام غير صحيح . فما قولك في : البصرة والحلة والموصل والشام . والحسن والحسين والعباس والكاظم . - والفرات والنيل والهبَّيخ . وكلها أسماء معرفة ومحلاة بالتعريف ؟ - فكلامك مردود ومدفوع على كل حال .

« في ١٠٨ دما ميل . وجاءت بهذه الصورة في مواطن عديدة . وكان الحق أن يقال : دَمَامِيل ، لأن فُعَلًا يجمع على فَعَمَاعِيل ، لا على فَعَاعِيل ، ولكن ورود دما ميل و دما مل في جميع الكتب يؤخذ بهما كليهما وإن خالف أحدهما القياس .

« في ٦١ والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية » (كذا) والصواب حَوِيَّة .

« وأغرب من هذا قولك في ص ١٦١ : « أشرار جمع شرير بالكسر والراء المشددة المكسورة » اه . — وهذه أول مرة أقرأ أن فِعِيلًا يُكَسَّر على أفععال ، ولم يقل به أحد قبلك ، إذ هو في منتهى الغرابة . وفِعِيل يصحح ولا يكسر . كما قالوا في جمع سكير وشريب وقديس : سكيرين وشريبين وقديسين . وأما أشرار فهو جمع شرير وزان شريف . وتقول في جمع شريف ومجيد وبديل وشهيد : أشراف وأمجاد وأبدال وأشهاد .

وفي ص ١٤٦ « بنى عبد الله بن غطفان » ، ولعلك كتبتها بألف أى (ابن) لوقوعها في أول السطر كما هو مألوف عادتك ، بخلاف ما كنت تفعل سابقاً . فأنا لا أوافقك عليه ، لأن (ابناً) إذا وقع بين عكمين ، بين اسم الولد ووالده ، فيجب « أن تحذف همزة الوصل أينما وقعت . أما إذا وقع بين اسم الولد وجدّه . أو اسم شهرته ، فتكتب الهمزة أينما وقعت ، ليتضح المعنى ولا يقع هناك إشكال أو شبهة .

وفي ص ١٤٨ : « أما إذ أبييت » والأحسن هنا — على رأيي — أن يقال : أما إذا أبييت . —

وفي ص ١٤٩ : « وبقي أثرنا بها » . وأفضل منها : « وبقي أثرها بها » .

وفي ص ١٥٢ : أو عصاً : بالألف القائمة .

وورد كلام لا معنى له في ص ١٥٨ س ٤ : فأما مقادير أجسامها فقط .

وفى ص ١٥٩ س ١ . وجاؤوا .

وضبطت المغناطيس بكسر الميم فى ص ١١٢ ، ولا جرم أنك نقلتها
عن محيط المحيط وهو معجم طافح بالأغلاط والأوهام والخلل والخلط ،
والصواب فتح الميم ، كما فى جميع المعاجم العربية المعتمدة .

وفى ص ١٣٢ « يَسْتَخْبِرُ الريح ؟ (كذا . ولا معنى له) والصواب
ما فى اللسان والقاموس والتاج : يَسْتَمْخِرُ » .

وفى ص ١٥٦ أثبت خرافة الغرائق وهى منقولة عن كتبة الفرس
ومُخَرَّفِيهِمْ . ويؤخذ من عبارة الجاحظ أنه لا يَعْتَقِدُهَا . واسم هذا
الوحش بالفرنسية carcal-Lynx وعلماءهم لا يَسْرُونَهَا .

« وفى ص ١٧٣ : « يرون من ملاقة الحية (للحيّة) . » هذا كلام فارغ
من المعنى . والصواب « مُلَاوَاة » . قال فى اللسان فى مادة (ع ق م) :
« إن الأسود من الحيات يأتى شط البحر ، فيصفر ، فتخرج إليه العقام
فيتلاويان ، ثم يفترقان فيذهب هذا فى البر وترجع العقام إلى البحر » اهـ .
فالملاواة : المحامعة .

وفى ص ١٧٥ : أنْسِعُ والصواب أنْسِعُ بفتح الهمزة .

وفى ص ١٧٦ « الشجاع : الحية الذكر ، والأرقم : حية فيها بياض
وسواد . . . » وكنا نتوقع أن تأتينا بتحقيقات علمية لا بنقول خالية من
الروية والتدبر . فى التاج . . وقال شَمِير فى كتاب الحيات : « الشَّجَاع
(كغُرَاب وكتاب) ضرب من الحيات لطيف دقيق . وهُوَ - (على ما)
زعموا - أجزؤها . . . » قلت : والكلمة يونانية من Siga أو Sige أى
الإطراق والسكوت . فيكون معناه : ذا الإطراق والسكوت : ولا يكون
كذلك إلا ضرب من الحيات فى نهاية الخبث . ومنه المثل عند السلف :

« أطرقَ إطراقَ الشُّجَاعِ » : - وأما الأرقم ، فالذى حَقَّقَهُ بوشارت Bochart أنه المعروف عند اللاتين باسم : Haemorrhoids وبال يونانية : Haimorrhoids (راجع معجم جسنوس Gesenius العبري اللاتيني) .

- ٢ -

وفي ص ١٩١ س ٥ : « ولا أعشَق » والصواب : « ولا أعْبَق » بمعنى « ولا أعلِّق ، من عبَق بهِ أى أولِّع بهِ أى علق به شديداً . واللام والباء تتعاوران . أى يقال علِّق بهِ كما يقال عبَق بهِ .

وفي ش ص ٢٢٦ : « نصيين مدينة من بلاد الجزيرة » وهى غير التى كان عندها الوقعة مع المصريين ، فهذه غير تلك ، فالتى عرفت بكثرة عقاربها هى تلك القديمة لا هذه التى وقع فيها ما وقع مع المصريين .

وفي ش ص ٢٣١ : « المُغْرَب ، بفتح الراء : الأبيض » لكن أوافق هذا الشرح للعَيْنِ المُغْرَبَةِ ؟ والذى فى الصحاح : « المغرب : ما ابيضَّ أشْفَارُهُ » . وفى التاج : « يقال عين مُغْرَبَةٌ ، أى بيضاء زرقاء الأشفار والمحاجر ، فإذا ابيضَّت الخدقة ، فهو أشدُّ الإغراب . » فهذا الموافق لإيراده أو شرحه هنا .

فى ش ص ٢٤٨ . والمراد هنا بالخلى الخلاخيل ذوات الجلاجل . وكانت النساء فى بغداد إلى قُبَيْلِ الحرب العظمى يضعن جلاجل فى خلاخيلهنَّ ، والآن عدلن عن استعمالها وأبقينها لخلاخيل أولادهن ، من ذكورٍ وإناثٍ .

وفي ص ٢٨٥ « بين حَوَافِي سِدْرِ » وأظن الصواب . سِدْرٍ كعنب أو سُدْرٍ كعُنُق وهى جمع سِدْرٍ وهى شجرة النبق . وكثيراً ما تُرى الحيات لا جثثٍ إلى أسافلها . فإنها تعشق رائحتها .

وفي ص ٣٠٢ « من سُمَانِي الأَقْبَرِ » والصواب سُمَانِي بفتح النون .

ومن غريب مصطلحاتك قولك فى ص ١٧٩ « التاء المفتوحة » — قلنا : وهذه تكون فى مثل قولك . « البِئْتْ وَبِئْتَا » وأما التاء المبسوطة أو المطوَّلة فلم يسمُّها أحدٌ بالمفتوحة .

وأغرب من هذه الكلمة قولك فى ص ١٨٤ : « مسألة مصدر ميمى » والمصدر الميمى لا يُختم بهاء على ما راجعنا كتب القَوم .

وقلت فى ص ٢٠٣ ، على غشوشة : « كذا فى الأصل . والمعروف غَشَّهْ غَشًّا . » وأظن أن الغشوشة هنا جمع غِش ، لأنهم قالوا فى جمعيه غُشُوش (راجع معجم دوزى فى غ ش) ثم قالوا غُشُوشة ، كما قالوا سُهولة وحزونة لأنه « روى عن أبى الهيثم أنه قال : العرب تدخل الهاء فى كل جمع على فِعَالٍ أو فُعُولٍ . . فقالوا عِظام وعِظامَةٌ . . وذكرورة وفحولة . . . » (راجع اللسان والتاج فى : حجر) — وجاء فى ص ٢٥١ : ١١ « فإذا وضَعْتَهُ سَجَرَتِ التَّنُورِ » وفى الحاشية : « سَجَرَتِ التَّنُورِ : أحميته وأوقدته » والصواب أحمته .

وفى ش ص ٢٦٩ : « والحواء بضم الحاء جمع حاوٍ . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا مما ذكرته المعاجم . . . » — قلتُ : رأنتُ تتبع فى هذا الرأى قول كثيرين من الصرفيين الذين يحكمون بعقول غيرهم لا بعقولهم . وإلا فهذا الجمع قياسى ومبتذل . وإن لم يصرح بقياسيته جميعهم . فقد قالوا فُعَالًا فى جمع كاتب ، وسامر . وصائع ، وحاكم ، وصانع ، وتابع . وكافر ، وجاهل ، وهالك ، ونائب ، ونائم ، وجانٍ ، وصادٍ ، وحاضر ، وساجن ، إلى ما لا يحصى عده .

وفى ٢٩٠ من المساجين . وهذا الجمع لم يسمع من فصيح . وفى سورة الشعراء الآية ٢٨ : « لأجعلَنَّكَ من المسجونين . . . » .

٤ - أوهام في الآراء

في ص ٢٨ : ١٣ « وتجد فقرأ . . . » قلتُ : وقد نشر يوشع فنكل في القاهرة سنة ١٣٤٤ بالمطبعة السلفية رسالة عنوانها : « المختار من كتاب الردّ على النصارى ، اختارها عبيد الله بن حسّان » ووقعت في ٣٨ صفحة بقطع الثمن الصغير .

وفي ش ٢ من ص ٧١ « جنس من الايسويين » وهذا الخلق لا وجود له في الدنيا كلها . والذي أعرفه أن بأجوج ومأجوج هم الاسكوثيون أو الاشكوزيون أو السقوثيون أو السكوثيون أى : Scythes واسم بلادهم اسكوثية أو اشكوزية . وسمّاها الهمداني في كتابه صفة جزيرة العرب (ص ٣٢ : ٩) سَقُوثِيَا .

وفي ص (٤٢٢ : ٢) « الحيسر البستان » . قلتُ المراد بالحيسر هنا البستان الذى يُجعل فيه أنواع الحيوان كما هو الأمر اليوم في بستان الجيزة . ويسمّى بالفرنسية jardin Zoolo Giaue وبالانكليزية Zoo وكان الحيسر يسمى في بدء الأمر (حيسر الوحش أو الوحوش) ثم حذفوا المضاف إليه استغناء بالمضاف . - ذكر الخطيب البغدادي في مقدمة تاريخ بغداد (ص ٤٨ من الطبعة الباريسية) قال : « وكان الميدان والشريّة وحيسر الوحوش مُتصلاً بالدار . . . » .

وفي كتاب (رسوم دار الخلافة » لـ هلال بن المُحسن الصابئ المتوفى سنة ٤٤٨ للهجرة - الذى يُعنى بتحريره وتعليق حواشيه ونشره ولدنا بالروح ميخائيل عوّاد ما نصّه : « كانت دارُ (دار الخلافة ببغداد) عظيمة السعة . وعلى أضعاف ما (هى) عليه الآن من هذه البقية الرائعة . ودليل ذلك أنّها كانت متصلة بالحيسر والشريّة ومسافة ما بينهما اليوم بعيدة . . » (ص ٨ من المخطوط) .

وفى تجارب الأمم لمسكويه - طبعة آمدروز - (فى حوادث سنة ٥٣١٥هـ) ذكر لحير الوحوش ، فلتراجع .

ويقال لحير الوحوش (حائر الوحوش ، وحظيرة الوحوش) أيضاً .
فى مادة (التاج) من معجم البلدان لياقرت هذه العبارة : « واقتطع جملة من البرية . عملها ميداناً لركض الخيل . واللعب بالصوالة . وحير الجميع الوحوش » اهـ . وراجع الأغاني طبعة بولاق ٩ : ٥٦ . فقد عرفت هناك (جبر) ، وفى نهاية الأرب ٤ : ٢٠٥ (حاشر الوحوش) وهو أشنع ، والصواب (حائر الوحوش) كما أسلفنا .

وفى ش ص ١٣٥ : « هذه الجزيرة هى المسمّاه جزيرة أقور . - قلنا : من غريب تصنيف العرب للأعلام كلمة (أقور) فإن أصلها (آشور) أو (أثور) ويقال (آشور وآثور ، رآشورية وأثورية) . وبالفرنسية : Assyrie . فالذين نقلوا (آشور) إلى (أقور) هم الذين قالوا فى (القَصَّاب) (الشَصَّاب) والذين نقلوا (أثور) إلى (أقور) هم الذين قالوا فى (العُلَّشَّة) : (العُلَّشَّة) . وكأن هذه التصحيقات ليست بشئ . فراد القاموس أن حذَفَ الهمزة من الأول . فقال (قور) فى مكان (أقور) قال فى مادة (ج ز ر) ما هذا نصّه : « وجزيرة قور بين دجلة والفرات . وبها من كبار ، ولها تاريخ . والنسبة جزرّى » اهـ - وفى تاج العروس : « وقال أبر عبّيد : وإذا أطلقت الجزيرة ولم يُضَفْ إلى (العرب) . فإنما يراد بها هذه » اهـ - وسَمَّاهَا الهَمْدَانِي مرة (أثور) فى ص ٣٦ من كتابه « صفة جزيرة العرب » . وأخرى (بلاد أثورِيَا) ص ٤٢ رطوراً الجزيرة (ص ٤٧ و ١٢٤) .

ومن العجب أن كثيرين لم ينتبهوا إلى أن هذه الأسماء المختلفة راجعة كلها إلى مسمّى واحد . هو (ديار آشور) عند الأفرنج . أو (أثوريا) كما مرّ بنا ذلك قبيل هذا .

وجاء في ص ٧٢ : « من نبط بَيْسَان ، وذكرت في الحاشية أن بيسان هذه . قرية من قرى الموصل .

والذى عندى أن هذا وهم . إذ ليس لك دليل سوى ما جاء فى ياقوت على بيسان . وأما الصواب فيظهر أن المراد ببيسان هنا مدينة بنو احى الأردن . وكانت داراً شهيرة للأنباط . إذ كانت ربوعهم الأصلية تلك الأرجاء . ويدعم هذا الرأى . أن الجاحظ ذكر قبل ذلك (حرّة بنى سَاسِم) وهى مجاورة لمربع النبط فى الغور الشامى . وللاوربيين - على اختلاف قومياتهم - كتب كثيرة على تلك البلاد الواقعة فى شمال بلاد العرب وجنوبى فلسطين .

وفى ص ٢٠٥ : وزعم بعض المفسرين وأصحاب الأخبار . أن الشوك إنما اعتراها فى صبيحة اليوم الذى زعمت النصارى فيه أن المسيح ابن الله ، كذا . ولم تعلق على هذه الخرافة الفاقئة حيضراً فى العين كلمة . مثل قولك : وهذا زعم باطل . لا أساس له . أو كذب مَحْض على النصارى . لأن الأناجيل كلها تذكر أن السيد المسيح . له الحمد . كلل بإكليل من شوك (راجع مثلاً يوحنا ١٩ : ٢ وما يليها . — فهذا وحده دليل واضح على وجود الشوك قبل قول النصارى المنسوب إليهم كذباً وزوراً وبُهْتاناً رافئاناً . وهناك دليل آخر أن العلماء الوثنيين من يونان ورومان وسريان وغيرهم ، يصفون العِصاه وشوكها . قبل ولادة المسيح بأعوام عديدة .

وفى ص ٢٢٥ : وزعم ثمامة عن يحيى بن برمك أن البرغوث ينسأخ فيصير بعوضة » وهذه أيضاً خرافة أخرى على ما فى الكتاب من الخرافات . وكان يجب أن تكتب (ابن) هنا بالألف . لأنه منسوب إلى جدّه لا إلى أبيه كما حققت ذلك بنفسك (راجع ما علقناه هنا على ص ١٤٦) . وأما الخرافة فهى أن البرغوث لا ينسأخ بعوضة . إذ الحيوان فى انسلأخه لا ينتقل إلى حيوان أو دابة من جنس آخر . وعلماء الحيوان من

أقدمين وعصريين . هم رأى واحد في هذا الموضوع . فكيف فاتتك هذه الخرافة وأنت تعيش في عصر وفي عصر النور والرقى ؟

وما جاء عن كعب الأحبار بصدد الحية (ص ٢٠٠) وعقاب الأرض (٢٠١) هو حديث خرافة أيضاً لا يقبله عقل الأطفال فضلاً عن عقل الرجال : ولا أدري كيف لم تعلق عليه شيئاً يبرئ العربَ من هذه التهم ، كما علقت على حاشية ٨ في ص ١٤٣ بقولك : « ذلك زعم » .

- ٣ -

ومن الخرافات ، لكن اللغوية . نقلك كلام اللغريين في ص ٤١٢ في أصل المنجنيق . إذ قلت إنها من « جهنيك » أى : أنا ما أجودنى ! فياله من تحقيقٍ ويا له من تأصيلٍ ! ! ! أفأنتك أن المنجنيق من اختراع علماء اليونان وأن الاسم وضع في اليونانية . قبل أن يوضع في سائر اللغى ، وعنهم نقله سائر الأقوام فھر في اليونانية : Magganon .

وفي ص ٤٨٣ في ش : « ورجح ياقوت في معجم البلدان أن تسميتها كنيسة القمامة » . - قلنا : ولا يجوز لأحد أن يحقق هذه التسمية غير النصراني . فإن الكنيسة بنتها الملكة هيلانة أم قسطنطين الملك ، حين زارت بيت المقدس . ولما شيدتها سمّتها باليونانية ، لا بالعربية Anastasia (أنستاسية) أى القيامة أو النشور أو البعث ، وذلك بنحو ثلثمائة سنة قبل الإسلام . ولم يكن العرب يومئذٍ في بيت المقدس ، فكيف يرجح ياقوت القمامة على القيامة ؟ ومعنى القمامة المزبلة ؟

وفي ص ٣٣٦ ش ٥ : « الصومعة كجوهرة : بيتٌ للنصارى . سمي بذلك لدقة في رأسه » (كذا) وهو رأى أغلب اللغويين الذين لا يعرفون من الكلم إلا الاشتقاق العربى ، فيشتقون جميع الألفاظ الأعجمية من لغة الضاد : وهذا نقص عظيم في علمهم . فالصومعة كلمة لاتينية من : Summa ومعناها

القمة ، وكل شيء دقيق الرأس على هيئة القمة . — وفي المتن : « وكذلك الصومعة » — والصواب أن يقال : وكذلك (بيضة) الصومعة ليتم التعبير والمعنى .

٥ — ما غمض عليك تحقيقه

جاء في ص ٤٣٥ . . . « وعند البصريين والبصريين » ، وصواب الأول « البصريين » ، وهم أهل البحرين ومن أعظم أغنياء العالم في عهد العباسيين وفي هذا الوقت أيضاً ، لأنهم يعنون بالغوص واستخراج اللؤلؤ من بحرهم ، كأنه يقول : وعند اللآلئ ، جمع اللآلئ . لمستخرج الدر وبائعه — وصواب الثاني البصريين بمعنى أهل البصرة ، لأنهم يتاجرون مع البلاد النائية ، كالهند والصين وصين الصين ، وتلك الربوع المشتهية في البعد ، فكأنه يقول بمعنى البصريين : كبار المتاجرين .

وجاء في ش ص ٤٨٨ في تفسير : « كأنه شهاب قُذِف » ، أى الكوكب الذى ينقض « على أثر الشيطان بالليل ويقذف به » — قلنا : ما كان أغناك عن هذه الزيادة الأخيرة الخرافية . فالشهب تنقض من غير أن يكون ثم شياطين ولا أبالسة ولا جن : إنما الشهب من سنن الطبيعة . أفيكتب واحد مثلك مثل هذا القول ونحن في عصر النور والرقى والتحقيق الدقيق ؟ — أما كان يمكنك أن تقرأ في بعض التآليف الفلكية العصرية ما يقال عن الشهب والنيازك والرجم ؟ — فإن لم يكن بين يديك تصانيف عربية حديثة ، فراجع أسفاراً فرنسية تتكلم على Aerolithes, Bolides, Etoiles Filantes وبالانكليزية Shooting or Ealling star أو Meteor ، أو Aerolith

٦ — مقابلة الألفاظ العربية بالكلم الأجنبية

كثيراً ما تُقابل العربيات بالانكليزيات وبغيرها من لغات أهل الغرب ، ولا تنبه على اللغة التي تنقل إليها . ففي ص ٩٤ Crane ولم تقل إنها

انكليزية ، وهى بالفرنسية تعنى الجمجمة أو قحف الرأس . — وفى ش ص ١٠٧ Grasshopper الجندب ، والكلمة الانكليزية تعنى الجرادة ، أما الجندب فلا مقابل له بالانكليزية ، وإنما يقال A kind of cricket ولسان العلم Gryllus Stridulus وفى ش ص ١٠٨ Chamaleon وهى بالانكليزية ، ولم تنبه عليها . — (وفى ش ص ٤٧) caracal وقلت بالأفريقية . وهذه الكلمة تعنى الفرنسية عند العرب ، وأنت تريد هنا الانكليزية . و Caracal هى بالفرنسية والانكليزية معاً .

وفى ش ص ٣٠٩ الورل Varanus وهذا بلسان العلم لا بالإنكليزية . — وفى ش ص ٢٦٠ دَحَّال الأذن ويسمى علماء الأفرنج Centipede ، وليس هذا بصحيح ، لأن هذه إنكليزية ، وأما علماء الأفرنج أى علماء الحيوان منهم فيسمونها : Myriapodes .

وفى ش ص ٣٣٥ البُهْمَى . . . وهى بالإنكليزية Wild-Oat وهذه الانكليزية يقابلها فى لسان العلم : Avena Fatua ، مع أن الصواب هو ما وُرد فى مفردات ابن البيطار (أو جامع ابن البيطار) Hordeum Murinum وباللغوية : φολιύ و يقابلها أيضاً بلسان العلم : Lolium Perenne .

وفى ش ص ٣٧٤ خارطيس والصواب خارثيس ، إذ ليس فى لسان اليونانيين طاء وإن نقلها العرب فى بعض الكلم إلى الطاء .

وفى ش ص ٣٦٧ فسرت العلجوم بالبعير الطويل ، والذى عندي أن للعلجوم معانئ شتى ، منها : طائر عظيم أبيض ، وهو المراد منه فى بيت الشاعر . لأنه يرتاد الرياض ، ولهذا قيل : « كأنه يتناهى الروض علجوم » . وهو بلسان الفرنسيين Heron-Crosse . ثم أين وجدت أن العلجوم هو البعير الطويل « المطلق بالقار » ؟ فمن أين لك هذه الزيادة « المطلق بالقار » ؟

- ٤ -

٧- ملاحظات شتى

ذكرت في ص ٤٦ : « وفيها ككواء الزناير » وأظنها ككوائير الزناير . وذلك أن هذه الهوام تبتنى لها بيوناً يسميها العراقيون (ومنهم المجسط) كواءة والجمع كوائير . وفي المخصص ٨ : ١٨٠ : « وقيل الكوائير صغار الخلايا . وقيل الكواءة بالضم : بيت تبنيه (النحل) لم يوضع لها » اهـ . وفي القاموس : الكوارات : الخلايا الأهلية كالكوائير » اهـ . - ومن أسماء بيت الزنبور الصَّفَنُ بالتحريك .

وفي ش ص ٢٧٠ : « التأشير واحد التأشير . . . » وعندى أنها تأشير بالشين المعجمة وجمعها تأشير . قال في المخصص ٨ : ١٧٣ : « والتأشير أيضاً : الأثناء وهي عقدة في رأس الذنب (ذنب الجرادة) . كالمخلبين ، ويقال لهما الأشترتان . » اهـ . والذي عندي أن التأشير هنا التثنى من باب الإطلاق أو التعميم بمعنى العقدة . ومعلوم أن للحيمة أثناء متلاحكة أو حُزوزاً (راجع ص ٢٧٤) يدفع أحدها الآخر عند السعي أو الدب .

وفي ص ١٥٥ « الأجدهاني » ولم تضبطها . وهي بفتح الهمزة وإسكان الجيم وفتح الدال ، يليها هاء وألف ، ثم نون مكسورة . فياء مشددة . وهي منسوبة نسبة إرميئة إلى (أجدها) . كما نسبوا إلى الباقيلاء (بالقصر) أو الباقيلاء (بالمد) وباقدراً . ويليقيًا ، وجدياً ، وجللئًا ، إلى غيرها ، فقالوا : باقيلائني ، وباقدرائني ، ويليقياني ، وجددياني ، وجللئاني ، إلى نظائرها .

و (أجدها) تعريب الفارسية القديمة : (أردها) بزاي مثلثة ، وتلفظ كالحرف لا بالفرنسية . (أردها) قصر (أردها) ، بإسقاط الراء ، ومعناها في تلك اللغة (التنين الفتاك) . وقد اختلف الرواة في عدد رؤوسه . فالنصارى يجعلونها سبعة ، رمزاً إلى التنين الأول ، وهو الشيطان اللعين . وترمز رؤوسه السبعة إلى الخطايا السبع الكبرى المعروفة عندهم بالخطايا الرأسية

السَّبَّع ، وهى : الكبرياء ، والبخل ، والفحشاء ، والحسد ، والشراسة ، والغضب . والكسل . فالظاهر أن الجاحظ وقف على رأى النصارى دون غيرهم .

وأما أنها عشرة رؤوس . فهى مبنية على وهم الفرس المحدثين . أى أن الكلمة منحوتة من (ده) أى عشرة . و (آك) أى مصيبة أو بليّة أو عيب ، ولكن الكلمة ليست من الفارسية الحديثة ، بل هى قديمة الوضع . نَدَيْتَه (راجع معجم فُلَّرس الفارسى اللاتينى المطبوع فى ألمانية . وعنوانه باللاتينية : (J. A. vullers : lexicon : persico - latinum, 1855)) وأما أن هناك من قال : إن له رؤوساً لا رؤساً ، فهم اليونانيون الأقدمون الخرافيون أهل السمير ، فإنهم يسمون هذا التنين ما نرسمه بالحرف الرومانى : Hydre de lerne . ومن راجع معجم لاروس الوسط ، يجد مختلف الآراء فى عدد رؤوس ذلك التنين : فمن قائل إنها تسعة . ومن ذاهب إلى أنها خمسون ، وقالت جماعة بأنها مائة . وأما أن الجاحظ يرى أن هذا القول : « من أحاديث الباعة والعجائز » فليس صحيحاً ، لأنه يرى مُدَوَّنًا فى أسفار مثقفهم الأقدمين ، ومنهم انتقل إلى الفرس الزنديين حين اتصلوا بحضارة الإغريق أو الأغارقة ، قبيل الإسكندر الأكبر وبعده .

ونظن أن (الباعة) محرفة عن (الباغية) ، بمعنى الطائفة الباغية وهى اسم فاعل من بغى فلان يبغى بغياً : إذا عدا عن الحق واستطال وكذب . ويراد بالباغية جمهرة من الناس من أهل السَّمَر والمخرقة ، يَعْدُونَ عن الحق ويكذبون ويختلقون الأراجيف . فلما لم يفهم النُّسَاخ المُسَاخ معناها فى هذه العبارة ، وضعوا فى مكانها (الباعة) ، وقد ألفوا سَمَاعِها ومعناها فى كل يوم ، بل فى كل ساعة . وجعلوا أن لا معنى لها هنا يستقيم بها سياق الكلام . وينسجم انسجاماً .

وفى ص ٣١٤ : « ومرةً يجعله أهلهُ على ربيث الدكان » - وهو كلام

لا معنى له . والصواب : « يجعله أهله » ، (أى أهل الجاموس) ربيث الدكان » ، ومعنى ربيث : سجين أو حبس . أى أن أهله يحبسونه في حظيرة مرتفعة الأرض كالدكان ليدفع عنه أذى البعوض . لأن هذه الهوام تلجأ إلى الأرضين المنخفضة . وهذا ما يفعل إلى اليوم في البطائح ، بجوار البصرة .

وفيها س ٣ : « لا تستمرى » ، والأفصح همز الآخر . وقد تكرر هذا الخطأ مراراً كما في ص ٣٢٠ وغيرها .

وفي ص ٣١٥ س ٩ : « وهو في ذلك عبقر نصير » ، وهذه ألفاظ رنّانة فارغة من المعاني . والصواب : « عُنُقُرُ نصير . والعنقر : البردى . أو البردى ما دام أبيض . وراجع كتاب النبات والشجر للأصمعي . المطبوع في بيروت في مطبعة الآباء اليسوعيين ، سنة ١٨٩٨ ، لناشره الدكتور أوغست هغتر في الصفحة ٣٨ .

وفيها س ١١٠ : « قد خرق خرق جوف القار » . وليس في الأردن قار أو قير بمعنى الرقت . ليصح هذا الكلام : « إلا أن هناك » قاراً كثيراً ، بمعنى أن القار جمع قارة وهي الجبل الصغير المنقطع عن الجبال ، أو الصخرة العظيمة ، أو الأرض ذات الحجارة السود . أو الصخرة السوداء ، وهذا المعنى به هنا دون غيره .

وفي ص ٣١٦ س ٦ : « التي تكون عنها الصّواعق » — والأحسن هنا « فيها » ، لأن الصواعق تكثر في البصرة والأبلة إلى عهدنا هذا ، وتحدث فيهما أضراراً بليغة في فصل الربيع .

وفي ص ٣١٩ : « وما قرأت للقديما في النفس الأجلاد الكثيرة » . وكان يحسن هنا أن تفسّر (الأجلاد) ، فيقال إنها جمع جِلْد ، بمعنى السّفَر أو المجلّد ، ليهتدى إلى معناها القارئ ، ولا يبحث عنها في المعاجم التي لم تذكرها .

وفى ص ٣٢٠ : « فإذا عاد كالحمر . . . كما يبتلع الجحش . . . وتصحيح العبارة : إذا عاد كالجحش . . . كما يبتلع التحجر . »

وفى ص ٤٠٤ : « كما يموت السمك . إذا فارقه الماء » . والأحسن : كما يموت السمك إذا فارق الماء .

وفى ش ص ٣٠١ : « مركبة من قطعتين » - وهذا تعبير لا عهد لى به سابقاً . والصواب : « من لفظين أو حرفين » . وأما المقطع فهو الهجاء . لا الكلمة . أو الحرف أو اللفظة .

وفى ص ٤٧١ : « والملح شيئان : أحدهما المِرْقَة » . (كذا . بهذا النقل الشنيع ، وبهذا الضبط الأشنع) . وفاتك أن ليس لمر ادفات المِلْح : لِمِرْقَة ، بل الدُقَّة .

وفى ص ٤١١ س ٦ : « على كَنَس » . والصواب بضمّتين . أى على كَنَس . مثل سحاب وُتُجِب .

وفى ص ٤٨١ الهرايزة . وعرفتهم بنقل عبارة استينجاس ، ولا أرى سبب عدولك عن كلام العرب إلى نقل عبارتك عن الأعاجم ، فى حين أن السلف تكلموا عليهم . فقد قال المسعودى فى التنبيه والإشراف ص ١٠٣ من طبعة الإفرنج : « وكانت للفرس مراتب أعظمها خمس . هم وسائط بين الملك وبين سائر رعيته . فأولها وأعلىها (المُرْبَدُ) تفسيره : حافظ الدين لأن الدين بلغتهم (مُو) و (بَد) : حافظ . وهو (موبدان الوبد) : رئيس الموابدة وقاضى القضاة . ومرتبته عندهم عظيمة نحو من مراتب الأنبياء . (والهرايزة) دون الموابدة فى الرئاسة . . . » والكلمة مركبة من (هر) أو (هير) أى نار . و (بد) أو (بَد) أى حافظ أو خادم أو قيّم ، ومحصلها : خادم النار .



وفي ص ٢٩٦ « زرادشت » ولم تضبط دالها . وكذلك « أهرمن » ولم تضبط . وفي الحاشية : « كيستاسب وارموزد » . وكلها ألفاظ مخطوء في رسمها وضبطها . — والصواب زَرَادُشْت . ويقال أيضاً زَرَادُهَشْت وزَارْتُشْت وزَارْدُشْت وزَارْدُهَشْت وزَارْدِشْت (راجع معجم فلرس المذكور قبل هذا) .

وتضبط اهرمن هكذا : أَهْرَمَنْ ، وَأَهْرَمَنْ وَأَهْرَامَنْ ، وَأَهْرَمَنْ ، وَأَهْرَمَنْ وَأَهْرِيْمَنْ ، وَأَهْرَنْ ، وَأَهْرِيْمَنْ . وَأَهْرَابَنْ ، وَأَهْرِيْمَنْ . وَأَهْرِيْمَه على ما في كتبهم الدينية .

وتضبط أَرْمُزْد (وخطأ أرموزد كما كتبت) أَرْمَزْ وأَرْمُزْد وأَوْرْمَزْ وأَوْرْمُزْد .

وأما كيستاسب فليس محاهُ هنا . والذي يجب أن يكون هنا هو كيستاسب أو كيستاسف كما في تاريخ ابن خلدون ٢ : ١٦١ . وأما كيستاسب فهو ابن لراسب ، وكان قبل ظهور زرادشت الهريذ الشهير (راجع الآثار الباقية للبيروني طبعة أوربة في الصفحة ١٠٥) ولا تراجع الشاهنامه فإن الأعلام فيها محرفة في بعض الأحيان . فإين ذامن ذلك .

وجاء ذكر ديدان الجبن في ص ٤٦ . وهذا الأمر معهود إلى يومنا هذا وهو معروف بنوع خاص في الجبن المسمى بالفرنسية Roquefort و Camambert . وقد أكلت من هذه الديدان شيئاً كثيراً عجباً حينما كنت في نيس Nice في جنوبي فرنسا في سنة ١٨٨٩ إلى عام ١٨٩٤ .

وذكرت في ش ص ٤٦٨ كلاماً على (لادرَّ درُّ رجال . . » وفي المحبِّي في كتابه خلاصة الأثر ٢ : ٣٨٢ ، ورد مقال طويل على هذين البيتين . فليراجع .

وفي ص ١٥٤ ذُكر تِنِين أنطاكية . وقد تكلمتُ على تِنِين بغداد وهو كَتِينِين أنطاكية ، كلاماً طويلاً عريضاً في مجلة المشرق البيروتية سنة ١٩٠٧ (أى قبل ٣٣ سنة) في المجلد ١٠ : ٥٩٠ إلى ص ٦٠٣ وهو بحث يعجبك كثيراً .

وفي ص ١٥٥ ذكر الأصل . وقد نشرتُ مقالة طويلة عليها (ولا أتذكر أين ومتى وفي أى مطبوعة) ذكرتُ فيها ما ألخصه هنا كل التلخيص وهو : أن الأصلَ تعريب اليونانية : (باصلة) المقطوعة من : Basiliscos أى الملكة ، ولهذا سَمَّاهَا بعضهم بهذا الاسم أيضاً (راجع الدميرى) . وسَمَّاهَا آخرون (المكَلَّة) ، (راجع الدميرى في : أصله) . وظنَّها فريق أنها (الصَّلَّ) وليست كذلك . وسَمَّاهَا الفُرس الأقدمون (شاهمار) ، المركبة من (شاه) أى ملك ، و (مار) أى حية . فيكون معناها : الحية (الملكة) أو (المكَلَّة) . والآن يقول لها عوام العراقيين : (شمهار) بالقلب . ومن أسمائها : الباسيليقي ، على اللفظ اليوناني (راجع دائرة المعارف للبيستاني في هذه المادة في حرف الباء) . — ومن أسمائها : الصَفَر والصُّفَّار ، والناظر ، والدودَميس وابن قُشْرَة ، والمُطْفِئَة الرِّصْف (وراجع ما كتبناه في المشرق ١٠ : ٧١٨) .

وتكلمتُ على الدَسَّاس في ص ٢٢٢ . وقد وضعتُ مقالةً عليها في المشرق ٢ : ٣٤٧ — ثم ٥ : ٥٣٧ و ٥٣٨ .

ولم تقل كلمة شافية على الفُرَّانق . وقد تكلمتُ عليه في المشرق ١٣ : ٨٢٨ إلى ٨٣١ وهو بالفرنسية Caracal - Lynx .

٨ — حسنات الكتاب

حسنات هذا المجلد لا تحصى ولا تستقصى ، ولو تولى غيرك العناية بنشر مثله لما استطاع قط : حتى لو أقام خمس سنوات أو ستاً لإبرازه بمثل

الحلّة التي أفضتها عليه . لأنّ التحقيقات والتدقيقات التي آتيت بها بلغت أبعد الغاية التي يصل إليها الباحث المتروى المتدبر : وأنا أعدد شيئاً من هذه المحاسن :

١ - إنك لم تعتمد على الجاحظ في إثبات بعض الآيات القرآنية . فإنك راجعت الأصل وأثبتته . كما فعلت في ص ٣١٠ مثلاً .

٢ - إنني أقدر كل التقدير تعبك الناهك في مراجعتك بعض الآيات الشعرية ومعرفة نسبتها إلى صاحبها الأصلي . أو إلى أصحابها المختلفين . على نقلها الرواة . كما في حواشي ص ٣١١ و ٤١٣ و ٤٤٥ وغيرها وهي جمّة .

٣ - مما أدهشني . معرفتك لأصل هذه الكأمة ص ٢٤٤ : « وفي بعض كتب الأنبياء : أن الله تبارك وتعالى قال لبني إسرائيل : (يا أولاد الأفاعي ، فعانت عليهما في شأنا من إنجيل متى (٣ : ٧) فله درك من محقق مبرز على جميع الأقران . من شيب وشبان ! !

٤ - وجدتك تراجع عدة مصادر لمعرفة صحة بعض الروايات لبعض الآيات . وهذه التحقيقات لا تُعد . فتكد كل حاشية تردان بها . وهذا أمر عجيب ، إذ يدل على أنك صرفت ساعات طويلاً وأياماً كثيرة لهذا التتبع المدهش .

٥ - ألفت تحقيقك اللغوي لا يقل بشيء عن استقراؤك التاريخي والبلداني والشعري وتراجع الرجال على اختلاف طبقاتهم وأزمانهم ومواطنهم فن هذا التحقيق والتدقيق ما أثبتته في ص ٦ بخصوص القبطمير . وما جاء في ص ٤٢٨ عن الحشفان ، لكن قولك في ش : الحشفان جمع غريب للحشف . بتثليث الحاء ... « أغرب . وأول كل شيء لم تضبط حركة الحاء بحركة في المتن ولا في الشرح . . ثم أين الغرابة ؟ هل في ورود إحدى هذه اللغات المثلثة على فعالن أم ماذا ؟ - زد على ذلك أن المصباح ذكر بين جمع الحشف

الحشوف . وقد نسيته أنت . وأما ورود جمع فعَل المفتوح على فيعلان
المكسور الأول . فمثاله : حَشَّ و عَبَّد و وُعِدَّ و ثور ... فتقول :
حِشَّان و عِبْدان و وُعْدان و ثيران ... رجمع المكسور الأول مثاله : حِبُّ
و صِنُو و قِنُو و نِير و خِيطُ ... وجمع المضموم الأول مثاله : كُور و دود
و عود و سور ... فأين بقيت تلك الغرابة ؟

٦ - ما ذكرته في ش ٤٢١ بصدد الأربد صحيح لا غبار عليه !

٧ - وفي ش ص ١٠٢ جاء كلامك على جعل ضمير العاقل لغير العاقل
من أحسن ما يقال في هذا الباب !

٩ - خاتمة الرسالة

كل ما ذكرته إلى هنا هو نتيجة مطالعة سريعة بسرعة قابس ناري .
وكانت تقع تلك المطالعات والملاحظات في نحو خمسة أضعاف ما كتبتُ
هنا . لكن أحد اللصوص الأشقياء سرقها مني كما سرق ساعتى الذهب التي
كان الملك غازي - رحمه الله - أهداها إليَّ ذِكرى لمؤلفاتي ومكافأته إياي
عنها مع كيس الدراهم . وكنتُ سلختُ في كتابتها ١٢ يوماً . وما دونته
هنا هو بعض تلك النقذات . ولا جرم أن السارق لما رأى أن تلك الأوراق
لا تجديه نفعاً مزَّقها شَرَّ ممزَّق . وكنتُ قد أفرغت فيها قوى فكري وجسمي
فأضننتني إضناء ونحن في بلدٍ حرُّه لا يطاق . وهو أوهُ خارج من فوهات
جهنم وقانا الله شرها !

كنت أود أن أرى في كل صفحة من الصفحات المطبوعة أرقاماً تدل
على عدد السطور ليسهل على القارئ إصلاح الأغلاط التي نبهت عليها في آخر
الكتاب . - وعسى أن تراجعني في ما لا توافق عليه من تصحيحاتي لك
وكنتُ قد أنفذت إليك بملاحظاتٍ شتى على الجزء الثالث من كتاب
الحيوان . فلم أرَ لها أثراً في المجلد الرابع . وكنتُ أتوقع أن أراها في آخره .

مع نسبتها إلى . وإلا فما الفائدة من إجهاد النفس وتحميلها ما لا يطاق ، وليس
ثم أدنى عائدة ؟ فعسى أن أعرف سبب هذا الإهمال ، وإلا جمعت تلك
النقدات في رسالة تنشر في مجلة أو في رسالة قائمة بنفسها . وفيها
التحقيقات التي بذلت فيها الوقت والتعب والسهر .

وفي ختام هذه الكلمة . أهدى إليك تهانئ الصديقة بتحقيقاتك الدقيقة
الدالة على تدبّر بعيد المدى . وعلى تفكير نبيّر . وأشكرك أصدق الشكر على
هديتك هذه الثمينة .

بغداد

الأب أنستاس مارى الكرملى

كتاب الحيوان للجاحظ

جواب رسالة المحقق الكبير

الأب أنستاس مارى الكرملى

بقلم عبد السلام محمد هارون (*)

= ١ =

بلغتنى رسالتك الكريمة ، طيبة رائعة على صفحات « الثقافة » الغراء ، فحمدت لك هذه الغيرة الصحيحة ، ومن قبلُ ما شكرت لك تلك العناية البارعة فى رسائلى الخاصة إليك .

وقد تقبّل الناس فى مصر مقالاتك التى سطرته فى كتاب الحيوان ، بخير ما يتقبلون به نتاجاً فكرياً مفيداً حقاً . ولا جرم أنك قد تصفحت هذا الجزء الرابع من الكتاب تصفحاً تاماً ، وظهرت على دقائقه وخفائيه . فكانت نظراتك فيه عميقة ، وإلمامك كاملاً .

وكنت أردت أن أجتزئ بقراءة رسالتك ، وأفيد ما حوت من خير كثير ، وجمعت من توضيح مشكل وبيان عويص ، وألاً أعارضها بما يظنه الغير تطاولاً على مقامك الكريم ، أو تحدياً لجليل علمك . كنت أردت ذلك ، ولكن الحق أبى على ذلك — والحق عزيز .

لذلك أستجيزك أن أكشف عن وجه الحق ، فيما تضمّنت رسالتك ، راجياً ألاّ يخطئنى الإنصاف كما لم يفارقك ، وأن أتمم بما اتّسمت به من حب الحق ، وتطلّب الحق .

(*) نشرت فى العدد ١٠٤ من السنة الثانية من مجلة الثقافة بتاريخ ٢٥ من ذى القعدة سنة ١٣٥٩ ديسمبر سنة ١٩٤٠ م .

ووجدتكم قد قسمت رسالتكم أبواباً ، فسألتكم في كل منها على النظام الذي اصطنعت .

١- أغلاط الطبع

٤٠٣ « قلا مكانه » ليس خطأ في ذاته ، لأن الفعل وارى يائي ، يقال قلاه بقلوه ويقليه ، بمعنى أبغضه .

٢- أغلاط الضبط

١٠٢ (البرستوج) قلت : صوابها (الترسوج) مستشهداً بما في البرهان القاطع . ويظهر لي أنهما كلمتان تدلان على هذا النوع من السمك ؛ فإن صاحب القاموس قد ذكر الأولى ، في فصل الباء من باب الكاف (برشتوك) . والفيروزابادي يعرف لغته معرفة جيدة ، وانظر ما أضفت من تحقيق في هذه الكلمة ، في حراشي الحيوان (٣ : ٢٥٩ - ٢٦٠) ، وكذلك معجم استينجاس ٢٤٢ .

٤٤٥ (صارت لهم خراطيم) . لا وجه لتخطئة هذا الضبط . فعناه : أصبحت لهم خراطيم - والخرطوم : مقدم الأنف - أي ظهر فيها نتوء . وليس ما يشوب الإعراب : فكلمة (خراطيم) اسم لصار .

١٨٥ (وإذا كان ذلك [كذلك]) . قلت : لا حاجة إلى زيادة (كذلك) . ورأيت أن الكلام يستقيم بدونها . وأنا أوافقك في صحة المعنى بدون (كذلك) . ولكن أسلوب الجاحظ يطلب هذه الكلمة . ومن تمرّس بأسلوبه عرف منه ذلك ، ولكل كاتب لازمات لا تكاد تفارقه . فأنت قلت في مجلة الثقافة (٩٨ ص ٤٠) : « الفارقة في العين حيصراً » وأنت القائل أيضاً قبل ذلك بتسع سنوات : « يفقّ في العيون حيصراً^(١) » وهي

(١) الجزء الثامن من كتاب الإكامل ص ٣٠٦ س ٢٤ وقد نشره حضرة الأب في سنة

خاصة لك لم أرها لكاتب غيرك . فالجاحظ التزم ذلك التعبير في كل موضع ورد فيه . وليس يمكنني إحصاء المواضع جميعاً . ولكني أدلك على بعض مواضع من كتاب الحيوان فحسب . انظر (٢ : ٩٧ س ١٧ - ١٨ ، ٣ : ٢٠١ س ٨ ، ٤ : ٤٣٤ س ٨) .

٣١٨ قلت : إن (الشَّكْل) بكسر الشين . غلط . والحق أنها صواب : وفي القاموس : « الشَّكْل : الشبه والمثل ، ويكسر » . وجاء في بحر العوام^(١) ص ٢٧ : « وقرأ مجاهد : وآخَرَ من شِكَاة^(٢) » . فاقترن في لغة مقروء بها ؟ !

٣ - أغلاط الصرف

٢٥٥ وردت كلمة (أظافره) في شعر . فقلت : إنه كان يحسن أن أنبه على خطئها ، وجعلت صوابها (أظافير) .

قلت : ليس في الكلمة خطأ كما حسبت ، بل هو مذهب القرآن ، ومذهب الكوفيين ؛ إذ يجيزون حذف الياء من مثل هذا الجمع ، كما يجيزون زيادة الياء في نحو دراهم وصيارف . وحجتهم في ذلك القرآن الكريم : « وعنده مفاتيح الغيب » والأصل (مفاتيح) وقوله : « ولو ألقى معاذيره » الأصل (معاذره) إذ هو جمع (معذرة) . وجاء في الشعر :

تنقى يداها الحصى في كلِّ هاجرةٍ

نقى . الدراهم تنقادُ الصياريفِ

وقد وافق ابنُ مالك الكوفيين . فأجاز في سربال وعصفور : سربال وعصافر ، وفي درهم وصيرف : دراهم وصياريف . واستثنى (فواعل)

(١) لابن الخنبل طبع دمشق ١٣٥٦ .

(٢) سورة ص ٥٨ .

فلا يقال فيه (فواعيل) عنده . إلا شذوذاً . انظر لذلك همع الهوامع (٢ : ١٨٢ س ٢٠ - ٢٣ طبع ١٣٢٧) وشرح الأشموني (٤ : ١٣٢ س ١٨ - ٢٦ طبع ١٢٨٧) .

وفي ص ٣٠٢ : قلت إن عبارتي (معجمي استينجاس وريتشاردسن) تعبر مولد لا تعرفه لغة القرآن . وقالت : إن معناه أن لاستينجاس معجمين . ولريتشاردسن أيضاً معجمين . تعني أن المجموع أربعة . وجعلت صواها (معجم استينجاس وريتشاردسن) . وليت شعري كيف نفرق بين وجهي هذه العبارة - التي جعلتها الصواب - إذا أريد بها مرةً أن لكل واحد من الشخصين معجماً خاصاً ، وأريد بها مرةً أخرى أن الشخصين اشتركا في وضع معجم واحد ؟

وقد أشرت إلى لغة القرآن . ولعلك تعني ما جاء في قوله تعالى : « على لسان داود وعيسى بن مريم » حيث أفرد (لسان) . وهذه مسألة خلافية بعيدة عن مسألتنا . وهي مسألة الإضافة إلى متضمنين مفرقين ^(١) . باعتبار أن اللسان جزء من داود وعيسى عليهما السلام . وانظر تفصيلها والخلاف فيها في همع الهوامع (١ : ٥١) في نهاية باب الجمع .

أما مسألتنا هذه فهي إضافة ما ليس جزءاً مما أضيف إليه . فكلمة (معجم) ليست جزءاً من أحد الشخصين . ومذهب البصريين فيها أن ما ورد على خلاف الأصل - وهو المطابقة - فسموع . وقاسه الكوفيون . أما ابن مالك فقاسه إذا أمن اللبس . واللبس في مسألتنا هذه غير مأمون . كما أسلفت . فإذهب إلىه في عبارتي ، هو الأرجح الأصوب عند النحاة .

وفي ص ٦٩ : ٢٦ (كذا جاء) قلت بلزوم (الواو) قبل العبارة لتصحح وليس ما يمنع صحة الكلام : لأنني لم أقصد عطفاً . فما يدعوني إلى إقحام الواو ؟ !

(١) أي مفرقين . لعطف

وفى ص ١٧٦ قلتُ : (صخور ملساء) فقلتُ : الصواب (ماس) .
عنيتُ أن الجمع المكسر لغير العاقل لا يصبح نعتة بفعلاء ، بل يصبح نعتة
بفُعْل جمع فعلاء . وهو مذهب يعترف حضرة الأب بأن أحداً من النحويين
لم يصرح به . وقد سمعتُ منك في مجلس ضم بعض الفضلاء أنك استقريت
كثيراً من كلام العرب فصحتُ لك هذه القاعدة . وخطأت بعض من
حضر ، في قوله (الأبادى البيضاء) .

رأنا أقول : ليس يكون تقييد قواعد الكلام بهذا النحو الذى جرى عليه
حضرة الأب . فالنحويون القدامى كانوا أوسع علماً وأكثر إحاطة ، وأدق
انتباهاً إلى كلام العرب ومذاهبهم . منا نحن الذين لم نطاع إلا على التقليل
الذى وصل إلينا مسطوراً مكتوباً . وهم كانوا يشافهون الأعراب في باديتهم .
وكانت لديهم الذخيرة الفياضة من لغات العرب . فهؤلاء النحويون الأفاضل
الذين لم يعهد مثلهم في نحاة اللغات الأخرى ، لم يمنعوأ ما منعت ، ولم يحجروا
ما حجرت . ولو أنهم وجدوا في كلام العرب ما يفهم منه ما ذكرت لما
ترددوا في حظره . وهم قد أجازوا أن يوصف هذا الجمع بما يوصف به
المفرد المُنْث نحو قوله تعالى : « ولى فيها ماأرب أخرى » (١) .

على أنه جاء من النصوص المعارضة قول الجاحظ نفسه في الحيوان ٥ :
١٠٧ س ٢ : « فتستحيل حجارة سوداء » وقول ياقوت في معجم البلدان (٢) :
(١٩٣) : « إنما سميت البصرة لأن فيها حجارة سوداء صلبة » . وقد تقول
إن إثبات الهمزة في (سوداء) من زيادة الناسخين . فلم لا تقول إن الناسخين
أهملوا بعض الهمزات في نحو هذه الكلمة . إهمال تحريف . أو إهمال
رسم (٢) ؟ !

(١) كليات أبي لقاء ٢٤٢ .

(٢) من قواعد علماء الرسم الأقدمين حذف الهمزة خطأً بن سبقت بساكن . ويكتسبون
نحو حراً . (حراً) . المطالع النصرية ٨٢

وفى ص ١٠١ قال حضرة الأب : « الدجلة ليست بغلط إنما هي لغة ضعيفة » . واستشهد بما فى (نزهة الجليس) ، وبيت لابن الوردى . أما نزهة الجليس الذى اعتمدت ، فكتاب لا يسوغ لعالم أن يثق بما فيه . ومؤلفه رجل يطالعك بضعف اللغة ، وركاكة التعبير ؛ وهو العباس بن على ابن نور الدين المكي ، فرغ من تأليفه سنة ١٢٤٨ هـ . وهو كتاب من كتب الرحلات ، المليئة بالاستطراد المهوش . سرد فيه رحلته من مكة سنة ١١٣١ التى استغرقت اثنتى عشرة سنة . وطبع فى القاهرة سنة ١٢٩٣ .

وفى الحق أن كلمة (دجلة) جاءت فيه مراراً كثيرة وهى محلاة بأل . ولكنها وردت فى كلامه الذى هر من إنشائه . وذلك فى أثناء حديثه عن رحلته إلى العراق ^(١) . فهو يتحدث بلغة معاصريه . ولم ترد (الدجلة) فى خبر معتمد أو شعر صالح مروى ، إلا فى بيت ابن الوردى الذى رواه . وليس ابن الوردى أو نحوه حجة فى هذا .

وتستطيع أن تضم إلى ما نقلت عن درة الغواص فى منع دخول (أل) على (دجلة) قول ياقوت فى معجم البلدان : « دجلة نهر بغداد لا تدخله الألف واللام » . وكذلك قول ثعلب - ورواه الجوهري فى الصحاح - : « تقول : عبرت دجلة بغير ألف ولام » .

وقلتُ : « فإن المعرفة لا تعرف » فقلت : « هذا كلام غير صحيح » . ولو أن حضرة الأب واجه نحويّاً أو منطقيّاً بما قاله ، لما وجدته مؤيداً له . أما المناطقة فيقولون عبارتهم المأثورة : « إن ذلك من تحصيل الحاصل » . وأما النحويون فلم نجد أحداً منهم ذكر لنا طريقة تعرف بها المعرفة ! بل ذكروا لنا طرق تعريف النكرات ^(٢) .

(١) نزهة الجليس (١ : ١١٥ - ١١٩) .

(٢) وهى دخول (أ.د.) ، والإصاح إلى المعرفة ، وابتداء مع الفصد .

وأما الاستشهاد بالبصرة والحلة والمرسل والشام ، والفرات والنيل .
فليست (أل) فيهن للتعريف ، كما يرى حضرة الأب ، بل هى ما يعبر عنها
فى عرف النحاة بأنها (أل) الزائدة زيادة لازمة . وهذه الكلمات معارف .
لا بأل . بل بالعلمية . و (أل) جزء منها ، قارن وضعه وضعها . كالجيم
من جوفز والهمزة من أحمد^(١) . وقد عبروا عنها بالزائدة لينوها بأنها
ليست للتعريف كالتى جاءت فى نحر (الرجل) .

وأما استشهادك بالحسن والحسين والعباس والكاظم . فهذا باب آخر .
و (أل) فيها هى التى تسمى (أل التى للمح الأصل) ، لا تفيد التعريف .
بل يلمح بها الأصل ، أى ينقل النظر فيها من العلمية إلى الأصل ، أى معنى
الأصل الذى نقل منه العلم . وإدخال أل هذه على الأعلام المنقولة سماعى .
وانظر حراشى الحيوان (٣ : ٣٨٢) .

وفى ص ٦١ (والخوايا : الأمعاء . واحدها حاوية) قال حضرة الأب :
« كذا . والصرا ب حوية » .

وليس الأمر كما ظن حضرته : فإن واحد (الخوايا) يصح أن يكون
(الحوية) - كما ذكر - ويصح أن يكون (الحاوية) أو (الخاوية) .
وفى اللسان^(٢) : « والحوية والحاوية والخوايا ما تحوى من الأمعاء ... والجمع
خوايا تكون فعائل إن كانت جمع حوية . وفواعل إن كانت جمع حاوية
أو حاوية » . وهالك نصاً آخر فى س ٢٣ - ٢٤ : « أبو الهيثم : حاوية وخوايا
مثل زاوية وروايا » . ثم قال : « ومنهم من يقول حوية وخوايا » . وفى هذا
الذى أوردت . دليل صريح على أن العبارة التى أثبتتها فى شرح الحيوان
صحيحة سليمة .

(١) الأنهمى والصبان (١ : ١٩٢ - ١٩٣) .

(٢) لسان العرب - (١٨ : ٢٢٨ س ١٩ - ٢١) .

وفي ص ١٤٦ أخذت علىّ أني كتبت كلمة (ابن) بالألف في أولها لوقوعها في أول السطر ، ورأيت أن تخضع هذه الألف لاعتبار واحد ، هو وقوعها بين اسم الولد ووالده أو بين الولد وجده أو شهرته فهذا مذهب قد ارتضيته أنت ، وهو مذهب صحيح . ولكني جريت على مذهب صحيح أيضاً هو السائد عندنا في مصر ، أعني إثبات الألف في أولها إذا وردت أول السطر ، مهما يكن من أمرها . وقد أثبت هذا المذهب العلامة نصر الوفاي الهوريني في المطالع النصرية ص ١٧١ س ١٧ طبع ١٢٧٥ .

وفي ص ١٥٩ رسمت (وجاءوا) هكذا . فقلت صواب رسمها : (وجاؤوا) ولا ريب أن الرسم الأول هو الذي جرى العرف عليه في مصر ، وهو الذي لقننا معلمونا وقلقناه تلاميذنا ، وهو المذهب الصحيح ، وهو أن كل همزة بعدها حرف مدّ كصورتها تحذف . نحو قرءوا ، تبوءوا^(١) . ومعنى حذفها ألا تصوّر بوحدة من صورها الثلاث ، وهي الألف والواو والياء^(٢) . ووضع القطعة التي هذا شكلها (ء) في محلها ، أو فوق الياء أو الواو المصورتين بدل الهمزة : أمر حادث بعد حدوث الشكل والإعجام^(٣) . وأما إثبات صورتها في (جاءوا) أي رسمها بواو هكذا (جاؤوا) فذهب في الرسم ضعيف . ففي مجمع الموامع (٢ : ٢٣٤) : « ومنهم من يجعل لها صورة » .

وفي ص ١١٢ (المغناطيس) بكسر الميم . قلت : الصواب فتح الميم كما في جميع المعاجم العربية المعتمدة ، فما تقول في أنها ضبطت في القاموس ضبط قلم بالكسر . وضبطت في المعيار للشيرازي ضبط تعيين بالكسر أيضاً ، وعنهما نقلت . وأما محيط المحيط فلم تنل مكتبتني شرف الحصول عليه . على أن ضبط هذه الكلمة العربية بالكسر أقرب إلى الأوزان العربية .

(١) شرح الشافعي (٣ : ٣٢٠) والمطالع النصرية ٨٩ .

(٢) المطالع النصرية ٦٦ .

(٣) المطالع النصرية ٦٦ .

وفى ص ١٣٢ (يستخبر الريح) قلت : الصواب ما فى اللسان والقاموس والتاج (يستمخر) . وأنا لم يفتنى أن أثبه على هذه الرواية فى الاستلراكات ٥٢٦ . أما الرواية الأولى التى هى صحيحة أيضاً ، وليس ما يضعف من قوة معناها وجزالتها — فهى الرواية التى وردت فى البيان (١ : ٧٢) والحيوان (١ : ٣٤ ، ٤ : ١٣٢) فهى رواية الإمام الجاحظ .

وفى ص ١٥٦ قلت : إني (أثبت خرافة الفُرانق) . وقد غاب عن حضرة الأب أن تفسير تلك الألفاظ الخرافية بما يوضح معناها التاريخي ، ليس يُعنى به إثبات تلك الخرافات . فإذا قلتُ : الغول وحش صحراوي يتشكل أشكالا ويتلون ألوانا — وأنا رجل يعيش فى القرن العشرين — فليس معنى ذلك إلا أنني أفسر تلك الكلمة بمعناها التاريخي . وليس واجبا على أن أصحّب وأقول : إنه أمر خرافي لا يقره العقل ، ولا يقبله الفكر . وإذا كنت أنشر كتابا تاريخيا وورد فى تضاعيف عباراته ذكر إيزيس (Isis) مثلا ، وفسرتها بأنها هى التى جمعت أجزاء جثة زوجها أوزيريس (Osiris) وردتها إلى الحياة ، وأعقبست منها ولدها حوراس : (Horus) ، أئذا فسرتها على هذا النحو أكون مشاركا لقدماء المصريين فى اعتقاد هذه الخرافة ؟ !

على أن الجوّ الذى وردت فيه الكلمة . يحكم عليها قبل أن أحكم أنا عليها . ويؤسفنى أن يتوهم حضرة الأب أن فكرى ، أو فكر أى معاصر مثقف ، يقبل ما هو ظاهر البطلان ، وما يصرخ فى نفسه بأنه خرافة ظاهرة . وقد أخذ على حضرة الأب مآخذ أخرى شبيهة بهذه . سرف أشير إليها بإشارات يسيرة فى مواضعها .

وفى ص ١٧٣ قال الجاحظ : « وليس للحيات سفاد معروف ينتهى إليه علم ، ويقف عليه عيان . وليس عند الناس فى ذلك إلا الذى يرون من ملاقات الحية للحية ، والتواء كل منهما على صاحبه » فجعلت صوابها « من ملاواة

الحية للحية» وفسرت الملاواة بأنها الحمامة . وهذا حسن في ذاته . ولكنه يقلب عبارة الجاحظ رأساً على عقب . فهو يقول : إنها لا يعرف لها سفاد معروف ينتهي إليه علم ويقف عليه عيان . فكيف يقول : لا يقف عليه عيان . ثم يقول بعد ذلك : إن الناس يرونه ويعاينونه ؟ ! فوضح بعد ذلك أن عبارة نسخة الحيوان صحيحة لا يعوزها علاج . وإن علاجها على النحو الذي رأيت يستعملها بلا ريب .

وفي ص ١٧٦ جملة (الشجاع) مأخوذة من اليونانية Siga أو Sige بدعى الإطراق والسكوت . وهذا حسن إن تحقق . ولكن العرب كما يعرف حضرة الأب . قد وسعت لغتهم دقائق وافرة في الحيات ، ففيها أسماء كثيرة لأنواع كثيرة فصلوها تفصيلاً . وبلادهم بلاد الحيات . فهم في غنى عن أن يستجدوا أسماءها من اليونان أو غير اليونان . ما وجسوا مندوحة . وكتب اللغة العربية تفيض وتزخر بكثير من الألفاظ الخاصة بالحيات . وكتاب المخصص لابن سيده يذكر لنا علماً واسعاً . ويرينا دقة ظاهرة في تفصيل العرب لأنواع كثيرة من الحيات ^(١) . فالشجاع مأخوذ من الشجاعة . والنكاز من النكر ، والأرقم من الرقم . والعراء من العرم . وهكذا .

وفي ص ١٩١ (ولا أعشق) جملة صوابها (ولا أعبق) وهو وجه جيد صالح إذا قرنتها بالكلمة التي قبلها . وهي (أعلق) . وقد وجهتها أنا في التذييل ص ٥٢٨ بأن تكون (أعشق) بدتني أسرع . وهذا وجه جيد صالح - فيدا أرى - إذا قرنتها بالكلمة التي بعدها . وهي (أسرع) فهذا وجهان .

وفي ص ٢٤٨ قلت : « المراد هنا بالخلي الخلاخيل ذوات الجلاجل » . ثم استطردت . وتقييد تفسير الخلي بأن الخلاخيل ذوات الجلاجل وحدها . ليس ما يشبه . وفي الصفحة نفسها من شعر النابغة :

« حللى النساء (في يديه) قعاقع »

(١) المخصص (١٠٦٠٨ - ١١٦٦)

وفى ص ٢٨٥ قول الراجز : « بين حرافى سدير وصخر » قلت :
« الصواب سِدَر كعنب أو سُدُر كعنق . وهى جمع سدرة وهى شجرة
النبق » . ويمنع من صحة تفسيرك كلمة (حوافى) التى هى جمع حافة .
بمعنى جانب البحر أو النهر . وقد تقول إن (الحافة) تكون بمعنى جانب
أى شئ . ولكن البيت قبلها يعين المراد منها وهى :

يظل فى مرأى بعيد القمر

والمراد ببعيد القمر هنا . الماء العميق لاجرم . وانظر لحيات الماء ما جاء
فى الحيوان (٤ : ١٢٨ . ٢٣٧) .

٢ — (*)

وفى ص ١٧٩ (التاء المفتوحة) بمعنى المبسوطة هكذا : (ت)
قلت : إنها من غريب مصطلحاتى . والحق أنها مصطلح متوارث عندنا نحن
المصريين . ورثه آبائنا عن آبائهم ، وورثناه عنهم ، ونحن الآن نلقنه أبناءنا
وتلاميذنا فى جميع مدارسنا . ولهذا المصطلح نظير آخر ، هو التاء المربوطة
(ة) وهو اصطلاح من اصطلاحات علماء الرسم المتأخرين . والمتقدمون
منهم يطلقون عليها اسم الهاء فقط . ولا مشاحة فى الاصطلاح ، كما يقولون .
على أن التاء المبسوطة التى ذكرتُ . يعبر عنها بعض العلماء بالتاء فقط .
بدون زيادة شئ . وبعضهم يسميها : التاء المحرورة ^(١) .

وفى ص ١٨٤ (مسألة : مصلر ميمى) . قال حضرة الأب : « والمصدر
الميمى لا يتحتم بهاء . على ما راجعنا كتب القرم » ولست أدرى أى كتب

(*) نشرت بالعدد ١١٠ من السنة الثانية لمحة الثقافة بتاريخ ٨ من الخرم سنة ١٣٦٠ هـ
الموافق ٤ فبراير سنة ١٩٤١ م .
(١) انظر المطامع النصيرية ١٤٢ . والصبان (٤ : ١٨٨ س ٢٢ بلاق) .

القوم غنيت ؟ ! فإن المصادر الميمية المختومة بالهاء كثيرة . ذكر بعضها سيوييه في كتابه (١ : ٢٤٧ - ٢٤٨ طبع بولاق) . وسرد الإمام الرضى في شرح الشافية (١ : ١٧٠ - ١٧٤ طبع ١٣٥٧) طائفة صالحة منها . ومن ذلك : محمّلة . ومنعة . ومعجزة . ومظلمة . ومعتبة . ومهلكة . ومعرفة . ومغفرة . ومعذرة . ومعصية . كما أن المعاجم اللغوية تكفلت بإثبات ما ورد على هذا النحو . وفي القاموس : « سأله كذا وعن كذا وبكذا بمعنى . سؤالاً . وسألة . ومسألة . وتسألأ وسألة » فذكر بينها المصدر الميمي (مسألة) .

وفي ص ٢٠٣ (غشاشة) ظنّك أنها جديع (عيش) وتأولك لذلك بما تأولت - فيه كثير من العسر . والأقرب أن تكون مصدر مفر دأ في وزن السهو والليونة والصهوبة والكدورة .

وفي ص ٢٥١ جاء في المتن : (سَجَرْتُ التَّنُورَ) . وفي الشرح : (سَجَرْتُ التَّنُورَ : أحيمته وأوقدته) قلت الصواب (أحيمته) . ولعل سبب الإشكال أنك قرأت عبارة الشرح مطابقة لعبارة المتن . وذلك أمر لا يلتزمه المفسر . إذ أن من المذاهب الشائعة في تفسير الكلمات أن ينسب المفسر الكلام إلى نفسه . فأنا أردت في الشرح أن أقول (سَجَرْتُ التَّنُورَ) أعني بناء المتكلم . وقرأتها أنت ببناء المؤنثة . فمن ذلك ما حدث الخلائف والشبهة . وتجدد حضرتك أنني فسرت (نَقَعَتْ عَظَامَهَا) في ص ٩ بقولي : « نَقَى العَظْمَ نَقِيّاً : استخرج نقيه » . ولم أقل (نَقَعَتْ عَظَامَهَا : استخرجت نقيها) .

وفي ص ٢٦٩ : وأُخَوِّأ بالضم : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياساً . ولا مما ذكرته المعاجم « فقلت : إنه (قياسي ومبتذل) . والحق أنه ما قيس ولا ابتذل : إذ أن جمع الوصف من فاعل على فُعَالٍ مطرد حقاً ، ولكن في غير المنقرض . أما المنقرض منه فجمعُه على فُعَالٍ نادر ^(١) . » هذا

(١) معجم الحوامع (٢ : ١٧٠) والاشموني (١ : ١١٦)

١٠ أعنيْتُ بقولي إنه ليس قياسياً .

و١١ ذكرت من الأمثلة الكثيرة جائئه غير منقوص فلا يحتاج بكثرة .
وليس فيهن من المنقوص غير (جان ، وصاد) فهاتان من النادر ، كما
ندر أيضاً غازٍ وغزّاء ، وسارٍ وسرّاء . وفي ذلك ما قال ابن مالك :

وفُعِّلَ لفاعلٍ وفاعلهُ

وصفة من نحو عاذل وعاذله

ومثله الفُعَّال فيما ذُكِرَا

وذا في المعلِّ لا ماً ندرَا

٤ - أوهام في الآراء

وفي س ٢ من ص ٧١ قلتُ إن يأجوج ومأجوج (جنس من
الأسويين) فعقبت على ذلك بقولك : « وهذا الخلق لا وجود له في الدنيا
كلها . والذي أعرفه . . . » الخ . وليس بين القولين أى تعارض أو أى
تضارب . في ظنهم (سقوتيا) الذى ذكره الهمداني - هو إقليم أسوي
بلا ريب . وقد جمعاهم الهمداني أصحاب الإقليم السادس^(١) . وجعل حد الإقليم
السادس أرض الصين إلى نهر بلخ إلى بحر الشام الذى يلي المشرق^(٢) . أفلا
يتضح من هذا أن يأجوج ومأجوج ، أو السقوتين (جنس من الأسويين) ؟ !

وفي صفحة ٢٠٥ و ٢٢٥ و ٢٠٠ و ٢٠١ أخذت على أنى لم أعلق على
هذه المرويات بأنها خرافات (تنقأ في العين حصراً) . فكأن حضرة الأب
قد زعم لنفسه أنى أقرت هذه الخرافات . ولا وحقك ما إن كان من دأبى
تصديق خرافة ! وما يكون لرجل من غيرى ، نصب نفسه لدراسة هذا

(١) صفة جزيرة العرب ص ٦ س ٨ .

(٢) صفة جزيرة العرب ص ٦ س ٢٠ .

الكتاب العجيب ، أن يتعثر في تمييز ما هو خرافة ظاهرة ، وأن يتبين فصل ما بين الأباطيل والحقائق . فخرافة الشوك (٢٠٥) وخرافة انسلاخ البرغوث بعوضة (٢٢٥) مصدرتان بكلمة (زعم) . وهذا يكفي للتنبيه على خرافيتها . وأما مرويات كعب الأحبار في (٢٠٠ و ٢٠١) فإنَّ القارئ الذي تحدّثه نفسه بقراءة كتاب الحيوان ، ليس يفتقر إلى أعلام تنصب له في طريقه ، كي لا تضلَّ به السبيل حين يقع بصره على هذه المرويات ، ذات الشهرة الخاصة .

وأما كتابة (يحيى بن برمك) بإسقاط الألف ، مع أن (برمك) جد يحيى ، لا أبوه - فهو المذهب الصحيح من مذاهب علماء الرسم^(١) . على أن الحجاج في الرسم أمر لا يجدى فتيلاً ؛ فن المؤسف أن الرسم لا يمكن جمع الناس فيه على مذهب خاص دون سواه ، مهما حاول المحاولون . وفي ص ٤٨٣ ذكر (كنيسة القُدامة) المعروفة بكنيسة القيامة . وقد أثبتّها باييم ، اعتماداً على ما ورد في الحيوان (٦ : ٦٢ ساسي) وعلى ترجيح ياقوت لهذه التسمية . وقد رأيتَ حضرتك أنه (لا يجوز لأحد أن يحقق هذه التسمية غير النصارى) وهذه عاطفة مشكورة نجلّتها ونحترمها . ولكني أعرف أن التاريخ ملك للبشر جميعاً ، يتداولونه بينهم بالبحث والتفتيش . والامتحان والتحقيق . وأنت ترى أن غير المسلمين ينظرون في تاريخ المسلمين ويحققونه . وتقبل منهم أقوالهم وأفكارهم ما كانت مستقيمة صالحة ، ونُرحّب بها ترحيباً خاصاً . وياقوت حين عرض لتحقيق اسم الكنيسة . لم يشبَّ تحقيقه غرض أو خالطه هوى . فهو يتحدث عن تسمية كانت معروفة متعلّمة . منذ القرن الثالث الهجري على الأقل . ولا ريب أنها غيّرت دهرًا طويلاً معروفة بذلك بين الناس . كما أن هذه التسمية لم

(١) المطالع النصرانية ١٧٤ س ١١ .

تقتصر على الجر العربي فحسب ، بل هي سارت أيضاً في اللغة الفارسية عن طريق اللغة العربية . ففي معجم استينجاس الفارسي الإنجليزى ص ٩٨٨ تجد هذا النص :

Kanisatu' I-qumama, The church of the holy sepulchre at Jerusalem .

وتفسيره : (كنيسة القمامة : كنيسة القبر المقدس بأورشليم) . وسواء أكان ياقوت مخطئاً في تعليل هذه التسمية أم مصيباً ، فهي تسمية شاعت حيناً ، وهي التسمية التي عناها الجاحظ بلا ريب ^(١) . وأنا إنما أثبتتها تحقيقاً لنص الجاحظ ، لا تحقياً للوضع التاريخي الذي يجب أن يكون ؛ فإن مهمة كل ناشر أن يجتهد في إثبات النص اللفظي الذي أراده المؤلف . وأنت تجدني في ص ٤١٥ قد أثبت نص الجاحظ في رواية بيت الحارث بن حلزة الشكري ، مع يقيني بأنها رواية مخطئة فاسدة ، كما نبهت عليه .

وليس من الغريب في الأعلام العذرائية أن يتعاور اسمان مختلفان مسمى واحداً . فالمدينة سميت بيثرب وبالمدينة . وبكل نطق القرآن ^(٢) . ومكة قيل فيها (بكة) أيضاً ، وبكل جاء القرآن ^(٣) . وأحياناً تمحو التسمية الجديدة نظيرتها القديمة وتعفى عليها . فلو أن صاحب الهرم بعث من مثواه ، وعرض عليه اسم الهرم أو ترجمة معناه لأنكره إنكاراً وغلب عليه العجب . ومن يدرى ؟ لعل اسمه بعد دهر يصيبه تغير ! .

وفي ص ٣٣٦ س ٥ « الصومعة كجوهرة : بيت للنصارى سمي بذلك لدقة في رأسه » فقلت : الصومعة كلمة لاتينية من : Summa ومعناها القمة وكل شيء دقيق . ولست أدري لم نفر من الاشتقاق العربي ما دام مستفيضاً جامعاً في مادة من المواد ؟ ! فالمعنى السائر في مادة (صمغ)

(١) انظر تعليلاً آخر لتسمية كنيسة قامة في القاموس (قم) .

(٢) سورة الأحزاب ١٣ والتوبة ١٠١ .

(٣) سورة الفتح ٢٤ وآل عمران ٩٦ .

العربية هو دقة الأعلى : فالصمعا : المدهلك المدقق من النبات . وكل برعومة لم تفتح بعد . والصومعة : البرنس . وذروة الثريد . ويقال صومع الثريدة : إذا دقق رأسها . ومنه قول الراجز^(١) .

قد دقّه ثارده وصومعا

ثمت ألبان البختى جمع

ونحن لا نستطيع أن نحكم بتعريب كلمة قبل أن نعلم وجود أصل لها من الاشتقاق اللغوي العربي : فإذا وجدنا الأصل ووجدنا معه النظائر ، كان من الظلم البين أن ننفي عن الكلمة نسبتها إلى العربية .

٥- ما غرض تحقيقه

وفي ش ص ٤٨٨ تفسير الشهاب بأنه يتقضى على أثر الشيطان بالليل ويقذف به . وهذا تفسير ديني عناه الجاحظ ويعرفه عامة المسلمين . وأنا مكلف بتفسير عبارة الجاحظ على النحو الذى عسى . فقول الجاحظ : « كأنه شهابٌ قُذِفَ » لا يحتمل غير هذا التأويل . وكان من المستحسن أن تتمهل حضرته قليلاً فيما حكمت به . فأنا قلت إثر كلامي السابق فى حواشى الصفحة : « وفى الكتاب^(٢) : إلا من خَطِيفَ الخطفة فأُتبعه شهابٌ ثاقبٌ » . وأضيف إلى ذلك قول الله^(٣) : « وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ » . وقوله^(٤) : « وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاها مُلِئَتِ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا » . وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا » . وقوله^(٥) : « لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُرْادُّ قُرُونٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ » .

(١) الحيوان (١ : ٢٣٦)

(٢) سورة الصافات ١٠ .

(٣) سورة الملك ٥ .

(٤) سورة الجن ٨ - ٩ .

(٥) سورة الصافات ٨ .

وأما التفسير العلمى ، الذى يعرفه طلبة الفرق الدنيا من مدارسنا الثانوية بمصر ، فإنه لا يتنافى مع هذا التفسير الدينى ولا يعارضه ، فمع وجود السبب العلمى قد توجد العلة الدينية ، ليس فى ذلك ريب .

وقد جاء فى القرآن الكريم^(١) فى شأن مدينة سدوم : « فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنصُودٍ » وجاء فى سفر التكوين (١٩ : ٢٤ - ٢٥) : « فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كَبِيرَتًا وَنَارًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ ، وَقَلَبَ تِلْكَ الْمَدْنَ وَكُلَّ الدَّائِرَةِ وَجَمِيعَ سُكَّانِ الْمَدْنَ وَنَبَاتِ الْأَرْضِ » . فالعلة الدينية لتخريب سدوم هو العقاب الإلهى على إجرام أهلها وشناعة فجورهم . والسبب العلمى الظاهر هو زلزال وانفجار جبل للنار ، أمطر أهلها بالحمم والقذائف المهلكة ، وقلب أرضهم وديارهم . ونسبة الحجارة إلى الجحيم والسماء إشارة إلى العقوبة الإلهية . وهذا مثلٌ من أمثلة .

س — (*)

٦ - مقابلة الألفاظ العربية بالكلم الأجنبية

فأتنى حقاً أن أنسب بعض الكلم الأجنبية إلى لغاتها . وأشكرك على استدراكك لى فأتنى من ذلك حقّ الشكر . وليس ينقضى عجب الناس وعجبي من صدق غيرتك . وواسع علمك .

وجاءتك تنكر علىّ فى ش ص ١٠٧ مقابلاتى للجندب بكلمة : grasshopper الإنجليزية . وقلت : إنها تعنى الجرادة . والحق أن الكلمة لا يقصد بها إلاّ (الجندب) ذلك النوع الصغير من الجراد . الذى يتميز

(١) سورة هود ٨٢ .

(٢) نشرت بالعدد ١١٦ من مجلة الثقافة ، اريخ ٢ من شهر سنة ١٣٦٠ هـ و ١٨ من

مارس سنة ١٩٤١ م

بالقَصْرَان والصرير^(١) . ففي مادة grasshopper من دائرة المعارف البريطانية ص ٦٥٨ من المجلد العاشر^(٢) .

(They are especially remarkable for their leaping powers, due to the great development of the hind legs & also for their stridulation Which is generally, but not always, a function of the male only) .

وعلى ذلك الوجه الصحيح تُرجمت الكلمة في معجم المعلوف والقاموس العصري ومعجم Wartabet وسائر المعاجم الإنجليزية العربية المتداولة . فقولك (أما الجنذب فلا مقابل له بالانكليزية . . .) الخ - ليس صحيحاً كما رأيت .

أما الجرادة فالذى يقابلها بالإنجليزية locust كما يتضح من دائرة المعارف البريطانية (١٤ : ٢٩١ - ٢٩٢) حيث ترى وصفها وشكلها الناطق . والجراد نادر الوجود في بلادهم . وهم يؤرخون رحلاته النادرة إليهم . كما في ص ٢٩٢^(٣) .

ومما هو جدير بالذكر أن كلمة locusts كثيراً ما يراد بها (الجنادب) ولكن في الاستعمال العام أو غير الدقيق ، ففي دائرة المعارف البريطانية grasshopper ما يأتي :

(The name locust is often applied to any member of this family, in its strict usage the Termonly refers to certain destructive species) .

(١) القاموس واللسان والمخصص (٨ : ١٢٦)

(٢) الطبعة الرابعة عشرة سنة ١٩٢٩ .

(٣) انظر أيضاً : children's Dictionary ص ١٨٩٨ .

وفى ش ص ٣٧٤ (خارطيس) اليونانية . قلت صوابها : (خارتيس)
إذ ليس فى لسان اليونانيين طاء . وهذه عبارة ظاهرية بحته ؛ فالحق أن الطاء
حرف مشترك بين اللغات جميعاً ، ولو لم ينفرد لها حرف خاص . وليست
الطاء إلا تاء ثقيلة . فالتاء فى نحو كلمتى : Tall الإنجليزية ، و :
monotone الفرنسية — هى طاء فى الحقيقة . بل هى أشد من الطاء العربية
التي فى نحو : إطار . وسطر . فالقول بأن الطاء لا وجود لها فى اليونانية أو
الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرها من اللغات — غير منضبط على الواقع .
ومثل الطاء فى ذلك الصاد . فالصاد لم ينفرد لها حرف خاص فى اللغات
الأوربية ، بل يعبر عنها بحرف السين (S) أو (C) فى نحر كلمة :
Facon الفرنسية .

وفى ش ص ٣٦٧ بيت علقمة فى نعت الظلم :

وضاعة كعصى الشَّرع جُؤجؤه

كأنه بتناهى الرّوض علجوم

وفسرت (العلجوم) بأنه البعير الطويل المطلق بالقطران ، فاعتراضت
باعتراضين . أما أحدهما فقولك : إن المراد بكلمة (العلجوم) هنا (طائر
عظيم أبيض) . وأما الآخر فقولك « من أين لك هذه الزيادة : المطلق
بالقار (١) » .

أما الاعتراض الثانى فإنك تجد جوابه فى شرح المفضليات لابن الأنبارى
ص ٨٠٤ س ١٠ - ١١ طبع بيروت ١٩٢٠ وفيه هذا النص : « والعلجوم :
البعير الطويل المطلق بالقطران » .

(١) سها حصرة الأت ، التفل . وبالعطف الذى أشبهه فى حوائش الحيوان هو (المطلق
بالقطران)

وأما تفسيرك للعجوم فصحيح ، ونطق به بعض العلماء بالشعر ، كما في شرح المفصلیات ٨٠٥ س ٥ ، وفيه أيضاً : « ويقال هو الليل ، فشبه سواد الظلم بسواد الليل » . لكن الرأى المتقدم في تفسير الكلمة أن تؤول بالبعير . ونجده أول الأقوال عند ابن الأنباري . ويؤيد هذا الشرح أن كلمة (وضاعة) في أول البيت مأخوذة من صفة البعير الذي يضع في سيره . ومنه قول دريد بن الصمة ^(١) :

يا ليتني فيها جذعٌ أحبُّ فيها وأضع

والشعر العربي أقوى درجات تفسيره أن يؤول بالنظائر والأشباه . ولذلك يخطئ كثير من الذين يعمدون إلى المعاجم ونحوها ، ليفسروا بها الشعر العربي . دون أن يلتفتوا إلى أجواء المعاني العربية ، وهي متقاربة متناوذة ، يأخذ بعضها من بعض وينظر إليه . فما ورد شبيهاً بالبيت السالف ، قول طرفة ^(٢) :

ومكانٍ زعلٍ ظلُّمانهُ

كالمتخاض الجرب في اليوم الخصر

فانظر كيف شبه الظلَّمان بالمخاض من الإبل ، وقيد المخاض بأنها (الجرب) لما أنها تكون سوداً بما طليت وهُنَّت من القطران . وهو قد اختار اليوم (الخصر) لأن البرد يكتف الهنأ فيظهر سواده ويحلك ، كما أنه يظهر حمرة التقشر فيما برئ من مواضع الجسد . وهو تصوير دقيق رائع في تشبيه الظلَّمان بالإبل . إذا لحظنا تجرد عنق الظلم وفخذه من الريش وحمريتهما .

والعرب أبداً يشبهون الإبل بالنعام . ويشبهون النعام بالإبل . لما هو

(١) السيرة ٨٥١ جوتنجن . وإستع ، لأسماع ، للمقري (١ : ٤٠٢) .

(٢) مختارات ابن الشحرى ٤٣ طبع ١٣٠٦ .

واضح من اشتراكهما في كثير من الخلق والخلق . والأول كثير
ومن الثاني قول لييد (١) :

وخيّطاً من خواضب مزلفات

كأنّ رثالها ورقُ الإفـال

إذ شبه صغار النعام بصغار الإبل الورق .

٧- ملاحظات شتى

في حديثك عن ش ص ٢٧٠ نقلت نصّ ابن سيده في الخصاص (٨) :
(١٧٣) : « والتأشير أيضاً : الأثناء ، وهي عقدة في رأس الذنب (ذنب
الجرادة) ، كالمخلين ، ويقال لهما الأشرتان » وبنيت على كلمة (الأثناء)
ما بنيت .

والحق أن كلمة (الأثناء) معروفة عن (الأشرة) بالضم . وهي بمعنى
(التأشير) (٢) . وكيف يجعل ابن سيده (الأثناء) المجموعة . تفسيراً للكلمة
المفردة ، أعني (التأشير) ثم ينتكس مرة ثانية فيفسر هذه الكلمة الدالة على
الجمع بما يفسر به المفرد الماؤث ؟ ! إن ذا للدليل قطعي على التحريف .

وقد عتب ابن سيده بقوله : « ويقال لهما الأشرتان » يشير بذلك إلى
أن تلك العتدة التي تشبه المخلين المنضمين يفرد لها اللفظ حيناً فيقال (الأشرة) .
ويثنى حيناً فيقال (الأشرتان) . فهل لحضرة الأب أن يرى معنى أن ما ذهب
إليه قد مدّ به عن الصواب ؟ ! فقول أبي النجم في نعت الأفعى :

« تأسيرها يحتكّ في تأسيرها »

(١) الحيوان (٤ : ٣٦٠) .

(٢) القاموس وتاج العروس واللسان .

صحيح لا تحريف فيه ، ويراد بكلمة (التأسير) الجلد وأصل معنى التأسير . السَّيْر ، كما أثبت في شرح الحيوان . وقد قال الراجز بعده :

مرَّ الرحي تجرى على شعرها

فليس يكون هذا الصوت الشديد للأثناء التي ظننت والجاحظ يحدثنا أن تلك الحزوز والأثناء التي في بطن الحية (لم توجد بعين ولا لمس ^(١)) وليس لها خاصية في إحداث الصوت . وإنما يكرن الصوت من عامة الجلد ، وخاصة إذا كانت الحية في دور السليخ . فإنه يسمع لجلدها - إذا قارب الانفصال وتلوت الحية - كشيش واضح عالٍ . وفي ذلك يقول الراجز في صفة شخب الناقة حين تحتلب ^(٢) .

كأن صوت شخبها المرفض

كشيش أفعى أجمعت لعض

فهي تحك بعضها ببعض

وفي ص ١٥٥ تحدث عن (الأجدهاني) حديثاً ممتعاً قيماً ، فبهرت الناس بما أنك محقق قادر . وبما أنك خطير .

وقد وجدتك تقول : « وأما أن الجاحظ يرى أن هذا القول من أحاديث الباعة والعجائز فليس صحيحاً . لأنه يرمى مدوناً في أسفار مثقفهم الأقدمين » فهل هناك تناف بين قول الجاحظ وما ذكرت ؟ ! أوليس الباعة والعجائز عندنا يتكلمون بما في أسفار الأقدمين مما جرى على مذهبهم من حب الإغراب والتعجيب ؟ ! وقد سمعنا العجائز يحدثننا بأخبار وأقاصيص مسطورة في كتب الأولين . وكنّ يتزیدن فيها حيناً ويغربن آناً . فيخلعن بذلك عليها مسحة من جمال .

(١) الحيوان (٤ : ٢٧٥ س ١ - ٢) .

(٢) المختص (٨ . ١١٥) . والحزاة (٤ : ٥٧١ ، دلاق) . والحيوان (٤ : ٢٣٣) .

ومنه بقية المصدر .

وظننت أن (الباعة) محرقة عن (الباغية) وجعلت تؤيد مذهبك تأييداً ،
ولست أدري ما عدا بك عن (الباعة) أوليس الباعة يتحدثون ويكثرون
من الحديث ؟ ! أوليس قد جبّل الله كثير أ منهم على الكذب والتزويد ،
المبالغة في الاختلاق والبهرجة ؟ ! وهم من قد رأيت كثرة حلف . وقوة
تصنع . ولباقة حديث . وكأيتن من بائع طلق زوجه مئات ليحتال على
عميله بما يحال ! وقد عرف الجاحظ ذلك منهم . فأضاف إليهم خبراً غريباً
في موضع آخر من الكتاب^(١) : « ولم أجد أهل سكة اصطفانوس . وباب
جارية وباعة مربّعة بنى منقر يشكّون . . . » إلخ . فليس في الكلام تحريف
كما رأيت .

وفى ص ٣١٤ س ٣ (ولا تستمرى) قلت : « والأفصح همز الآخر .
وقد تكرر هذا الخطأ مراراً » .

أما أن الهمز هو الأفصح فإنه صحيح لا جدال فيه . وأما قولك إن ترك
الهمز خطأ فلا وجه له من الصحة : إذ أن تخفيف الهمزة في مثل هذا جائز
جوازاً مشهوراً ، فكيف خفى عليك ؟ ! وأنا لم أسقط الهمزة من الكلمة ،
بل ذلك من صنع الجاحظ . وله الخيرة فيما يقول .

فهذه الهمزة المضمومة : المتحرك ما قبلها بالكسر ، يجوز تخفيفها
بلا جدال . ولكن تخفيفها على ضربين : فذهب سيبويه أن تخفف على طريقة
(بينَ بينَ^(٢)) . ومذهب الأخفش قلبها ياء^(٣) وقد وجدت كثيراً أن
الجاحظ يدل إلى تسهيل الهمزات في مواضع شتى من كتابه . وهذا أحدّها .
وإن أحببت أن تعرف بعض الشواهد على ذلك فانظر (١ : ١٢٠ س ٤ .
٢ : ١٠٨ س ٧ . ٣١٢ س ٢ . ٣٣٣ س ٥ . ٣ : ٣٦ س ٤ . ١٣٠
س ٦ . ٤ : ٣٠٣ س ٧ . ٣٨٨ س ٢) .

(١) الحيوان ٢ : ١٢١ س ٦ .

(٢) انظر لتوضيح هذه الطريقة شرح ابن يعين ٩ : ١١٢ س ١ والإنصاف لابن
الأنباري ٣٠٦ .

(٣) ابن يعين ٩ : ١١٢ س ٢٤ وشرح لشافعية ٢ : ٤٦ وجمع الحوامع ٢ : ٢٢١ .

— ٤ — (*)

رفى ص ٣١٥ س ٩ : (وهو فى ذلك عبقر نضير) فقلت : صوابه (عنقر) وأن المراد بالعنقر (البردى) .

فأول ذلك أنك جعلت (الخلفاء) هو (البردى) بعينه ، مع أنهما نوعان مختلفان . وإن تدانيا فى الفصيلة . كما يتضح من مراجعة كتب النبات ومعاجم اللغة .

والآخر أن كلمة (عبقر) صحيحة فى معناها وفى وضعها ؛ فإن العبقر (أول ما ينبت من أصول القصب ونحوه وهو غصنٌ رخص قبل أن يظهر من الأرض ^(١)) . ومثل ذلك معنى (العنقر) كما فى اللسان ، والنبات والشجر للأصمعي ^(٢) . ولكن ماذا يدفعنا إلى تبديل النصّ ما دام اللفظان متعادلين متساويين فى أداء المعنى ؟ !

ولعل ما حدا بك إلى إثبات (العنقر) أنك تريد تأويلها بالبردى . الذى هو أحد معنَي (العنقر) . وما معنى أن يقول الجاحظ : إن الخلفاء يثقب الآجر وهو فى ذلك بردى نضير ؟ ! إنما يريد الجاحظ التعجيب بأن يتمكن هذا بالأصل الغصن الرخص ذو النضرة أن يثقب ذاك الجسم الجاسى الصلب . وفى الصفحة نفسها س ١٠ — ١١ قال الجاحظ : « وزعم لى ناس من أهل الأردن أنهم وجدوا الخلفاء قد خرق جوف القار » . وفسرتُ (القار) بأنه الزفت . فقلت معترضاً : « ليس فى الأردن قار أو قير بمعنى الزفت ليصح الكلام » . وليت شعري أتقصيت أرض الأردن . وهى غريضة واسعة . فكان منك ألا تجد القار ؟ ! ولنفرض أن القار ليس يوجد

(٢) السنة الثالثة من مجلد (شفاء) بالعدد ١٢٥ (فى ٢٣ من ربيع الثانى سنة ١٣٦٠ هـ و ٢٠ من مايو سنة ١٩٤١ م) .

(١) اللسان (٦ : ٢١٠) . وانظر جهمه ، لأمدل للمعسكرى ٦٦ س ٤ طبع بمبائى ١٣٠٦ .

(٢) اللسان (٦ : ٢١٩) ولسان والشجر ٥٢ طبع ١٩٠٨ .

بالأردن^١ ، أفعجز أهله أن يجتلبوا القار إلى بلادهم ليستعملوه فيما يصلح من شأنهم ، ويقبّروا به ما يشاءون من الحياض والمترضات ؟ ! وقديماً كان يفعل ذلك العرب وغيرهم ، في كل جهة وفي كل صُفْع ليمنعوا تسرّب الماء إلى باطن الأرضين^(١) . وهل يرتضى حضرة الأب أن أقول له : ليس في بغداد ذَهَبٌ ؛ لأنه ليس يخرج من أرضها ؟ ! واستشهاد الجاحظ بقول أهل الأردن ليس يلزم منه وجود تلك المادة في غلات بلادهم أو عدم وجودها . وإنما يريد الجاحظ ذكر الخبر له بهذا الخبر ؛ ليطمئن القارئ إلى صدق روايته .

وفي ص ٣٢٠ « فإذا عاد كالحمر . . . كما يبتلع الجمر » قلت : صحة العبارة « فإذا عاد كالجمر . . . كما يبتلع الحجر » وتصحيح الكلمة الأولى بديهي ؛ لأن كلمة (الجمر) تكررت في الصفحة كثيراً ، فهو خطأ مطبعي ظاهر . وأما تصحيحك (الجمر) بكلمة (الحجر) فلا يسعفك فيه أن تقرأ باقي النص ، وفيه : « وكنت قلت له : إن الجمر يخيف سريع الانطفاء إذا لقي الرطوبات . . . » إلخ .

وفي ص ٤٧٢ قول الجاحظ : « والمالح شيان ، أحدهما المرقّة (فقلت : صوابه (الدقّة) المرادفة لكلمة (المالح) . ولو أننى صوّيته بما قلت لكنت متحكماً في توجيه النص . وأنا قد أثبت في شرح الحيوان قولين للعلماء في تفسير كلمة (المالح) الواردة في قول شُتيم :

لا يبعد الله ربُّ العبادِ والمالحُ ما ولدَتْ خِمالُ الدّهْ

أما الأول فهو (الحرمة) بمعنى الدمام . وأما الآخر فهو (البركة) . فيصح أن تكون كلمة (المرقّة) محرفة عن إحدى الكلمتين ، ولا سيما الأولى ، فهي أقرب إليها في الصورة .

(١) انظر لذلك الحيوان (٤ : ٣١٦ س ١١ - ١٢) .

وتجد حضرتك أنى بدأت الكلام على البيت بأن كتبتُ لفظ (كذا) .
وهذه إشارة منى إلى ارتيايى فى صحتها .

وأما توجيهك لها بأنها (الدقة) فقد رأيتَه قريباً وأراه بعيداً . وفيه
شئ من العجب ؛ فإن أحداً من العلماء لم يفسّر به البيت ، وإن الجاحظ
لا يكون منه أن يلجأ فى تفسير الكلمة الواضحة - بالمعنى الذى أردت - إلى
كلمة منكورة مثل هذه . ولو أراد هذا المعنى لعبّر عنه بقوله : (أحدهما ذاك
المعروف) أو نحو ذلك .

وأخيراً ، إن إطلاق (الدقة) على (الملح) قولٌ ضعيف . وفى
اللسان : « الدقة : التوايل ، وما خلط به من الأبرار نحو القزح وشبهه .
والدقة : الملح وما خلط به من الأبرار . وقيل : الدقة : الملح المدقوق » .

وفى ص ٤١١ س ٦ (على كنس) وهو خطأ مطبعى ، لا يرتاب قارئ
فى ذلك . وتجد حضرتك فى الشرح قولى : « والكنس بضمين » . وهذا
تعين صريح .

وفى ص ٢٩٦ (كيشتاسب) الذى ظهر (زرادشت) فى عصره .
فقلت أولاً : « صوابه كيستاسب ، أو كيستاسف . كما فى تاريخ
ابن خلدون ٢ : ١٦١ » . وقلت ثانياً : « وأما كيستاسب فهو ابن لهراسب .
وكان قبل ظهور زرادشت المربذ الشهير » .

أما ما قلت ثانياً . من أن (كيستاسب) كان قبل ظهور زرادشت ،
فزعم لا يصلح ، واستشهادك بما جاء فى الآثار الباقية للبىرونى ص ١٠٥ .
استشهادٌ غير موفق . فإن نصّ البىرونى حين راح يعدّ ملوك الفرس
الكيانية . هو : « وبعد ذلك كيشتاسب بن لهراسب إلى أن ظهر زرادشت ،
وبعد ذلك كى أردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسف » فكيف يفهم من هذا
النصّ أن (كيشتاسب) كان قبل ظهور زرادشت ؟ ! وهو نصّ صريحٌ

كل الصراحة في أن ظهور زرادشت كان في زمن كيشتاسب ، وأن مُلْك . هذا امتد به حتى شاهد زرادشت .

وإن أحببت دليلاً آخر على أن (كيشتاسب) بن هراسب هو الذى ظهر زرادشت في زمنه ، فارجع إلى فهرس ابن النديم ^(١) ، حيث يطالعك هذا النص الصريح الآخر ، نقلاً عن كتاب الوزراء للجبهشيارى ^(٢) : « كانت الكتب والرسائل قبل ملك كيشتاسب بن هراسب قليلة فلما ملك كيشتاسب واتسعت الكتابة ، وظهر زرادشت بن اسبتمان صاحب شريعة المجوس وأظهر كتابه العجيب بجميع اللغات أخذ الناس نفوسهم بتعلم الخط والكتابة فزادوا ومهروا . . . » .

فأنت ترى أن (كيشتاسب) تناوله المؤرخون الذين كتبوا بالعربية ، على وجوه شتى . فهو (أشتاسب) ^(٣) عند الطبرى و (كشتاسب) عند ابن النديم ، و (كيشتاسب) عند البيروني ^(٤) ، و (كيشتاسب) عند ابن خلدون ^(٥) و (كيشتاسب) عند ابن خلدون أيضاً ^(٦) و (بشتاسف) عند البيروني أيضاً ^(٧) ، و (بشتاسب) ^(٨) . وذلك راجع إلى اختلاف سبل التعريب .

ومهما يكن من الأمر فهو ابن (هراسب) ^(٩) أو (كيلهراسب) ^(١٠) .

(١) ابن النديم ص ١٢ ليبسك .

(٢) لا تجد هذا النص في القطعة المطبوعة من كتاب الوزراء .

(٣) تاريخ الطبرى ٦١٧ القسم الأول طبع ليدن .

(٤) الآثار الباقية ١٠٥ س ٢ طبع سناو ١٨٧٨ .

(٥) ابن خلدون ٢ : ١٦١ س ٨ طبع بولا ق .

(٦) ابن خلدون س ١٢ ، ١٤ ، ١٨ .

(٧) الآثار الباقية ١٠٥ س ٤ .

(٨) الطبرى ٤١٦ ، ٦٤٥ - ٦٤٩ - ٦٧٥ - ٦٨٧ ومواضع آخر من القسم الأول .

(٩) الآثار الباقية ١٠٤ س ٢٣ .

(١٠) ابن خلدون ٢ : ١٦١ س ٦ .

أو (كيهراسف ^(١)) أو (كهراسف ^(٢)) أو (كى هراسف ^(٣)) أو (هراسف ^(٤)) فانظر كيف تعددت الصور والمسمى واحد !

ومما يحسن الإشارة إليه ، ويعرفه حضرة الأب الجليل جد المعرفة ، أن لفظ (كى) تصدر به أسماء كثيرة من ملوك الفرس . ومعناه (الملك الكبير) ، فهو ليس من صلب الاسم ، ولذا أهمله بعض المؤرخين . كما قد أهمل بعض المؤرخين إثبات يائه ، مكتفين بكسرة الكاف .

وأما حديثك عن (تين أنطاكية) وعن (الأصلة) و (الدساس) وعن (الفرائق) ، وتذكرك إياى بما كتبت فى مجلة المشرق — فهو إشارة قيمة مفيدة حقاً . وإنى لأتمنى كما يتمنى معى كل معجب بتحقيق حضرة الأب ، وبأبحاثه التى لا يضارع فيها ولا يبارى . وإنا لنتمنى أن نلقى هذه الأبحاث مجموعةً مجموعةً فى كتاب ؛ لتكون ذخيرة سهلة التناول . عامة الفائدة ؛ فإن فى كل ما كتب حضرة الأب ما يعجز فطاحل العلماء المحققين . ولو أن الدهر كان قد تقدّم به . لكننا مؤثمة هذا التضارب والتخالف فى تأصيل الكلمة العربى . ورد الكلم الأجنبى منه إلى لغاته ، فهو به جدُّ عالم . وجدَّ خبير .

٨ - حسنات الكتاب

وجدتُك تخلع على حلة من الثناء فضفاضة . وتعبر عن رضاك بما حققت من كتاب الحيوان ، وبما صارعت من تحريفاته وتصحيفاته ، تعبيراً خشيت أن أقوله غالباً ، كما خشيت أن يحداني على الزهوى . ولست

(١) ابن خلدون ٢ : ١٦٢ ص ٩ .

(٢) الطبرى ٦١٧ من القسم الأول .

(٣) الطبرى ٦١٨ ، ٦٧٩ من القسم الأول .

(٤) الآثار الباقية ١٠٥ ص ٢ .

من الزهو والتخيّل ، ولا هما مِنِّي ! وإني لأعد ما قلت في هذا تشجيعاً كريماً ، وظناً حسناً . وليس يسعني إلا أن أشكرك أعظم الشكر على ما أفضت من برّ طيب . وصنيع بارع . وما أشدت به وأعلنته ، وتهديت إليه لطف التهدي ، من مكنون جهدي المتراضع . في هذه المهام الفكرية ، المترامية الأطراف ، الشائكة المناهج !

وإن كنت قد أعجبت بما رزقت من صبرٍ على تحقيق هذا الكتاب ، ومغالبة تصحيقاته وتحريفاته . فإنني أزجي إليك إعجابي وإعجاب أسرة العروبة جمعاء ، بما منحك الله من إنصافٍ بارع ، أدهش كل من نظر في رسالتك التاريخية إلى ، على صفحات (الثقافة) (١) .

سألتني عن الغرابة في جمع (خشف) بثلاث الخاء على (خشفان) فأقول : إن الغرابة في عدم وروده في المعاجم . فإن المعاجم المعروفة جمعته على (خشفة) بكسر ففتح و (خشوف) كما نقلتم عن المصباح .

٩ - خاتمة الرسالة

لقد استرعى نظري في هذا الفصل قولك : « وعسى أن تراجعني فيما لا توافق عليه من تصحيحاتي لك » . فهذه هي الغاية التي يصل إليها تواضع العالم القدير ! وإني ما نهضت بكتابة هذا الجواب إلا طوعاً لكرم طلبك ، وتلبية لنيل رغبتك .

وقد أبحث للعالم العربيّ فرصة في أن يشهد محاوراة طيبة بين أستاذ وتلميذه . وإنا ليرجو أن نعيد أمثالها فيما نستقبل من أجزاء الكتاب .

وقلت : إنك ، قد أنفذت إلى ملاحظاتٍ شتى على الجزء الثالث من

(١) الأعداد ٩٥ - ٩٨ . ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

وحوايل على رسالة حصرة لأب و الأعداد ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١٦ . وهذا العدد .

كتاب الحيوان . فلو أنها وقعت إلى لاحتفظت بها احتفاظ الشحيح ، ولحرصت عليها أشد الحرص ، ولأخبرتكم بوصولها في حينه شاكرآ . وإنه ليؤسفني أن أحرم من وصول هذه الملاحظات إلى ، بما صنع البريد ، فيما أرى .

ومهما يكن فإن موضع نشر الملاحظات التي تتعاقب بما تم نشره من أجزاء الكتاب ، إنما هو نهاية الجزء السابع ، كما أشرت إلى ذلك في تنديل الحيوان^(١) .

وإني لأرحب ترحيباً صادقاً بملاحظاتك ، وبما يرسل إلى كرام الأدباء وكبارهم ، أو يحتفظون به إلى ذلك الحين . وآخر رسالة وصلت إلى هي رسالة الأخ الجليل الأستاذ عبد الرزاق الحصان ، من كرام أدباء بغداد ، الذي أعلن له إعجابي بملاحظته الدقيقة .

وأما بعد فإني أتقدم بجزيل شكرى إلى حضرة الأب المحترم ، ثم أثنى له الشكر ، راجياً أن يتقبل من تلميذه المعجب بفضله وعلمه أصدق آيات الإجلال والاحترام .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الحيوان (٢ : ٤٠٣) .

كتاب الحيوان للجاحظ(*)

الجزء الخامس

بتحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون

بقلم الألب أنستاس مارى الكرملى

- ١ -

١ - تمهيد : أبو عثمان عمرو بن بحر المشهور بالجاحظ ، هو أكتب كتاب العرب على الإطلاق ، منذ أن وجدوا على الأرض إلى عهدنا هذا . ولعلَّ القارئ يعجب من هذا الكلام . ويعزوه إلى جهلنا لتاريخ الآداب العربية ، أو لا أقلَّ من أن ينسبنا إلى الغلوِّ الفاحش . لكن الحقيقة أننا لا ننطق عن غرض . ولا عن هوى . إنما ننطق بالحقيقة ، مجردة عن كل غاية ، أو فكرة ملتوية .

نعم ، لقد قام في بنى مُضر كتاب نوايغ بلغاء فصحاء أبدعوا في ما نمقوا ووشَّوا من رفيع القول . ومسجَّعه . ومن مختار الألفاظ وأدقها تعبيراً عن المراد ، ومنهم من أغربوا فيها إغراباً فاقوا من تقدمهم في النطق ، واتخلوا من الكلم أعوصها وأغمضها . لكن ذلك كله ليس بشيء يذكر بجانب ما أبدعه الجاحظ وصفه ووصفه من متقن العبارة ومحكمها ، فإنه

(*) نشرت هذه البحوث بمجاه المقتطف في الأعداد (مايو) و (يونيو) و (يوليو)

من سنة ١٩٤٤ م .

يستحق وحده أن ينعت بـ « وصَّاف الدقائق ^(١) » من بين كل من قبض على البراعة العربية .

٢ - نظرة عامة في تصانيف الملاحظ : للملاحظ تصانيف ورسائل عدة مختلفة الأمراض ، بلغت ١٢٥ على قول ياقوت الحموي ، في معجمه المعروف بمعجم الأدباء ، لكن لم ينشر منها إلى الآن - على ما نعهد - إلا ٢١ ، بينها كتاب البيان والتبيين ، وكتاب الحيوان . وأحسن مؤلفاته : البيان والتبيين ، وأثنى منه وأبدع كتاب : الحيوان . إلا أن إخراج هذه الدرّة من مغاصها بسبع لآلئ (سبع مجلدات) على نفقة الحاج محمد السّاسي ، حط من ثمنها ومن شرف ثمينها ^(٢) ، إذ أزال كثيرًا من معسّنات الكتاب . وروائعه . ومبتكرات أقواله ، فيعثر القارئ في كل صفحة من صفحاته على أوهام ، وتصحيفات . وتحريفات ، ونواقص ، ومحدوفات . تخلّ بسياق المعنى . كما أن ثمّ دواخل ومفامات ^(٣) مما يشجى ويبكى وينكى ، ويحول دون القارئ من المضى في وجهه قدماً .

٣ - إعادة طبع كتاب الحيوان : فلما رأى أولاد مصطفى البابي الحلبي الدركة التي انحط إليها هذا الأثر النفيس الذي يعدّ من أفخر مفاخر الناطقين بلصّد ، انتدبوا لإبرازه إلى عالم البعث والنشور والخلود ، شابًا مصريًا جمع

(١) المراد بوصف الدقائق من يكذب على الأشياء ويصوره تصويراً دقيقاً يمثلها بين يدك تمثيلًا كأنك تراها رأي عين ، وتلمسها لمس اليد ، حتى كأنه ينطقها نطقاً حياً ، تغنيك عن مقابلتها ومشاهدتها بوسيلة أخرى ، لأنك ترى محسّنها ومعنيها جميعاً على حد سواء . ويسمى الأفرنج « وصف دقائق » : **Réliste** وقد حاول بعضهم نقلها إلى لساننا بنوهم « كاتباً واقعياً » وآخرون بموهم : مصوّر الأشخاص والأشياء كما هي . بدون تجميلها . وبعضهم قالوا : هو « الكاتب الواقعي » . وفريق : القائل بحقيقة الأشياء » وجماعة : « القائل بالذهب الحسي والواقعي » . وآخرون غير ممرّك من الألفاظ والتعابير . وكلها لا تفي بمفهوم من الأفرنجي . هذا ويقدها عند : « وصف تخيلات » وعندهم : **Idéaliste**

(٢) التين بكسر الداء المثلثة . مستخرج الدرّة من البحر .

(٣) مفامات : جمع مفم . مفعول من فمّمه ، أي وسعه وزاد فيه .

إلى توغله في الآداب والعلوم العربية وقوفه أحسن وقوف على تصانيف الجاحظ ، وآرائه وأفكاره ، ومعارفه ، فأبرز إلى نور النشور أربع مجلدات منه . وبين يدينا الجزء الخامس الذي يعدُّ أوسع المجلدات ، وأصعبها فهماً لما حوى صدره من الآراء الفلسفية الغامضة ، وما وقع فيه من التصحيف والتحريف .

وفي هذا المجلد يبحث الجاحظ عن الطير التي تألف الدور . وعن القران والجردان ، والسنانير ، والعقارب ، وعن بعض الهوام كالبراغيث ، والقمل والصئبانى ، والبق ، والجرجس والشران ، والفراش ، والأذى ، والعناكب ، والنحل ، والقراد ، ثم تبدوله بادرة فجأة ، كأنه فاته شيء ، فيرجع القهقري ويتكلم على الحبارى من الطير ، وعلى الضأن والمعز من الحيوان ، وعلى الضفادع من دويبات الماء ، ثم يعود ثانية فيكلمنا على الفرق بين الإنسان والبهيمة ، وعلى الإنسان والسبع ، ثم يؤوب أوبة ثالثة كأنه يصححو من غيبة أو ذمول ، فيعقد فصلاً في القطا . ويختم هذا الجزء بنوادر وأشعار وأحاديث .

٤ — محتويات كتاب الحيوان : وقد وسم المؤلف كتابه بالحيوان. أما الحقيقة فهي أنه معلّمة . « قائمة برأسها » ومشملة على جميع العاوم والفنون المعروفة عهدئذ . فإذا القارئ يصيب فيها أنواع المباحث والموضوعات ، كالتفسير والحديث . وعلم الكلام ، والفلسفة . والمنطق ، وأنواع المذاهب ، والأديان ، واللغة ، والأدب ، والتاريخ ، والبلدان ، والتراجم ، والشعر ، والحكم ، والأشعار . والأمثال . وعلم الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، وكل ما وصل إليه العرب من علم الفلك والظواهر الجوية ، والقصص والروايات ، والأخلاق ، فضلاً عما وضعه هو من من نفسه من الأقوال ومن فكره الخاص به من الآراء . وهذا ليس بقليل .

فالمطالع يرى عظم نفع هذا التصنيف ، فهو يغنى عن خزانة كتب

مختلفة المباحث والمواضيع . ووجوب تسليمه إلى أديب يتمكن من إخراجه بجميع ألوانه المتموجة المتألفة . وإلباسه أثمن حلة وأبدع وشى . وهذا ما فعله الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

٥ - حسنات هذه الطبعة : أن المعتبر بطبعه لم يضمن بالخواشى على اختلاف أبوابها ومعانيها ، ومواضيعها . وقد وجه الأنظار مراراً لا تخصي إلى الأصول التي ورد مناهلها ليعيد صحة الرواية إلى نصائها الذي كانت وضعت فيه في بادئ الأمر ، من آيات قرآنية . وأحاديث نبوية ، وأخبار تاريخية . وتصحيحات علمية . وخرافات دخيلة ، وموضوعة ، ومأثورة عن السلف . ففاز المحرر بالسهم الأولي وبالنصيب الأعلى مما توخى .

فلقد رأيناه صحح آيات قرآنية لم يوردها المؤلف على وجهها ، كما هي في السور . وهذا عجيب من مسلم علامة مثل الجاحظ صاحب الفرقة الجاحظية^(١) . فلقد صحح عبد السلام ما ورد منها في هذا الجزء في الصفحات ٣٢ و ٩٣ و ١٣٧ و ٥٤٤ و ٥٤٧ .

ومن مزايا هذه النسخة أن المحرر ضبط جميع الحروف التي تحتاج إلى تشكيل وتدوين وضبط . وربما زاد على الضبط بالعلامات . الضبط بالكلام . كل مرة مست الحاجة إلى هذا الأمر .

ومن مزاياها أنه طبع الخواشى متميزة عن النص بحرف دقيق بديع الرسم . وعرض تلك الخواشى . حتى شغلت موطناً غير يسير من الكتاب .

(١) والى سرح المواهب : الجاحظية : فرقة من المعتزلة ، وهم أصحاب الجاحظ ، قالوا : المعارف كلها ضرورية ، ولا إزادة في الشاهد ، أي في الواحد من ، إنما هي إزادته لفعله : عدم السهو . أي كونه عالمًا به ، غير ساه عنه . ويزادته لفعل الغير . هي : ميل النفس إليه . وقالوا : إن للأجسام ضائع مختلف هذا آخر مخصوصه ، ويمتنع انعدام الجوهر ، وإنما تتبدل الأعراس ، والجواهر باقية عن حاد . كما قيل في الهوى ، ولسر تجذب إلى نفسها أهلها . لا أن الله يدهبهم فيها . وأجبر والله من فعل العبد . والقرآن جسد يقلب تارة رجلاً ، وتارة امرأة . . .

ثم أخرج كل رقم من أرقام ترتيبها بحيث تبدو للناظر من غير أن يبحث عن مرطنها وموقعها من الصفحة .

ومن خصائصها أن المحقق استعمل التنقيط في جميع الأوجه ، من أنف الديوان إلى أعمصه ، ولم يخالف قواعده في عبارة واحدة . حتى في الحواشي . وحتى في أمر زهيد . ذلك ما لم نره في أى تأليف طبع في الغرب ، فضلاً عن الشرق في لغة الضاد .

وأعاد طائفة من الكلم إلى مواطنها ، تلك الحروف التى يخل حذفها بالمعنى إخلالاً لا يخلو من معرة وسوء عقبى . وفد أسقطها النساخ ، والوراقون ، وسيئو النيات ، وأرباب الغايات والأهواء . فبذل كل ما في وفاضه من السهام ، لكى يصمى صيده ، ولا يخفق . فكان ما أراد .

وبذل كل ما في كنانته في تقطيع الموضوعات ، وإقامة الدبار ^(١) ، ليريح القارئ من تسلسل السطور وتتابع الكلم ، حتى يبقى المطالع مستريح البصر ، ومستجم القوى الفكرية . بأن جعل لتلك الدبار عناوين مختلفة من وضعه . عدا ما كان وضعه المؤلف من نفسه . لوجوب هذا الأمر لمن يريد أن يجعل كتابه غذاء للفكر . وراحة للبصر .

وكان بعض كتبة العصر يخذفون من عبارات الجحظ كلمة « أيضاً » ^(٢) ،

(١) دبر بالكسر : جمع دبرة . بفتح الدال المهملة . وسكون الباء الموحدة التحتية . يليها راء فهاء في الآخر ، وهى ببقعة تزرع كالمشاة . ويريد هم لكتاب وأرباب المطابع : جنة من الكلام تبتدى برأس سطر بارز عن سائر أسطور . وتنتهى بعد صائفة من السطور ، براحة مبصر وهى آتى يسميها الفرنسيون : Alinea والإنكليز : Break . وتجمع المشاة على مشاور ومشائر كذرة ومناور ومناير .

(٢) فقد قال الجحظ مثلاً في ص ٢٣ : « وقد يقولون ذلك أيضاً على المش » - وفى ص ٢٣ : « وهذه أيضاً فضيلة أخرى » - وفى تلك الصفحة نفسه : « جوزوا أيضاً أن يقولوا » - وفى ص ٢٥ : « وأوكد أيضاً أتلفت . . . » وفى ص ٤٨ : « وقد غلب أيضاً كتير منهم » - وفى ص ٦٥ : « ويد أيضاً عن ما قد » إلى صفحات لا تحصى . وقد جرى المحرر - وهو تلميذ الجحظ - منه - حرى أستاذ ، فعمل بما قاله بعضهم في هذا الصدد - بن تأثر معلمه عن سبب .

زاعمين أنه لم يستعملها . أما الأستاذ هارون . فإنه أبقاها في موطنها كل مرة وردت . ولم يحفل باعتراضات المعترضين . لأنها من أفصح الكلام وأقومه وأقدمه . لورودها في جميع النسخ التي اعتمدها . على اختلاف ناسخها ووراقها . وقد عدت منها ثلاثين مرة ثم وقفت .

هذا بعض ما أردنا أن نشير إليه من باب السرعة ضمناً بوقت القارئ وطلباً للإيجاز .

٦ - ما كنا نتمنى أن يكون في هذا الكتاب : كنا نتمنى ما يأتي :

- أن ترقم كل خمسة أسطر برقم . حتى يسهل على القارئ الرجوع إلى عددها من غير أن يعدّها كل مرة وفي كل صفحة على حد ما يفعل اليوم جميع من يتولى نشر الكتب العلمية ولا سيما القديمة منها . حين يضطر القارئ إلى مراجعة بعض الألفاظ . فلا يزحم نفسه لعدّ السطور لوجودها .

- نقل المحرر بعض عبارات إفرنجية تفسيراً لبعض الكلم العربية . نقلاً عن الأجانب . وكان يحسن به أن يترجمها إلى العربية . ليستفيد منها من لا يفهم الإفرنجية كما جاء في الحاشية « ١ » من ص ٣٥١ وح ٧ ص ٤٦٨ .

- كان يحسن به أن يضع بجانب كل حرف يدل على حيوان أو نبات أو معدن ما يقابله عند الإفرنج . ليسهل على الباحث إتمام البحث عنه بحثاً علمياً عند أولئك الأعاجم . لأنهم قتلوا تلك المواد خبراً . فنحن نحتاج إلى عرفانهم لأننا عالمة عليهم .

- كثيراً ما استعمل المحرر ألفاظاً كنا نتمنى أن يعدل عنها إلى ما اشتهر اتخاذها عند الأدباء . فإنه استعمل (التنبيه) في مكان (الحاشية) . كما في ص ٦ ح ٤ . و ٥٤٦ ح ١ و ٥٥٢ ح ٣ - وهي أكثر من أن تحصى . وقد اجتترنا بهذه الإشارة الطفيفة .

- ورد في ص ٦٨ س ١٢ : والثالج قد يداوى به بعض المرضى ،

ويقول فيه الدود . . . » — قال المحرر في الحاشية « سبقت إشارة الجاحظ إلى ديدان الثلج في (٣ : ٣٩٦ س ٦) . — ولم يذكر المؤلف اسمه عند العرب ، ولا المحرر في موطن من موطن الديوان . والذي نعلمه (الزلزال) وزان غراب . راجع تاج العروس في مستلرك (زلزل) .

— ذكر المحرر في ٤٧ ح ٦ : « العفص . بفتح العين بعدها فاء ساكنة : ثمر شجر جبلى يقارب البلوط » — والذي نعرفه أن العفص زيادة مرضية تجيء على بعض الأنبتة هي نتيجة وخز تخزه حشرة أو هامة . وتضع في الوخر بيضها . فينتج من هذا العمل ، ضرب من العقد أو الغدد هو هذا العفص ، فهو ليس بثمر كما يظن . أو كما يتصوره الأقدمون واسمه العلمي المشهور : *Quercus Lusitanica* ودونه : *Quercus Infectoria* وبالفرنسية : *Chene a galls* أو *Ch. des Teinturiers* وبالإنكليزية الشائعة : *Dyer's oak* ودونها *Gall Oak* أو *Nut Gall Oak* وينقل مقادير لا تحصى من عفص العراق إلى ديار الغرب لدخوله في الأصباغ وبعض الأدوية وفي عمل الحبر الأسود الذي لا يدمجى والشديد السواد .

نقل المحرر إلى الحرف اليونانى بعض الكلم العربية الهانئة الأصل فجاءت مخطوءة فيها ، كما في أصل الهيولى في ص ٥٠ ح ٤ و ص ٢٣٧ ح ١ إلى غيرها . وهي ليست بكثيرة .

— جاء في ح ٤ ص ٥٢ « الأرز بالفتح وبضم : شجر الصنوبر » — والمحققون يقولون : إن الأرز بفتح الهمزة وإنه ليس بالعرعر ولا بالصنوبر ، بل إنه شجر قائم بنفسه اسمه العلمي : *Cedrus Libani* وبالإنكليزية : *Cedar of Lebanon* وبالفرنسية : *Cedre, Cedre du Liban, Pin dn Liban.*

— وفي نص ص ٦١ : « وضروب الضباب والأنداء . فتراها إما صفراء

وإما حمراء . والصواب إما صفراً وإما حمراً : أى إن كلاً من صفراً وحمراً بالجمع المنصوب غير الممدود . والمدّ من جهل النساخ .

— ورد في ح ص ٨٤ : (الطلق) « بالأوربية العلمية » : Talc او Talcum متعادل مركب من (سليكات المغنيسيوم) اه . ولو قال المحشى : وبالأوربية : Talc أو Talcus لكان أضمن للصحة . ويحسن أن تكتب سليكاة ، بالهاء لا بالتاء ، المغنيسيا . راجع المقتطف ١٠٤ : ١٩٩ .

— وفي ح ٩ . ص ٨٤ « والبركان عامية مأخوذة من : Volcano » . والذى عندنا أنها معربة . وقد وردت في شعر ابن حمديس .

— وفي ح ٥ ص ٨٨ : « والعقيق هنا : البرق ، ولم تذكر المعاجم في هذه المادة بهذا المعنى إلاّ العقيقة والعقق بضم ففتح » — قلنا : لم تذكر المعاجم العقيق لأنها جمع قياسى لعقيقة ، كما قالوا سبحاب وسحابة وأرز وأرزة وبقر وبقرة ، فهي قياسية . وقد نبه أرباب المعاجم أنهم غير مقيدین بذكر المقيسات من الحروف .

— وفي ح ٢ من ص ٩٥ : « فلذا توفي حوالى سنة ٣٣٧ » . وقد استعمل الحرّر « حوالى » بمعنى نحو . وقد أكثر أرباب الصحف في هذا العهد من استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى . وقد قلنا مراراً : إنّ الفصحاء من الكتبة لم يعرفوها . وربما قالوا في مكانها : في حدود سنة كذا .

— في ح ٢ من ص ١٤٥ : « والبشام : نبت طيب الريح والطعم » . فهذا تعريف عام لا يفيد فائدة علمية واضحة . ولو نقل عبارة لسان العرب لكان أجلى ، فقد قال بعد أن ذكر هذه العبارة : « شجر طيب الريح والطعم يستاك به . قال أبو حنيفة : البشام ، يدقّ ورقه ويخلط بالحناء للتسويد . . . والبشام : شجر ذو ساق وأفنان وورق صغار أكبر من ورق الصعتر . ولا ثمر له ، وإذا قطعت ورقته أو قصفت غصنه هُريق لبناً أبيض ، واحده بشامة » .

— وفى ح ٩ من ص ١٥٢ تصحيح لما ورد فى النص : « إذ مرّ العقق والسحاب فى منقاره » فيما عدا (ل) : فى فـ . وأننى يكون له فـ ؟ ! » قلنا : ورواية الفم أصح من رواية المنقار ، فقد ذكر اللغويون : فم السمكة . وفم الطريق ، وفم الوادى . وفم النهر من باب المجاز والتوسع . فلماذا لا يقال : فم الطائر . وقد قالوا : فم الحيوان (المصباح) ولماذا لا يدخل الطائر فى جماعة الحيوان ؟ وقد كرر المحرر هذا الإنكار فى ح ١ ص ٣٣٨ .

— وفى ح ٥ ص ١٥٨ تعليقه على هذا البيت :

معى كل فضا فضاض القميص كأنه

ط فقط : فضفاض الثياب . ولم أجدها فى مرجع . قلنا : وهذه النسخة نفسها كافية لأن تكون مرجعاً يعتمد عليه ، إذا اتفق المعنى والمبنى معاً^(١) .

— ذكر المحرر فى ح ٥ من ص ٢٠٩ التدرج والدُرَّاج ، فالتدرج على الأصح هو : Pheasant بالإنكليزية وبالفرنسية Faisan وأما الدُرَّاج وزان رمان فهو : Francolin بالفرنسية والإنكليزية معاً . وأما ذكر الدُرَّاج فهو الحيقُطان بالعربية و : A cock pheasant بالإنكليزية و : Le male du francolin بالفرنسية ، وقد أخطأ استينكاس بتسميته بالإنكليزية : Black partridge .

(١) على أن المضمض وردت فى جميع المعاجم . قل فى اللسان : « وقيص فضفاض : واسع . وفى حديث سطح : أبيض فضفاض الرداء وابدن . أراد واسع الصدر والذراع . فكفى عنه بالرداء وابدن . وقيل : أراد كثرة العطاء ، ومنه حديث ابن سيرين . قال : كنت مع أس فى يوم مطر والأرض فضفاض ، أى قد علاها الماء من كثرة المطر . وقد فضفض اثوب ودرع : وسعهم . قال كثير :

فنبذت ثم تحيسة فأعادها غمرو الرداء مفضفض السربال

والمضفض : الكثير الواسع ... إلى آخر ما جاء هناك . وراجع أساس البلاغة ، فقد جاء فيه : « درع فضفاضة : واسعة . وبطن فضفض ... وعيش فضفاض : واسع » .

- ٢ - (*)

— ذكر الجاحظ في ص ٢٥٣ أن : « قد كان ناس من أهل سيف البحر من شق فارس يأكلون الفأر والضفادع » . قلت : وقد مررت في سنة ١٨٩٤ أى قبل خمسين سنة بالضبط بسيف خليج فارس أو بحر فارس ، ورأيت عرباً يأكلون ضفادع ، فكانوا يقطعون أفخاذها ويشوونها شيئاً على النار ويستطيونها . ودعوني إلى أكلها فاستقذرتها . ثم ألحوا على إلحاحاً شديداً ، فأكلتها تطيبياً لحاظرهم ، فاستطبتها ، فاشترت منها كمية منهم . وشكرتهم على هذه الدعوة . فكانت أفخاذ الضفادع أطيب من لحم الدجاج . فليجرب من يشك في قولي . وأعاد الجاحظ مثل هذا الكلام في ص ٥٣٠

— قال المحرر في ح ٢ من ص ٢٧٧ : « والتؤام : المزدوجات . جمع توأم . وهو من الجمع العزيز » — قلنا : وهذا كلام كثير من النحاة واللغويين ، وقد جمعنا نحن أكثر من ٣٥ لفظاً على فعال بضم الأول . فكيف يكون عزيزاً ؟

— وفي ح ٢ من ص ٢٧٨ كلام على الزبء ، وأحسن مقال ورد في هذا البحث ، ما جاء في مجلة المشرق . في إحدى سنواتها الأولى . ولست بين يدي خزائني لأذكر السنة والصفحة . لكنني واثق مما أقول فليراجع .

— في ح ٤ من ص ٢٧٩ : « تبت بلاد بالصين ، والصواب أنها بلاد واقعة في شرقيتها وليست منها .

— وجاء في أنف ص ٢٩٩ هذا البيت :

« وإذا في الغباء سم بربص »

فقال المحشّي : أراد به سامّ أبرص وهو الوزغة . وهذا اللفظ لم يرد في المعاجم . ولا أحسبه إلا لغة عامية » — قلنا : هذا اللفظ قصر « سامّ أبرص » . وقد تصرف فيه تصرف الشعراء في الكلم من قصر وزيادة وتغيير . وليس من كلام العوام .

— في ح ٦ من ص ٣٠٤ شرح الناشر الزباد فقال : « كسحاب : ضرب من الطيب ، وهو عرّق حيوان يشبه السنور » — قلنا : الزباد حيوان كالسنور له عند مخرجه جراب صغير فيه مادة دهنية ذكية الرائحة اسمها اسم الحيوان نفسه .

وقال في آخر هذا البحث : « قال صاحب القاموس : وغلط الفقهاء واللغويون في قولهم : الزباد دابة يحلب منها الطيب . وإنما الدابة السنور ، والزباد الطيب » — قلنا : الذي قاله الفقهاء واللغويون هو : الزباد دابة يحلب منها (بالحاء المهملة لا بالجيم) الطيب ، فحينئذ لا غلط ولا وهم . وإنما سميت المادة الدهنية زباداً تسمية صحيحة . وسميت الدابة زباداً أيضاً من باب حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه . فكأنهم قالوا للدابة : سنور الزباد . أو دابة الزباد . ومعنى يحلب منها الطيب : يعصر منها الطيب . وهي تربي في بيوت الأهالي في تلك الربوع . وكلما احتاجوا إلى الطيب ، عصروا ذلك الجريّب واتخذوا الطيب لأنفسهم أو لغيرهم .

— وفي ح ٦ من ص ٣٣٥ : « وبیشه (في قولهم آساد بیشه) موضع تنسب إليه الآساد » — قلنا : والذي في حفظنا أنه من مواضع العراق . وليس الآن بيدى معجم البلدان لياقوت لأثبت من الأمر .

— وقال الجاحظ في ص ٣٣٦ : وليس للكلب اسم سوى الكلب ، ولا للديك اسم إلا الديك .

قلنا : ونحن نحفظ من أسماء الديك : العُتْرُسان والعُتْرُفان فكيف فاتا أستاذنا الجاحظ هذا اللغوى الجليل ؟

— وذكر المحرّر في ح ٨ من ص ٣٦٠ هذه العبارة: « الأنايبر جمع

أنبار ، والأنبار : جمع نبر بالفتح . والأنبار : أهراء الطعام . والهرى بالضم : بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان » ٥١ .

قلنا : الأنبار تعريب اليونانية : أنباريون . فلما عربوها . ظنوا أن (أنبار) المحذوف منها أداة الإعراب اليونانية لفظ جمع عربى وأن مفردا (نبر) ، وقد فعلوا مثل هذا الفعل في عشرات من الكلم الدخيلة (كقرون) المدة من الزمن . وإجليل من الناس ، و (القرميد) . و (الفردوس) ، (والغرش) وكذلك (الهرى) بمعنى الأنبار فإنه من الرومية Horreum مبنى ومعنى .

— وذكر المحرر في ح ٥ ص ٣٦٢ أن البال من الفارسية . والذي أثبتناه في كتابنا « أغلاط اللغويين الأقدمين » أن الكلمة يونانية . وذلك في مقال طويل . وليس الآن تأليفنا بين يدينا . لنحيل عليه النظر . إلا أننا نتذكر أنها قلنا : إن البال والقال من اليونانية : Phalaina وليس Phlaina كما ذكرها المحشى ح ٥ ص ٣٦٨

— وذكر المحرر القمّل زنة زُمج ح ٥ ص ٣٦٨ الوارد في القرآن بأنه الصغار من الجراد . أو صغار الذر . وقيل : « دواب صغار من جنس القراد . » وقد بيّنا في مقال طويل أدرج (في مجلة غرفة تجارة بغداد) أن القمّل ضرب من الدويّبات تقع في بعض السنين على سنابل الطعام فتستص ما فيها من الماء وتدعها فارغة من كل مادة . ولا نتذكر الآن سنة الحلة ولا اسم تلك الدويبة العلمى .

— وذكر الجاحظ السمك الضخم الذى يكون في الفُراتين وسماه الزّجر ص ٣٦٩ قلنا : وقد مات هذا اللفظ الأراجى من لغة العراقيين لأنهم يسمونه اليوم « البر » بكسر الاء امّوحة وشدّ الزاى . وأظن أنها من اللاتينية Piscis ومعناها السمكة من باب التغليب .

— شرح الأستاذ المحرّر البق بقوله في ح ٣ من ص ٣٧٣ :

« البق البعوض . وقيل : هي دويبة مثل القملة (كذا) حمراء منتنة الريح تكون في السرر والجدُر . وبهذا المعنى الأخير تعرف في مصر » اهـ . — قلنا : إنَّ الجاحظ كان بصرى المولد ببغدادى النشأة . والعراقيون يسمون البعوض بقاً ولا يعرفون للضمج وهو المسمى بالبق في مصر اسماً في هذا العهد ، لأن الضمج لا يعيش في العراق ، وإذا جئ به بطريقة من الطرائق إلى بلادنا ، فإنه يعيش في الشتاء والربيع ، ولكن إذا جاء الصيف يموت حتماً لشدة الحرّ في ديارنا . وقد سمعت — وأنا صغير من أبناء بغداد — أن مدحت باشا وإلى بغداد ، جلب من استانبول علبة كثيرة مملوءة ضمجاً ، فعاش ما كان فيها ، إذ ألقى تلك الدويبات في السجون ليعذب بها المسجونين ، ولما جاء الصيف يبست وماتت ولم يحي منها واحدة . وقد أعاد الجلب أربع سنوات متوالية . فلم ينجح ، ولهذا لا يرى أثر للضمج في بغداد .

زد على ذلك أن « العرب الأقدمين » لم يريدوا بالبق إلاَّ البعوض الضخم ولم يستعملوها البتة بمعنى الضمج . أما البق فيمانى الأصل ومن اليمن نقل الاسم إلى الإنكليزية وغيرها من اللغى ، وذلك في العصور الوسطى عند إنشاء السفن في بحر العرب وأرجائه .

وأما قول الكتاب إن البق بمعنى الضمج والكُتَّان يكون في السرر والجدُر . فصواب العبارة : في السرر والحُصُر جمع حصير ، فإنه يعيش فيها بمئات وألوف . ولهذا تعرف بأمر الحُصُر . ومن أسمائها أيضاً : الفسفس والفسفاس .

وجاء في تلك الصفحة في ح ٧ تفسيراً لقول الجاحظ : « إلاَّ أن يقتلها بالعرك والقتل » فصواب العبارة بالعرك والقتل . بقاء يليها تاء مثناة : كما وردت في حاشية ص ٣٨٠ ودونك نص الشارح : « وفي ل : « قتلها » ووجهه بالفاء كما أثبت » .

زد على ذلك أن المفسرين الأقدمين لم يفهموا بالبق إلاّ البعوض ، ومعه قولهم إن البقة التى دخلت أنف نمرود اسمها السُّكَيْنَةُ بزنة التصغير .

— ذكر الجاحظ فى ص ٣٨٢ : « تحت الزرد قطعة نرد » فعلق عليها الأستاذ النابه ما هذا نقله : « التخت فى المعاجم العربية : وعاء تصان فيه الثياب . فارسى معرب . لم يذكر وا غير ذلك . وبعيد أن يكون الجاحظ قصد هذا المعنى . وإنما أراد بالتخت اللوح الذى يوضع فوقه الزرد . . . وأراد أنهم جعلوا قطعة اللبد بدلاً من اللوح » .

قلنا : إن التخت فى لغة العراقيين جاء بمعان شتى منها : السرير يُقَعَّد عليه ، والمتكأ ، والتخته ، بهاء فى الآخر : اللوح من الخشب يتخذ لمرافق شتى . فما فى كلام الجاحظ هو من هذا الاستعمال .

— ذكر الجاحظ فى بيت شعر (ص ٣٨٦) :

* من كرخ بغداد ذى الرمان والتوت *

فالكرخ هنا موضع واقع على الجانب الأيمن من دجلة ، وكان كثير البساتين — وأما التوت مختومة بتاء مثلية فن العراقيين من يلفظها إلى اليوم بتاء مثلية فى الآخر ، ومنهم من ينطق بها بتاء مثناة ، وكلاهما فصيح ، وإن أنكره بعضهم .

— وجاء ذكر الهور فى ص ٣٩٩ فقال المحرّر : « الهور بالفتح : من قولهم جُرِفَ هور أى واسع بعيد . وقولهم خرق هور أى واسع . » اه . — قلنا : الهور من مصطلح العراقيين إلى عهدنا هذا ، ويراد به فى لغتهم : المستنقع أو البطيحة تفيض بها مياه غياض وآجام فتتسع « وهذا هو المعنى هنا » .

— وقال الجاحظ فى ص ٤٠٢ : « إلاّ أنى متى بيّت معنى فى القبة ما صار

إليها » — ولم يشرح المحشّى معنى القبة . فالقبة فى لغة المجاط وجميع العراقيين : الغرفة والعلية :

— جاء فى ص ٤٢٢ : « أقبل رجلان ومعهما كلب أذب ضخم (دوسر) » فقال المحرّر : دوسر ضخم خديد — قلنا : والذى عندنا أن الدوسر كلمة فارسية معناها : ذو رأسين . وذلك أن الكلب إذا كان ضخم الرأس يسمّين كأن له رأسين فسمى بدوسر .

وكان للنعمان بن المنذر ملك العراق ، كتيبة اسمها دوسر وهى أشد كتائبه بطشاً حتى ضرب بها المثل . يقال : هو أبطش من دوسر . كانت مجمعة من جميع قبائل العرب وأكثرها من قبيلتين ، ولذلك سميت بهذا الاسم .

— ورسم المحرّر شموون الطبيب هكذا : شموون . ويقال فيه شموون أيضاً بعين فى مكان الهمزة وهو من أطباء النبط ، لجيل من الأرميين ، وكانوا يجعلون العين همزة حيثما وقعت . ومثل ذلك يفعل اليوم صابئة البطائح المعروفون عندنا فى هذا العهد بالصّبّة ، بالصّاد المضمومة والباء الموحدة التحتية المشددة المفتوحة وفى الآخر هاء .

— فى ح ٩ من ص ٤٦٣ قول الشارح : « وأعرف الأقوال فى التقيد أنه جنس من الغنم قصار الأوجه قباح الوجوه » قلنا : لعله يريد قصار الأرجل وهى التى تكون قصاراً فى الغنم .

— وورد فى ح ٨ من ص ٤٦٦ هذه العبارة للأستاذ : « التياس : صاحب التيوس ومسكها » قلنا : يكفى التياس أن يكون له تيس واحد . أو أن يكون مسكاً تيساً واحداً ليصح فيه هذا الاسم .

ورقم حرف فى ح ١ : من ص ٤٧١ فى قوله : ليسوا فرساناً

لا معرفة لهم بالخليل « لعل الساقط هو » إذ « فيكون صراب العبارة : ليسوا
فرساناً إذ لا معرفة لهم بالخليل .

— وطبع في ص ٤٧٣ في النص والشرح : الغرائر بالياء المثناة :
والصواب أنها مهموزة كما أثبتناها لأنها غير جوفاء ولا يائية البناء . ركذ
يجب أن تكتب المزايد وهي المزاود الواردة في ص ٤٨٥ ح ٥

— وقال الأستاذ المحرر في ح ٨ من ص ٤٧٥ : « السقط . بالتحريك :
ما لا خير فيه . لعله أراد به حشوة الذبيحة وأطرافها ، كما يوافق اليرم هذا
اللفظ في العامية المصرية » — قلنا : وهذا المعنى وردت السقط في العراق
ويسمى بائع الأسقاط : سقاطاً وسقطياً وأسقاطياً .

— وذكر الجاحظ بيتين من الشعر لأبى الأسود الدؤلى . ونص الثاني
منهما هو :

ولا بسبسٍ كالعز أطولُ رسلها

ورثمانها يومان ثم يزولُ

فقال المطرز تعليقاً على « بسبس » كذا وردت . وعندنا أن الكلمة
مصحفة أصلها « بشيش » بشينين معجمتين . يتوسطهما ياء مثناة تحتية
ساكنة . والشيش : الشيص بشين وياء وصاد . وهو تمر ردىء . بضر ب
المثل برداءته ويشبه به الصعب الخلق . الشرس الطبع من الناس والحيوان .
وجاء في ص ٤٧٧ س ٤ : « فيشير به » والصواب : فيشتر به .

— وورد في ص ٤٨١ س ٢ : و « الماعزة قد قولد » . والصواب :
تولد .

— وقال الموشى في ح ٤ ص ٤٨٢ : « كسكر كورة من كوز فارس »
والمشهور عند البلدانين من كتبة العرب أنها من كوز العراق إلى عهدنا هذا .

وتسمى اليوم (كوت العمارة) أو هي في جوار تلك القديمة . وربما كانت من كور فارس قبل الإسلام . ولا عبرة لذلك .

— وذكر المحشى في ح ٥ من ص ٤٨٣ : « قائلًا : » وكثيراً ما تطلق المعاجم العربية كلمة « الذكر » على الضرب الكبير من الحيوان . — قلنا : وأول من نبه على هذا الأمر كاتب هذه السطور وذلك أن العلامة أمين المعلوف رحمه الله زارني في بغداد سنة ١٩٢٢ و ذكرت له أن العرب تطلق اسم « الذكر » على ما كبر من الحيوان . طيراً كان أو من ذوات الأربع . أو من السمك والحشرات . بل أطلقوا الذكر على بعض المعادن وأنواع الطيب . فأخذ ذلك عنى وأشار إليه في كتاباته . فجاء الأستاذ عبد السلام وقال وقال : « تطلق المعاجم العربية » . والصواب : تطلق العرب .

— وشرح الناشر « الضال » في ح ٨ ص ٤٨٩ بقوله : شجر . وهو كلام يشمل نباتات عديدة ولو قال : الضال من السدر : ما كان عذياً ، أو السدر البرى . لأفاد الباحث فائدة مريحة للبال واسمه العلمى : Zizyphus Lotus أو Rhamnus Lotus وبالإنجليزية : Lotus Tree و : Wild Jujube ، Lotus Jujube ، وبالفرنسية : Jujubier Sauvage و : Lotus des Anciens و : Jujubier des Lotophages

— جاء في ح ٧ من ص ٥٢٥ : « الرق . بالفتح السلفحة المائية » . — قلنا : وهذا تعبير غريب . لأن السلفحة تكون دائماً مائية برية ، ولأن الرق لفظة مستعملة إلى عهدنا هذا في العراق ، ويراد به العظيم من السلاحف . وقد يتساهل فيه فيطلق على الصغر منها أيضاً .

— وذكر الجاحظ اليخ بمعنى الثلج وهي فارسية الأصل (ح ٣ ص ٥٢٦) وهي تستعمل إلى اليوم في العراق إذ يقول أبناء الرافدين : « أبرد من اليخ » ويخصونه بما يقع منه من السمء كما يسمونه أيضاً (الوهر) « بواو مفتوحة وءه س كنه وفي الآخر راء .

— وحكى الجاحظ أن الضفدع « إذا كان صغيراً كان ذا ذنب فإذا خرجت له يُدان أو رجلان ، سقط » ص ٥٢٨ ولم يذكر اسمه وهو في ذلك الطُّور . قنا : واسمه حَيْثُثُ الشَّرْغ بالكسر ، والشرغوف بالضم ، والشفدع أيضاً . وبالفرنسية : Tetard وبالإنجليزية : Tadpole .

— وجاء ذكر العلاجيم في ص ٥٣٣ من نص الجاحظ وهذا حرفه :
« والعلاجيم : الضفادع السود » ٥١ .

وكثيراً ما كنت أبحث عن حقيقة هذه العلاجيم ، فإذا هى الضفادع السود . أما سائر أرباب المعاجم فقد ذكروا أنها جمع علجوم ، والعلجوم : الضفدع عامة . — وقيل : هو هو الذكر منها . أما الآن فنعتمد على قول الجاحظ أى أنه الضفدع الأسود ، ذكر آ كان أو أنثى ، وهو بالفرنسية : Crapaud وبالإنكليزية : Toad ولسان العلم (أى بلسان أهل العلم) :
Bufo Vulgaris

— ٣ —

— وذكر الكاتب الناشر بردى الجرادة والجندب فقال : هما رجلاه^(١) .
والصواب أنهما جناحاه . لأن البرد الثوب المخطط في الجرادة والجندب والفراش ونحوها : الجناح والجمع أجنحة .

— وجاء في متن الجاحظ ص ٥٦٢ : « يزعم أن الدبا يريد الحضرة ، ودونها النهر الجارى » . ونظن أن هناك سقطاً وهو « يريد الحضرة ولو حال دونها النهر الجارى » . على أن الكلام على ما هو مثبت قد يخرج أيضاً تخريجاً صحيحاً .

(١) كذا . ولدى كنيته في الحواشى ص ٥٥٦ : « جناحاه » ، فعل هذا سبق نظر من الأب نُسّاس . (هارون) .

— جاء ذكر القفعة في ص ٥٦٦ و ح ٣ — وهى كلمة استعارها منه الفرنسيون وسموها : Cabas .

— وذكر النّقل بالفتح ص ٥٦٦ و ح ٤ وهو « ما يعبث به الشارب على شرابه ويتنقل به . ويقال أيضاً بالضم . وقيل الضم عامية » . ٥١ . وعندنا أن الضم هو الألفصح لأنه معرب من اللاتينية Nucleus وهو كل ثمر ذى نوى يتنقل به عند الشراب .

— وقال المحرر في ح ١ من ص ٥٩١ : « فثام : جماعات كثيرة . لا واحد له من لفظه » . قلنا : والذي عندنا أن الفثام جمع فئة وأصل فثام : فثان بكسر الفاء وفي الآخر نون وهو أقدم جمع معروف فى لغتنا . ومثل ذلك فى العبرية فيقولون فى جمع سروف : سروفيم . وفى جمع كروب : كروبيم . ثم نقلوا الميم إلى النون كما أن أصل التنوين : تميم . وكنا قد وضعنا مقالاً مافى الذيل فى مجلة المشرق البيروتية قبل نحو خمسين سنة وهى ليست أماننا لنحيل القارئ عليها . ومثل هذا الجمع القديم قول اللغويين فى جمع أرض وأوزّ وسنة : أرضون وأوزون وسينون إلى غيرها وهى كثيرة . فهذا الجمع أقدم من قولهم « أراضٍ وأوزّات وسنوات » .

— وجاء ذكر البواقيل التى واحدها البوقال فى هذا البيت الوارد فى ص ٥٩٧ :

فن رأى النيل رأى العين من كشب

فما أرى النيل إلاّ فى البواقيل

قال المطرز الموشى : « البواقيل : جمع بوقال ، بضم الباء وهو كوز بلا عروة » .

وجاء في أساس البلاغة ، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٢م في الجزء ١ : ٥٨ : « وفلان لا يعرف البواقييل ، من الشواقييل : فالباقول (كذا) الكوب . والشاقول : عصا قدر ذراع في رأسها زج ، يشد إليها المسّاح^(١) حبله . ثم يرزّه في الأرض . ويتضببطها حتى يمد الحبل » وهو من واضح الخطأ . وذلك لأسباب منها : أن البوقال ذكره كثير من اللغويين ولم يذكر أحد الباقول .

ومنها : أن الغربيين استعاروها منا وقالوا : Bocal ولم يقولوا Bacoul ومنها : أننا استعرتها من اليونانية Boukalis ولو كان الفرنسيون استعاروها من اليونانيين لقالوا : Boucal لا Bocal .

ومنها : أن أساس البلاغة المطبوع في دار الكتب المصرية مشحون أغلاطاً شنيعة . ولما عارضنا المطبوع بالخطوط المحروز في خزانتنا ، لاحظنا فيها أوهاماً يأسف لوقوعها فيه كل عربى غيور . وقد ذكرنا ذلك للعربى الغيور على اللغة العثمانية . الدكتور منصور فهمى بك سنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٤٤ فقال لنا : إنه يعهد إلينا إعادة طبعه بعد الحرب إن أبقانا الله بين الأحياء . ومنها : أن الذى خدع الواقف على طبعه ، ظن أن مفرد البراقيل هو الباقول . لمعرفته أن الشواقييل واحدها الشاقول ، ففاس الواحد على الآخر^(٢) .

(١) الذى فى لسان عرب : الشاقول : خشبة قدر ذراعين فى رأسها زج تكون مع الزراع بلبصرة يجعل أحدهم فيها رأس الحبل . ثم يرزّه فى الأرض ويتضببطها حتى يمدوا الحبل - وفى محيط المحيط : « الشاقول : خشبة تكون مع لزراع بلبصرة ، فى رأسها زج كعقب الرمح . ومنه شاقول النّابى والمهندسين والفلكيين . وهم يستعملون منه فعلاً ، فيقولون : شغل منك ونحوه . أى احتبر ارتفاعه وانخفاضه . والاسم عندهم لشقطة . قيل : هو معرب شقوف بالفارسية « انتهى - فلما : هى بالنبطية والمندائية - وهى لغة صابئة نبطيخ سائرلا . وكذبوا من ذراعة وصيد سمك فى العرق كله .

(٢) ومن الأدلة المينة لخطأ أساس بلاغة : أن الطبعة المصرية المذكورة لم تذكر (الشاقول) فى مظنته ولا فى أى موطن آخر منه . أما نسختنا الخطية المحبودة فقد ذكرت فيها أداة شقول . وقد فنده أيضاً جميع أرباب الكتب متون اللغة غير المختصرة .

فهذه أدلة بينة على أن الأستاذ عبد السلام محمد هرون أخذ بالصحيح ونبد القبيح .

... وجاء في ح ٢ ص ٥٩٩ : « التقنص : الصيد » والذي عندنا أن التقنص كالتقنص وهو الصيد بالكلب . وذلك أن الكلمة القنص منقولة من اللاتينية *Canis* أى الكلب أو أنها من اليونانية *Kunegesia, as* بمعنى اصطاد الصيد مستعيناً بالكلب ^(١) .

... وتال الموشى في ح ٣ من ص ٥٩٩ : « والصغور طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس » . وهى بلغة العلم الأوربى : *Regulus* ومنه ما يسمى : *Goldcrest or Kinglet* قلنا : لو قال الأستاذ أصغر من الدورى ، أو أصغر من العصفور الدورى لكان أقوم . لأن العصفور فى اللغة يطابق على كل طائر دون الحمام . ولهذا يعد العصفور نفسه عصفوراً . وقول الأستاذ : « بلغة العلم » الأوربى غير موافق للمصطلح المشتهر . وكان الأحسن أن يقتنع بقوله : « بلغة أهل العلم » نابذاً « الأوربى » نبد النواة . لأن اللفظ العلمى لا يعرفه الأوربى فقط . بل الأمريكى . والأفريقى . والآسيوى . والأسترالى . وقوله : « بلغة العلم » صحيح بخلاف من نكر هذا التعبير جهلاً لأسرار العربية .

وقوله *Regulus* (وهو اسم عام علمى يشمل جميع صغار الطيور) المغردة) ثم قوله *Kinglet* أو *Goldcrest* وهو اللفظ الإنكليزى لنوع من جنس الملوك أى *Pegulus* ليس باسم يميزه كل التمييز عن اسم الجنس . ثم إن الأستاذ عاد فاستعمل العصافير بمعنى الدُّوريات فى كلامه على الدُّخُل فى الحاشية (٦) من تلك الصفحة فقد قال :

(١) إن العرب ميزوا بين الصيد والقبض والعركى . فالأول يعنى كن من يأخذ حيواناً بحيلة أو بوسيلة من الوسائل . - والثانى صياد الحيوان مستعيناً بالكلب . وأغلب ما يكون هذا الكلب من جنس السلوقى وهو مضرب من الصغرى - وأما العركى : فصياد السمك ولم يستقوا اسماً لهنته . فم يملوا : عركه ولا عرك ولا أى لفظ آخر ، كما إنهم لم يشتقوا منه فعلاً يدل على ذلك .

— والدخل ، بضم الدال وتشديد الحاء المفتوحة : طير صغار أمثال العصافير تأوى الشجر الملتف . وهى أنواع كثيرة كلها غريِّد . يعرف كثير منها عند عامة أهل مصر بالزريقة . وهو بالإنكليزية : Sylvia or Warbler . فتزيد على ما قلنا فى الإشارة السابقة أن Sylvia كلمة لاتينية معناها : دغليّة ، أى إنها تأوى إلى الدغل ولعلّ الدخل العربية مشتقة من الدغل . ثم وزنت وزن صيغة مبالغة . لأن موطنها الدائم الأيك والخرج والغابات . أما الإنكليز فلا يعرفون هذه الكلمة الرومية . إلاّ العلماء منهم أرباب الثقافة العالية — وأما اللفظ الإنكليزى لهذا الطوئير فهو : Warbler ومعناه المرتّم والمغنّى والمغرّد ، واسم هذا الطوئير بالفرنسية : Fauvette . ومن أسماؤها العربية : الشرّالة والدخناء والكحلأ إلى غيرها .

وقال الأستاذ فى ح ٣ ص ٦٠٤ : « الروح النفس . يذكر ويؤنث » — قلنا : يذكر ويؤنث إذا أريد به ما تقوم به حياة الجسد . أما إذا أريد به العقل والفكر والوحى إلى ما ضاهى هذه المعانى فلا يؤنث البتة . فالروح الأمين عند المسلمين لقب جبريل . ولا يقال البتة : الروح الأمانة . ويقول النصارى : الروح القدس ولا يقولون : الروح القديسة ولا القدوسة ولا القدسة ولا ما يدانى هذه النعوت من الألفاظ المؤنثة ، للدلالة على الأَقْنوم الثالث عندهم .

٧ — الخلاصة وهى الخاتمة : يتحقق القارىء مما كتبناه هنا : أن الأستاذ عبد السلام محمد هارون هو من أحسن من تولى نشر كتب الأقدمين ، فإنه صرف زمناً طويلاً فى مطالعة الأسفار على اختلاف موضوعاتها ، لإبراز نص الجاحظ بأبهى حلة وأصح عبارة . نابذاً كل ما أدخله فيه النساخ والوراقون من التصحيف والتحريف . والحذف والسخف ، والزيادة والنقصان . حتى أصبح هذا الكتاب فى جميع أجزاءه من أصح وأفصح ما يبرز فى المطابع المصرية منذ نشأها إلى يومنا !

فنحن نشكره باسم العرب جميعهم ، ونتدنى أن يتمم ما شرع فيه وبوفقه الله لإخراج سائر مؤلفات الجاحظ ، وأثابه أحسن ثواب .

كتاب الحيوان للجاحظ(*)

حول المجلد الخامس

بقلم : عبد السلام محمد هارون

- ١ -

قرأت ما ديجته براعة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى فيما سبق من أعداد المقتطف « تعليقا على المجلد الخامس من كتاب الحيوان ، فزاد إعجابى بهذا المحقق الغيور على العلم . وبهرنى ما شهد له الناس به من سعة الاطلاع . والإخلاص فى البحث والتحرى .

وزرتة فى الدير بشبرا القاهرة . فكدت أقضى العجب حين طلب إلى صدق أن أجادله فى ما أراه موضعا للجدل . ثم هو يعيد على هذا الطلب ، فإذا العلم يرتفع ثم يرتفع فى نظرى ، وإذا جلال العلماء يأخذنى فيما أشهد من كرم هذا الخطير وتواضعه . فالحق وحده يبنى وتقنى الزخارف والأباطيل .

قال الأب : « نقل اخر بعض عبارات إفرنجية تفسيراً لبعض الكلم العربية نقلاً عن الأجانب ، وكان يحسن به أن يترجمها إلى العربية ليستفيد منها من لا يفهم الإفرنجية » . ومثل بما جاء فى الحاشية ١ ص ٣٥١ و ح ٧ ص ٤٦٨ .

أما ما جاء فى الموضع الأول وهو : . . . a stone

فقد أثبت ترجمته قبله . وهى : (المينا حجر يشبه اللازورد تزخرف به الفضة » .

(١) نشر فى مجلة المقتطف عدد نوفمبر سنة ١٩٤٤ م .

وأما ما جاء في ص ٤٦٨ فهو : . . . a privy فقد أثبت تفسيره قبل : « هو الكنيف الذى يكون مشرفاً على سطح بقناة من الأرض » .

— أخذ على حضرته استعمال « التنبيه » مكان « الحاشية » مع أن كلمة التنبيه أعرق في الاستعمال من الحاشية . وأوسع مدلولاً . وقد عرف من مؤلفات الأقدمين « التنبيه » لأبى عبيد البكرى . على أمانى القلى . و « التنبيهات » . على أغاليط الرواة « لعل بن حمزة البصرى . وهى حواشٍ وتعليقات لبعض كتب اللغة . وهذا نحو ما أنا بسبيله من إخراج مكتبة الجاحظ وفي ص ٦١ قول الجاحظ : « وإذا انخط شرقاً أو غرباً صار كل شيء بين عينيك وبين قرصها من الهواء ملابساً للغبار والدخان والبخار وضروب الضباب والأنداء . فتراها إما صفراء وإما حمراء » . قال الأب : « الصواب إما صفراً وإما حمراً . أى أن كلاً من صفراً وحمراً بالجمع المنصوب غير الممدود . والممد من جهل النساخ » . وليأذن لى أن أقول إن العبارة سليمة . وأن كلمتى « صفراء وحمراء » هنا ليست صفة للجمع . وإنما هى صفة للشمس المفردة . فإن الضمير فى « انخط » عائده إلى « قرص الشمس » فى كلام قبله . وهو : « ولو أن دخاناً عرض بينك وبين قرص الشمس أو التمر لرأيت أحمر » . وكذلك قرص الشمس فى المتترق أحمر وأصفر . للبخار المعترض بينك وبينه « فالكلام فى لرن الشمس » لا لون ضروب الضباب والأنداء .

وليأذن لى كرّةً أخرى أن أعلن له أن وصف الجمع المكسر بفعلاء المفرد صحيح لا ريب فيه ولا شبهة . وقد سبق لى تحقيق قديم فى ص ٢١٥١ من مجلة الثقافة . توجهت به إلى الأب الجليل . ولست أمالك أن أعيد هنا مكرراً . ولكنى أضيف إليه أموراً :

١ جاء فى اللسان تعليقاً على حديث : « ليس فى الحضراوات صائفة » : « قياس ما كان على هذا الرزن من الصفات ألا يجمع هذا الجمع » ، وإنما

يجمع به ما كان اسماً لا صفة ، نحو صحراء وخنفساء . وإنما جمعه هذا الجمع لأنه قد صار اسماً لهذه البقول لا صفة ، تقول العرب لهذه البقول : « الخضراء » فتسمية البقول بالخضراء ، مسبوقة بوصفها بهذا اللفظ ، فهي رصف قد سمي به .

٢ . ونظير هذه العبارة ما ورد في المادة نفسها من اللسان ص ٣٢٩ س ٣ : « والخضراء من الحمام : الدواجن ، وإن اختلفت ألوانها ، لأن أكثر ألوانها الخضراء » .

٣ — وجاء في اللسان (٦ : ٤٢٥ — ٤٢٦) : « وحكى ابن الأعرابي : ليل قراء . قال ابن سيده : وهو غريب . قال : وعندي أنه عنى بالليل الليلة ، أو أنه على تأنيث الجمع » يعنى أنه جعل الليل جمعاً لليلة ، كما تجمع البقرة على البقر . والتمرة على التمر . فهذا نص قاطع أيضاً في أن جمع المكسر المؤنث يسرغ وصفه بفعلاء المفرد . ومما هو جدير بالذكر أن ابن سيده من أشد اللغويين تزمناً وتحفظاً .

٤ — وأما ما يذهب إليه الأب من أن ما يرى في الكتب القديمة هر من جهل النساخ . فإن هذه حجة ذات وجهين . إذ نستطيع أن نقول إن النسخين أهملوا بعض الهمزات في هذه الكلمات . إهمال تحريف أو إهمال رسم^(١) .

— وفي ص ٨٤ قلت : « البركان عامية ، مأخوذة من : Volcano » وقال الأب : « والذي عندنا أنها معربة ، وقد وردت في شعر ابن حمديس » وهو يشير إلى ما ورد في ديوانه ص ٢٤١ من قصيدة له يذكر فيها صقلية :

إذا عثنت فيها التناذير خلقتها

تفتح للبركان عنهما منافسا

(١) من قواعد علماء الرسم الأندلسيين حذف الهمزة خطأ ، إن سبقت بساكن ، فيكتبون نحو حمراء : « حمرا » . انظر المطالع النصرية ص ٨٢ .

لكن ابن حمديس ليس ممن يحتج بعربيته ، وهو من شعراء القرن السادس الهجرى ، توفى سنة ٥٢٧ . ولهمل أقدم نص وردت فيه هذه الكلمة ما جاء فى التنبيه والإشراف للمسعودى المتوفى سنة ٣٤٥ . قال فى ص ٥٢ :
وجزيرة صقلية وما يليها من جبل البركان . ومنه تخرج عين النار التى تعرف بأطمة صقلية » والرجلان ليسا ممن يعتد بتعريبه .

— وفى ح ٢ ص ٩٥ : « فلذا توفى حوالى سنة ٣٣٧ » أنكرها الأستاذ الأب ، وقال : إن الفصحاء من الكتبة لم يعرفوها . وليست هذه بحجة قاطعة فى نفي صحة هذا الاستعمال ، فإن فصحاء الكتبة الأقدمين لم يعرفوا كثيراً من العبارات التى نتداولها اليوم ونديرها على المحاز والاستعارة والتمثيل . أفيمكن ذلك صحة تلك العبارات ؟ وفى اللسان : « رأيت الناس حواله وحواليه . وحواله وحواليه » فهذه الألفاظ أخوات يجعل أحدها فى مكان صاحبه .

— وفى ح ٩ ص ١٥٢ : « فيما عدا (ل) : فله . وأننى يكون له فم ؟ » وهو تعليق على قول الجاحظ : « إذ مرَّ العقق والسَّخَّاب فى منقاره » قال الأب : « ورواية الفم أصح من رواية المنقار » . واستشهد بقول صاحب المصباح إنهم قالوا : فم الحيوان . أما أن رواية الفم أصح من رواية المنقار فلم يأت لها الأب بدليل ، إذ لا ريب فى أن الاسم الموضوع للشئ أولى من الاسم المستعار له ، والمنقار هو الموضوع للطير . وأما استشهاد به بما جاء فى المصباح من إضافة الفم إلى الحيوان وإدخاله بذلك الطير فى جملة الحيوان ففيه نظر آخر ، إذ أن المراد بالحيوان هنا ما عدا الطير الذى خص به لفظ المنقار . ومما هو جدير بالذكر أن نسخة « ل » المشار إليها فى التعليق هى أصح نسخ الحيوان وأقومها .

— وفى ح ٥ ص ١٥٨ كتبت فى قول الشاعر : « معى كل فضفاض القميص » بقوى : « (ط) فقط فضفاض الثياب . ولم أجدها فى مرجع » . ظنَّ الأب أنى أستنكر العبارة . وأنا إنما عنيت أن نسخة (ط) من الحيوان

أتت وحدها بهذه الرواية ، ولم أجدها في مرجع آخر من المراجع التي سقتها لتخريج هذا البيت ، وسردتها في ص ١٥٧ - ١٥٨ .

— وفي ح ٥ ص ٢٠٩ قال الأب : « وقد أخطأ استينكاس بتسميته بالإنكليزية : black partridge والحق أن استينكاس لم يسمه هكذا ، بل سماه : Francolin وأما الذي سماه Black Partridge فهو المعاوف في معجم الحيوان ص ١٨٤ .

— وفي ص ٢٧٩ : « ثبت بلاد بالصين » قال الأب : « الصواب أنها بلاد واقعة في شرقها وليست منها » . وأما الآن مصور (مصلحة المساحة المصرية) للدولة وفيه رسم للدولة الصينية وهي تشتمل على بلاد الصين الأصلية وبلاد المغول ، وبلاد التركستان الشرقية ، وبلاد تبت ، وموقع بلاد تبت في الغرب لا الشرق . فليس في شرق الصين إلا بحر الصين .

— وفي ص ٢٩٩ . قال الأب : إن « سم بريص » ليس من كلام العوام ، وإن الشاعر تصرف في هذه الكلمة « تصرف الشعراء في الكلم من قصر وزيادة وتغيير » . وهذا التصرف الذي عناده له حدود وقوانين . دونها النحاة في أبواب الترخيم . وقيدوا الأدباء في ضرائر الشعر ، « وسم بريص » ليس على قاعدة من قواعد الترخيم ولا مما يجيزه الأدباء في ضرائر الشعر .

— وفي ص ٣٣٥ قال الأب في الكلام على « بيشة » : « والذي حفظنا أنه من مواضع العراق » . وليس الأمر كذلك ، فإن ابن بيشة والعراق بوناً شاسعاً . قال ياقوت : « بيشة من عمل مكة مما يلي اليمن ، من مكة على خمس مراحل . وبها من النخل والفسيل شيء كثير . وفي وادي بيشة موضع مشجر كثير الأسد » .

— وفي ص ٣٦٦ قال المجاحظ : « وليس للكلب اسم سوى الكلب . وللدب اسم إلا الدب » . فذهب الأب إلى أن المجاحظ يعني أن الدب ليس

له اسم سوى الديك ، واستدرك على الجاحظ بكلمتى « العترسان والعتر فان » ،
والحق أن الجاحظ إنما يعنى الأسماء الجامدة التى ليس لها أصل فى الاشتقاق .
فهو يقول قبل هذا الكلام : « وللسنور فضيلة أخرى . أنه كثير الأسماء
القائمة بنفسها ، غير المشتقات » وذكر من أسمائه القط . والمهر . والضيون .
أما الديك فليس له اسم آخر من الأسماء الجوامد مثل ما للسنور . وأما ما ذكره
الأب من « العترسان والعتر فان » فإن الواحد منهما مشتق من العترسة . وهى
الغضب والغلبة ، والأخذ بشدة وعنف وجفاء وغلظة . ومنه العنتريس
للداهية وللناقة الصلبة الوثيقة والرجل الشجاع . والآخر مشتق من معنى الشدة
والخبث . قالوا : جمل عتريف وناقة عتريفة شديدة . ورجل عتريف
وعتروف أى خبيث فاجر جرىء ماض .

- وفى ص ٣٧٣ ذكر الأب أن « الضميج » وهو ما يعرف فى مصر بالبق
لا يعيش بالعراق ، وأنه يموت هناك لشدة الحر . وهذا عجب . فإنه إنما
يتكاثر ويظهر فى مصر فى شدة الحر ، ويختفى فى الشتاء والربيع . وقال أيضاً :
إن صواب العبارة « يكون فى السرر والحصر » لا « السرر والجلدر » وأيد ذلك
بقوله : « إنه يعيش فيها أى الحصر - بمئات وألوف » مع أن المشاهد
الواقع بين ظهرانى المصريين أن الضميج إنما يشتد تكاثره فى شقوق الجدران
وثقوبها . ولذلك يتاجئون إلى رأب تلك الصدوع وسد تلك الثقوب .
أما الحصر فأقل شأنًا من الجلدر فى إيواء الضميج وتكثيره . وأما كلمة
« القتل » فقد نهت عليها فى أخطاء الطبع .

- وفى ص ٤٦٣ عبارة : « التياس صاحب التيوس » قال الأب :
« يكنى التياس أن يكون له تيس واحد . أو أن يكون ممسكاً تيساً واحداً
ليصح فيه هذا الاسم » . وعلى قياس قوله ينبغى أن نفسر « الكلاب » بأنه
صاحب الكلب ، و « البقار » بأنه صاحب البقرة ، وهكذا . وليس ذلك
بمألوف فى عبارات المفسرين من اللغويين ، فهم يقولون فى تفسير الكلاب

إنه صاحب الكلاب والقرآد صاحب القروود . وفي تفسير البقار صاحب البقر ، والبغال صاحب البغال^(١) . ولعل ما دفع الأب إلى ذلك ما ورد في اللسان من قوله : « والتياس الذى يمسكه » وفي القاموس : « والتياس ممسكه » فهما في ذلك تابعان للجوهري في الصحاح . والجوهري إنما تكلم بالإفراد هنا لأنه أراد أن يرجع الضمير إلى « التيس » الذى سبق ذكره قبله . وهو مفرد .

— وفي ص ٤٧٣ كتبت « الغراير » كما وردت في أصل الحيوان بالياء . على التسهيل ، فقال الأب : « الصواب أنها مهموزة . . . لأنها غير جوفاء ولا يائية البناء » . وليس في الأمر خطأ ولا صواب . وإنما هما مذهبان يجرى أحدهما على الهمز والآخر على التسهيل . والتسهيل هو لغة قريش في جميع كلامها . وإن كان النحاة قد وضعوا للتسهيل قيوداً ورسوماء لم تعرفها قريش ، فإن النصوص متواترة أن قريشاً لم تستعمل الهمزة في كلامها . قال الرضى^(٢) : « فخففها قوم . وهم أكثر أهل الحجاز رلاً سيما قريش روى عن أمير المؤمنين على رضى الله تعالى عنه : نزل القرآن بلسان قريش . وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبريل عليه السلام نزل بالهمزة على النبي صلى الله عليه وسلم ما همزنا » .

وقال السيوطى^(٣) : « والكتّاب بنّوا الخطّ في الأكثر على حسب تسهيلها لوجهين : أحدهما أن التسهيل لغة أهل الحجاز . واللغة الحجازية هي الفصحى » .

وقال ابن منظور^(٤) : وفي الحديث : قال رحى لأمى صلى الله عليه

(١) انظر اللسان (٢ : ٢١٨ س ٤٤٢ : ٣٥٠ س ٥٠١٠ : ١٤٠ س ١٣٠٨ .

(١٠ س ٦٣ .

(٢) شرح الشافية (٣ : ٣١) .

(٣) مع الموامع (٢ : ٢٣٣) .

(٤) اللسان (٧ : ٣٩ - ٤٠) .

وسلم : يانبيء الله . فقال : لا تنبر باسمى — أى لا تهمز — ونى رواية : فقال :
إنا معشر قريش لا نذبر . والنبر : همز الحرف . ولم تكن قريش تهمز فى
كلامها . ولما حج المهدي قدم الكسائى يوصلنى بالمدينة ، فهمز ، فأنكر أهل
المدينة عليه وقالوا : تنبر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن .
على أن المتصفح لكثير من المخطوطات القديمة يرى كتابة التسهيل شائعة فيها .

— وقال الأب فى ص ٤٧٤ فى بيت أبى الأسود الدؤلى :

ولا بسبس كالعتر أطول رسلها

ورثماها يومان ثم يسزول

« الكلمة مصحفة أصلها بشيش بشين معجمتين يتوسطهما ياء مثناة
تحتية ساكنة . والشيش الشيص . . . » إلخ . وهذا التصحيح الذى أورده
لا يستقيم به الوزن ، ومن أين لنا تشبيه الصعب الخلق بالردىء من التمر .
— وفى ص ٥٢٥ : « الرق . بالفتح : السلحفاة المائية » . وقد استغرب
الأب هذا التعبير لأن السلحفاة تكون دائماً مائية برية .

والحق أن السلاحف على ضربين : سلحفاة برية لها طبع الحيوان البرى .
وأخرى بحرية لها طبيعة التماسح تعيش فى البحر وتضع بيضها فى الشطوط .
وقد عقد الدميرى فصلاً لكل منهما . ونى اللسان : « والرق ضرب من
دواب الماء شبه التماسح » . ويقال للسلحفاة البحرية أيضاً الخمسة والنجاة .
وقد خصصت المعلمة البريطانية فصلاً للسلحفاة البحرية : Sea tortoise
و Sea turtle جاء فى الأول منهما these all have the limbs formed
as flippers أى أن لها أطرافاً كهيئة الزعانف . كما خصصت فصلاً
للسلحفاة البرية : Land tortoise Land turtle جاء فى الأول منهما :
a chelonian of terrestrial habits أى السلاحف ذات الطباع البرية .

— وفى ص ٥٦٦ ورد ذكر « النقل » وهو ما يعبث به الشارب على

شرا به ويتنقل به وجاء في نصوص القدماء : « ويقال أيضاً بالضم ، وقيل الضم عامية » قال الأب : « وعندنا أن الضم هو الأفصح ، لأنه معرب عن اللاتينية : Nucleus . والحكم بتعريبه ليس من القوة بمكان ، لأن المادة في العربية واسعة ، واشتقاق هذه الكلمة من مادتها ليس فيه شيء من العسر . ولو قد ذهبنا إلى أنها معربة ، ما كان هذا اللفظ الذي عرب حكماً ومقياساً في تقدير الفصح والأفصح ، إذ أن اللغة العربية لغة مروية ، وللرواية فيها السلطان والحكم والعرب لم يلتزموا في التعريب مدانة الأصل ولا مقاربتة ، وإنما يلزمون ما تطوع له ألسنتهم وأذواقهم .

هذه بعض ما أسعفتني به هذه الصفحات المحدودة من « المقتطف » وبقيت مواضع لم أعرض لها خشية الإطالة .

ولمني لأقدم إلى الأستاذ الأب الجليل شكرًا صادقًا ، واعترافًا خالصًا بجميل صنعه في ما درّس من هذا الجزء من كتاب الحيوان ، وندعو الله أن يمتعه بالسلامة والعافية ، حتى نقرأ دراسته لسائر هذا الكتاب وما نتلوه من مكتبة الجاحظ ، ولنفيد من أدبه البارِع وعلمه الوافر الغزير .

حول كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها

لعرام بن الأصمغ السلمي

تحقيق عبد السلام محمد هارون

النشرة الأولى بتاريخ غرة جمادى الثانية ١٣٧٢ هـ .

تعليق ونقد للأستاذ الجليل حمد الجاسر

آثرت قبل إيراد التعليق والنقد أن أورد ما كتبه مقدمة لتحقيق النشرة الأولى التي ظهرت مستقلة قبل إدماجها في نواذر المخطوطات في سنة ١٣٩٤ الهجرية والتي روعي فيها الانتفاع بما صحّ لي من هذه التعليقات ومناقشة ما وجدته محتاجاً إلى مناقشة .

وإلى القارئ الكريم نص ما كتبه مقدمة لتحقيق الطبعة الأولى الصادرة من مطبعة أمين عبد الرحمن بالقاهرة سنة ١٣٧٢ :

مقدمة التحقيق

(للنشرة الأولى)

بقلم عبد السلام محمد هارون

تهامة :

« تهامة » كلمة : يختلف مدلولها اختلافاً شديداً ، فهي تمتد طويلاً ما بين عدن إلى تخوم الشام مسيطرة شاطئ البحر ، وهي تنكش أحياناً من الشمال أو من الجنوب ، ويختلف علماء البلدان الأقدمون في ذلك . ولعلّ أصدق دليل على هذا ما ذكره عرام في صدر كتابه هذا ، أن أول جبال تهامة هو « رضوى » ، وهو من ينبع على يوم .

ويبدو أن ذلك الانبساط والانكماش جاء في مختلف العصور نتيجة للسلطان السياسي أو القبلي الذي كان يسود تلك المنطقة أو يتقلص عنها . على أن اللغة تعيننا عوناً تاماً في هذه القضية ، إذ أن اشتقاق تهامة من « التَّهَم » ، وهو تغير الريح وركودها وشدة الحر . فالامتداد الساحلي من جنوب اليمن إلى تخوم الشام هو الذي تصدق عليه هذه التسمية .

وإن الراجع إلى أقوال العلماء القدماء ليفهم أن تقسيم الجزيرة العربية يخضع إلى حد ما للحجاز ، وهو الجبل الممتد الذي حجز بين شطرين جغرافيين متباينين من الجزيرة ، أحدهما مرتفع وهو نجد ، والآخر منخفض عنه غائر وهو غور تهامة . وسراة هذا الجبل . أي أعاليه ، هي ما يسمى بالسراة ، ممتدة ما بين أقصى اليمن وأدنى الشام .

فبالتبيعة الجغرافية تكون تهامة هي الغور الضيق الذي يسائر بحر القلزم ، ضارباً من الجانب الغربي لشبه جزيرة طور سينا إلى أقصى الجنوب من بلاد

اليمن . ويختلف عرضها اختلافاً كبيراً . فهي بين الطور والسويس جزء ضيق من الساحل^(١) . وأوسع موضع في تهامة هو ساحل جدة . وهناك تهامة اليمن ، وتهامة الحجاز .

وكانت تهامة اليمن في بعض العهود ولاية قائمة بذاتها ، ولا سيما في عهد الفتح الفارسي لليمن في نهاية القرن السادس الميلادي . ثم ولى تهامة هذه من بعد بنو زياد ، وكانت حاضرتها « زبيد » . ثم أصبحت ولاية خاضعة لأئمة صنعاء .

وهناك تهامة أخرى في غير الجزيرة العربية ، وهي على الشاطئ الغربي للبحر ، وهي (تهامة الحبشة) ، ذكرها ابن خرداذبه^(٢) ، وهو يعنى بذلك ما يعرف اليوم بساحل « إرتيريا » .

أما تهامة التي يعينها عرام في كتابه هذا فهي (تهامة الحجاز) لا ريب ، يجعل أول جبالها الشمالية « رضوى » وهي من ينبع على بوم ، ومن المدينة على سبع سرحل : وحدتها الجنوبي الطائف وقرائها .

ومع أن ظاهر هذا الكتاب أنه خاص بجبال تهامة وسكانها وما يتعلق بها ، الواقع أنه يشمل الكلام على تهامة والحجاز . فنحن نجد أن ما يخص تهامة ينتهي عندما يقرب من ثلاثة أخماس الكتاب ، أى في ص ٤٩ . ثم نجد فصلاً معقوداً لحد الحجاز ، يتناول كثيراً من البلدان والقرى والجبال : المواقع الحجازية المجاورة للمدينة . وهي وإن يكن ذكرها جاء تبعاً لذكر تهامة للملاصقتها لها ومصاقتها ، فإنها ظفرت بنصيب وافر من عناية عرام ، واحتلت مكاناً أصيلاً من الكتاب .

وأنت حينما تنتهي إلى خاتمة الكتاب تألفي هذا النص : « تم كتاب أسماء جبال مكة والمدينة وما يتصل بها » .

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية (تهامة) .

(٢) المكتبة الجغرافية (٦ : ١٥٥) .

وقد يوحى هذا النص بأنهما كتابان أحدهما لتهامة والآخر لمكة والمدينة .
وليس الأمر إلا ما ذكرت من استطراد عرام . وأن كلمة « كتاب » لا تعنى
إلا ما كتبه في هذه الناحية ، فإن الأقدمين لم يذكروا لعرام إلا هذا الكتاب
« كتاب أسماء جبال تهامة » ، وعنه ينقل الناقلون والمؤلفون .

نسبة هذا الكتاب :

ينسب هذا الكتاب إلى « أبى الأشعث الكندى ^(١) » : وهو عبد الرحمن
ابن محمد بن عبد الملك ، وهو الذى روى الكتاب مباشرة عن « عرام » .
ولم أجد لأبى الأشعث ترجمة . ولكن من المرجح أنه من رجال القرن
الثالث ، إذ أن شيخه « ابن أبى سعد » كانت وفاته سنة ٢٧٤ .

وهن عجب أن ياقوتاً لم ينسب الكتاب إلى عرام في مقدمته ، ولكن نسبته
إليه في مواضع مختلفة من صلب الكتاب .

وينسب هذا الكتاب أيضاً إلى « السكونى » ، قال البكرى : « وجميع
ما أورده في هذا الكتاب عن السكونى فهو من كتاب أبى عبيد الله بن بشر
السكونى ^(٢) في جبال تهامة ومحالها ، يحمل جميع ذلك عن أبى الأشعث
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك الكندى ، عن عرام بن الأصبع
السلمى الأعرابى » .

وقد رجعت إلى النصوص التى عزاها البكرى في معجمه إلى السكونى
فوجدت كثيراً منها زائداً على كتابنا هذا ، مما يدل على أن « السكونى »
جعل الكتاب أساسه في الرواية ، ولكنه زاد عليه كثيراً من التعليقات
والإضافات ، شأن كثير من رواة الكتب الأقدمين .

(١) مقدمة معجم البلدان لياقوت ص ٨ .

(٢) السكونى هذا كندى أيضاً مثل أبى الأشعث ، فإن السكون ، بفتح السين ، بطن
من كندة .

ومن أمثلة ذلك ما ورد في ص ٦٥٩ من معجم البكري : « وقال السكوني بإسناده عن موسى بن إسحاق بن عمار قال : مررنا بالبغبيعة مع محمد بن عبد الله بن حسن وهي عامرة ، فقال : أتعجبون لها ، والله لتموتن حتى لا يبقى فيها خضراء ثم لتعيشن ثم لتموتن . وقال السكوني في ذكر مياه ضمرة : كانت البغبيعة وغيقة وأذئاب الصفراء مياهاً لبني غفار من ضمرة . قال السكوني : كان العباس بن الحسن يكثر صفة ينبع للرشيد فقال له يوماً قرب لي صفتها . فقال :

يا وادي القصر نعم القصر والرادي

من منزل حاضر إن شئت أو بادي

تلقى قراقيره بالعقر واقفة

والضرب والنون والملاح والحادي .

فهذا نص واضح أنه ليس من كتاب عرام ، وليس مما رواه السكوني عن عرام .

وفي ص ٨١١ : « وروى السكوني عن رجاله عن طارق بن عبد الرحمن قال لسعيد بن المسيب : مررنا على مسجد الشجرة فصلينا فيه . فقال : ومن أين تعلم ذلك ؟ قال : سمعت الناس يقولونه . . » إلخ . فهذا تلميح على « الحديبية » ومسجدها . وهو مسجد الشجرة ، وليس هذا من كتاب عرام في شيء .

وهذا نص ثالث ليس من كتاب عرام ولا من منهجه في كتابه ، قال السكوني ^(١) : إذا أردت أن تصدق الأعراب إلى العجز — يريد عجز هوازن — ترتحل من المدينة فتزل ذا الغصه وهي للسلطان ، فتصدق بني عوال

(١) معجم ما استعجم ١٢٣٦ .

من بنى ثعلبة بن سعد ، ثم تنزل الأبرق أبرق الحمى وهى لبنى أبى طالب ،
ثم تنزل الربذة ثم عريج وهى لحرام بن عدى بن جشم بن معاوية ، ثم تنزل
الماعزة - ويقال الماعزية - وهى لبنى عامر ، من بنى البكاء ، ثم تنزل
بطن تربة فتصدق هلال بن عامر والضباب ، ثم تنزل تريم وهى لبنى جشم ،
ثم تنزل السى فتصدق بنى هلال ، ثم ناصفة وهى لبنى زمّان بن عدى بن
جشم ، ثم الشيعة وهى لبنى زمّان أيضاً ، ثم ترعى وهى لبنى جداعة ،
ثم تأتى بوانة .

فهذا دليل دامغ أن كتاب السكونى فى جبال تهامة هو رواية حرة لكتاب
عرام اعتمدت على التعليقات الكثيرة والإضافات الاستطراذية ، ويكون
البكرى فضفاض العبارة فى كلمته التى سقتها له .

ومهما يكن فإن نسختنا هذه كريمة الإسناد ، يروىها السيرافى ، الذى
قليل إنه وضع كتاباً فى جزيرة العرب ، عن أبى محمد السكرى ، عن
أبى سعد ، عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك المعروف بأبى الأشعث
الكندى ، عن عرام .

عرام بن الأصم السلمى :

ولم نعر لعرام على ترجمة . إلا ما ذكره ابن النديم عرضاً عند سرده
لأسماء الأعراب الذين دخلوا الحاضرة ، فذكره قريباً لأبى الهيثم الأعرابى ،
وأبى الحبيب الربعى ، وأبى الجراح العقيلي ، وقد ذكره باسمه كاملاً ،
« عرام بن الأصم السلمى » .

ويبدو أنه كان أحد أعراب بنى سليم ممن كانوا يطوفون بالبلدان
ويتعرفون مسالكها فيكتسبون بذلك خبرة صادقة . واشتقاق « عرام » من
العرامة بمعنى الشدة والقوة والشراسة . ويقال : عَرَمْنَا الصَّبِيَّ وعَرَمَ عَلَيْنَا ،
أى أَشِيرَ ، وقيل مرح وبطر ، وقيل فسد . و « الأصمغ » اسم أبيه مأخوذ

من الأصبع ، وهو من الخيل ما ابيضت ناصيته كلها ، ومن الطير ما ابيض ذنبه .

عوام النحوى :

وأما عوام الذى ذكره ابن النديم فى الفهرست^(١) ، والقفطى^(٢) فى إنباه الرواة ، فهو لقب لأحد النحويين . وعوام ليس اسماً لذلك النحوى بل هو لقب له ، واسمه أبو الفضل العباس بن محمد ، أو المفضل بن عباس بن محمد وكان هذا النحوى فيما ذكروا ما جناً رقيقاً خفيف العقل . وهو بلا ريب غير عوام بن الأصبع الذى يعد كتابه هذا وثيقة من أهم الوثائق البلدانية ، وأما من أمهات المراجع الأصلية .

نسخة الأصل :

أصل هذه النسخة فريدة فى مكتبات العالم . وهو محفوظ فى دار الكتب السعيدية بحيدر أباد فى مجموعة برقم (٣٥٥ حديث) وتاريخها يرجع إلى سنة ٨٧٦ . والنسخة فى ست ورقات ، أى اثنتى عشرة صفحة . بكل صفحة منها ٢٥ سطراً . ومقياس الصفحة ١٨ - ٢٠ . وهى عسرة القراءة مكتوبة بخط نسخى غامض ردى فيه كثير من إهمال النقط ، كما أنها كثيرة التحريف والتصحيف . وقد تغلبت على ما بها من عسر بالرجوع إلى كتب البلدان ، وفى مقدمتها معجم ياقوت ومعجم البكرى ، وهما قد استوعبا معظم نصوص هذا الكتاب على ما بهما كذلك من تصحيف وتحريف . وكذلك استفتيت معاجم اللغة وغيرها من الكتب فى جميع الفنون التى يتطلبها التحقيق ، غير أن جهداً أن يظهر هذا الكتاب على أقرب ما يكون من السلامة .

(١) ابن النديم ١٢٧ مصر ٨٦ ليسك .

(٢) إنباه الرواة القسم الرابع من المجلد الثانى ص ٣٩٩ مصورة دار الكتب المصرية .

تحقيق هذا الكتاب :

لم أكن أعرف شيئاً عن وجود هذا الكتاب إلا ما كان يقع تحت نظري كثيراً عند مراجعتي لمعاجم البلدان من ذكر (عرام بن الأصبح السلمي) حتى كان يوم لقيت فيه الصديق الكريم (الشيخ سليمان الصنيع) ، وكنت قد شرعت في عمل علمي يرمي إلى نشر المخطوطات النادرة الصغيرة ، وهو الذي أخرجت منه مجموعتين مشتملتين على تسعة كتب نادرة باسم « نراد المخطوطات » فأخبرني حضرة الأخ أن لديه مخطوطة جديدة بالنشر . هي كتاب عرام هذا . ووعدني أن يرسله إلى من الحجاز لأقوم بتحقيقه ونشره . وكان أن برّر بما وعد به . وأرسل النسخة إلى فوجدتها مخطوطة سنة ١٣٦٨ عن نسخة نقلها الشيخ إبراهيم حملى مدير مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة عن نسخة الهند . ونسخة الأخ الشيخ سليمان هذه قد عني بمراجعتها وتحقيق بعض مواضع منها .

ثم تفضل الشيخ الجليل (السيد محمد نصيف) فكتب إلى يشفع رغبة الشيخ سليمان برغبته الكريمة . وأرسل إلى نسخة أخرى نقلها الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليماني عن الأصل الهندي في دقة وإتقان ومطابقة للأصل

ولكن ذلك كله لم يقنع ضميري العلمي ، إذ أن أصل الكتاب موجود ، وأن من الممكن الحصول عليه ، فانتهزت فرصة رحلة الأخ البار (الأستاذ رشاد عبد المطلب) إلى الهند في بعثة جامعة الدول العربية لجلب صور مخطوطاتها النفيسة ، فأوصيته أن يحضر معه صورة كتاب عرام . فكان له الفضل الطائل في أن تمكّن من اجتلابها ، فكانت هي الأصل الذي اعتمدت عليه في نشر هذا الكتاب .

فالشكر لحضرة الأخ (الشيخ سليمان الصنيع) على ما بذل من فضل

بتعريفي بهذا الكتاب وما قدم من خير . ولحضرة الأخ (الأستاذ رشاد عبد المطالب) الذى كان له فضل اجتلاب نسخة الأصل من الهند .

وليس يفوتنى أن أجعل خاتمة كلمتى هذه شكر السيدين النبيلين (السيد محمد نصيف) و (السيد يوسف زينل) لما أظهراني اهتمام كريم أبشر هذا الكتاب ، وما قاما به من الإنفاق على طبعه ، إسهاماً فى نشر العلم وأداء الأمانة .

القاهرة فى غرة جمادى الثانية سنة ١٣٧٢^(١) .

عبد السلام محمد عارون

(١) هذا هو تاريخ الشرة الأولى ، وقد ظهر محرفاً تحريفاً مطبعياً فيما قبل فقري سنة ١٣٧٣

نقد النشرة الأولى

ذاك ما كتبه في صدر نشرتي الأولى لكتاب عرام . وقد سرني عظيم السرور أن يظهر بعد نحو ثلاثة أشهر من ظهور هذه النشرة نقد علمي لها بقلم الأخ العالم الشيخ حمد الجاسر عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، في مجلة المجمع بالجلد ٢٨ : العدد الثالث ص ٣٩٦ - ٤٠٢ بتاريخ شوال سنة ١٣٧٢ . والعدد الرابع ص ٥٩٢ - ٥٩٩ بتاريخ المحرم سنة ١٣٧٣ .

وأنا ممن يعجبه النقد إعجاباً . ويرى فيه إتماماً لأداء الأمانة العلمية التي يحملها العلماء جميعاً لا ينفرد أحد منهم بحملها وحده . ويرى كذلك أن من كتم الأمانة آثم في حقها وفي حق العلم .

فكان من الطبيعي عندي أن أتى ذلك النقد في غبطة . وكان من الطبيعي أيضاً أن أغض الطرف عما يندفع فيه الناقد أحياناً من لغة هي أشبه بنزوات الظافر في حومة القتال . فهي نزوات قل من عصم نفسه البشرية من أمثالها .

وقد كنت دعوت من قبل إلى أن يكون النقد بين الأدباء جاريّاً على سنن رفيع من أساليب التعبير ، وأن يكون مبرأ من العوامل الشخصية . وكتبت قديماً فيما كتبت في مجلة الثقافة العدد ٦٤٧ مايو سنة ١٩٥١ م .

« لم يعد النقد الأدبي كما كان بالأسس تجريحاً وتشهيراً بالنقاد ، بل آن أن نصطنع الجدل فيما يمس أقدار الأدباء وكرامتهم العلمية . فإن العثار أمر يعرض للأدباء جميعاً . لا يرتاب في ذلك إلا مغر . أو ذاهب العقل . أو متهافت النفس . وأمر النقد لا يعدو أن يكون معونة ومجادلة في الرأي . أو مشاركة في التهديد إلى الصواب . والنقد أبداً خادم للعلم . وليس ضرباً هيناً من فنون الهجاء . وإنما هو فن رفيع يتأتى إليه الأديب في خلق سمع وخطاب كريم » .

وبهذه الروح التي أعتز بها وأؤمن بوحيتها إيماناً صادقاً ، أنشر صدر كلمة الأستاذ الجاسر ، وهي كلمة كريمة كنت أرجو أن تكون مبرأة من بعض الهنات التي شوهدت شيئاً من قسماتها . ولكن الكمال لله وحده .

وأعود هنا فأقول : إن النسخة التي تأدت إلينا من كتاب عرام عريقة في التصحيف والتحريف عسرة القراءة ، بحيث تجعل المحقق في صراع مع كل لفظ من ألفاظها ، وأحياناً بين كل حرف من حروف ألفاظها . ومهما بذل محقق جهده ووكده فليس بمستطيع أن يحررها تحريراً كاملاً .

لذلك أيضاً أعان غبطتي بما ظفرت به هذه الرسالة من تحقيقات وتصحيحات وتعليقات للأستاذ الناقد الكريم ، بلغت جميعها نيفاً وعشرين ، وسيرى القارئ أثر ما صحح عندي من هذه النقيدات والتعليقات في مواضعها إن شاء الله .

وقد ظنّ بنا الأستاذ الجاسر أنا قد اطلعنا على نشرة الأستاذ الميمنى عند تحقيق النشرة الأولى . وأنا كتمنا ذلك على القراء ! ! وهي مهمة ماذجة نرجو له من أجلها غف اناءً واسعاً من الله . فأني لم أر هذه النسخة للمرة الأولى إلا ظهر يوم الخميس ١١ شوال سنة ١٣٧٤ في دار صديقه وصديقنا الأستاذ رشاد عبد المطلب .

وإليك ما كتب الشيخ الناقد في صدر كلامه مقروناً بشكري الصادق ، وعتبي الصادق أيضاً :

أسماء جبال تهامة

تأليف : عرام بن الأصبح السلمي

تحقيق : عبد السلام هارون الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة

لنشر هذه الرسالة قصة نجاحها بأن الشيخ إبراهيم الخربوطي مدير مكتبة (شيخ الإسلام) في المدينة (المتوفى سنة ١٣٧١) زار الهند في عام ١٣٥٧ فرأى العلامة المحقق الشيخ عبد العزيز الميمني عضو المجمع العلمي العربي يقوم بنسخها ، فساعده في مقابلة ما نسخه على الأصل ، ونسخ هو نسخة أتى بها إلى الحجاز . ولما مر بجدة نزل في ضيافة السرى الفضال السيد محمد حسين نصيف وأطلع على هذه النسخة ، فاستنسخها الشيخ نصيف وأطلع عليها كثيراً من المعنيين بالعلم من علماء وغيرهم ، فمنهم من نسخها ومنهم من استفاد منها . وكان ممن نسخها على نسخة الشيخ نصيف الشيخ سليمان الصنيع . وقد بذل جهداً مشكوراً في تصحيحها بمقابلة ما جاء فيها على معجم البلدان ومعجم ما استعجم وغيرهما من الكتب . إذ نسخة الشيخ الخربوطي كثيرة التحريف والغلط ، زيادة على ما في الأصل من ذلك . ولما زار مصر أطلع الأستاذ عبد السلام محمد هارون على أمر هذه الرسالة لكي ينشرها في مجموعة من الرسائل النادرة^(١) ، وبعث إليه بعد أن عاد من مصر بنسخة ، ولكنه لم ينشرها بل قال في مقلعة المجموعة الثانية من (نوادير المخطوطات) ص ١١٦ : « كنت قد اعتزمت أن أنشر في هذه المجموعة كتاب عرام بن الأصبح السلمي في أسماء جبال تهامة . . ولكن علمت أن العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي قد قام بنشر هذا الكتاب ، فأثرت أن أوجل صنعه إلى أن أطلع على نسخته » .

(١) يعني نوادر المخطوطات .

أما الشيخ الميمنى فقد نشر الرسالة — كما ذكر الأستاذ عبد السلام — نشرها فى مجلة الكلية الشرقية التى تصدر فى مدينة لاهور فى باكستان : (Oriental College Magazine) بعد أن وضع لها مقدمة وصف فيها الأصل ، وتحدث عن مؤلف الرسالة . وأشار إلى شىء من خبر المكتبة السعيدية التى وجدت فيها .

وقد أراد الشيخ محمد نصيف نشر هذه الرسالة — لأنه لم يطلع على ما نشره الشيخ الميمنى — فبعث بها إلى (المجمع العلمى العربى) فأرجعت إليه وقيل له : ينبغى أن يقوم بتصحيحها فلان — كاتب هذا المقال — فبعث بها إلى ، ولكنى رأيت تحقيقها تحقيقاً مفيداً يتطلب الحصول على صورة عكسية من الأصل (فتوغرافية) وأبدت للشيخ نصيف عدم صلاحية نسخته للنشر قبل مقابلتها على الأصل بمقابلة دقيقة ، فبعث بها إلى الشيخ عبد الرحمن المعلمى اليمانى — وكان إذ ذاك فى الهند من القائمين على نشر الكتب التى نطبعها دائرة المعارف العثمانية فى (حيدر أباد) فقابلها على الأصل بمقابلة دقيقة ، ونسخ نسخة أخرى عن الأصل بعث بها إلى الشيخ نصيف . وبمقابلة تلك النسخة ظهر أن نسخة الشيخ الخربوطلى كثيرة التحريف والغلط .

ثم رأى الشيخ محمد نصيف أن يقوم بنشر الرسالة ، وأن يتولى نشرها الأستاذ عبد السلام هارون . وكانت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية قد بعثت إلى الهند السيد محمد رشاد عبد المطلب ليصور بعض المخطوطات العربية النادرة . فكان مما صور أصل هذه الرسالة .

وقد حرصت حينما كنت فى القاهرة على الاطلاع على النسخة التى صورتها الإدارة الثقافية ، ولكنى لم أتمكن من ذلك مع ما بينى وبين السيد محمد رشاد من الصلة — التى اعتبرها أنا قوية — وقد تكرم فأعارنى نسخة من النسخ التى طبعها الأستاذ الميمنى .

وقد اتصلت بالأستاذ الجليل الشيخ محب الدين الخطيب . وتحدثت معه في موضوع نشرها ولكنه قال : إن الأمر يتطلب وجود نسخة من الأصل .

ولعل الله أراد لهذه الرسالة خيراً — بإحيائها وتحقيقها من علامة محقق ، ذي خبرة ودراية وطول معاناة ، هو الأستاذ عبد السلام هارون .

وليس لنا من عتب نوجهه إلى إخواننا في مصر الذين قد تحول ظروفهم الخاصة دون إطلاعنا على ما نرغب الإطلاع عليه من الكتب التي لنا حق الإطلاع عليها — وخاصة مخطوطات الإدارة الثقافية — نعم ليس لنا من حق في عتبهم ، فلعل لهم من العذر ما نجهله . غير أننا نعلم — كما يعلمون — أن التعاضد والتساند والتآزر في سبيل العلم أمور يجب أن تقدم على كل اعتبار .

وأما كلمتنا عن الأستاذ عبد السلام — في تحقيقه لهذه الرسالة — فهي تحوى شيئاً من الاختلاف معه في شأن التحقيق ، وهو اختلاف ما كنت أوده . إذ الاختلاف شر في جميع وجوهه . غير أن واجب العلم يقضى به . لقد قلت في كلمات نشرت في (الرسالة . ومجلة المجمع العلمي ، ومجلة الفتح . ومجلة الحج) إن بعض إخواننا الجامعيين كالأستاذ مصطفى السقا والأستاذ الدكتور زكي محمد حسن قاموا بتحقيق بعض المؤلفات أو ترجمتها قياماً لا يتناسب مع ما لهم من منزلة علمية رفيعة . وخشيت أن يكون ما قيل من أن بعض العلماء المشهورين يكتفي بوضع اسمه على المؤلف الذي يراد منه تحقيقه ، ويكل الأمر إلى بعض إخوانه ممن لا يبلغون منزلته — خشيت أن يكون هذا حقاً . أما الأستاذ عبد السلام فأنا أبرئه من هذه الوصمة ، لأنني شاهدت من آثار عمله في تحقيق بعض المؤلفات القديمة ما لم أشاهده من كثير ممن يعنون بذلك .

وكنت أود أن أجد في هذه الرسالة ما وجدته في غيرها من الكتب التي حققها أو أكثر مما وجدته . غير أنني — وإن رأيت فيها ما يسر ويفيد ويمتدح —

رأيت كل هذا قليلاً بالنسبة لما كنت أتوقه من الأستاذ . ولكى أدلك على
قولى يحسن بى أن أذكر بعض ما رأيته فى حاجة إلى مزيد من العناية .

لم يشتر الأستاذ عبد السلام إلى أن العلامة الميمنى نشر هذه الرسالة ^(١) .
أو الأمانة العلمية والاعتراف لكل ذى حق بحقه يقضيان بعدم إخفاء مجهود
هذا المحقق ^(٢) الذى لا يجهل باحث فى الأدب العربى ما له من أباد فى سبيل
تحقيق كثير من الكتب الأدبية . ولا ينكر ما له من فضل وعلم . ولا أكون
مبالغاً حينما أقول بأن جهده فى تحقيق هذه الرسالة لا يقل عن جهد الأستاذ
أعبد السلام إن لم يفقه . فالميمنى مثلاً أوضح من حالة عرام وبين عصره فذكر
أنه من أهل القرن الثانى وأول الثالث ^(٣) وأنه ممن دخل خراسان مع عبد الله
ابن طاهر سنة ٢١٧ وهذه من الأمور التى فاتت الأستاذ هارون ، وهى أمور
لا بد منها ، إذ معرفة المؤلف أهم ما يعتنى به محقق الكتاب .

قد يقال بأن الأستاذ يجهل كون الميمنى قام بتحقيق هذه الرسالة . ولكن
هذا يرده أمور :

- (١) كيف يتفق هذا مع ما نقله الأستاذ من قولى ، فى مقدمة هذا المقال ؟!
- (٢) كذا طوع للأستاذ الجاسر قلمه ولسانه أن يزل هذه الزلة التى لا تليق برجل يعلمنى
حق العلم ، ويعلم حرصى على التنويه بفصل كذا فى فصل . ولا سيما العلامة الميمنى الذى لا يكاد
يخلو كتاب من كتبه من التنويه بفضله ، وقد كنت شريكاً له فى نشر خزائن الأدب مع
المغفور له أحمد تيمور باشا . والصلة بينى وبينه وثيقة لا يضيرها مثل هذا الادعاء .
أما السر فى إخفاى مجهود هذا المحقق كما زعم الشيخ فهو أنى لم أكن رأيت هذا المجهود
بعد ، فكيف أظهر شيئاً لا يزال عندي فى ضمير الغيب ؟ ! وكيف يقال أنى أخفيت ما لم
يظهر لى بعد ؟ ! وأما السر فى عدم اطلاعى على نسخة الميمنى التى اجتلبها الأستاذ رشاد عبد المطلب
من الهند فقد أفصح عنه الشيخ نفسه بقوله فى هذا الملف : وقد تكرم فأعازنى نسخة من
النسخ التى طبعها الأستاذ الميمنى . لذلك لم تقع إذ هذه النسخة التى احتجزها الأستاذ الجاسر
ويست من الاطلاع عليها إلا يوم ١١ شوال من سنتنا هذه ، كما أسلفت القول .
- (٣) هذا يطابق تمام المطابقة ما ذكرته فى نشرتى الأولى ص ٦ س ٥ - ٦ من المقدمة .
ولكن يأتى الأستاذ إلا أن يتلمس سواقط لتهم .

١ - أنه صرح بعلمه بذلك قبل شروعه في تحقيق الرسالة .

٢ - أن السيد محمد رشاد عبد المطلب الذي قال الأستاذ هارون بأنه أوصاه بإحضار نسخة مصورة من أصل الرسالة فأحضرها ، قد أحضر في الوقت نفسه نسخة من تحقيق الميمنى ^(١) .

٣ - أنني نشرت في الرسالة في العام الماضي نبأ نشر الأستاذ الميمنى ، أثناء نقدي لطبعة السقا لكتاب (معجم ما استعجم) . وليس عبد السلام ممن يوصف بأنه لا يقرأ مجلة (الرسالة) وهو ممن يكتبون فيها ^(٢) .

هذا الأمر - تجاهل الناشر لما يقوم به من سببه في سبيل تحقيق ما يقوم بنشره - مما أخذ على الأستاذ السقا وأخذ على بعض العلماء الجامعيين . وكنا نود أن يتنزه عنه الأستاذ عبد السلام هارون ^(٣) .

* * *

قال الأستاذ عبد السلام في مقدمة الرسالة : « أصل هذه النسخة فريدة في مكتبات العالم . وهو مخطوط في دار الكتب السعيدية بحيدرآباد في مجموعة برقم ٣٥٥ حديث وتاريخها يرجع إلى سنة ٨٧٦ والنسخة في ست ورقات . (أى في اثنتي عشرة صفحة) » .

كذا قال الأستاذ . ولكننا نجد الأستاذ الميمنى حينما وصف الرسالة قال : « يوجد في الخزانة السعيدية في حيدر آباد مجموعة فيها ٢٧ رسالة في

(١) قد استعنت بالمنطق واستعان جمع غفير من أصدقائي ليجدوا نتيجة حتمية لهذا تتعلق بشخصي ، فأعيتهم هذه النتائج . والواقع أن النسخة المنصورة وردت مع بعثة الهند في حقائبها بلطائرة ، وأما الكتب ومنها كتب الأستاذ رشاد الخاصة فوردت بطريق البحر بعد شهرين .
(٢) ولكنهم لا يقرءون فيها كل شيء ، وقد تفوتهم قراءة عدد بأكمله . وهذا ما حدث لي . فإني مع شديد الأسف لم أقرأ للأستاذ هذا النقد . وسأحاول أن أستفيد بقراءته إن شاء الله .
(٣) نطلب من الله للأستاذ الجاسر غفراناً فيها رمان به من سوء ، ونثقل في ذلك قوله جل وعز : « وأن تفور ، أقرب للتقوى » .

الأحاديث والرجال . أولها خلق أفعال العباد للبخارى ، ووافق الفراغ من كتابتها ١٨ جمادى الأولى سنة ٧٨٦ وثبت على طرة الخاتمة : بلغ مقابلة على الأصل المنقول منه فى مجالس آخرها فى ليلة يسفر صباحها عن يوم الخميس من ذى الحجة الحرام سنة ٧٨٧ كاتبه محمد بن على . ولكنه مع هذه الدعوى الفارغة آية فى التصحيح والتحريف . ورقم كتاب عرام فيها ١٦ فيما بين ص ١٥١ - ١٥٩ أى أنه وقع فى تسع صفحات فحسب .

هذا ما قاله الأستاذ الميمنى ، وهو يخالف وصف الأستاذ عبد السلام فى تاريخ النسخ ، وفى عدد الصفحات . فأيهما أصح قولاً ؟ الظاهر أن الميمنى هو المصيب ^(١) ، وأن الأستاذ عبد السلام نقل تاريخ النسخ عن نسخة سليمان الصنيع ، وهو نقلها عن نسخة أصلها نسخة الخربوطلى التى جاء فيها التاريخ كما ذكر الأستاذ هارون ، غير أن الشيخ نصيف لما بعثها إلى الهند لتقابل على الأصل كان مما صحح هذا الموضوع . صححه الأستاذ عبد الرحمن اليمانى كما جاء فى نسخة الأستاذ الميمنى . يضاف إلى ذلك أن الأنموذج الذى نقله الأستاذ مصرراً فى نسخته ليس فيه شىء من تاريخ النسخ مع أنه آخر الرسالة . فالظاهر أن الذين صوروها صوروها وحدها زهى خالية من التاريخ فاعتمد الأستاذ عبد السلام على ما جاء فى نسخة الأستاذ الصنيع . رهو غلط .

وبعد أن أورد الأستاذ حمد الجاسر هذه النقذات فى مقالين بمجلة المجمع ^(٢)

قال فى خاتمة قوله :

(١) قد يكون ذلك فيما يتعلق بتاريخ النسخ . فإن مصورتى نحو منها ، واعتمدت على ما تآدى إلى من نسخة الشيخ سليمان الصنيع . أما فيما يتعلق بعدد الصفحات ، فهو نحن محص من الأستاذ . فإن النسخة ببدى أقلب مراراً . وقد حرصت فى هذه النشرة أن أبين أو ثل هذه الصفحات (الاثنى عشرة) لا التسع كما نمر الشيخ عن العلامة المسمى .

(٢) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق فى الجزأين اثلث و رابع من المجلد ٢٨ ، ١٩ شوال سنة ١٣٧٢ هـ و ٢٣ من المحرم سنة ١٣٧٣ . وقد اشتمل المقال الأول على ست ملاحظات والثانى على ٢٣ سائلاً نهت عليها فى مواضعها عن كتاب عرام المنشور فى نواذر المخطوطات مع "رد على معضنها .

« هذا ما رأيت إيراده مما لاحظته على هذه الرسالة التي قام بتحقيقها السيد عبد السلام محمد هارون الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة ، ولا أريد أن أعظمه حقه أو أقلل من عمله ، فهو أجل من أن ينكر فضله . وأنا أربأ بنفسى عن الاتصاف بصفة سيئة ، ولكننى أردت المشاركة فى إبراز هذه الرسالة إبرازاً يجعل النفع بها تاماً . وقد قام الأستاذ - فى هذا السبيل - قياماً مشكوراً فرجع إلى ٣٢ كتاباً من المراجع العامة ، ووضع للرسالة فهارس شاملة لأسماء المواضع والأعلام وللقبائل ، وللنبات ، وللحيوان ، وللقوافى . وللغة . وزينها بكثير من الحواشى المفيدة ، وشكل أسماء المواضع . فجاء عمله فى هذه الرسالة - كعمله فى غيرها من الكتب الكثيرة التى حققها - مفيداً نافعاً » .

هذا . وليس يفوتنى أن أكرّم الشء والشكر للأستاذ العلامة الجليل ، ألهمنا الله وإياه الترفيق والسداد .

البَابُ الرَّابِعُ

نَظَرَاتُ بَعْضِ الْأُدُبَاءِ وَالْأَصْدِقَاءِ

كتاب الحيوان للجاحظ(*)

تتحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون

للأستاذ عبد المنعم خلاف

أقدم عملاً عظيماً في لون من ألوان الأدب العصري لم يوجد إلا بعد أن وجدت المطبعة ، ووجدت بحوث المستشرقين وفن إخراج الكتب .

وهو عمل يتصل بالعلم بما فيه من التحقيق وتحرير النصوص ، ويتصل بالأدب بما فيه من مائة التذوق والرجيح واستفتاء الثقافة الأدبية والاعتماد على المحفوظ المذكور من نصوصها . ويتصل بالفن بما فيه من تنسيق وتبويب وإخراج جميل يروع ويجذب العين واليد إلى الكتاب .

وكاد هذا العمل يكون خاصة موقوفة لأقلام المشرقيات الأجانب لولا نفر قليل من المشاركة أنفسهم ساهموا بأقلامهم في هذا العمل النافع القيم الذي هو في الحق ميلاد جديد للكتب القديمة تهتز له عظام مؤلفيها القدامى غبطة بتسهيل الانتفاع بما تركوا من آثار جلييلة قد يذهب بما فيها من الفائدة عند شباب هذا الزمان أنها ألقت على غير ما ألفوا من الكتب الحديثة المبهوبة التي يعلن فيها كل مبحث عن نفسه في سهولة واقتراب إلى الأذهان التي لم تتعود الصبر والجهد على التعرف إلى الآثار القديمة لانقطاع الأسباب وبعد الزمن وتغير الأساليب وكثرة الملهي وحب السرعة . ومرض الهمة وكمال العزيمة .

وإذ أقدم هذا العمل العظيم أشعر في نفسي بغبتين : الأولى : غبطني ببعث مكتبة الجاحظ أديب العربية العباسية الأكبر ، ووارث علوم عالمها

وأدب أدبائها وخفة ظرفائها ، وسجل دنياها الزاخرة ، ومصرر حياتها المتشعبة ، بعث فيه من الجدة والفن والطرافة ما يخيّل إلينا أنها انحسرت عنها قريحة معاصرة .

والثانية : غبطى بأن هذا البعث كان على يد صديقى الثبت الصليح الأستاذ عبد السلام محمد هارون الذى أعرفا كما أعرف نفسى إذ كان صديقى الأول وصنوى فى عهد الدراسة العزيز .

وأخشى أن يحسب حاسب أنه قد طغى وثوقى بهذه الشخصية وحبى لها على تقدير عملها فى « الحيران » تقديرأ بعيداً عن الغاوى ، كما أخشى أن يظن ظان أن الأمر فى هذا التقدم مرجعه إلى « توريط » الصداقة وتقرير الأصدقاء بعضهم بعضاً . وحسب ذلك الحاسب وهذا الظان أن يرجعا إلى الجزء الذى طبع من الحيوان ليريا المجهود فيعرفا الشخص الذى بذله كما عرفته أنا منذ خمس عشرة سنة أديباً متصلاً بصميم الأدب العربى مقبلاً بده وعينه فى مراجعه القرية والبعيدة ممثلاً من حرّ نصوصه .

وإذا كانت الأمور تقاس وتقدر بما يبذل فيها من مجهود له نتيجه النافعة فأظن أن ما فى المطبوعة الحديثة من الحيوان من التحقيقات وتحرير النصوص وفهارس المعارف وأجناس الحيوان وأعلامه وأعلام الناس والقبائل والطوائف والبلدان والأماكن والأمثال والشعر والأرجاز واللغة والكتب وأيام العرب ، أظن هذا كله عملاً أشق وأنفع من كثير من الكتب التى يرسلها مؤلفوها إرسالاً سهلاً . وأظن أنه يستتبع تقدير صاحبه تقديرأ ترضى به نفسه . وقد صار العلم الآن بما فى الكتب القديمة سهل المورد بأمثال هذه الفهارس التى تنفض ما فى الكتب نفصاً ، وتعان عن كل كلمة فيها إعلاناً عريضاً يأخذ بعيون الباحثين إلى ما يلقون من الأشباه والنظائر والمختلفات ، مما يوفر عليهم الجهد والوقت والاستدكار ، حتى لقد شاعت هذه الكلمة « إن العلم الآن معرفة ما فى الفهارس » .

وقد ابتدع الأستاذ هارون فهرساً قيماً لما في الحيوان من المعارف التي وضع لها هو أيضاً عنوانات فصاحت أثناء الكتاب ، وهو لون طريف في التعريف بما ورد في الكتاب حشواً في غيره . مما قد يمر عليه القارئ عفواً بدون ترقب ولا بعقب ؛ وهو عمل عظيم في كتب شأن مؤلفيها الاستطراد أو إلقاء ما في الذاكرة متى حضر ولر بدون مناسبة قريبة ، وإنما هو جود الذاكرة .

والأوائل كانوا على رأى في الأدب هو أنه الإلمام من كل شيء بطرف ، ولذلك كانوا يخرجون كتبهم الأدبية إخراجاً يرضى هذا التعريف . فكانت كتبهم الغالبة أشبه شيء بحديث المجالس وأماليتها . غير أن هذا اللون من التأليف نبا عنه الذوق العصري الذي لا يرضى من المعارف إلا ما كان فصائل وأجناساً مضدوماً بعضها إلى بعض مميرة بعنوانات تضم الشتيت كما يضم اللقب الأسرة ، ولا يرضى أن يذهب فكر القارئ شعاعاً وبدداً هنا وهناك وقت القراءة .

وعلى ذلك كل عمل يرشد القارئ الجديد إلى ما يبحث عنه في بطون الأسفار القديمة رأساً بدون اضطرابه إلى الخوض في بحر لا ساحل له . وفي مباحث لا حاجة له إليها . فهو عمل من أعظم ما يربط أسباب الجديد بالقديم ويجلو الدرر المدفونة بن طيات الكتب التي فيها كثير من الحصا والتراب .

وقد قدم الأستاذ هارون « مكتبة الجاحظ » التي « سيعدل جهده على إخراج ما يمكن منها بعون الله ما مد له في الحياة » تقديماً بديعاً تحدث فيه عن بيان الجاحظ وعصره والتأليف في عصره ومؤلفات الجاحظ ومنحاه في التأليف وقيمة كتبه في نوادي الأدب وذيرعها ووراقها . وقد أتى في هذا الحديث بفوائد ممتعة .

وقد قدم كذلك كتاب الحيوان تقديماً خاصاً عرض فيه لمنشأ التأليف في الحيوان عند العرب والمراجع الجاحظ في تأليف كتابه من القرآن والحديث

والشعر العربى وكتاب الحيوان لأرسطو ومحاولات المعتزلة وجدالهم فيما بين أيديهم من ألوان المعارف جليلها ودقيقتها : ثم المجهود الشخصى للمحاضر ولوعه بمباحث الحيوان ولوعاً حملاً على أن يجالس الملاحين وصائدى العصافير والحوائث وغيرهم من القائمين على شئون الحيوان . وهو لعمر الحق محبث فى غاية النفاسة وفى صميم الأدب الأصيل اهتدى إليه الأستاذ هارون ابتداء . لم يسبقه إليه سابق فيما أعلم . ومن المباحث القيمة أيضاً فى هذا التقديم تحقيق زمن تأليف الجاحظ للحيوان وتبيين قيمة كتاب الحيوان بما فيه من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية وسياسة الأقوام والأفراد ونزاع الطوائف ، والمسائل الجغرافية وخصائص الأجناس وقضايا التاريخ وأحاديث الطب والأمراض والمفردات الطبية ، وأحوال العرب وعلومهم ومزاعمهم ، ومسائل كثيرة فى الفقه والدين . مضافاً إلى ذلك كله فكاهة الجاحظ الساخر أو فلتير الشرق — كما لقبه الأستاذ الزيات — واختياره للصفوة المختارة من حر الشعر العربى ونادره ... إلى آخر ما يمتاز به مؤلفات أبى عثمان بن البحر ...

« وبعد » فنظرة واحدة إلى صفحة من صفحات الكتاب بصليها وهامشها تقف القارئ مباشرة على مقدار الجهد العنيف الذى بذله الأستاذ الصبور محقق الكتاب . فى ضبط الألفاظ وشرحها وفى مقابلة النسخ القديمة التى اعتبرها كثر من التصحيف والتحريف ، وفى أمانته وحرصه على استئذان القارئ فيما أثبت أو نفى من أوضاع الكتاب وكلماته وتوجيهاته . مع تواضع جميل يعرف فى طبعه كما يعرف فى قوله من تقديم الكتاب : « وأما أنا فلست بمكان من يدعى العصمة أو يخال السلامة ، فليس يكون ذلك إلا لمن ذهب عن نفسه وتعلق بالباطل .

« ولكنى يعجبني أنى بذلت فيه غاية الجهد وأنى التزمت جانب الأمانة فلم أسقط حرفاً ولم أزد حرفاً إلا استأذنت القارئ » .

ثم نظرة أخرى إلى ثبت مراجع تقدم الكتاب وتحقيقه وشرحه نرى

القارئ مقدار سعة اطلاع الأستاذ واهتمامه إلى مواطن الفتوى فيما يشبهه عليه
من خبر أو نص أو توجيه وإلى ما يعتمد عليه في إخراج هذا السفر الجليل
وما وراءه من مكتبة الجاحظ :

فجزاه الله الكريم وأمتع به أصدقاءه ونفع بجهوده الموفقة اللغة العربية .
والشكر الجزيل لحضرات ناشري الكتاب في ثوبه الأنيق وورقه الفاخر
وحروفه الواضحة .

تعقيبات(*)

بقلم الأستاذ / محمد فهمي عبد اللطيف

المحرر بالأخبار

مكتبة الجاحظ :

أتم صديقنا الباحث المحقق الأستاذ عبد السلام هارون تحقيق كتاب الحيوان لأبي عثمان الجاحظ وأخرجه للناس مصححاً مقوماً مكلاً . فلو رآه الجاحظ لقرّت به عينه وطابت نفسه وشكر للأستاذ الفاضل هذا الصنيع الذي أحيا به أثر آخالدأ ، وأسدى به إلى العربية يدأ . . .

ونشر الكتب وتحقيقها ليس بالأمر الهين ، ولكنه عمل يشترك فيه الذوق والفهم ، والعلم وسعة الاطلاع ، ويقتضى بذل الجهد وطول البحث والصبر على مراجعة النصوص ، وهذا كله قد اجتمع للأستاذ عبد السلام هارون ، وتجلى فيما أخرج من كتب قيمة وحقق من أسفار نافعة ، وقد أعطى لكتب الجاحظ قدرأ كبيرأ من عنايته ، فهو الآن يعد العدة لإخراج الحلقة الثانية من مكتبة أديب العربية الكبير ، وهي كتاب البيان والتبيين ، وقد راجع الأصول المخطوطة لهذا الكتاب . وكمل مواضع النقص فيه ، واستوفى مواقعه الناقصة شرحاً وتعليقاً ، ربما بقي إلا أن يقدمه إلى أبناء العربية في أجمل حلة من التنسيق والطبع . . .

على أن الذي يدعو إلى الغبطة أكثر أنه الآن يهتم بجمع الأصول لرسائل الجاحظ المنقودة ، وقد هيأ فعلاً رسالة « حيل اللصوص » لأبي عثمان ،

(*) نشرت في العدد ٧٥١ من مجلة الرسالة .

وكان الظن بهذه الرسالة أنها ضاعت في أجواء العصور الخالية ، وإنه لجهد نافع ، وعمل مشكور^(١) .

إن هذا الذي ينهض به الأستاذ هارون لعمل تنوء به الجماعة ، ولو نهضت به جامعة أو جماعة لحسبته من مفاخرها الخالدة ، ولكنه عمل ينهض به فرد مخلص للعلم . وهو صامت صابر . قانع بأنه يؤدي واجبه العلمي ، ثم هو لا يظفر من جامعاتنا وهيئاتنا العلمية بكلمة تقدير أو شكر . . .

(١) الواقع أني لم أصرح بهذا النبأ على هذا الوضع ، بل كان مجرد أمنية لم تتحقق ، وذلك لما علمته من أن النسخة الوحيدة التي كانت في مكتبة داود حلي بال عراق قد فقدت ، وأصبحت في خبر كان .

نوادير المخطوطات(*)

نشر وتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون

للدكتور شوقي ضيف

- ١ -

سبق أن قدمنا إلى قراء الثقافة الأستاذ عبد السلام هارون وما يضطلع به من جهد في نشر مكتبة الجاحظ . وغيرها من ذخائر الكتب العربية النفيسة ، وقد أتم أخيراً الجزء الرابع من كتب البيان والتبيين ، وألحقه بفهارس مختلفة ندلل الفائدة منه أمام الباحثين .

ولا نتحدث اليوم عن ذلك ، إنما نتحدث عن سلسلة جديدة من عمله رأى أن يزود بها المكتبة العربية الحديثة . وهي سلسلة لا تقرم على نشر الكتب والمجلدات الضخمة ، وإنما تقوم على نشر الرسائل الصغيرة الطريفة التي تعبر عن فكرة جديدة أو بحث محلود .

وهذه خطوة موفقة ، فإن كثيراً من الرسائل المخطوطة التي لما تنشر قد تحوى من الفائدة العلمية ما لا تحويه دفعتاً كتاب ضخيم ، إذ الرسالة الصغيرة في العادة هي التي تظفر بالآراء الجديدة للمؤلف ، فإن لم تظفر بآراء جديدة ظفرت بموضوع معين يحيط المؤلف بحدوده وأقطاره .

وقد عبر الأستاذ عبد السلام هارون عن ذلك في مقدمته لهذه النوادر ، إذ قال مصوراً لقيمتها ومبيناً لمنهجها فيها : « رأيت أن هممة الناشرين المحققين تتجه في أغاب ما تتجه إلى المخطوطات ذات الشهرة الظاهرة ، وإلى ما جلّ

(*) نشرت بمجلة الرسالة العدد ٦٣٤ فبراير ١٩٥١ .

مقداره من كتب السلف . مغفلين في أكثر الأمر هذه الرسائل الصغيرة ،
وقديماً كان الناس كذلك ، إنما يروقهم ما يملأ أبصارهم ، وما يرووهم
بحسامته وعظمته ، ورب أسد هزير في أثواب رجل نحيف ، فصيح مني
العزم على أن أكشف عن طائفة من هذه الكتب الصغيرة غطاءها . وأقدم
منها إلى جمهرة الباحثين مادة نادرة ، وأن أجعل هذا في مجموعات متتالية
متسلسلة الأرقام والصفحات ، رسيتمكن من كل أربع مجموعات مجلد يقع
في نحو خمسمائة صفحة ، تنتهي بفهرس عام لما فيها من هذه الرسائل .

وهذه المجموعة الأولى تحوى أربع رسائل مهمة ، هي : الرسالة المصرية
لأبى الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي المتوفى سنة ٥٢٨ هـ . وكتاب
المردفات من قريش لأبى الحسن على بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ .
وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء صنعة محمد بن حبيب المتوفى سنة
٢٤٥ هـ ، وتحفة الأبيي فيمن نسب إلى غير أبيه لمحمد بن يعقوب بن
محمد الفير وزابادى المتوفى سنة ٨١٧ هـ .

وكل رسالة من هذه الرسائل لها طرافتها . فالرسالة الأولى كتبت في
أوائل القرن السادس للهجرة . كتبها أبو الصلت عقب زيارته لمصر . ويقول
ابن سعيد في المغرب إنه كان قد خرج من أشيلية فصحب بالمهدة ملوكها
الصنهاجيين وتوجه في رسالة إلى مصر فسجن بالقاهرة في خزانة البنود ،
وكان فيها خزائن من أصناف الكتب ، فأقام بها نحو عشرين سنة ، فخرج
منها ، وقد برع في علوم كثيرة من حديثه وقديمة ، وصنف كتاب الحديقة
على منزع كتاب اليتيمة في فضلاء عصره ، وصنف الرسالة المصرية ،
وإنما حبسه المصريون لأن صاحبه الذى أرسله وهو يحيى بن تميم بن المعز بن
باديس كان قد قطع هو وأبوه اسم الخليفة الفاطمي من الخطبة واستقلا عن
مصر ، فلم يكرم المصريون رسوله بل حبسوه إهانة له وإضرار عليه .
والرسالة في مقامتها تشهد بأن أبا الصلت ألفها ليحيى بن تميم بعد رجوعه

إلى حضرته من مصر . وقد وصف له فيها الديار المصرية وموقعها في المعمورة ومجرى النيل فيها ، ثم أردف ذلك بنُسْبدٍ صورٍ فيها جمال ربوعها ومغانيتها ، وأحوال أهلها وأجناسهم وأخلاقهم وسيرهم وعاداتهم وما يتصل بهم أو ببلدتهم من الآثار العجيبة كالهرمين ، ومن ألوان المعرفة كالطب والتنجيم : وعجب من جهل بعض الأطباء في مصر كما عجب من ولوع بعض المصريين بأحكام النجوم وكثرة استخدامهم لها . وقص في ذلك طرفاً من النوادر ، ثم تحدث عن لقيه من الظرفاء والشعراء .

وأظن في ذلك ما يوضح أهمية هذه الرسالة ، فإن بها أخباراً طريفة عن الأحوال الاجتماعية والعلمية والأدبية بمصر أوائل القرن السادس للهجرة ، وقد أشاد بها السابقون واستقوا منها كثيراً في مؤلفاتهم على نحو ما صنع ياقوت في معجم الأدباء والعماد الأصبهاني في الخريدة وابن ممتي في قوانين الدواوين والقفطي في اخبار العلماء وابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء وابن سعيد في المغرب والمقریزی في الخطط والإدفعی في الطالع السعيد والسيوطي في حسن المحاضرة والمقری في نفح الطيب .

وعلق الأستاذ عبد السلام هارون على هذه الرسالة بتعليقات بدیعة كشف فيها عن مواضع الغموض وقابل بين نصوصها ونصوص الكتب التي نقلت عنها ، وأصلحها في غير موضع : ومن الحق أن نقول إن السخة التيمورية التي نشر عنها هذه الرسالة مشوهة غابة التشويه حُرُفٌ فيها كثير من الكلم والجمل ، وقد استطاع أن يصلحها جميعاً ويعيدها صورتها الأولى إلا ثلاثة مواطن استعصى فيها النص على الإصلاح بسبب أنه غير كامل أو أنه حرف تحريفاً تاماً . وتصادف أنى كنت أرجع ، إلى الخريدة في قسمها الخاص بصقلية ، وإذا أول هذا القسم ينقله العماد عن الرسالة المصرية لأبى الصلت فيتعرض لمواطن من هذه المواطن الثلاثة ، فأتم ما فيهما من نقص وأصلح ما بهما من تحريف .

ففي ص ٢٢ من المجموعة نجد الرسالة تجري هكذا : « وقد تعاور الشعراء ... الشعاع على صبح ... » ووضعت النقط لتدل على أن الكلام في الأصل ناقص ، والعبارة في الخريدة : « وقد تعاور الشعراء وصف وقوع الشعاع على صفحات الماء » ، وملتقى في أعلى ص ٢٣ بيتين محرفين تحريفاً تاماً ، وأشار إلى ذلك الأستاذ عبد السلام هارون وأنشدهما العماد في الخريدة على هذا النحو :

بشاطئٍ نهرٍ كأن الزجاج

وصفوا الجبين به ذوباً

إذا جمّشتَه الصَّبَا بالضحي

توهمتَه زرداً مُذهَباً

وبذلك يستقيم موطنان من المواطن الثلاثة ، ويظل موطن ورد في ص ١٩ حيث نجد بيتين غير مكملين وأكبر الظن أنهما للصنوبري ، وديوانه غير موجود تحت أيدينا ، ولا أشك أنهما سينكشفان لحضرة الأستاذ الناشر أثناء بحثه وتقديره الدائرين في الكتب والدواوين ، وقد جاء في هذه الصفحة نفسها أي ص ١٩ بيت لتمام بن المعز في وصف النيل وهو قوله :

فكأنما أمواجه غُرْفٌ

وكأنما داراته سرُرٌ

وأنا أحفظ له رواية ثانية لعلها هي الأصح والأضبط ، إذ تجري على هذه الصورة :

فكأنما أمواجه عُكَنٌ

وكأنما داراته سرُرٌ

والعكن : الطيات حول السرة .

وجاء في آخر هذه الرسالة اسم شاعر مصرى هكذا : أبو إسحاق إبراهيم ابن الأشعث ، وفي الخريدة : إبراهيم بن شعيب ، وكذلك أيضاً في حسن المحاضرة ومسالك الأبصار .

ولاني لأثني على ما بذله الأستاذ عبد السلام هارون في تحقيق هذه الرسالة وإقامة ما فيها من عِوَج وأمت ، ولولا خبره النادرة في تحقيق النصوص ما استطاع أن يخرجها في الصورة التي انتهت إليها ؛ وكما بذل جهوداً مشكورة في هذه الرسالة بذل كذلك جهوداً تشكر له في الرسائل الثلاث الأخرى ، فقد حقق رسالة « المردفات من قريش للمدائني » تحقيقاً بديعاً ، والمردفات من اللائي خلف عليهن أزواج مختلفون ، وفي كتاب « المخبر لابن حبيب » فصل في هذا الموضوع ، ولكنه أعم . إذ يتعرض للمردفات من قريش وغيرهن ، وفيه أيضاً زيادات خاصة بالقرشيات ، وفيه أيضاً بعض مغايرات في الحديث عن المردفات اللائي اشترك فيهن مع المدائني ، تارة في أسماء الأزواج وتارة في تعيين بعض أسمائهن ، غير أن ابن حبيب يكتفي بذكر اسم السيدة ومن تزوجها ، ولا يأتي بشيء من أخبارها وأشعارها إلا قليلاً ، أما رسالة المدائني التي نشرها الأستاذ عبد السلام هارون فتعطينا في أحوال كثيرة صورة واضحة عن السيدة التي يتحدث عنها ، ومن هنا تأتي أهميتها ويأتي امتيازها على الفصل الذي عقده ابن حبيب في كتابه .

وتتبع هذه الرسالة رسالة « من نسب إلى أمه من الشعراء » لابن حبيب . ورسالة « تحفة الأبييه ، فيمن نسب إلى غير أبيه » للفيروزابادي ، وهما رسالتان مهمتان جداً لمن يبحث في الشعر القديم والأدب العربي على وجه العموم ، إذ تشرحان حقيقة كثير من الأسماء مثل اسم ابن الزبير ، وقيس ابن الحداية وابن الدمينية وابن الطَّيَّريَّة وعمرو بن الإطَّابة من نسب إلى أمه ، ومثل إسحاق بن راهويه ، وأحمد بن تميمية وسويد بن كراع وعبد الله بن

أبى بن سلول ومحمد بن شرف القيروانى ومحمد بن القرطبيّة ومحمد بن ماجه
والمقداد بن الأسود ويونس بن حبيب ممن نسب إلى غير أبيه .

وإننا لترحب بهذه المجموعة النادرة ونثني على ما أدى فيها حضرة
الناشر من تعب وعناء تعودناهما من قبل في كل ما يحاول من نشر وتحقيق .

— ٢ — (*)

هذه هي الحلقة الثانية من تلك السلسلة الطريفة التي يضطلع ببعثها وإحيائها
صديقنا العالم الجليل عبد السلام محمد هارون . وليس من شك في أنه وفق
إلى أوسع الحدود في التوفيق حين اختار القيام على نشر الرسائل الصغيرة
النادرة في عالم المخطوطات العربية بجانب ما يقوم به من نشر بعض الأمهات .

فكل من يتصل بالمخطوطات العربية يعرف أن الرسالة الصغيرة لا تقل
أهمية في تاريخ فكرنا العربي عن الكتاب الكبير ، بل ربما كانت الرسالة
الصغيرة أشد أهمية ، ففي العادة يحملها المؤلف إما فكرة جديدة ، أو نصوصاً
جديدة . ونحن في الكتب الكبيرة إنما نبحث عن هذه الرسائل الصغيرة
وما يشبهها ، حتى نقف على الحركات الجديدة في حياتنا العقلية السابقة
وحتى نطلع على بعض خصائص هذه الحياة .

وقد يكون من تكرار القول أن نشير إلى أننا لا نزال في حاجة إلى نشر
الراث العربي وإلى التوسع في ذلك ، وإلى طائفة من شبابنا الذين ثقفوا مهنة
النشر أو يثقفونها ، لبعث كل ما يمكن من الأعمال والمؤلفات التي كتبها
الأسلاف والأجداد ، والتي لا تزال مطوية على رفوف المكاتب تنتظر
من يتناولها بالإخراج والإحياء .

وقد قدّمت الأستاذ الجليل عبد السلام محمد هارون غير مرة وأشدت
بجهوده ، وما يبذله فيما ينشره من عنت وعناء ، فهو من جهة قد أحسن

مهنة النشر إلى أقصى حد ممكن ، وهو من جهة أمين على ما ينشره . ولست أقصد بالأمانة هنا المحافظة على النص ، ولكني أقصد المحافظة على كل ما يمكن لبعث النص على خير الوجوه من حيث التذييل عليه والتعليق ، في غير تكثر ولا ادعاء ، وفي الوقت نفسه في تثبت وثقة بما يقول ويكتب .

وإني أشبه الناشرين من الشباب بمجتهدين ، فكل يجتهد حسب ذوقه ، وحسب ما يضع لنفسه من مناهج ، وما أحرانا بأن نقبل من كل ذوقه ومنهجه ، وما يوفر له من جهود . وحتى إن اختلفنا مع بعض الناشرين ، أو لم يجر ذوقهم مع أذواقنا ولا منهجهم مع منهجنا ، فإني أرى أن نقبل منهم عملهم في غير تحفظ .

وفي رأيي أنه ينبغي أن ننتظر حتى تكثر الأمثلة والنماذج وخاصة عند بعض من لتنوا النشر على أصوله من أمثال الأستاذ عبد السلام محمد هارون . وحينئذ يمكن النقد ويمكن التوجيه ، وفي رأيي أيضاً أن النشر الجيد خير من النقد الجيد في حد ذاته ، لأن الأول يملأ المثال ، بينما الثاني يشير إليه ، وقد يخرج من الإشارة إلى السخط والإزاء .

وما أخرى جماعة الناشرين أن يتروم بينهم التعاون والتآزر ، وأن يتعشق ذلك نفوسهم ، فيشعروا بشيء من الإخاء . وحبذا أو أحدثوا نقابة أو جمعية يكون من شأنها لم شتاتهم من جبهة ، وتعارفهم من جهة ثانية ، بحيث يمكن أن يتعاونوا في عملهم تعاوناً يفيد نشرهم منه .

وإني أرنو إلى هذا اليوم الذي أرى فيه كل ناشر قريباً من زميله ، بحيث يعرض عليه ما في النص الذي ينشره من صواب لعله يجد له منها مخرجاً .

وتصحيح النصوص التبدية هو في رأيي دائماً مسألة احتمالات ، وقد يوفق الناشر في تصحيح يصحح به النص ، وقد لا يوفق ، وهذا لا يضير به بحال . فللمجتهد إن وفق أجران ، وله أيضاً إن أخطأ أجر واحد ، ولكنه أجر على كل حال .

ومع أنى اتصلت في أوقات متقطعة وعلى أزمان متباعدة بنشر بعض النصوص العربية ، فإننى أعترف بأن ما صنعتته في هذا الجانب لم يكن في كل مرة إلا صوراً من الاحتالات ، قد أعود أنا ، إن نظرت من جديد في النص ، فأصاحها ، ومن أجل ذلك كنت أؤدر كل عمل يتصل بنشر المخطوطات القديمة ، وأعرف مدى ما يلقاه الناشر من صعوبات في عمله ، فليس يعلم إلا الله مدى ما يوفره الناشر الحصيف من أمثال الأستاذ الجليل عبد السلام هارون لعمله من جهود مضيئة .

وإنى لأشعر دائماً كلما قرأت له عملاً جديداً أنه يبذل كل الإمكانيات ليخرج عمله إخراجاً حسناً ، ومع ذلك فأنت لا تشبه منه أثناء ذلك بصاف ولا بدالة يُدَلَّ بها عليك ، بل هو يتقدم عمله للباحثين ، وبطلب إليهم أن ينبهوه إلى ما قد يفوته ، أو يند عنه . وذلك خلق العلماء العاملين .

وهذه المجموعة الثانية من نواذر المخطوطات تحتوى خمسة آثار طريفة . أولها خطبة واصل بن عطاء التي اشتهرت في العصرين الأموي والعباسي لما حذق فيها من فصاحة وبلاغة ، بل أيضاً لأنه استلماح أن يتجنب فيها الرأى ، وكانت له لثغة فيها ، وكان ذلك يعمد عيماً يرق فيه خطيب ذو بيان ومنطق . وقد نشرت هذه الخطبة من قبل ولكن أعداء نشرها لثوره على أصل جديد قرأه كاتبه محمد بن يوسف النخعي على الإمام أبى ذر الحشني ، وأيضاً فإنه عثر على أصل ثن في كتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، فأتاح له ذلك أن يعيد نشره ، وقدم لهذا النشر بدتمة طريفة عن واصل ولثغته . وحديث الجاحظ عنه وعن أنواع اللثغة بصفة عامة .

وبجانب هذه الخطبة البديعة نجد (كتاب أبيات الاستشهاد لأحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ) وهو كتاب قصد به صاحبه إلى أن يضع بين أيدي الأدباء مجموعة من الأشعار التي يمكن أن يتمثل بها في المناسبات المختلفة من عتاب أو اعتذار أو جرع أو حزن أو معونة لإحسان أو إسائة

من صديق ونحو ذلك . ويعتقب هذه الرسالة رسالة ثانية في أعجاز أبيات
للحبررد المتوفى ٥٢٨٥ هـ ، وهي أيضاً شطور أبيات يتمثل بها المتمثل في
المناسبات المختلفة .

ونستمر فنجد كتاب العصا لأسامة بن منقذ بطل شيزر وأحد قواد
الحروب الصليبية ، فهو فارس ، وهو إلى ذلك شاعر ، ومؤلف . وكتابه
«العصا» يمكن أن يعد ذا صلة واضحة بكتاب العصا للجاحظ في البيان والتبيين .
غير أن أسامة يضيف أشعاراً جديدة كثيرة مما نظمه الشعراء بعد عصر
الجاحظ ، ومما نظمه هو نفسه ، وأيضاً فإنه — على عادته في مؤلفاته —
يقص كثير آ عن مشاهداته وعصره . وهذا يجعل لتلك الرسالة — على قصرها —
طرافة خاصة .

ونصل أخيراً إلى رسالة التلميذ لعبد القادر البغدادي المتوفى سنة ١٠٩٣ هـ ،
وهي رسالة تبحث في كلمة التلميذ ووجودها في العربية — وقد أثرت في
الأيام الأخيرة أبحاث حولها ، وهل هي عربية أو غير عربية .

وتلك هي المجموعة الثانية من نواذر المخطوطات ، ولا شك في أنها ثروة
جديدة تضاف إلى تراثنا المنشور .

شوقي ضيف

للحقيقة والتاريخ (*)

كنت قد صدّرت كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ الذي ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٤٨م بعبارة إهداء ، كذلك التي اعتاد بعض الأدباء والمؤلفين أن يصلروا بها كتبهم وتآليفهم ، تكريماً لمن يعتزّون به من ذوى قرابة أو ذوى محبة وتقدير خاص ، وكانت كلمة الإهداء هذه مقدمة مني إلى صديق كريم كان صنو نفسي وموضع ثقتي وإعزازي ، هو المغفور له الأستاذ عبد السلام محمد الناظر أحد كبار رجال الأعمال .

وهذا هو نص الكلمة :

حَفِظَكَ اللَّهُ وَأَبَقَاكَ وَأَمَتَّ بِكَ ، وَجَعَلَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ
مِنْ وَدٍّ مَوْصُولًا أَبَدَ الدَّهْرِ ، فَقَدْ عَرَفْتُكَ صَدِيقًا .
لَا يَشُوبُ صِدَاقَهُ زَيْفٌ مِنْ شَوَائِبِ الدُّنْيَا ، وَعَرَفْتُكَ عَلَى تَقَادُومِ
الْعَهْدِ وَتَطَاوُلِ الزَّمَانِ ، أَخَا ثَابِتِ الْإِخَاءِ وَثِقِ النَّفْسِ ،
لَيْسَ كَمَنْ يَدُورُ بَحْلُهُ بَيْنَ النَّاسِ مُلْتَمِسًا بِهَا الْعُغْمَ ، وَبَاعِيًا
بِهَا النِّفْعَ ، فَكَانَ ذَلِكَ ، أَيْدِكَ اللَّهُ ، مِمَّا أَكْبَرَكَ فِي عَيْنِي .
وَأَعْظَمَكَ فِي نَفْسِي ، وَبَسَطَنِي أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْكَ هَذَا الْكِتَابَ خَالِدًا
لِيَرَى فِيهِ ، وَلَعَلَّهَا أَيُّهَا السَّمِيُّ الْكَرِيمُ ، أَنِّي أَحْفَظُ لَكَ فِي نَفْسِي
مِثْلَ مَا تَحْفَظُ لِي مِنْ وَفَاءٍ ، وَأَطْوَى لَكَ صَدْرِي
مِثْلَ مَا تَطْوِي مِنْ وِلَاءٍ .

(*) الإهداء مكتوب بخط الأديب الكبير شيخ الخطاطين المعاصرين الأستاذ سيد إبراهيم

ومضى زمان وزمان ، ثم فوجئت بصديق فاضل أديب ، هو الأستاذ سعد محمد حسن أحد رجال التعليم .

يهدى إلى العدد الأول من « مجلة مدرسة الإسرائيليين القرائين » التي أصدرها برياسة تحريره لها في مايو سنة ١٩٥١ وصدرها بنفس عبارتي في الإهداء السابق ، على أنها قطعة أدبية بقلم الجاحظ مختارة من مآثورات قلمه ، ومع نسبتها إلى الجاحظ !

ولخشيت حينئذ أن يعلق بأذهان القراء هذا الخطأ ، وأن تسرى عبارة الإهداء هذه منسوبة إلى الجاحظ ظلماً له وللتاريخ — بادرت فنشرت كلمة في العدد ٦٤٨ من مجلة الثقافة بتاريخ ٢٨ من مايو سنة ١٩٥١ م .

وهذا نصها :

للحقيقة والتاريخ

بين الجاحظ وتلميذ الجاحظ

قرأت في العدد الأول من السنة الأولى لمجلة (مدرسة الإسرائيليين القرائين) سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ عبارة منسوبة إلى أبي عثمان الجاحظ ، هذا نصها :

« حفظك الله وأبقاك وأمتع بك ، وجعل ما بيني وبينك من ودّ موصولاً أبداً الدهر ، فقد عرفتُك صديقاً لا يشوب صداقته زيف من شوائب الدنيا ، وعرفتُك على تقادم العهد وتطاول الزمان أخاً ثابت الإخاء وثيق النفس ، ليس كمن يدور بخاتمه بين الناس ملتصقاً بها الغم ، وبأغياها التفرج ، فكان ذلك أيدك الله ، مما أكبرك في عيني ، وأعظمك في نفسي ، وبسطني أن أقدم إليك هذا الكتاب الخالد ، لترى فيه ، ولتعلم أيها السمي الكريم ، أنني أحفظ لك في نفسي مثل ما تحفظ لي من وفاء ، وأطوي لك صدري على مثل ما تطوى من ولاء » .

والحق أن هذه الكلمة ليست للجاحظ ، وإنما هي لكاتب هذه السطور ، نسجتها في أسلوب أبي عثمان الجاحظ وبيانه ، ولعلها قد سماها التقايد والمحاكاة حتى ظنت أنها من كلامه ، وأنى يكون لمثل أن يرتفع إلى حيث الجاحظ وسحريانه !

وإن ضمير التاريخ ليدعوني أن أعلن أن هذه الكلمة هي عبارة الإهداء التي صدرت بها كتاب « البيان والتبيين » ، لشيخنا الجاحظ ، وذلك في نشرته الأخيرة التي أخرجتها في أربع مجلدات .

وعبارة الإهداء هذه مقدمة منى بقلمى إلى صديقى وسبى الأستاذ « عبد السلام محمد الناظر » أحد كبار رجال الأعمال والمال ، الذى يرجع عهد الصداقة به إلى أكثر من خمسة وعشرين عاماً ، وهو الذى أشرت إليه بكلمة « السمسى الكريم » ، وقد ذكرت ذلك فى مقدمتى للبيان والتبيين .

وحرصاً منى على أن لا يتكرر مثل هذا اللبس أرجو كل من وقعت إليه نسخة من نشرتى هذه أن يشير إلى أنها من صنع كاتب هذا البيان .

وقد قدر الصديق الأستاذ سعد محمد حسن حينئذ ما سيرتب على ذلك من خلط تاريخى فنشر فى العدد ٦٥١ من الثقافة بتاريخ ١٨ من يونية سنة ١٩٥١ كلمة بعنوان :

(جاحظى كالجاحظ) يقول فيها :

كان من سوائف الأقضية أن أخرجت مدرسة الإسرائيليين بالقاهرة مجلة سنوية أسندت إلى رئاسة تحريرها ، فأخذت أنقب فيما تحت يديّ من كتب عن كلمة بليغة أضجها فى صدر الخجلة كإهداء ، فلم أجد خيراً من كلمة جاحظية فى صدر كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ نشره الأستاذ عبد السلام هارون ، وقد قرأت الكلمة مرة ومرة فأعجبني جرسها

وسلاستها وجاحظيتها القرية البينة ، وما كنت أشك أبداً في أنها لأبي عثمان
في بعض مقدمات كتبه .

وبعد أن فرغت من طبع المجلة أرسلت بعدد منها هدية للأستاذ هارون ،
فطالعنا في الثقافة الغراء عدد ٦٤٨ بكلمة بعنوان « للتحقيق والتاريخ » ينفي
فيها أن يكون الكلمة لأبي عثمان ويجمعها من بيان تلميذه عبد السلام هارون .
وفد أسفت كثير أ لما وقع مني من خلط ، كان عذيري فيه أن أسلوب العبارة
جاحظي بحت ، وأنها لم تكن ممهورة باسم عبد السلام هارون ، والعبارة وإن
كان قد ارتفع بها كونها للجاحظ فإنه لم يسف بها أبداً كونها لهارون ، وحق
للأستاذ عبد السلام وقد عاش مع أبي عثمان عشر سنوات في كتابه الأول
وموسوعته الضخمة القيمة « الحيوان » ثم رافقه بعد ذلك في « البيان والتبيين »
أن يكون أعرف الناس بلغة أبي عثمان ، حتى لينسخ على منواله ويعزف
على قيثارته ، فما تستطيع أن تفرق بين الجاحظ وتلميذه ، فالكلمة الجاحظية
هذه وإن لم تكن للجاحظ فهي دون ريب للجاحظي .

سعد محمد حسن

حول كتاب تهذيب الحيوان

من تأليف الأستاذ عبد السلام محمد هارون

من تراث الجاحظ العربي الاسلامى(*)

بقلم الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى

الجاحظ هذا الرائد الكبير للمثل العربى ، وهذا الأديب الخالد فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية . وهذا القلم البليغ الذى ظل أدبه طول العصور نموذجاً رفيعاً يحتذىه كل الكتّاب والمتأدبين من واجبنا القومى والفكرى والأدبى أن نعنى بترائه . وأن نؤليه حظاً من الاهتمام والجهود والخدمة الصادقة الدؤوب .

وليس فى جيلنا ولا فى الأجيال السابقة من أولى تراث الجاحظ كل دأبه ووقته وعلمه وعمله معاً مثل الأستاذ الكبير شيخ المحققين فى عصرنا ، عبد السلام هارون أطل الله فى عمره لخير الأدب ولغة العرب وتراث العربية العظيم . .

نذكر له بالحمد والفخر معاً تحفته لكتابى « البيان والتبيين » و « الحيوان » ونذكر له تحفته لرسائل الجاحظ ونذكر له الكثير من أعماله التى يعتز بها جيلنا فى الحاضر والمستقبل . . ومن بينها هذا الكتاب النفيس الذى أصدرته دار الرفاعى بالرياض ومكتبة الخانجي بالقاهرة فى أكثر من ثلاثمائة صفحة ، وهو « تهذيب الحيوان للجاحظ » .

(*) صحيفة رأى العام الأسبوعية المصرية العدد ٨٠ من السنة الثامنة بتاريخ ٢٦ صفر ١٤٠٨ هـ

كانت عناية الجاحظ بالحيوان والتأليف فيه عناية موفورة فالحيوان رفيق العربى فى الحل والسفر ، يقاسمه حياته ومعيشته أينما كان ، وحيثما كان . . والحيوان كذلك كان موضع اهتمام المنكرين والعلماء منذ القدم ، أرسطوا كتب كتاباً مشهوراً عنوانه « الحيوان » نقله المترجم العربى ابن البطريق قديماً من اليونانية إلى العربية ، وترجم حديثاً إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية وغيرهما .

وكان الجاحظ — كما يذكر الأستاذ الكبير عبد السلام هارون فى مقدمته أول واضح لكتاب عربى جامع فى علم الحيوان وإن سبقه علماء اللغة الذين استقصوا الألفاظ اللغوية التى ينعت بها أعضاء الحيوان فى رسائل صغيرة ولكن الجاحظ بنطق كتابه بالقصد العلمى التفصيل للحيوان جميعاً ، ولكل مملكة من ممالكه ، ولكل جنس من أجناسه متممداً فى ذلك على كتاب الله وحديث رسوله . . وعلى التراث العربى الضخم المتناول عن العرب . والمروى عن بدوهم وحضرمهم ، والذي وعاه الجاحظ فى القرنين الثانى والثالث طيلة حياته الطويلة (١٦٠ — ٢٥٥ هـ : ٧٧٧ — ٨٦٩ م) وعلى كتاب الحيوان لأرسطو كذلك وأرسطو يلقيه الجاحظ بصاحب الانتطق وقد نقل عنه الجاحظ بعض النصوص التى تعد من القيمة والنفاسة بدمكان عظيم وقد وافق أرسطو فى بعض آرائه ونقده فى البعض الآخر واعتذر عنه فى بعض ثالث بأن المترجمين لم يحسنوا ترجمة كتاب أرسطو إلى العربية ولم يتوخوا الدقة والمطابقة فنجده يقول حيناً ولعل المترجم قد أساء فى الإخبار عنه ويتبول حيناً آخر : ولعله : أرسطو — أو وجد هذا المترجم أن يتيممه على المصطبة ويرأى إلى الناس من كذبه عليه ومن إفساد معانيه بسوء ترجمته .

ويعتمد الجاحظ كذلك فى كتابه « الحيوان » على آراء معاصريه وبخاصة المعتزلة الذى كن هو إماماً من كبار أئمتهم .

والكتاب كما يقول الأستاذ هارون معلمة واسعة صورة ظاهرة لثقافة

العصر العباسي المتشعبة الأطراف وقد حوى طائفة صالحة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية كما تحدث في سياسة الأقوام والأفراد، وكما تكلم في نزاع أهل الكلام، وسائر الطوائف الدينية.

وفي الكتاب الكثير من المعارف الجغرافية والتاريخية والاجتماعية واللغوية والأدبية والنقدية والدينية؛ وتحدث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب وأحوالهم وعلومهم وتراثهم وأفاض القول في آي الكتاب العربي وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ويجمع كتاب الحيوان للجاحظ صنموة ممتازة من حر الشعر العربي ونادره من بلاغات العرب ومعارفهم وقصصهم واريحهم.

وقيمة الكتاب قيمة - رقيقة في التراث العربي لأنه دائرة معارف واسعة - عن العرب وتراثهم وأدبهم، وهو مطبوع في عديد من المجلدات مما بتحقيق شيخنا الجليل الأستاذ هارون.

وهذا العمل العلمي الكبير، الذي يوليه العلماء والمثقفون كل اهتمام وتقدير دفع الأستاذ هارون إلى تقديم خلاصة موجزة له ليكون فكر الجاحظ وأدبه المثلان في كتابه في أيدي القراء وبخاصة الشباب في سائر بلاد العروبة والإسلام، فكان كتاب اليوم «تهذيب الحيوان».

من أجل ذلك كله اختار محققنا الجليل في تهذيبه ما كان غير مألوف للقراء وما كان من الأدب الرفيع النبيل الذي يجب أن يحفظ وأن يستشهد به وحذف في تهذيبه الكثير من النصوص الخوشية والغريبة، ومن المسائل الكلامية والفلسفية وأخر من نصوص «الحيوان» ما كان أقرب إلى أدب الأديب وثقافة القارئ المتفهم.. ووضع فهرس وافية للكتاب، وأخرجه في أجل صورة وأجمل مظهر.

فتجدد بين دفتي الكتاب «تهذيب الحيوان» كلام الجاحظ المأثور عن

الكتاب والترجمة وعن الخلاف بين صاحب الديك وصاحب الكلب ويتحدث عن الكلب والثعلب ، والدبك والدجاج ، والخفاش ، والنمل ، والسناير ، والحمام ، والأسد والذباب ، والخفاش ، والحيات ، والمصفور ، والظالم ، والفأر ، والعنكبوت ، والقط ، والضباب والأرانب ، والفيل والجاموس وغيرها ، ويضم « التهذيب » الكثير من القصص العربي الطريف ومن الأمثال والحكم ، والبلاغات والأشعار ، والروايات والطرائف التي نستعذب وتنقل وتروى ويستشهد بها .

ومما تحدث فيه الجاحظ أيضاً وهو جزء من التهذيب كذلك :

- غفة عمر بن أبي ربيعة .
- قصة عبد الله بن سوار .
- أشعار النساء .
- الكلام في المعنى واللفظ .
- النظام وعدم إيمانه بالطيرة .
- قصة أبي الأعز .
- لعب الأعراب .
- الجن وتخيلات الأعراب .
- أشعار بعض الشعراء العميان .

وغير ذلك من طرائف أبي عثمان الجاحظ ونوادر أدبه في كتابه « الحيوان » .

وماذا تقول في هذه الذخيرة الحية وهذا الكنز الثمين الذي جمعه العلامة هارون في « التهذيب » من أدب الجاحظ ورفيع كتاباته عن الحيوان وحول الحيوان . .

وليس هناك أشق من تهذيب كتاب ضخمة وخاصة إذا ما كان هذا الكتاب لأديب ومفكر كبير كالجاحظ . . فهنا تضخم المشقة ويصعب الاختيار . .

ولكن العلامة الكبير عبد السلام هارون وهو من هو فقهما بالعربية ومعرفة بأصولها ومصادرها وتراثها وبتراث الجاحظ خاصة من بين تراث العربية الكبير قد صمد للمهمة ونجح في القصد ووفق في الاختيار توفيقاً ما بعده توفيق .

ليت الشباب يقرأون مثل كتاب « تهذيب الحيوان » ليفقهوا أدب الجاحظ العظيم وليتقنوا بالرفيع من نماذج أدبه . وروائع بلاغاته التي كان طه حسين وتوفيق الحكيم خاصة من بين كبار أدبائنا يعجبون بها كل الإعجاب ويرفعون من منزلتها إلى أعلى مكان في البلاغة والتأثير .

الموضوع والسلاسة والبساطة والصدق والقوة والامتناع . . أقل ما توصف به بلاغة الجاحظ وبخاصة في تهذيب الحيوان .

ونقف عند نص من نصوص الكتاب :

الكركدن يذكره الجاحظ ويقول : إن داود النبي ذكره في الزبور وإن صاحب المنطق - أرسطو - ذكره في كتاب الحيوان وسمّاه بالحمار الهندي وجعل له قرناً واحداً في وسط جبهته ، ويعرفه أهل الهند كبيرهم وصغيرهم . وتزعم الهند أن سائر الحيوانات تهايه وترهبه . . وقد زعم صاحب المنطق أن ولد الفيل يخرج من بطن أمه نابت الأسنان لطول لبثه في بطنها وهذا جائز في ولد الفيل غير منكر لأن جماعة نساء معروفات الأباء والأبناء قد ولدن أولادهن ولهن أسنان نابتة كالذي روي في شأن ما للعين أنس ومحمد ابن عجلان وغيرهما . وقد زعم ناس من أهل البصرة أن خاقان بن عبد الله بن الأهمم استبقي في بطن أمه ثلاثة عشر شهراً وقد مُدح بذلك وهُجى . .

وليس هذا بالمستنكر وإن كنت لم أر قط قابلة مولدة تقرر بشيء من هذا الباب وكذلك الأطباء وقد روه كما علجت ولكن العجب كل العجب ما ذكروا من إخراج ولد الكركدن رأسه واعتلافه ثم إدخاله رأسه بعد الشيع والبطنه ولا بد أكرمك الله لما أكل من نجو (فضلات) فإن كان بقي ذلك الولد يأكل ولا يروث فهذا عجب وأن يروث في جوفها فهذا أعجب إلى آخر ما قال الجاحظ في ذلك .

أرأيت هذا الاستقصاء وهذا التحقيق وهذه المعرفة العلمية في فكر الجاحظ وهذه الحرب للخرافات والأوهام والأساطير وهذا المنهج العلمي الذي سار عليه الجاحظ والذي راع العلماء والمفكرين وجعلهم يتعلقون بأدب الجاحظ تعلقاً شديداً .

أجزل الله الأجر للمحقق الكبير الذي أتممنا بهذا السفر النفيس من خلاصات كتابه القيم « الحيوان » ومن سائر علمه وأدبه وبلاغته .

* * *

تمت « القطف الأدبية » والحمد لله

الذي بنعمته تتم الصالحات . .

مصر الجديدة

١٥ من شعبان ١٤٠٨ هـ

عبد السلام محمد عيادون

الفهرس التحليلى لموضوعات(*)

(الفطوف الادبية)

الباب الأول : بحوث ومقالات :

٣

مقدمة

١ - حول تجربتى فى احياء التراث :

- ١٣ - معنى تحقيق متن الكتاب ، او المخطوط
- ١٩ - رموز واختصارات لبعض الكلمات توجد فى المخطوطات
- ٢٠ - التمرس بأسلوب المؤلف
- ٢٠ - الاسام بالموضوع والقضايا التى يعالجها المخطوط
- ٢١ - المراجع العلمية ذات العلاقة المباشرة بالمخطوط
- ٢٢ - المراجع التى استقى منها المؤلف
- ٢٤ - الرجوع الى الكتب المعاصرة للمؤلف ، فى نفس الموضوع

٢ - احياء التراث وما تم فيه :

- ٢٩ - تقويم التراث العربى
- ٣١ - احياء التراث
- ٣٤ - احياء التراث فى العصور الحديثة :
- ٣٧ * جهرد المستشرقين ،
- ٣٩ * جهرد مطبعة بولاق ، دار الكتب المصرية ،
- ٤١ * المكتبة الممثلة ، دار الكتب العربية الكبرى ،
- * مكتبة مصطفى الباقى الحلبي ، دار احياء الكتب العربية ،
- ٤٢ جمعية المعارف ١٨٦٨ م
- * المطبعة الكاثوليكية للآباء المرسلين اليسوعيين فى بيروت ،
- ٤٣ شركة طبع الكتب العربية ، لجنة نشر المخصص ١٩٠٢

(*) وافى المنه - شيخنا - المؤلف رحمه الله ، قبل ان يقوم بعمل الفهارس الى وعد بها فى المقدمة ، فقمنا بعمل هذا الفهرس ، ونأمل من القارئ ان يعذرنا فى عدم اسام هذه الفهارس حتى طبعة قادمة ان شاء الله .
(الناشر : شرف حجازى)

- * جمعية المستشرقين الألمانية بتركيا سنة ١٩١٨ ،
- ٤٤ مكتبة الخانجي
- * المكتبة السلفية
- ٤٦ * لجنة التأليف والترجمة والنشر
- * دار المعارف ، جهود فرج الله زكي الكردى ،
- ٤٧ جهود محمد منير الدمشقى
- * جهود حسام الدين القدسى ، جهود جامعة القاهرة ،
- ٤٨ المجمع اللغوى بالقاهرة ،
- * المجمع العلمى العربى بدمشق ، مديرية احياء التراث
- ٤٩ القديم بسوريا ، المجمع العلمى العراقى ،
- * مديرية الثقافة العامة بالعراق ، مكتبة المثنى ببغداد ، ٥٠
- * المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ، المعهد العلمى الفرنسى
- بدمشق ، دائرة المطبوعات والنشر بالكويت ، المجلس
- الأعلى للشئون الاسلامية بوزارة الأوقاف ، ادارة
- ٥١ احياء التراث بوزارة التربية والتعليم
- * ادارة احياء التراث بوزارة الثقافة والارشاد ، ادارة
- التأليف والترجمة والنشر ، المجلس الأعلى للفنون
- والآداب
- ٥٢
- * دار القلم
- ٥٣
- * المؤسسة العربية الحديثة ، صحيفة الجمهورية ، دار
- ٥٤ العروبة
- * دار الثقافة ببيروت
- ٥٥
- عودة الى دار الكتب واثرها
- ٥٥
- أبرز أعلام المحققين فى العصر الحديث :
- ٥٦
- * فى مصر ،
- ٥٦
- * فى سوريا ،
- ٥٨
- * فى فلسطين ، فى الأردن ، فى العراق ،
- ٥٩
- * فى السعودية ، فى اليمن ، فى ليبيا ،
- ٦٠
- * فى تونس ، فى الجزائر ، فى المغرب ، فى السودان ،
- ٦١ فى ايران ، فى الهند وباكستان

- ٦٢ * في تركيا
- ٦٢ * أبرز المستشرقين المهتمين بنشر التراث وتحفيظه
- ٦٣ - أثر النعد في منهج تحقيق التراث
- ٦٣ - كلمة أخيرة

٣ - احياء التراث العربي واثره في لغتنا المعاصرة :

٤ - مقتطفات من كتاب التراث العربي :

- ٧٦ - التراث
- ٧٨ - تاريخ كلمة تراث
- ٧٩ * المعنى المعاصر
- ٧٩ - الايمان بالتراث
- ٨٠ - كيف نستعيد هذا الايمان
- ٨٣ - نماذج من كتب الرحلات

٥ - حضارتنا و احياء التراث :

- ٨٦ - فن تحقيق المخطوطات
- ٨٨ - معوقات التحقيق
- ٨٩ - أسس العمل في تحقيق التراث
- ٩١ - الموازنة بين صور التحقيق
- ٩١ - مقترحات في سبيل تحقيق علمي
- ٩٢ - الغائب في مكتبة التراث
- ٩٣ - اعداد المحقق
- ٩٤ - التحقيق ... والطباعة
- ٩٥ - نشاط العالم في التأليف والتحقيق
- ٩٥ - الكتاب الاول للمؤلف
- ٩٦ - كتاب يعتز به المؤلف
- ٩٧ - التبين ... والنبين
- ٩٩ - المكونات الادبية
- ١٠١ - خزانة الادب

٦ - تحقيق لغوى لمادة « تلمذ »

٧ - الابل ، واثرها في الفكر العربي ، والبيان العربي

- ١٢٠ - الابل في القرآن الكريم
- ١٢١ - الابل في الحديث الشريف
- ١٢١ - الابل في الشعر
- ١٢٢ * دخلت الابل في الهجاء
- ١٢٣ * وفي الغزل . وفي شعر الحنين

٨ - « الفصح » بين اللغة والتاريخ

- ١٣٩ - الكلمة عربية الأصل دخلت في العربية منذ عهد سحيق
- أقدم من ذكر « الفصح اليهودي » المسعودي في التنبيه
- ١٣١ والاشراف
- ١٣٢ - أول خيط لهذه الكلمة في « سفر الخروج »
- ١٣٦ - اللغويون العرب لا يعرفون الفصح الا عيدا للنصارى

٩ - الدعوة للصلاة في اذان المؤذنين

(كتاب مفتوح الى وزير الأوقاف)

- ١٤١ - الخطأ في قولهم « حى » بكسر الياء وانما هى بالفتح

١٠ - اللغة العربية صراع للعجمة وفوز في المعركة .

١١ - حول التيسير :

- ١٥٢ - الفرق بين التيسير والتبديل في النحو
- ١٥٥ - ننادى بتيسير النحو ، ولكن لا تمس اصول العربية

١٢ - علاقة الاسلام باللغة العربية :

- ١٦١ - اللغة العربية من الأسباب الجوهرية لانتشار الاسلام

١٣ - الاذاعة ونشر الفصحى :

١٤ - مكتبة الجاحظ :

- ١٧٠ - التأليف في عصر الجاحظ
- ١٧٢ - وسائل النشر في عصر الجاحظ
- ١٧٤ - أسلوب الجاحظ في التأليف :
- ١٧٤ * الجاحظ لم يترك شيئاً مما يجول بخاطر الانسان
- ١٧٥ * ادمان الفكاهة
- ١٧٧ * كثرة التكرار والمعاودة

- ١٧٨ * التنويع
- ١٧٩ * تناوله لكثير من الأمور التي تبدو أنها متناقضة
- ١٧٩ * حرية الفكر
- ١٨٠ * كثرة تناول المسائل الكلامية
- ١٨١ * تحدث عن أشياء لم يخض فيها أحد قبله
- ١٨٢ * يرسم صورة للحياة في العصر العباسي
- ١٨٣ * اهتمام الجاحظ بتسجيل الحياة اليومية
- ١٨٤ - ذبوع كتب الجاحظ
- ١٨٥ - تقدير القدماء لكتب الجاحظ
- ١٨٦ - عدد كتب الجاحظ
- ١٥ - الجاحظ والمعلمون .
- ١٦ - من التراث اللغوي (معجم مقاييس اللغة)
- ١٧ - كان عالماً جليلاً (الأستاذ عبد الرحيم محمود)

الباب الثاني : بينى وبين الأدباء والعلماء

- * - (كلية ودمنة) نقد وتعليق - للمؤلف
- ٢١٥ - الحلقة الأولى :
- ٢١٨ * في الضبط اللغوي
- ٢٢٢ - الحلقة الثانية
- ٢٢٤ * في الضبط النحوي
- ٢٢٧ * في تحقيق النص
- ٢٣٠ - الحلقة الثالثة
- ٢٣٨ - الحلقة الرابعة
- ٢٤٣ * في التعليقات
- * - (كلية ودمنة) رد على نقد - بقلم عبد الوهاب عزام
- ٢٤٨ * أولا في الضبط اللغوي
- ٢٥٠ - الحلقة الثانية
- ٢٥٢ * الضبط النحوي
- ٢٥٣ * في تحقيق النص

- ٢٥٦ - الحلقة الثالثة
- ٢٥٩ - الحلقة الرابعة
- ٢٦١ * في التعليقات
- * - مجموع رسائل الجاحظ - نشرة باول كراوس ومحمد طه الحاجري
- ٢٦٢ نقد عبد السلام محمد هارون
- ٢٧٥ * - مجلة الأديب العدد الخاص بابي العلاء
- * - قواعد الهرموني : علم توافق الأصوات
- * - فلسفة الأخلاق في الإسلام (وصلاتها بالفلسفة الإغريقية)
- ٢٧٩ تأليف الأستاذ محمّد يوسف موسى
- * - الهوامل والشوامل (لأبي حيان ومسكويه) :
- ٢٨٣ نشرة الأستاذين الدكتور أحمد أمين والسيد أحمد صقر
- ٢٨٩ - الحلقة الثانية
- * - حول ديوان الشريف المرتضى :
- تحقيق وشرح الأستاذ رشيد الصفار المحامي
- ٢٩٨ نقد بقلم عبد السلام محمد هارون
- ٣٠٠ - حياة المؤلف العلمية
- ٣٠٢ - جانب من أخلاقه
- ٣٠٤ - المرتضى الشاعر
- * الحلقة الثانية
- ٣٠٨ - المرائي في شعر المرتضى
- ٣١٦ - مرائي الحسين عليه السلام
- * الحلقة الثالثة
- ٣٢٣ - قصة نشر الديوان
- ٣٢٥ - مؤاخذات على المحقق :
- ٣٢٧ * في المقدمة
- ٣٢٧ * في الجزء الأول
- ٣٢٩ * في الجزء الثاني
- ٣٣٣ * في الجزء الثالث

*** - دراسة نقدية حول تحقيق كتاب التمثيل والمحاضرة :**
(تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحلو)

٣٣٩ - تصويبات

*** - حول ديوان البخترى (نقد)**

٣٤٨ - تقديم

٣٥٢ - بعض المآخذ فى المقدمة

٣٥٣ - بعض المآخذ فى الديوان وشرحه

٣٦٤ - أخطاء مطبعية

٣٦٥ * الحلقة الثانية

٣٧٩ * الحلقة الثالثة

٣٩٢ * الحلقة الرابعة

٤٠٤ * الحلقة الخامسة

٤١٣ * الحلقة السادسة

*** - حول ديوان البخترى - للأستاذ حسن كامل الصيرفى**

الباب الثالث : بين الأدباء والعلماء وبينى

*** - نظرة فى كتاب الحيوان للجاحظ (رد على نقد)**

٤٥١ بقلم شارح الحيوان

*** - كتاب الحيوان للجاحظ - الجزء الرابع**

٤٥٩ نظرات فيه للتحقيق ، بقلم الاب أنستاس مارى الكرملى

٤٥٩ - أغلاط الطبع

٤٦٠ - أغلاط الضبط

٤٦١ - أغلاط الصرف

٤٦٧ - أوهام فى الآراء

٤٧١ - ما غمض عليك تحقيقه

٤٧١ - مقابلة الألفاظ العربية بالكلم الأجنبية

٤٧٣ - ملاحظات شتى

٤٧٨ - حسنات الكتاب

٤٨٠ - خاتمة الرسالة

*** - كتاب الحيوان للجاحظ :**

(جواب رسالة المحقق الكبير الاب أنستاس مارى الكرملى)
بقلم عبد السلام محمد هارون

- ٤٨٢ - اغلاط الطبع . اغلاط الضبط
٤٨٣ - اغلاط الصرف
٤٨٤ - أوهام فى الآراء
٤٩٤ - ما غمض تحقيقه
٤٩٧ - مقابلة الالفاظ العربية بالكلم الاجنبية
٤٩٨ - ملاحظات شتى
٥٠٢ - حسنات الكتاب
٥٠٩ - خاتمة الرسالة
٥١٠

*** - كتاب الحيوان للجاحظ (الجزء الخامس) :**

نقد بقلم الاب أنستاس مارى الكرملى

- ٥١٢ - تمهيد
٥١٣ - نظرة عامة فى تصانيف الجاحظ
٥١٣ - اعادة طبع كتاب الحيوان
٥١٤ - محتويات كتاب الحيوان
٥١٥ - حسنات هذه الطبعة
٥١٧ - ما كنا نتمنى أن يكون فى هذا الكتاب

*** - كتاب الحيوان للجاحظ (حول المجلد الخامس) :**

رد على نقد ، بقلم عبد السلام محمد هارون

٥٣٥

*** - حول كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها :**

(لعرام بن الأصمغ السلمى)

٥٤٤ تعليق ونقد للأستاذ حمد الجاسر (على الطبعة الأولى)

* مقدمة التحقيق للنشرة الأولى

(بقلم عبد السلام هارون)

- ٥٤٥ - تهامة
٥٤٧ - نسبة هذا الكتاب
٥٤٩ - عرام بن الأصمغ السلمى
٥٥٠ - عرام النحوى

- ٥٥٠ - نسخة الأصل
- ٥٥١ - تحقيق هذا الكتاب
- ٥٥٢ * نقد النشرة الأولى

الباب الرابع : نظرات لبعض الأدباء والأصدقاء

- * - كتاب الحيوان للجاحظ
- ٥٦٥ (للأستاذ عبد المنعم خلاف)
- * - مكتبة الجاحظ
- ٥٧٠ (للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف)
- * - نوادر المخطوطات
- ٥٧٢ (للدكتور شوقي ضيف)
- ٥٧٧ * الحلقة الثانية
- * - للحقيقة وللتاريخ
- * - من تراث الجاحظ العربي الاسلامي
- ٥٨٥ (للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي)

* * *

تطلب جميع منشورات مكتبة السنة
بالمملكة العربية السعودية
من الوكيل المعتمد لها : مكتبة ابن القيم - المدينة المنورة
تليفون ٨٣٨٨٠٠٩ ص.ب ٣٦١٥

ايداع رقم ١٩٨٨/٨٣١٠

دار الجليل للطباعة
١٤ قصير اللؤلؤة - الفجالة
جمهورية مصر العربية تليفون ٩٠٤٣٤٣ - ٩٠٥٢٩٦